تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۵

الجزء الثالث

[تتمة كلام السيد الآملي]

المقدّمة السّادسة في بيان الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و بيان أنّها أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة

اعلم، أنّ هذه المقدّمة مشتملة على بيان الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة، و بيان مراتبها و مدارجها عقلا و نقلا و كشفا، و الغرض منه أنّه لمّا كان أكثر أهل الزّمان من خواصّهم و عوامهم يظنّون:

أن الشّريعة خلاف الطّريقة، و الطّريقة خلاف الحقيقة، و يتصوّرون أنّ بين هذه المراتب مغايرة حقيقية، و ينسبون إلى كلّ طائفة منهم ما لا يليق بهم خصوصا إلى طائفة الموحّدين من أهل اللّه المسمّاة بالصوفيّة، و لم يكن سبب ذلك إلّا عدم علمهم بحالهم و قلّة وقوفهم على أصولهم و قواعدهم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۶

أردت أن أبيّن لهم الحال على ما هو عليه و أكشف لهم الأحوال على ما ينبغي ليحصل لهم العلم بحقيقة كلّ طائفة منهم، سيّما بالطايفة المخصوصة المذكورة من أهل اللّه و ينكشف لهم أحوالهم في طبقاتهم و مراتبهم و أصولهم و قواعدهم و يتحقّقوا أنّ الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة، و ليس فيها خلاف في

نفس الأمر «١»، و يتركوا بذلك المجادلة و المعارضة مع أهل اللّه

---

(١) قوله: ليس فيها خلاف في نفس الأمر.

لأن الحقّ واحد يستحيل أن يكون كثيرا إلاّ في مقام الظهور، و الكثرة الّتي توجد في مقام الظهور أيضا تحكي عن الحقّ الواحد، و للظهور مراتب، و الكثرة في مقام الظهور هي نفس تلك المراتب.

و معلوم أنّ مرجع الظهورات أيضا أمر واحد، أي المراتب في الظهور أيضا ترجع إلى أمر واحد الذي هو المظهر حقيقة، فهو الأوّل و الآخر و مع كلّ شيء و داخل في الأشياء و خارج عنها فهو الظاهر و الباطن، قال تعالى:

وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ [القمر: ٥٠].

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ [الحديد: ٣].

كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ [القصص: ٨٨].

و قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام:

«داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، و خارج منها لا كشيء من شيء خارج» (كتاب التوحيد للصدوق باب ٤٢، ص ٣٠٦، الحديث ١).

و قال أيضا:

«فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، و تمكّن منها لا على الممازجة» (نفس المصدر باب ٢ ص ٧٣، الحديث ٢٧) تبصرة:

ان للعالم و الإنسان، و للشريعة و القرآن، و للعمل و الإيمان، و للعبادة و الطهارة و الولاية و الإيقان مراتب.

قال سبحانه تعالى:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [الحجر: ٢١].

و يعبّر عن تلك المراتب (على سبيل الكلّى) بالملك و الملكوت، و بالغيب و الشهادة، و بالظاهر و الباطن، و بالتنزيل و التأويل.

قال سبحانه و تعالى:

فَسُبْحٰانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [يس: ٨٣].

و قال تعالى:

وَ الْكِتٰابِ الْمُبِينِ إِنّٰا جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتٰابِ لَدَيْنٰا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ [الزخرف: ٢- ٤].

فللقرآن مرتبة و هي الّتي بأيدينا و تدرك بالتّعقل فيها و له مرتبة أخرى و هي الّتي لا مجال فيها للألفاظ و اللّغة، و لا سبيل فيها للمفاهيم، و لا ينال إليها العقل، بل الطريق الوحيد للوصول إليها الطهارة، قال سبحانه و تعالى:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتٰابٍ مَكْنُونٍ لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعٰالَمِينَ [الواقعة: ٨٠ إلى ٧٧].

أي أنّ لهذا القرآن أصل و حقيقة عند رب العالمين، و الّذي بين أيديكم ظهور و تجلّ منه.

قال الصّادق عليه أفضل الصّلاة و السّلام:

«كتاب اللّه على أربعة أشياء: العبادة و الإشارة و اللطائف و الحقائق، فالعبادة للعوام، و الإشارة للخواصّ، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء» (تفسير الصافي ج ١ المقدمة الرابعة ص ٣١) و من هنا يعلم معنى: قوس النزول، و قوس الصعود، للعالم و الإنسان، و أنّ مبدأ النزول

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٨

و أرباب التوحيد و خلاصته، و يتنزّهوا قلوبهم و نفوسهم عن ظلمة الغيّ و الضّلال، و يخرجوها عن دائرة الشبه و الإشكال، و يكون هذا بالنّسبة إلى أذهانهم الجامدة و طباعهم الخشنة كالنقوع المنضج «٢» للطبيعة الغير

و نهاية الصعود واحد، قال سبحانه و تعالى:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ [السجدة: ٥].

و قال:

إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ [البقرة: ١٥٦].

كما أنّ أوّل ما صدر منه تبارك و تعالى في قوس النزول هو حقيقة محمّد الخاتم صلّى اللّه عليه و آله كذلك النهاية في قوس الصعود مقامه صلّى اللّه عليه و آله، قال تعالى:

وَ أَنَّ إِلى‏ رَبِّكَ الْمُنْتَهى‏ [النجم: ٤٢].

و قال:

وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى‏ ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى‏ [النجم: ٧- ٩].

و من ما ذكرنا يظهر معنى تجسّم الأعمال و الملكات في عالم الآخرة، و معنى التفسير و التأويل و غير ذلك من الأمور و المعارف الواردة في الآيات و الأحاديث و الموجودة في كلمات العلماء و المحققين.

إن شئت الاطّلاع أكثر فراجع: بحر المعارف للهمداني الفصل ٥٠ و ٤٩، و تفسير الصافي المقدمة الرابعة، و رسالة الولاية للعلامة الطباطبائي.

(٢) قوله: كالنقوع المنضج.

نقع ينقع نقعا، الدواء أو غيره في الماء: اقرّه فيه و نقع بالشراب: اشتفى منه و نقع الماء العطش نقعا و نقوعا و منقعا: أذهبه و سكّنه.

في المصباح المنير:

انقعت الدّواء و غيره إنقاعا: تركته في الماء حتّى انتقع و هو نقيع، و النّقوع بالفتح ما ينقع مثل السّحور و الطّهور لما يتسحّر به و يتطهّر به، فقبل أن ينقع هو نقوع و بعده هو نقوع و نقيع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٩

المستعدّة للمشروب الّذي يدفع الفضلات الرديّة و الأخلاط الفاسدة، و يحصل لهم بذلك الاستعداد و القابليّة لاستماع الكلمات الآتية و قبولها من قائلها لأنّ عبارة هؤلاء القوم مغلقة و إشاراتهم صعبة، شديدة المأخذ عظيمة المشرب ليس لكلّ أحد أن يفهمها، و لا لكلّ شخص أن يدركها، و لذلك

كانوا دائما متبادرين إلى النصيحة لمريدهم، متسارعين إلى الوصيّة لملازميهم، كقول بعضهم لبعض مريديهم مثلا:

«ألا لا تلعبنّ بك اختلاف العبارات، فإنّه إذا «بعثر ما في القبور و حصّل ما في الصدور»، و حضر البشر في عرصة اللّه تعالى يوم القيامة، لعلّ من كلّ ألف تسعمائة و تسعة و تسعون ينبعثون من أجداثهم و هم قتلى من العبارات، ذبائح بسيوف الإشارات، عليهم دماؤها و جراحها، غفلوا عن المعاني، فضيّعوا المباني».

و يطلق النقيع على الشراب المتّخذ من ذلك فيقال: نقيع التّمر و الزّبيب و غيره إذا ترك في الماء حتّى ينتقع من غير طبخ.

في لسان العرب:

النقوع بالفتح: ما ينقع في الماء من الليل لدواء أو نبيذ و يشرب نهارا و بالعكس، و في حديث الكرم: تتخذونه زبيبا تنقعونه أي تخلطونه بالماء ليصر شرابا، و يقال: شرب حتّى نقع أي شفى غليله و روي.

نضج ينضج، نضجا و نضجا، و نضجا و نضاجا، الثّمر و اللحم و الفاكهة: أدرك و طاب أكله فهو ناضج و نضيج، أي وصل إلي مرحلة كماله و فعليّته. و في مجمع البحرين: قوله تعالى:

كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا [النساء: ٥٦].

يقال: نضج اللحم و الفاكهة نضجا من باب تعب: استوى و طاب أكله.

و في النهاية: النضيج: المطبوخ، فعيل بمعنى المفعول.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٠

و إذا عرفت هذا فاعلم أنّ هذا البحث بعينه ذكرناه في كتابنا الموسوم بجامع الأسرار «٣»، ثمّ في رسالة الوجود، ثمّ في أسرار الشريعة و أنوار الحقيقة، و هذا رابعها، و الغرض شيء واحد و هو أن يتحقّق عندك و عند غيرك أنّ هذه أسماء صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة، و ليس بينها تغاير في الحقيقة «٤»، و إثبات هذا على سبيل التّفصيل و البرهان

---

(٣) قوله في كتابنا الموسوم بجامع الأسرار.

ذلك الكتاب أي «جامع الأسرار و منبع الأنوار» مطبوع، صحّحه الأستاذ هنرى كربين رحمة اللّه عليه، و الأستاذ عثمان إسماعيل يحيى.

و هو كتاب قيّم جدّا و فريد في موضوعه، و طبعت بانضمامه رسالة: «نقد النقود في معرفة الوجود» للسيّد المؤلّف.

راجع في هذا البحث كتاب «جامع الأسرار» القاعدة الأولى من الأصل الثالث ص ٣٤٣.

[.....]

(٤) قوله: و ليس بينها تغاير في الحقيقة.

قال ابن أبي جمهور الأحسائي في كتابه «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٢٥:

«اعلم أنّ الشريعة و الحقيقة و الطريقة أسماء صادقة على حقيقة واحدة و هي حقيقة

الشرع المحمّدي صلّى اللّه عليه و آله باعتبارات مختلفة، و لا فرق بينها إلّا باعتبار المقامات لأنّه عند التحقيق الشرع كاللوزة المشتملة على القشر، و اللب، و لب اللب، فإنّ القشر كالشريعة و اللب كالطريقة، و لب اللب كالحقيقة، فهي باطن الباطن، و اللوزة جامعة للكلّ، و يظهر ذلك في مثل الصلاة، فإنّها خدمة و قربة و وصلة، فالخدمة مرتبة الشريعة، و القربة مرتبة الطريقة، و الوصلة مرتبة الحقيقة. و اسم الصلاة جامع للكلّ، و من هذا قيل: الشريعة ان تعبده، و الطريقة أن تحضره، و الحقيقة أن تشهده، و قيل: الشريعة أن تقيم أمره، و الطريقة أن تقوم بأمره، و الحقيقة أن تقوم به.

فالمرتبة الأولى علم اليقين، و الثانية عين اليقين، و الثالثة حقّ اليقين، و كذلك

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١١

يحتاج الى وجوه ثلاثة:

الأولى: أنّ تعريف الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة و تحقيق هذه الأسماء و تخصيصاتها و بيان أنّها أسماء صادقة على حقيقة واحدة من غير إختلاف بينها.

الثّانية: إلى بيان أنّ أهل الحقيقة أعظم من أهل الطريقة و أهل الطّريقة من أهل الشّريعة و إن لم يكن بين هذه المراتب مغايرة.

الثّالثة: إلى بيان أنّ الشّرع ليس بمستغني عن العقل و لا العقل عن الشرع و غير ذلك من الأبحاث المتعلّقة به.

الإسلام و الإيمان و الإيقان، و كذلك الظاهر و الباطن و باطن الباطن، و العام و الخاصّ و خاصّ الخاصّ، و المبتدي و المتوسط و المنتهي.

فالشّريعة عند التحقيق تصديق الأنبياء و الرسل و العمل بموجبه طاعة و انقيادا، و الطّريقة التخلّق بأفعالهم أيقانا و اتّصافا و القيام بها علما و عملا، و الحقيقة مشاهدة أحوالهم و مقاماتهم كشفا و ذوقا و القيام بها حالا و وجدانا.»

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٢

أمّا الوجه الأوّل الذّي في تعريفها و تحقيقها و بيان اتّحادها و وحدتها (تعريف الشريعة و الطريقة و الحقيقة)

فاعلم، أنّ الشريعة على ما قيل، اسم موضوع للسبل الإلهيّة مشتملة على أصولها و فروعها و رخصها و عزائمها، حسنها و أحسنها.

و الطّريقة هي الأخذ بأحوطها و أحسنها و أقومها، و كلّ مسلك يسلك الإنسان أحسنه و أقومه يسمّى طريقة، قولا كان أو فعلا، صفة كان أو حالا.

و أمّا الحقيقة فإثبات وجود الشيء كشفا و عيانا، أو حالة و وجدانا.

و قيل أيضا: «الشّريعة أن تعبده، و الطّريقة أن تحضره، و الحقيقة أن تشهده» «(٥)».

(٥) قوله: الشريعة أن تعبده.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٣

قال أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري المتوفى ٤٦٥ هـ ق في «الرسالة القشيريّة» ص ١٥٩:

«الشريعة: أمر بالتزام العبوديّة.

و الحقيقة: مشاهدة الربوبيّة.

فكل شريعة غير موئيّدة بالحقيقة فغير مقبول.

و كلّ حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول.

فالشريعة جاءت بتكليف الخلق و الحقيقة إنباء عن تصريف الحقّ.

فالشريعة أن تعبده، و الحقيقة أن تشهده.

و الشريعة قيام بما أمر، و الحقيقة شهود لما قضى و قدر، و أخفى و أظهر».

و راجع في هذا أيضا تفسير المحيط الأعظم الجزء الأوّل ص كح و ص ٧٩.

و روى السّيد المؤلف قدس اللّه نفسه في كتابه «جامع الأسرار» ص ٣٥٨ عن أمير المؤمنين علي عليه آلاف التحيّة و السّلام، قال:

«الشريعة نهر، و الحقية بحر، فالفقهاء حول النهر يطوفون، و الحكماء في البحر على الدّر يغوصون، و العارفون على سفن النجاة يسيرون».

قال نظام الدين تريني في قواعد العرفاء ص ١٣٦:

«اعلم الشريعة هي الطريقة في الدين المشروع ما أظهره الشارع، و الطريقة هو الأخذ بالتقوى و ما يقرّبك إلى المولى.

الشريعة كالسفينة، و الطريقة كالبحر، و الحقيقة كالدرّ، فمن أراد الدرّ ركب في السفينة، ثمّ شرع في البحر، ثمّ وصل إلى الدرّ.»

قال الشيخ ابو سعيد:

«الشريعة أفعال في أفعال، و الطريقة أخلاق في أخلاق، و الحقيقة أحوال في أحوال.

فمن لا أفعال له بالمجاهدة و متابعة السنّة فلا أخلاق له بالهداية و الطريقة، و من لا أخلاق له بالهداية و الطريقة فلا أحوال له بالحقيقة و الاستقامة و السياسة».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ١۴

قال الشيخ الرئيس في نمط التاسع في «الإشارات» ج ٣ ص ٣٧٠:

«الزهد عند غير العارف معاملة مّا، كأنّه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة، و عند العارف تنزّه مّا عمّا يشغل سرّه عن الحقّ، و تكبّر على كلّ شيء غير الحقّ.

و العبادة عند غير العارف معاملة مّا كأنّه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذها في الآخرة هي الأجر و الثواب، و عند العارف رياضة مّا لهممه و قوى نفسه المتوهّمه و المتخيّلة ليجرّها بالتعويد عن جناب (جانب) الغرور إلى جناب الحقّ فتصير مسالمة للسرّ الباطن حينما يستجلي الحقّ لا تنازعه فيخلص السرّ إلى الشروق الساطع و يصير ذلك ملكة مستقرّة كلّما شاء السرّ اطّلع إلى نور الحقّ غير مزاحم من الهمم بل مع تشييع منها له فيكون بكلّيّته منخرطا في تلك القدس».

في «مصباح الشريعة» المنسوب إلى الامام الصادق عليه، الباب الأوّل، قال الصادق عليه

السّلام:

«نجوى العارفين تدور على ثلاثة أصول: الخوف و الرجاء و الحبّ. فالخوف فرع العلم، و الرجاء فرع اليقين، و الحبّ فرع المعرفة، فدليل الخوف الهرب، و دليل الرجا الطلب، و دليل الحبّ إيثار المحبوب على ما سواه.

فإذا تحقّق العلم في الصدر خاف، و إذا صحّ الخوف هرب، و إذا هرب نجا، و إذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل.

و إذا تمكّن منه رجا، و إذا وفّق للطلب وجد، و إذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبّة، و إذا هاج ريح المحبّة استأنس في ظلال المحبوب، و آثر المحبوب على ما سواه، و باشر أوامره و اجتنب نواهيه، و إذا استقام على بساط الأنس بالمحبوب مع أداء أوامره و اجتناب نواهيه وصل إلى روح المناجاة.

و مثال هذه الأصول الثلاثة كالحرم و المسجد و الكعبة، فمن دخل الحرم أمن من الخلق، و من دخل المسجد أمنت جوارحه أن يستعملها في المعصية و من دخل الكعبة أمن قلبه من أن يشغله بغير ذكر اللّه».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٥

قال العلاّمة الطباطبائي في «رسالة الولاية» ص ١٧:

إنّ الناس من حيث درجات الانقطاع إلى اللّه سبحانه، و الإعراض عن هذه النشأة الماديّة، على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: إنسان تامّ الاستعداد، يمكنه الانقطاع قلبا عن هذه النشأة مع تمام الإتقان باللازم من المعارف الإلهيّة، و التخلّص إلى الحقّ سبحانه، و هذا هو الّذي يمكنه شهود ما وراء هذه النشأة الماديّة، و الإشراف على الأنوار الإلهية، كالأنبياء عليهم السّلام، و هذه طبقة المقرّبين.

الطبقة الثانية: إنسان تامّ الإيقان، غير تامّ الانقطاع من جهة ورود هيآت نفسانيّة، و إذعانات قاصرة تؤيسه أن يذعن بإمكان التخلّص إلى ما وراء هذه النشأة الماديّة، و هو فيها، فهذه طبقة تعبد اللّه كأنّها تراه، فهي تعبد عن صدق من غير لعب لكن من وراء حجاب إيمانا بالغيب، و هم المحسنون في عملهم.

و قد سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن الإحسان، فقال: «أن تعبد اللّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»، (سيأتي ذكر مصادره في التعليق ٢٢٢ فراجع).

و الفرق بين هذه الطبقة و سابقتها، فرق ما بين إنّ و كأنّ.

الطبقة الثالثة: غير أهل الطبقتين الأوّليين من سائر الناس و عامتهم.

و هذه الطائفة، باستثناء المعاند و المكابر الجاحد، طائفة تمكنها الإعتقاد بالعقائد الحقّة الراجعة إلى المبدء و المعاد، و الجريان عملا على طبقها في الجملة لا بالجملة» انتهى.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«إنّ قوما عبدوا اللّه رغبة فتلك عبادة التجّار، و إنّ قوما عبدوا اللّه رهبة فتلك عبادة العبيد، و إنّ قوما عبدوا اللّه شكرا فتلك عبادة الأحرار». نهج البلاغة الحكمة ٢٣٧.

قال الصادق عليه السّلام:

«العبّاد ثلاثة: قوم عبدوا اللّه عزّ و جلّ خوفا فتلك عبادة العبيد. و قوم عبدوا اللّه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۶

و قيل: «الشريعة أن تقيم أمره، و الطريقة أن تقوم بأمره، و الحقيقة أن تقوم به».

و يعضد ذلك كلّه قول النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله: «٦» «الشّريعة أقوالي، و الطريقة أفعالي، و الحقيقة أحوالي و المعرفة رأس مالي، و العقل أصل ديني، و الشّوق مركبي، و الخوف رفيقي، و العلم

تبارك و تعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء. و قوم عبدوا اللّه عزّ و جلّ حبّا له، فتلك عبادة الأحرار، و هي أفضل العبادة» أصول الكافي ج ۲ باب العبادة الحديث ٥ قال الصادق عليه السّلام:

«أن الناس يعبدون اللّه عزّ و جلّ على ثلاثة أوجه:

فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء و هو الطمع.

و آخرون يعبدونه فرقا من النار فتلك عبادة العبيد و هي الرهبة.

و لكنّي أعبده حبّا له عزّ و جلّ فتلك عبادة الكرام و هو الأمن، لقوله عزّ و جلّ:

وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ [النمل: ٨٩]، و لقوله عزّ و جلّ: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [آل عمران: ٣١].

فمن أحبّ اللّه أحبّه عزّ و جلّ، و من أحبّه اللّه عزّ و جلّ كان من الآمنين» «خصال» ج ۱ ص ۱۸۸ الحديث ۲٥۹. و «أمالي» للصدوق المجلس العاشر الحديث ٤، ص ٤۱.

و «علل الشرائع» باب ۸ الحديث ۸ ص ۱۲.

(٦) قوله: و يعضد ذلك كلّه قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

رواه أيضا ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٢٤، الحديث ٢١٢، و المحدّث النوري في «مستدرك الوسائل» كتاب الجهاد، باب ٤، من أبواب جهاد النفس، الحديث ٨.

الظاهر أن ابن أبي جمهور أيضا أخذه من كتب السيّد المؤلّف، كما صرّح صاحب المستدرك نقله عنه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١٧

سلاحي، و الحلم صاحبي و التّوكّل ردائي، و القناعة كنزي، و الصّدق منزلي، و اليقين مأواي، و الفقر فخري، و به أفتخر على سائر الأنبياء و المرسلين».

و كذلك خطابه لحارثة في قوله: «(٧)

---

(٧) قوله: و كذا خطابه لحارثه.

رواه ثقة الإسلام الكليني قدس اللّه نفسه في الأصول من الكافي ج ٢ كتاب الإيمان و الكفر باب حقيقة الإيمان و اليقين ح ٢ بإسناده عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد اللّه الصادق عليه السّلام يقول:

«إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله صلّى بالنّاس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد و هو يخفق و يهوي برأسه، مصفرّا لونه، قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول اللّه

موقنا، فعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من قوله و قال: إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إنّ يقيني يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هو الّذي أحزنني و أسهر ليلي، و أظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا و ما فيها حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي و قد نصب للحساب و حشر الخلائق لذلك و أنا فيهم، و كأني أنظر إلى أهل الجنّة يتنّعمون في الجنّة و يتعارفون و على الأرائك متّكئون، و كأنّي أنظر إلى أهل النّار و هم فيها معذّبون مصطرخون، و كأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأصحابه: هذا عبد نوّر اللّه قلبه بالإيمان، ثمّ قال له: ألزم ما أنت عليه، فقال الشابّ: أدع اللّه لي يا رسول اللّه أن أرزق الشهادة معك، فدعا له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر».

و أيضا رواه الكليني في حديث آخر، ح ۳ من الباب بإسناده عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«استقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاريّ فقال له: كيف

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۸

«يا حارثة، كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنا حقّا. فقال عليه السّلام: لكلّ حقّ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: رأيت أهل الجنّة يتزاورون، و أهل النّار يتعاوون، و رأيت عرش ربّي بارزا، قال: أصبت، فالزم».

فإيمانه بالغيب حقّ و شريعة، و كشفه و وجدانه الجنّة و النّار و العرش

حقيقة، و زهده في الدنيا و العمل الذي كان هو فيه حتّى استحق هذه الدّرجة طريقة، و الكلّ داخل في الشّرع غير خارج عنه، لأنّ الشرع اسم شامل لكلّ ذلك كما سبق.

و قيل: «إنّ الشرع كاللوزة الكاملة مثلا مشتملة على الدّهن و اللّب و القشر، فاللّوزة بأسرها كالشريعة، و اللّب كالطريقة، و الدّهن كالحقيقة».

أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول اللّه مؤمن حقّا، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

لكلّ شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول اللّه عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي و أظمأت هواجري و كأني أنظر إلى عرش ربّي (و) قد وضع للحساب و كأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة و كأنّي أسمع عواء أهل النار في النار، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: عبد نوّر اللّه قلبه، أبصرت فاثبت، فقال: يا رسول اللّه ادع لي ان يرزقني الشهادة معك، فقال: اللهمّ ارزق حارثة الشهادة، فلم يلبث إلاّ أيّاما حتّى بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سريّة فبعثه فيها، فقاتل فقتل تسعة - أو ثمانية - ثم قتل».

و روى مثله الصدوق قدس اللّه نفسه في كتابه «معاني الأخبار» باب معنى الإسلام و الإيمان ح ٥ ص ١٨٧.

و أخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٤٦٩ في تفسير سورة الأنفال الآية ٤، و أيضا أخرجه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٢٠ ح ١٩٠ و ١٨٩ في كتاب الإيمان في باب حقيقة الإيمان و كماله، و أخرجه أيضا الهندي في كنز العمال ج ١٣ ص

٣٥١ ح ٣٦٩٨٨ و ص ٣٥٣ ح ٣٦٩٩٠.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٩

و ورد في الصلاة هذا المعنى أيضا و هو ما قيل:

«إنّ الصّلاة خدمة و قربة و وصلة» «٨».

فالخدمة هي الشريعة، و القربة هي الطريقة و الوصلة هي الحقيقة، و اسم الصّلاة جامع للكلّ.

و إلى هذه المراتب أشار الحقّ تعالى في قوله ب: «علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين» الآتي بيانها في موضعها.

---

(٨) قوله: إنّ الصلاة خدمة و قربة و وصلة.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«الصلاة أفضل القربتين».

و قال:

«لو يعلم المصلّي ما يغشاه من الرحمة لما رفع رأسه من السّجود».

(تصنيف غرر الحكم ص ١٧٥) و قال:

«الصّلاة قربان كلّ تقيّ» (كتاب الخصال، حديث أربعمائة ص ٦٢٠) قال سبحانه و تعالى في حديث يا أحمد صلّى اللّه عليه و آله:

«يا أحمد! عجبت من ثلاثة عبيد:

عبد دخل في الصّلاة و هو يعلم إلى من يرفع يديه و قدّام من هو، و هو ينعس».

الحديث. «إرشاد القلوب» الباب الرابع و الخمسون، ص ١٩٩.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«المصلّي يناجي ربّه»، و في حديث: «إنّ المصلّي يناجي ربّه عزّ و جلّ»، مصباح الشريعة الباب ٢٥، و مسند ابن حنبل ج ٢ ص ٦٧، الطبع الجديد ج ٩ الحديث ٥٣٤٩ ص ٢٥١ و ج ٣١ الحديث ١٩٠٢٢ ص ٢٥١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٠

(في بيان حقيقة الشريعة و الطريقة و الحقيقة)

و عند التحقيق، الشّريعة عبارة عن تصديق أقوال الأنبياء قلبا و العمل بموجبها.

و الطّريقة عن تحقيق أفعالهم و أخلاقهم و القيام بها وصفا.

و الحقيقة عن مشاهدة أحوالهم و مقاماتهم كشفا، لأنّ الأسوة الحسنة في قوله:

لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب: ٢١].

لا تتحقق إلاّ بهذا أي بالاتّصاف بهذه الأوصاف فعلا و صفة و كشفا، لأنّ الأسوة الحسنة في الحقيقة عبارة عن قيام الشخص بأداء حقوق مراتب شرعه على ما ينبغي و قد شهد بصدقه قوله السّابق قبل هذا القول، و إليه أشار أيضا سلطان الأولياء و الوصيّين أمير المؤمنين عليه السّلام في قوله:

«٩» «إنّي لأنسبنّ الإسلام نسبة لن ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، و

التسليم هو التصديق، و التّصديق هو اليقين، و اليقين هو الإقرار، و الإقرار هو الأداء، و الأداء هو العمل الصالح».

(٩) قوله: و إليه أشار ... في قوله.

نهج البلاغة (فيض) الحكمة ١٢٠ و (صبحى) ١٢٥، مع تفاوت، و هو هكذا قال عليه السّلام:

«لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، و التسليم هو اليقين، و اليقين هو التصديق، و التصديق هو الإقرار، و الإقرار هو الأداء، و الأداء هو العمل».

و رواه أيضا الكليني في الأصول من الكافي ج ١ باب نسبة الإسلام ص ٤٥ الحديث ١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٢١

فكلّ من أراد التأسّي بنبيّه صلّى اللّه عليه و آله على ما ينبغي، فينبغي أن يتّصف بمجموع هذه الأوصاف أو ببعضها إن لم يتمكّن من الكلّ، و لا ينكر على أحد من المتّصفين بها أصلا: لأنّ مرجع الكلّ و إن اختلف أوضاعها إلى حقيقة واحدة التّي هي الشرع النبويّ و الوضع الإلهي كما سبق تحقيقه و تقدّم تقريره.

(في معنى النّبوّة و الرسالة و الولاية)

و في الحقيقة هذه المراتب الثلاث [١٠] مقتضيات مراتب أخر الّتي هي

(١٠) قوله: هذه المراتب الثلاث.

هذه بتعبير آخر هي: مراتب التوحيد، أي التوحيد الأفعالي، و التوحيد الصفاتي، و التوحيد الذاتي.

و لكل مرتبة، مراتب و درجات، أكملها الإمامة فهي أيضا ذات درجات، فدرجة لإبراهيم مثلا و درجة للخاتم صلّى اللّه عليه و آله و لعترته المعصومين عليهم السّلام و بينهما تفاوت شاسع.

راجع التعليق ٣٠٢ و ٣٠١ و ٢٨٩.

قال اللّه تعالى:

وَ لَقَدْ فَضَّلْنٰا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلىٰ بَعْضٍ [الإسراء: ٥٥].

و قال سبحانه و تعالى:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّٰهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ» [البقرة: ٢٥٣].

و قال في إمامة بعضهم و في الإشارة إلى الدليل، أو الطريق الّذي وصلوا به إلى هذا المقام:

وَ جَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا لَمّٰا صَبَرُوا وَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يُوقِنُونَ [السجدة: ٢٤].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٢

و قال:

وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ [الأنبياء: ۷۳].

هؤلاء الأئمّة كانوا متّصفون بالصبر و العبوديّة و اليقين من جانب، و كانوا منزّهون عن الظلم من جانب آخر.

أمّا الصبر و العبوديّة و اليقين، من جهة العمل و العلم و التخلية و على مستوى الشرط، و أمّا التنزّه عن الظلم، من جهة التخلية و على مستوى عدم المانع.

قال تعالى:

وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة: ۱۲٤].

اليقين مقام به يرى صاحبه الملكوت، كما قال اللّه سبحانه في ابراهيم:

وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [الأنعام: ۷٥].

و قال:

كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ [التكاثر: ٥- ۷].

و قال في النبيّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله:

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى [النجم: ۱۱].

فاليقين هذا غير اليقين في الحكمة، اليقين في القرآن منشأ لمشاهدة باطن العالم و الأعمال، و رؤية الملكوت، بعين البصيرة.

و لليقين هذا أيضا مراتب بمراتب الولاية و القرب، فانظر الأحاديث التالية و دقّق فيها:

سئل الصادق عليه السّلام عن علم الإمام بما في أقطار الأرض و هو في بيته مرخى عليه ستره، فقال عليه السّلام: [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٣

«إن اللّه تبارك و تعالى جعل في النبيّ صلّى اللّه عليه و آله خمسة أرواح ...

و روح القدس، فبه حمل النبوّة، فإذا قبض النبيّ أنتقل روح القدس فصار إلى الإمام، و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يلهو و لا يزهو، و روح القدس كان يرى به». (نقلناه تلخيصا) أصول الكافي ج ١ ص ٢٧٢ ح ٣ و سئل أيضا عن قول اللّه عزّ و جلّ:

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [الإسراء: ٨٥].

قال: «خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل، كان مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو مع الأئّمة، و هو من الملكوت». أصول الكافي ج ١ ص ٢٧٣ ح ٣.

قال علي بن موسى الرضا عليه السّلام:

«إنّ الإمامة أجلّ قدرا و أعظم شأنا و أعلا مكانا و أمنع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماما باختيارهم.

إنّ الإمامة خصّ اللّه عزّ و جلّ بها إبراهيم الخليل عليه السّلام بعد النبوّة و الخلّة مرتبة ثالثة، و فضيلة شرّفه بها و أشاد بها ذكره فقال: **إِنِّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً فقال الخليل عليه السّلام سرورا بها:**

وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قال اللّه تبارك و تعالى: لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ فأبـطـلـت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة و صارت في الصفوة.

فلم تزل في ذرّيته يرثها بعض عن بعض، قرنا فقرنا، حتّى ورّثها اللّه تعالى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فقال جلّ و تعالى:

إِنَّ أَوْلَى النّٰاسِ بِإِبْرٰاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هٰذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِيـنَ آمَـنُـوا وَ اللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران: ٦٨].

فكانت له خاصّة فقلّدها صلّى اللّه عليه و آله عليّا عليه السّلام بأمر اللّه تعالى على رسم ما فرض اللّه، فصارت في ذرّيته الأصفياء الّذين آتاهم اللّه العلم و الإيمان.

بقوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢۴

الأصل في نفس الأمر و هي النبوّة و الرّسالة و الولاية، لأنّ الشّريعة من اقتضاء الرّسالة، و الطّريقة من اقتضاء النّبوة، و الحقيقة من اقتضاء الولاية، لأنّ الرّسالة عبارة عن تبليغ ما حصل للنبيّ من طرف النبوّة من الأحكام و السّياسة و التأديب بالأخلاق و التعليم بالحكمة، و هذا عين الشريعة.

و النبوّة عبارة عن إظهار ما حصل له من طرف الولاية من الإطلاع على معرفة ذات الحقّ تعالى و أسمائه و و صفاته و أفعاله و أحكامه بحسب المظاهر لعباده ليتّصفوا بصفاته و يتخلّقوا بأخلاقه و هذا عين الطريقة.

و الولاية عبارة عن مشاهدة ذاته و صفاته و أفعاله في مظاهر كمالاته

وَ قٰالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمٰانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتٰابِ اللّٰهِ إِلىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ [الرّوم: ۵۶].

فهي في ولد عليّ عليه السّلام خاصّة إلى يوم القيامة إذ لا نبيّ بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

و الإمام عالم لا يجهل، و راع لا ينكل، معدن القدس و الطهارة، و النسك و الزهادة، و العلم و العبادة، مخصوص بدعوة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و نسل المطهّرة البتول.

إنّ الأنبياء و الأئمّة صلوات اللّه عليهم يوفّقهم اللّه و يؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان.

و إنّ العبد إذا اختاره اللّه عزّ و جلّ لأمور عباده، شرح صدره لذلك، و أودع قلبه ينابيع الحكمة، و ألهمه العلم إلهاما، فلم يعي بعده بجواب، و لا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيّد، موفّق مسدّد، قد أمن من الخطايا و الزلل و العثار، يخصّه اللّه بذلك ليكون حجّته على عباده، و شاهده على خلقه، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم». (اصول الكافي ج ۱ ص ۱۹۹ (تلخيصا) و عيون أخبار الرضا عليه السّلام ص ۲۱۶ باب ۲۰ الحديث ۱).

راجع أيضا التعليق ۱۳۲ و ۱۳۱.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۲۵

و مجالي تعيّناته بعين بصيرته بعد فنائه فيه و بقائه به و هذا عين الحقيقة.

و الكلّ راجع إلى شخص واحد الّذي هو الرّسول أو إلى حقيقة واحدة الّتي

هي الشّريعة فيطابق هذا قولنا الّذي قلنا: إنّ الشّرع النّبويّ و الوضع الإلهي حقيقة واحدة مشتملة على هذه المراتب، و أنّ هذه المراتب أسماء صادقة عليها على سبيل التّرادف.

و أمثال ذلك في غير هذه الصّورة كثيرة كاسم العقل و القلم و النور على حقيقة واحدة الّتي هي حقيقة الإنسان الكبير مثلا، بما ورد في الخبر الصحيح:

«أوّل ما خلق اللّه تعالى العقل».

و: «أوّل ما خلق اللّه العلم».

و: «أوّل ما خلق اللّه نوري» [١١].

---

(١١) قوله: أوّل ما خلق اللّه.

راجع في مصادر الأحاديث المذكورة في المتن، و بعض المطالب حولها، الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم: التعليق ٧٣ و ٧۵ و ١۵٩ و ١٦٧ و ٨٧ و الجزء الثاني التعليق: ١٧٧ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٩ و ٩٧، و هذا الجزء الثالث التعليق ۵٢.

و أمّا الإنسان الكبير الّذي هو الإنسان الكامل، مقامه فوق تلك المقامات المذكورة من العقل و العلم و غيرهما، كل واحد من هذه الحقائق مرتبة من مراتبه، و مظهر من مظاهره.

الإنسان الكبير هو الصادر الأوّل و الوجود المنبسط و الرّق المنشور و النّفس الرّحماني و الوجود السّاري، و هذه أسماء تطلق عليه بحسب مقاماته و شئوناته.

و ليس الإنسان الكبير و الصّادر الأوّل إلاّ حقيقة المحمّديّة الّتي متّحدة مع حقيقة العلويّة و من هنا قال ابن العربي: ما وصل مرتبة العماء إلاّ الرّسول الخاتم صلّى اللّه عليه و آله و سرّ الأنبياء علي بن أبي طالب عليه السّلام.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٦

و كاسم الفؤاد و القلب و الصدر على حقيقة واحدة الّتي هي حقيقة الإنسان الصغير لقوله تعالى في الفؤاد:

مٰا كَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ [النجم: ١١].

و لقوله في القلب:

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلىٰ قَلْبِكَ [الشعراء: ١٩٤ و ١٩٣].

و لقوله في الصدر:

أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَ وَضَعْنٰا عَنْكَ وِزْرَكَ [الشرح: ٢ و ١].

(في عدم الخلاف بين الأنبياء)

و لذلك ما وقع الخلاف بين الأنبياء و الرّسل في الأصل الحقيقي و الأساس الكلّي الّذي هو الدّين و أركانه، و الإسلام و أصوله، لقوله تعالى فيهم:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مٰا وَصّٰى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ وَ مٰا وَصَّيْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لاٰ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [الشورى: ١٣].

راجع التعليق ٢٣٠، و الجزء الثاني ص ٣٨ و ص ٤١، التعليق ١٦.

أنظر أيضا في المباحث المرتبطة للمقام: شرح أصول الكافي لصدر المتألهين ج ۱ ص ۲۱٦، و «الوافي» للفيض الكاشاني ج ۱ ص ٥۲، و تفسير المحيط الأعظم ج ۲ ص ٤۱٥ و التعليق ۲۱٤ ص ٤۱٦، و ص ٤٥۰، و من هذا الجزء الثالث التعليق ٥۲ و ۹۱ و ۹٥ و ۱۳۱.

«و سرّ الأسرار» للشّيخ عبد القادر الجرجاني ص ٤٤، و فيه روى عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«أنا من اللّه و المؤمنون منّي». و راجع أيضا (الخصال) للصدوق باب العشرة الحديث ٤.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۷

و لقوله:

وَ وَصَّى بِهٰا إِبْرٰاهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يٰا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلاٰ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [البقرة: ۱۳۲].

و لقوله من لسان نبيّه عليه السّلام:

وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: ۱٥۳].

و لقوله بعد ذلك كلّه:

ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ [الرّوم: ۳۰].

و معناه أنّ القيام بالأركان الثلاثة من الشريعة و الطريقة و الحقيقة و رعاية حقوقها في مراتبها و مدارجها هو الدّين القيّم الإلهي، و الطريق المستقيم النبويّ، و لكن أكثر النّاس لا يعلمون ذلك من جهلهم و عمائهم.

و إذا عرفت هذا و عرفت أنّه قطّ ما وقع الخلاف بين الأنبياء و الرّسل عليهم

السّلام في أصول الدّين و أركان الإسلام و إن وقع الخلاف في الفروع و الأحكام الجزئيّة.

فاعلم، أنّ الاختلاف في كيفيّة الشيء و كميّته لا يدلّ على الإختلاف في ماهيّته و حقيقته، و أنّ حقيقة الشّرع في جميع الأزمنة و الأمكنة كانت واحدة و كانت منزّهة عن التّخالف و التّغاير، و إن كانت مختلفة الأوضاع و الأحكام بحسب المراتب و المدارج و الأشخاص و الأزمان، و من هذا قال جلّ ذكره:

لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة: ٢٨٥].

و إن تحقّقت عرفت أيضا أنّ الترتيب المذكور لا ينبغي إلاّ كذلك و لا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٨

يمكن خلاف الّذي هو عليه من النظام و الإتقان و الإحكام كما قيل:

«ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم» «١٢».

إذ لو كان و ادّخره «١٣» لكان بخلا يناقض الجود، و عجزا ينافي القدرة لأنّه لو لم يكن كذلك أي لو لم يكن الوجود على هذا النظام و الانتظام لم يمكن إيصال كلّ واحد واحد من عباده إلى حقّه المعيّن له بحسب الاستعداد و القابليّة لأن الاستعدادات مختلفة، و القابليّات متفاوتة، لا يمكن إرشاد الكلّ في مرتبة واحدة و طريقة واحدة، لقوله تعالى:

---

(١٢) قوله: ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم.

قاله أبو حامد الغزالي، نقله عنه ابن العربي في الفتوحات، في الجزء الموفى خمسين، الباب السبعون، طبع عثمان يحيى ج ۸ ص ۲۲۱. و راجع (شرح كلمات الصوفيّة) ص ۲٦٥.

(۱۳) قوله: و أدّخره.

أقول: ذخر، اذّخر، ادّخر، اذّخارا: يعني خزن و خبّأ لوقت الحاجة، ادّخر و اذّخر أيضا بمعنى ذخر.

الذّخر جمعه أذخار كما أنّ الذّخيرة جمعه: ذخائر.

قال سبحانه و تعالى:

وَ أُنَبِّئُكُمْ بِمٰا تَأْكُلُونَ وَ مٰا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ [آل عمران: ٤۹] «أصل الادّخار: اذتخار، و هو افتعال من الذّخر، يقال ذخره يذخر ذخرا، فهو ذاخر، و اذتخر يذتخر فهو مذتخر، فلمّا أرادوا أن يدغموا ليخفّ النّطق قلبوا التاءِ إلى ما يقاربها من الحروف و هو الدّال المهملة، لأنّهما من مخرج واحد، فصارت اللفظة: مذدخر بذال و دال، و لهم حينئذ فيه مذهبان: أحدهما- و هو الأكثر: أن تقلب الذال المعجمة دالا و تدغم فيها فتصير دالا مشدّدة، و الثاني- و هو الأقلّ-: أن تقلب الدّال المهملة ذالا و تدغم فتصير ذالا مشدّدة معجمة، و هذا العمل مطّرد في أمثاله نحو ادّكر و اذّكر، و اتّغر و اثّغر». (النهاية)

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۹

وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ [هود: ۱۱۸].

و لقوله:

لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً [المائدة: ٤٨].

فالاختلاف مقتضى الوجود، و لا يمكن خلافه، لأنّ الاقتضاء الذّاتي لا ينفكّ عن الذات، و قوله:

وَ لِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ [هود: ١١٩].

(حقائق الأشياء و ماهيّاتها ليست مجعولة)

إشارة إلى هذا، و معناه أي و لذلك الإختلاف خلقهم، و الإختلاف في الصّور من الإختلاف في المعنى، و الإختلاف في المعنى من الإختلاف في الحقائق و الأعيان، و الحقائق و الأعيان ليست بجعل الجاعل، فلا يكون المراد حينئذ ب«خلقهم» جعلهم كذلك، أعني لا يكون مراده ب«خلقهم» جعلهم على ما هم عليه من الإختلاف جبرا و قهرا، بل «خلقهم» يكون عبارة عن إعطاء وجودهم على حسب اقتضاء أعيانهم و حقائقهم الّتي ليست بجعل الجاعل [١٤]، لأنّها معدومات في الحقيقة، و المعدومات لا

---

(١٤) قوله: و حقائقهم الّتي ليست بجعل الجاعل.

أقول: عبّر السيّد المؤلّف في كتابه «جامع الأسرار» ب«الماهيّات» و هو أولى و أحسن كما لا يخفى. قال فيه ص ٣٤٩:

«و ليس المراد ب«خلقهم» انّه جعلهم كذلك على سبيل الجبر و القهر، بل «خلقهم» عبارة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٠

يكون مجعولات لأحد أصلا، بل من معلوماته الأزليّة، فافهم جدّا.

و هاهنا أبحاث كثيرة و أسرار شريفة قد ذكرناها في جامع الأسرار «١٥» و سنذكرها في موضعها إن شاء اللّه.

و يدل على ذلك قوله في جواب داود عليه السّلام حين سأله:

«يا ربّ لما ذا خلقت الخلق».

قال: «لما هم عليه».

و معناه، أي لما هم عليه من الاستعدادات و القابليّات و الحقائق و الذّوات، و قوله أيضا:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شٰاكِلَتِهِ [الإسراء: ٨٤].

شاهد عليه، لأنّه يقول: كل منكم ما يصدر منه إلاّ و ذلك الفعل يكون من اقتضاء ذاته، و لوازم استعداده و قابليّته، و قوله في موضع آخر:

وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ [ابراهيم: ٣٤].

(لكلّ يعطى ما يستعدّ له)

هذا معناه، لأنّه يقول: و آتاكم من الأزل من كلّ ما سألتموه بلسان استعدادكم و قابليّتكم، و كلّ ما يصدر منكم من الأفعال يكون من اقتضاء ذواتكم و أعيانكم، لأنّي فاعل، و أنتم قوابل، و الفاعل لا يعطي للقابل إلاّ

عن إعطاء وجودهم من حيث اقتضاء أعيانهم و ماهيّاتهم لأنّ الأعيان و الماهيّات عند أهل

التحقيق ليست بجعل الجاعل».

(١٥) قوله: قد ذكرناها في جامع الأسرار.

راجع جامع الأسرار ٣٤١إلى ص ٣٥٠ و بعدها.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣١

الّذي يكون هو عليه من القابليّة، و:

كلّ ميسر لما خلق له [١٦].

---

(١٦) قوله: كلّ ميسّر لما خلق له.

ذكرنا مصادره و الأخبار الّتي وردت فيه في الجزء الأوّل ص ٣٠٤ التعليق ٦٤، فراجع.

رواه الصدوق في «التوحيد» باب السعادة و الشقاوة الحديث ٣، ص ٣٥٦، و أخرجه ابن حنبل في مسنده. ج ١ ص ١٩٥، و مسلم ج ٤ ص ٢٠٤ الحديث ٩، و البخاري ج ٩، ص ١٩٥.

لا بأس بذكر بعض الأحاديث الّتي يمكن أن تعتبر كالتفسير لقوله صلّى اللّه عليه و آله: «كل ميسر لما خلق له»، و هي هذه:

عن الصادق صلوات اللّه عليه قال:

«إنّ اللّه عزّ و جلّ وضع الايمان على سبعة أسهم: على البرّ، و الصدق، و اليقين، و الرضا، و الوفاء، و العلم، و الحلم، ثمّ قسّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل، محتمل، و قسّم لبعض الناس السهم، و لبعض سهمين، و لبعض الثلاثة حتّى

انتهوا إلى (ال) سبعة، ثمّ قال: لا تحملوا على صاحب السهم سهمين، و لا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهضوهم ثمّ قال:

كذلك حتّى ينتهي إلى السبعة».

و قال عليه السّلام أيضا:

«إنّ من المسلمين من له سهم، و منهم من له سهمان، و منهم من له ثلاثة أسهم، و منهم من له أربعة أسهم، و منهم من له خمسة أسهم، و منهم من له ستّة أسهم، و منهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما على صاحب السهمين، و لا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة». الحديث.

أصول الكافي ج ١ باب درجات الإيمان الحديث ١ و ٢، ص ٤٢.

و روى أيضا عن الصادق عليه السّلام قال:

«لو علم الناس أنّ اللّه عزّ و جلّ خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحد

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٢

إشارة إليه، و معنى «خلق»: جعل موجودا في الخارج، فيكون تقديره: خلق له في الخارج ما كان مكنونا في ذاته و حقيقته، فلا يتيسّر له حينئذ فعل إلّا و يكون ذلك الفعل من اقتضاء أعيانه و ماهيّاته.

هذا موضع تحقيق، و فيه أسرار شريفة لا يطلع عليها إلّا الخواصّ من أهل اللّه، لأنّها رشحة من أسرار القدر المنهيّ إفشاءها عند غير أهلها لقوله:

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا [النساء: ٥٨].

و كأنّه تعالى جلّ ذكره إشارة إلى هذا قال:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر» «(١٧)».

لأنّ هذا سرّ مخصوص بخواصّ الأولياء، و كبار الأنبياء الّذين قال فيهم:

أحدا». الحديث.

و قال عليه السّلام أيضا:

«إن الايمان عشر درجات بمنزلة السلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الإثنين لصاحب الواحد: لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، و إذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق و لا تحمّلنّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنّ من كسر مؤمنا فعليه جبره».

أصول الكافي ج ١ ص ٤٤ (باب آخر منه) الحديث ٢ و ١.

(١٧) قوله: أعددت لعبادي.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنّة (٥١) الحديث ٥- ٢.

و رواه الحلّي في عدّة الداعي ص ١٠٩.

و راجع الجزء الأوّل ص ٣٠٧ التعليق ٦٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٣

إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ [ص: ٤٧ و ٤٦].

فلا يطلع عليه غيرهم لا يحمل عطاياهم إلّا مطاياهم «۱۸».

(في أنّ مراتب الناس منحصرة في ثلاثة)

و إذا تحقق هذا، فاعلم أنّ جميع مراتب النّاس عوامهم و خواصّهم منحصرة في مراتب ثلاثة، أعني البداية و الوسط و النهاية، لأنّ المراتب و إن لم تنحصر بحسب الأشخاص و الجزئيّات، فإنّها منحصرة بحسب الأنواع و الكلّيات.

فالشريعة اسم للوضع الإلهي و الشّرع النّبوي من حيث البداية.

و الطريقة أسم له من حيث الوسط.

و الحقيقة أسم له من حيث النّهاية.

و لا تخرج المراتب و إن كثرت عن هذه الثلاث، فيكون هو اسما جامعا للمراتب المذكورة كلّها، لأنّ الأولى مرتبة العوام، و الثّانية مرتبة الخواصّ، و الثالثة مرتبة خاصّ الخاصّ، و المكلّفون و ذوي العقول بأجمعهم ليسوا بخارجين عنها، فيكون هذه المراتب شاملة للكل، و معطية حق الكلّ، و يكون كلّ واحدة منها حقا في نفسها، و لذلك لا يجوز إنكار مرتبة منها، و لا مذمّة أحد من أهلها، فإنّ الأسوة الحسنة ما يتمّ إلّا برعاية

---

(۱۸) قوله: لا يحمل عطاياهم.

الظاهر أنّه مثل، مع أنّه منسوب إلى أبي يزيد، ذكره ابو نعيم في «حلية الأولياء» ج ۱۰ ص ۳۸.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۴

هذه المراتب كلّها، و إلى تغايرهم و مخالفتهم بحسب الاستعداد و القابليّة في هذه المراتب قال:

لِكُلٍّ جَعَلْنٰا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهٰاجاً وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ لٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مٰا آتٰاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرٰاتِ إِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [المائدة: ٤٨].

و و اللّه ثمّ و اللّه، لو لم يكن في القرآن إلاّ هذه الآية، لكفت برهانا على صدق ما قلناه، فضلا من أنّ ثلث القرآن مشحون بأمثال ذلك، دون الأخبار و الآثار المرويّة الصحيحة، و إن تحققت عرفت، أنّ الإسلام و الإيمان و الإيقان من اقتضاء هذه المراتب، و واقع على ترتيبها، و كذلك النبوّة و الرسالة و الولاية، و كذلك علم اليقين، و عين اليقين، و حقّ اليقين، و كذلك الأقوال و الأفعال و الأحوال المترتّبة على الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و غير ذلك من المراتب التثليثيّة، و بل الوجود كلّه واقع على هذه المراتب كالتثليث الفرديّة الموجبة للكثرة الاعتباريّة مثلا، أو التّثليث الاعتباريّة الذهنيّة كاعتبار العلم و العالم و المعلوم، أو التثليث الفرديّة الخارجيّة، كاعتبار الحضرة الأحديّة و الواحديّة و الربوبيّة بالنسبة إلى العوالم العينيّة، و كاعتبار العلم و الأمر و الإرادة بالنّسبة إلى العوالم الكونيّة، و الّتي بإزائها من القابليّة من العلوم و المأمور و المراد، أو كاعتبار الملك و الملكوت و الجبروت، أو عالم العقول و النفوس و المحسوس، أو التّثليث المخصوصة

بالتّثليث المحمّدية المقتضية لمقامه، لقوله:

«حبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب، و النّساء، و قرّة عيني في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٥

الصّلاة» «١٩».

و ما شاكل ذلك بالغا ما بلغ.

فحينئذ كما لا يجوز الإنكار على أقوال الأنبياء عليهم السّلام، و على القائلين و القائمين بآدابها المخصوصة بأهل الشريعة و أهل البدايات، فكذلك لا يجوز الإنكار على أفعال الأنبياء عليهم السّلام و على الموصوفين بها و القائمين بآدابها، المخصوصة بأرباب الطّريقة و أهل الوسط.

و كما لا يجوز الإنكار على أقوالهم و أفعالهم، فكذلك لا يجوز الإنكار على أحوالهم المعبّرة عنها بالحقيقة، و على المتّصفين بها و المخصوص

---

(١٩) قوله: حبّب إليّ من دنياكم.

حديث روى عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، رواه الشيعة و السنّة:

حدّثه الصدوق قدّس اللّه نفسه في كتابه «الخصال» باب الثلاثة ص ١٦٥ الحديث ٢١٨ و ٢١٧ باسناده عن أنس بن مالك عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

و نقل عنه المجلسي رحمة اللّه عليه في البحار ج ٨٢ ص ٢١١ ح ٢٢، كتاب الصلاة باب ١ فضل الصلاة و عقاب تاركها، و أيضا ج ١٠٣ كتاب العقود و الإيقاعات باب كراهة العزوبة ص ٢١٨ ح ٧.

و رواه أيضا ابن أبي جمهور الأحسائي في «عوالي اللئالي» ص ٢٩٦ ح ٧٤.

و أخرجه ابن حنبل في مسنده ح ٣ ص ١٢٨ باسناده عن أنس بن مالك عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و أيضا ص ٢٨٥، و أيضا أخرجه البيهقي في سننه ج ٧ باب الرغبة في النكاح ص ٧٨، و الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ١٦٠، و ابن الأثير الجزري في جامع الأصول ج ٤ ص ٧٦٦ ح ٢٩١٣، و ج ٩ ص ٣٩٦ الحديث ٧٠٥١، و ابن كثير القرشي في تفسيره ج ١ ص ٥٥١ سورة آل عمران الآية ١٤ و أيضا ج ٣ ص ٣٩٥ سورة المؤمنون الآية ٢، و الغزالي في إحياء العلوم ج ٢ ص ٤٨ باب الترغيب في النكاح، و الهندي في كنز العمال ج ٧ ص ٢٨٨، الحديث ١٨٩١٣. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٣٦

بمراتبها من أهل الحقيقة و أرباب النّهاية «٢٠».

و بالجملة لا يجوز الإنكار على أحد من أرباب الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة، و:

«أوتيت جوامع الكلم» [٢١].

---

(٢٠) قوله: و أرباب النهاية.

راجع في بيان تلك الاصطلاحات، الكتب العرفانيّة العمليّة، خاصّة منازل السائرين لخواجة عبد اللّه الأنصاري و شرحه لكمال الدين عبد الرزاق القاساني.

(٢١) قوله: أوتيت جوامع الكلم ورد هذا الحديث الشريف عن النبيّ الخاتم صلّى اللّه

عليه و آله بتعابير مختلفة في كتب الشيعة و السنة الروائيّة، راجع في هذا الجزء الأوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ١٩٦ تعليقنا فيه الرقم ٢ و أيضا الجزء الثاني منه ص ٥٩ التعليق الرقم ٢٢ و ص ٤٥٤، ذكرنا فيهما قسما من المصادر و العبارات، و إضافة إلى ذلك نذكر في المقام أيضا بعضا آخر منها و هو هكذا:

روى الصدوق قدّس اللّه نفسه في «الخصال» ص ٢٩٢ الحديث ٥٦ باب الخمسة، باسناده عن ابن عبّاس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«أعطيت خمسا لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا، و نصرت بالرّعب، و أحلّ لي المغنم، و أعطيت جوامع الكلم، و أعطيت الشفاعة». و رواه أيضا في أماليه المجلس الثامن و الثلاثون ح ٦ ص ١٧٩ باسناده عن إسماعيل الجعفي عن الباقر عليه الصلاة و السلام عن النبيّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله.

و روى أيضا في «الخصال» باب الخمسة ص ٢٩٣ الحديث ٥٧ باسناده عن ابن عبّاس قال سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول:

«أعطاني اللّه تبارك و تعالى خمسا و أعطى عليّا خمسا: أعطاني جوامع الكلم و أعطى عليّا جوامع العلم، و جعلني نبيّا و جعله وصيّا و أعطاني الكوثر و أعطاه السلسبيل، و أعطاني الوحي و أعطاه الإلهام، و أسري بي إليه و فتح له أبواب

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٧

و الحجب حتّى نظر إلى ما نظرت إليه.

و أخرج العسقلاني في «المطالب العالية» ج ٤ ص ٤ الحديث ٣٨٢٤:

أبو موسى رفعه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

أعطيت فواتح الكلام، و جوامعه، و خواتمه»، و أيضا أخرج قريبا منه في ص ٢٨ الحديث ٤ و ٣٨٧٣، و أخرجه أيضا «كنز العمال» ج ١١ ص ٤١٢ الحديث ٣١٩٢٩ و أخرج في نفس الجزء و الصفحة، الحديث ٣١٩٣٢ عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال:

«فضّلت على الأنبياء بستّة: أعطيت جوامع الكلم، و نصرت بالرّعب، و أحلّت لي الغنائم، و جعلت لي الأرض طهورا و مسجدا، و أرسلت إلى الخلق كافّة، و ختم بي النبيّون».

أيضا فيه ص ٤٢٥ الحديث ٣١٩٩٤ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إنّما بعثت فاتحا و خاتما، و أعطيت جوامع الكلم و فواتحه».

و أيضا فيه ص ٤٢٦ الحديث ٣١٩٩٩ عن النبيّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله قال:

«أوتيت مفاتيح كلّ شيء إلاّ الخمس «إنّ اللّه عنده علم الساعة» و أخرج ابن حنبل في مسنده ص ١٣١ ج ٤ باسناده عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«ألا إنّي أوتيت الكتاب و مثله معه، ألا أني أوتيت القرآن و مثله معه»، الحديث.

أقول: المراد من الخاتم: النهاية و لا ينتهي الشخص إلى النهاية إلاّ بالوصول إلى الكمال و التمام، إذن الخاتم يعني الكامل الّذي لا كامل بعده و لا أكمل منه، و هذا بما عنده صلّى اللّه عليه و آله، مفاتيح كل شيء فهو يكون فاتحا لكل شيء، كما عنده القرآن، و هو أي القرآن أيضا بما أنّه:

ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ [البقرة: ١].

و أنّه: **لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ** [الانعام: ٥٩].

و أنّه: **لاٰ يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ** [فصلت: ٤٢].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۸

و انّه: **وَ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ الْكِتٰابَ تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل: ۸۹].**

و انه: **اللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ [الزّمر: ۲۳].**

خاتم و كامل، و لا يوجد كلام أكمل منه.

و كيف لا انّه كلام اللّه و هو الحقّ المطلق كما ان النبيّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله عبد مطلق له تعالى اى للذات المطلقة سبحانه و تعالى و لهذا يعبّر القرآن بانّه صلّى اللّه عليه و آله «عبده» بدون أيّ قيّد من الأسماء الحسنى للّه سبحانه و تعالى، و بدون أيّ قيد في النبيّ باسمه الخاصّ مثلا بل هو عبده أي عبد مطلق للواجب المطلق:

تَبٰارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقٰانَ عَلىٰ عَبْدِهِ [الفرقان: ۱].

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلىٰ عَبْدِهِ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ [الحديد: ۹].

فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ [النجم: ۱۰].

و هذا كما يختصّ له صلّى اللّه عليه و آله فقط دون سائر الأنبياء و الرسل و هذا هو نفس مقام **قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ إذن كما أنه سبحانه و تعالى «صمد» لا جوف له، انّه صلّى اللّه عليه و آله أيضا صمد في العبوديّة و المظهريّة و الخلافة، كما أن القرآن أيضا صمد لا جوف له في النورانيّة و الهداية.**

و الحق سبحانه و تعالى صمد بالذات و هما صمدان بالتّبع و هذا معنى جامعته صلّى اللّه عليه و آله.

و في المقام كلام قيّم للسيّد المؤلّف قدس اللّه نفسه في كتابه «جامع الأسرار» ص ٢٩٤ و هو هذا:

«وصل إلى مقام «أو ادنى» الّذي هو مقام الذاتيّة و مشاهدة الحضرة الأحديّة، و ارتفعت الحجب بالكليّة، و صار مستحقّا أن يأخذ الوحي من الحقّ بلا واسطة جبرئيل، لقول جبرئيل: «لو دنوت انملة لاحترقت» «فأوحى إلى عبده ما أوحى»، «فأوحى» اللّه تعالى «إلى عبده» بنفسه «ما أوحى» من الأسرار و الحقائق و الرموز و الدقائق المسمّاة بـ «أسرار المعراج» المشار إليها بقوله «علّمت علم الأوّلين و الآخرين، و اوتيت جوامع الكلم» ... و هذا كلّه إخبار عن عروجه و صعوده إلى حضرة الذات و حضرت الوجود

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٩

و:

«بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق» [٢٢].

المسمّاة بحضرة الجمع الصرف و الأحديّة المحضة و الإجمال و غير ذلك، الّتي لا يشاهد و لا يرى فيها إلاّ الذات و الوجود المحض، (و هذا العروج) المسمّى بالسفر الثابت الّذي يقتضي فناء الكلّ مطلقا.

(٢٢) قوله صلّى اللّه عليه و آله: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

راجع في بيان مصادر هذا الحديث الشريف الجزء الأوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ١٩٦ تعليقنا الرقم ٣، أيضا الجزء الثاني ص ٤٥٤ تعليقنا الرقم ٢٣٥.

إضافة الى تلك المصادر و التعابير المنقولة، روى ثقة الإسلام الكليني قدّس اللّه نفسه في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٦ باب المكارم الحديث ٢ باسناده عن عبد اللّه بن مسكان عن الصادق عليه الصلاة و السلام قال:

«إنّ اللّه عزّ و جلّ خصّ رسله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا اللّه و أعلموا أنّ ذلك من خير، و إن لا تكن فيكم فاسألوا اللّه و ارغبوا إليه فيها، قال: فذكر (ها) عشرة: اليقين و القناعة و الصبر و الشكر و الحلم و حسن الخلق و السخاء و الغيرة و الشجاعة و المروّة».

أيضا روى في الحديث الثاني من الباب باسناده عن عبد اللّه بن بكير عن أبي عبد اللّه الصادق عليه الصلاة و السلام قال:

«إنّا لنحبّ من كان عاقلا، فهما، فقيها، حليما، مداريا، صبورا، صدوقا، وفيا، إنّ اللّه عزّ و جلّ خصّ الأنبياء بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمد اللّه على ذلك و من لم تكن فيه فليتضرّع إلى اللّه عزّ و جلّ و ليسأله إيّاها، قال: قلت: جعلت فداك و ما هنّ؟ قال: هنّ الورع، و القناعة، و الصبر، و الشكر، و الحلم، و الحياء، و السخاء، و الشجاعة، و الغيرة، و البرّ، و صدق الحديث، و أداء الأمانة».

و أخرج الهيثمي في «بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد» ج ٨ ص ١٥١ الحديث ١٢٦٨٢ عن معاذ بن جبل قال: جاء رجل إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فقال: يا رسول اللّه إنّي أحبّ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٤٠

(لكل انسان استعداد و لكل استعداد لسان)

إشارة إلى هذا، كما أشرنا إليه، لأنّ الخلق ليسوا متساوين حتّى يكملهم في مرتبه واحدة و مقام واحد، بل الخلق متفاوتون في الاستعداد و القابليّة، و يجب اتّصال كلّ واحد منهم إلى حقّه المعيّن له بحسب الاستعداد و القابليّة، و من هذا صاروا مأمورين بـ:

«كلّم النّاس على قدر عقولهم» [٢٣].

الجمال، و انّي أحبّ أن أحمد، كأنه يخاف على نفسه، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«و ما يمنعك أن تحبّ أن تعيش حميدا و تموت سعيدا، و إنّما بعثت على إتمام محاسن الأخلاق».

و في حديث آخر أخرجه عن الطبراني و البزار انّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إنّما بعثت بمحاسن الأخلاق» هذان في كتاب الأدب باب ما جاء في حسن الخلق.

و أخرج أيضا في كتاب البرّ و الصلة باب مكارم الأخلاق الحديث ١٣٦٨٤ ج ٨ ص ٣٤٣ باسناده عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إنّ اللّه بعثني بتمام مكارم الأخلاق و كمال محاسن الأفعال» و أيضا في الحديث ١٣٦٨٣ عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إنّما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق» أخرجه أيضا السيوطي في جامع الصغير ج ١ الحديث ٢٥٨٤ ص ٣٩٥ و كنز العمال ج ١١ ص ٤٢٥ الحديث ٣١٩٩٦.

و أخرجه أيضا الهيثمي ثانيا في كتاب علامات النّبوّة باب في حسن خلقه، الحديث

١٤١٨٨ و في حديث آخر فيه عن البزار قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»

(٢٣) قوله: مأمورين بكلّم الناس على قدر عقولهم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ۴۱

روى الكليني قدّس اللّه نفسه في الأصول عن الكافي ج ١ كتاب العقل و الجهل الحديث ١٥ ص ٢٣ و في الروضة ص ٢٦٨ الحديث ٣٩٤ باسناده مرسلا عن الصادق عليه الصلاة و السلام، قال: قال «ما كلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله العباد بكنه عقله قطّ، و قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقوله».

و رواه أيضا الحرّاني في «تحف العقول» ص ٣٧، و رواه أيضا الشيخ الطوسي في أماليه المجلد ٢، الجزء ١٧ ص ٩٥ باسناده عن عبد العظيم الحسني عن الإمام الجواد عليه الصّلاة و السّلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم الصلاة و السلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إنّا أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلّم الناس بقدر عقولهم».

عنه بحار الأنوار ج ٢ ص ٦٩ باب النهي عن كتمان العلم الحديث ٢٣ و أخرج الغزالي في «إحياء العلوم» ج ١ الباب الخامس في بيان وظائف المرشد المعلم، الوظيفة السادسة ص ٨٥ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم و نكلّمهم على قدر عقولهم».

و أيضا في نفس المجلد الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد ص ١٤٧ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم».

و روى الشيخ الجليل الأقدم البرقي قدس اللّه نسفه في «المحاسن» في باب العقل الحديث ١٧ ص ١٩٥ باسناده مرفوعا عن النبيّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله قال:

«أنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم» و في حديث رواه العيّاشي في تفسيره، ج ١ ص ٣٤١ الحديث ١٨٨ باسناده عن الصادق عليه الصلاة و السلام مرفوعا قال:

«ما كان اللّه ليخاطب خلقه بما لا يعقلون».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ۴٢

(في ان كلّ من الشريعة و الطريقة و الحقيقة على صراط مستقيم)

و إن قلت: يلزم من هذا حقّيّة كلّ طائفة من طوائف النّاس بما عليهم من الأديان و الملل و الآراء و الإعتقاد، و ليس الكلّ حقّا عند الكلّ.

قلنا: كلّ من يكون على الشريعة و الطريقة و الحقيقة على ما قرّرناه، و يقوم بأداء هذه المراتب على ما هي عليها، أو بواحدة منها فهو حقّ و طريقة حقّ و دينه صحيح، و هو على صراط مستقيم و دين قويم، و قوله تعالى:

ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ [الروم: ٣٠].

إشارة إلى هذا، و كلّ من لم يكن كذلك و هو ليس بحقّ، و ليس على طريق

مستقيم، و دينه ليس بصحيح، بل هو ضالّ مضلّ، باطل مبطل، و البعد عنه واجب.

و هذه قاعدة مطّردة بين أرباب التحقيق، و عليها بناء كلّ أصول و أساس كلّ فروع، و إليه أشار الحقّ تعالى مخاطبا لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله:

قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي [يوسف: ١٠٨].

(في تعريف الشيخ و المرشد)

و يشهد بذلك أيضا اصطلاحهم في تعريف الشيخ و المرشد «٢٤» و هو

---

(٢٤) قوله: في تعريف الشيخ و المرشد.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۳

قولهم:

«الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة و الطريقة و الحقيقة البالغ إلى حدّ التكميل فيها، لعلمه بآفات النّفوس و أمراضها و أدوائها، و معرفته بدائها و قدرته على شفائها و القيام بها، ان استعدت و وفقت لاهتدائها».

(في مراتب العلم و تعريفه)

و كذلك ما ورد في تعريف العلم و العالم [٢٥] المتّصف به، لأنّهم قسّموا

التعريف المذكور من كمال الدين عبد الرزاق القاساني ذكره في كتابه «اصطلاحات الصوفية» ص ١٥٤.

(٢٥) قوله: ما ورد في تعريف العلم و العالم ... و هو قولهم.

التعريف المذكور أيضا ذكره عبد الرزاق القاساني في اصطلاحات الصوفيّة ص ١٤٤ ذيل كلمة «القشر» فراجع أيضا ذكره شاه نعمت اللّه ولي في رسالته «بيان اصطلاحات» باللغة الفارسية:

علم باطن همچو مغز و علم ظاهر همچو پوست

مغز را در پوست مى‌پرور كه تعليمي نكوست

يعني به شريعت، طريقت نگاه دار، به طريقت حقيقت را محافظت كن، زيرا كه هر كه حال او و طريقتش به شريعت مصون نبود حال و مآل او به هوا و وسوسة خواهد بود، أعوذ باللّه من الحور بعد الكور، و هر كه محافظت ننمايد حقيقت را به طريقت، حقيقت او فاسد بود و مآلش به الحاد و زندقه.

بی علم شریعت نرسد کس بطریقت

بی علم طریقت نتوان یافت حقیقت

راجع ج ٤ رسائل شاه نعمت اللّه ص ١٤٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۴

العلم بالقشر و اللبّ، و لبّ اللبّ، و أرادوا به المراتب المذكورة و رعاية حقوقها، و هو قولهم:

«القشر كلّ علم ظاهر يصون به العلم الباطن الّذي هو لبّه عن الفساد، كالشريعة للطريقة، و الطريقة للحقيقة، فإنّ من لم يصن حاله و طريقته بالشريعة فسد حاله و آلت طريقته هوى و هوسا و وسوسة، و من يتوصّل بالطريقة إلى الحقيقة و لم يحفظها بها، فسدت حقيقته و آلت إلى الزندقة و الإلحاد».

(تعريف اللبّ)

«و اللب هو العقل المنوّر بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام و التّخيلات».

«و لبّ اللبّ هو مادّة النور إلهي القدسيّ الّذي يتأيّد به العقل».

فيصفوا عن القشور المذكورة، و يدرك العلوم المتعالية عن إدراك القلب

المتعلق بالكون المصون عن الفهم المحجوب بالعلم الرسمي، و ذلك من حسن السابقة المقتضي لخير الخاتمة، لقوله تعالى:
إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ [الأنبياء: ١٠١].
و إذا عرفت هذه القواعد و الضوابط و تحققت المقصود من وضع هذه المراتب.

و راجع أيضا في بيان العلم و تعريفه و أقسامه «شرح منازل السائرين» للتلمساني ص ٣٣١ و «شرح منازل السائرين» للقاساني ص ٣٢٧ و كتاب «اللمع» ص ٢٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٥

(في أنّ الواجب على الأنبياء مراعاة المراتب كلها)

فاعلم، انّ الشّرع وضع إلهي و ترتيب ربّاني، واجب على الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام القيام به و بأركانه. و الأمر بإقامة أمّتهم عليها، أعني يجب عليهم تكميل الخلق في المراتب الثلاثة الجامعة لجميع المراتب، و لا يجوز الإخلال بواحدة منها و إلّا يلزم الإخلال بالواجب منهم، و هذا مستحيل بالنّسبة إليهم لأنّهم معصومون عن الخطأ و أفعال القبائح، و لا يصدر منهم أمثال ذلك أصلا، و لهذا كانوا دائما يراعون المراتب المذكورة كما هو معلوم من شرايعهم و أديانهم من آدم إلى محمّد عليهم السّلام، و سيّما ما سبق من قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله الّذي هو أعلمهم و أكملهم و

أعظمهم، و هو قوله:

«الشريعة أقوالي، و الطريقة أفعالي، و الحقيقة أحوالي»، الحديث بتمامه «٢٦».

(في بيان مراتب النور الحسّي و العقلي و القدسي) (في ارشاد ابراهيم عليه السّلام)

و يعضد هذا أيضا إرشاد إبراهيم عليه السّلام لأمّته [٢٧] و قومه في صورة

---

(٢٦) قوله: الشريعة أقوالي.

قد مرّت الإشارة سابقا في التعليق الرقم ٦. [.....]

(٢٧) قوله: إرشاد إبراهيم عليه السّلام لأمّته.

يريد به الآيات: ٧٩ إلى ٧٥ من سورة الانعام:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ۴۶

الكواكب و القمر و الشمس، لأنّ الأوّل إرشاد للعوام، و الثّانى للخواصّ، و الثالث لخاصّ الخاصّ على حسب الترتيب المعلوم من الشريعة و الطريقة و الحقيقة.

و بيان ذلك، و هو أنّ الأوّل إشارة إلى نور الحسّي و الّذي في مقامه في طلب الحقّ و العبور عنه، كأهل الشريعة و أهل الظاهر و العوام، لأنّ الكواكب في العوام بمثابة نور الحسّ في الإنسان.

و الثّاني، إشارة إلى نور العقل و الّذي في مقامه في طلب الحقّ و العبور عنه كأهل الطريقة و أهل الباطن و الخواص، لأن القمر في العالم بمثابة نور العقل في الإنسان.

و الثالث، إشارة الى نور القدس المسمّى بنور الحقّ و الّذي في طلب الحقّ و العبور عنه كأهل الحقيقة و أهل باطن الباطن و خاص الخاص، لأنّ نور الشّمس في العالم بمثابة نور القدس في الإنسان، لقوله تعالى:

أَ فَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاٰمِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ [الزمر: ٢٢].

و إنّما يلزم العبور عنه أعني عن نور الحقّ، لأن الرّائي و المرآة و النّور

وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ.

فَلَمّٰا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأىٰ كَوْكَباً قٰالَ هٰذٰا رَبِّي فَلَمّٰا أَفَلَ قٰالَ لاٰ أُحِبُّ الْآفِلِينَ.

فَلَمّٰا رَأَى الْقَمَرَ بٰازِغاً قٰالَ هٰذٰا رَبِّي فَلَمّٰا أَفَلَ قٰالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّٰالِّينَ.

فَلَمّٰا رَأَى الشَّمْسَ بٰازِغَةً قٰالَ هٰذٰا رَبِّي هٰذٰا أَكْبَرُ فَلَمّٰا أَفَلَتْ قٰالَ يٰا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ.

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۷

الّذي هو الواسطة بينهما ثلاثة أشياء و هو عين الكثرة، و مشاهدة في عالم التوحيد لا يقتضي هذا فيجب العبور عنه حتّى ثبت التوحيد، و ذلك يكون بفناء العارف في المعروف، و الشاهد في المشهود كما سبق ذكره مرارا و سيجيء مرارا إن شاء اللّه.

(في ان احتجاج ابراهيم عليه السّلام كان في زمان نبوّته)

و أمّا الّذي قال بعض المفسّرين في هذا المقام: بأنّ: «ابراهيم عليه السّلام كان طفلا صغيرا و لم يكن له أهلية بين الكواكب و القمر و الشمس و ربّه»، فذلك خطأ محض، و بل كفر صرف، جلّ مقام الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام عن أمثال ذلك، لأنّهم معصومون.

(في بيان العصمة و المعصوم)

و المعصوم يجب أن يكون معصوما من الصغير إلى الكبير، في أقواله و أفعاله و أحواله، و دينه و اعتقاده و سرّه و علانيته، و لا يصدر منه الفعل القبيح أصلا لا سهوا و لا نسيانا، و لا عمدا و لا خطأ.

و الّذي قال أيضا البعض الآخر منهم: «۲۸» «إنّه كان في ابتداء سلوكه و مبدأ معرفته بنظره العقلي و إدراكه الفكري»، كما هو عادة علماء المعقول ليس بصحيح أصلا، لأنّ هذا في

(٢٨) قوله: بعض المفسّرين، قوله: البعض الآخر.

راجع «تفسير الكبير» للرازي ج ١٣ ص ٥١ إلى ٤٧، و تفسير «جامع البيان» للطبري ج ٧ ص ٤ و ١٦٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٨

زمان نبوّته و حال دعوته لأمّته و هو زمان كماله و كمال عقله و معرفته و فطنته و ذكائه، و أيضا نبوّة الأنبياء و الرّسل و معارفهم و حقائقهم ليست كسبيّة نظريّة، حتّى يقال فيهم هذا، لأنّ نبوّتهم و ولايتهم عطاء إلهي محض، و إنعام ربّانيّ صرف من غير علّة و لا سبب صادر عنهم لقوله تعالى بالنسبة إلى نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

وَ عَلَّمَكَ مٰا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كٰانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [النساء: ١١٣].

و لقوله بالنّسبة إلى سليمان عليه السّلام:

هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ [ص: ٣٩].

و لقوله بالنّسبة إلى عيسى عليه السّلام:

إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتٰانِيَ الْكِتٰابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا وَ جَعَلَنِي مُبٰارَكاً أَيْنَ مٰا كُنْتُ وَ أَوْصٰانِي بِالصَّلاٰةِ وَ الزَّكٰاةِ مٰا دُمْتُ حَيًّا [مريم: ٣١].

و لقوله بالنسبة إلى نحيى عليه السّلام:

يٰا يَحْيىٰ خُذِ الْكِتٰابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنٰاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا [مريم: ١٢].

و أمثال ذلك كثيرة في القرآن، يكفي للتنبيه هذا المقدار، و مع ذلك، الّذي يشهد بأنّ قضيّة ابراهيم عليه السّلام، كان في زمان نبوّته و دعوته لأمّته

قوله تعالى في مواضع، منها:

وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَ تُحاجُّونِّي فِي اللهِ وَ قَدْ هَدانِ وَ لا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ إلى قوله: وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ [الانعام: ۸۰- ۸۳].

و كفى باللّه حاكما و شهيدا، لأنّه لو لم يكن هذا في زمان نبوّته

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۴۹

و دعوته، ما قال تعالى: «و حاجّه قومه»، و سبب ذلك و هو أنّ بعض قومه كانوا يعبدون الكواكب و يسجدون لها، و بعض قومه يعبدون القمر و يسجدونه، و بعض قومه يعبدون الشمس و يسجدونها و غير ذلك من الأصنام و الأوثان، و كان يهديهم بحسب الظاهر و التوحيد الألوهي إلى وجود إله واحد خالق كل موجود و منشئه، و بحسب الباطن و التّوحيد الوجودي إلى مشاهدة وجود واحد موجد كلّ شيء و مظهره الّذي ليس في الوجود غيره، لقوله تعالى:

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام: ۷۹].

و قوله:

«هذا ربي» في المواضع الثلاث ليس عند التّحقيق إلاّ استفهام إنكار، و تقديره: أ هذا الشيء المخلوق و المحدث المصنوع في معرض الأفول و الزّوال من الكواكب و القمر و الشّمس، يجوز أن يكون ربّي و ربّ كلّ

شيء؟ لا و الله لا يجوز و ليس هو ربّي و لا ربّ كلّ شيء بل هو مخلوق من مخلوقاته و مصنوع من مصنوعاته.

أو يقول: أ بنور هذا الشيء المخلوق المحدث الّذي هو نور الحسّ أو نور العقل، أو النور القدس أو المجموع أعرف ربّي؟.

(مقام الفناء في المحبوب و محو الإثنينيّة و توحيد الصديقين)

و هل يمكن معرفته بقوّة هذه الأنوار الثلاث؟ لا و اللّه لا يمكن، بل لا

يمكن إلاّ بالعبور عنها و العروج عن مراتبها، لأنّ الوصول إلى معرفته الحقيقيّة و مشاهدة ذاته المطلقة لا يمكن إلاّ به و بنوره الحقيقي كما قال النبيّ عليه السّلام:

«عرفت ربّي بربّي [٢٩] و رأيت ربّي بربّي» [٣٠].

---

(٢٩) قوله: عرفت ربّي بربّي.

نقله أيضا الشيخ عبد العزيز نسفي في «كشف الحقائق» بهذه الألفاظ:

عرفت ربّي بربّي و لو لا فضل ربي لما عرفت ربّي و أيضا نقله شاه نعمت اللّه ولي في ج ١ ص ٣٢٢ و ج ٣ ص ٣٣٤ و ص ٢١٧ و ج ٤ ص ٨٨ و قال: قال سيد العرفاء:

«عرفت الأشياء بربّي، ما عرفت ربّي بالأشياء».

و أيضا نقله الشيخ عبد القادر الجيلاني م ٥٦١ في «سرّ الأسرار» ص ٨٨ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: «أي بنور ربّي».

و هناك أحاديث كثيرة وردت عن الأئمّة أهل البيت المعصومين عليهم السّلام تدلّ على هذه المرتبة من التوحيد و المعرفة و هي مرتبة معرفة الصدّيقين.

روى الكليني في الكافي ج ١ ص ٨٥ «باب أنه لا يعرف إلاّ به» الحديث ١ باسناده عن الإمام الصادق عليه آلاف التحية و السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«اعرفوا اللّه باللّه و الرسول بالرسالة و أولي الأمر بالمعروف و العدل و الإحسان».

و روى الصدوق في التوحيد: باب ١١ صفات الذات و صفات الأفعال ص ١٤٣ الحديث ٧، باسناده عن الصادق عليه السّلام قال:

«من زعم أنّه يعرف اللّه بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك، لأنّ الحجاب و المثال و الصورة غيره، و إنّما هو واحد موحّد، فكيف يوحّد من زعم أنّه عرفه بغيره، إنّما عرف اللّه من عرف باللّه فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنّما يعرفه غيره، .. لا يدرك مخلوق شيئا إلاّ باللّه ن و لا تدرك معرفة اللّه إلاّ باللّه». الحديث

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٥١

فراجع.

و روى علي بن شعبه الحرّاني في تحف العقول عن الصادق عليه السّلام في باب (كلامه عليه السّلام في وصف المحبّة) ص ٣٢٦ في حديث:

«من زعم انّه يعرف اللّه بتوهّم القلوب فهو مشرك» .. إلى أن قال:

قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟ قال عليه السّلام:

«باب البحث ممكن و طلب المخرج موجود، إنّ معرفة عين الشاهد قبل صفته و معرفة صفة الغائب قبل عينه، قيل: و كيف نعرف عين الشاهد قبل صفته؟

قال عليه السّلام: تعرفه و تعلم علمه و تعرف نفسك به و لا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، و تعلم أنّ ما فيه له و به كما قالوا ليوسف: **إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قٰالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هٰذٰا أَخِي فعرفوه به و لم يعرفوه بغيره و لا أثبتوه من أنفسهم بتوهّم القلوب». الحديث فراجع الحديث، فيه معارف و معالم جمّة قيّمة و للعلامة الطباطبائي تعليق عليه في هامش الكتاب.**

و ورد من دعاء الصباح عن أمير المؤمنين عليه السّلام:

«يا من دلّ على ذاته بذاته» الدعاء.

و أيضا في دعاء العرفة عن أبي عبد اللّه الحسين بن علي عليهم السّلام:

«كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك و متى بعدت حتّى تكون الآثار هي الّتي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيبا». الدعاء أيضا فيه:

«أنت الّذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتّى عرفوك و وحّدوك».

أيضا فيه:

«أنت الّذي لا إله غيرك تعرّفت لكل شيء فما جهلك شيء و أنت الّذي تعرّفت

في كلّ شيء فرأيتك ظاهرا في كلّ شيء و أنت الظاهر لكل شيء ... كيف تخفى و أنت الظاهر أم كيف تغيب و أنت الرقيب الحاضر». الدعاء.

و ورد في دعاء أبو حمزة الثمالي عن الامام السجاد علي بن الحسين عليه السّلام:

«بك عرفتك و أنت دللتني عليك و دعوتني إليك و لو لا أنت لم أدر ما أنت». الدعاء.

راجع أيضا الجزء الثاني من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٥٣٧ تعليقنا عليه الرقم ٣٤٥.

(٣٠) قوله: رأيت ربّي بربّي.

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ١ ص ٢٨٥ باسناده عن ابن عباس، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: «رأيت ربّي تبارك و تعالى».

و أخرج مسلم في صحيحه ج ١ كتاب الإيمان باب ٧٨، ص ١٦١، الحديث ٢ و ٢٩١ بإسناده عن أبي ذر قال: سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هل رأيت ربّك؟ قال: نور إنّي أراه.

و في حديث آخر قال صلّى اللّه عليه و آله: رأيت نورا.

أقول: الظاهر بقرينة الحديث الثاني أنّ الحديث الأوّل لا بدّ ان يقرأ بالياء المتكلّم، «نور أنّي أراه» خلافا لما كتب و طبع في الكتاب: «أنّى» فيكون معناه: أي كيف أراه، يعني أنّ النور منعني من الرؤية، فمعلوم أنّ هذا خلاف الظاهر، و يحتمل أن يكون: «نور أنا أراه» كما في حاشية جامع الأصول ج ١٠ ص ٥٦٠.

و أخرج ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٤٠٨ في سورة النجم، باسناده عن ابن عباس قال: قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«رأيت ربّي في أحسن صورة، فقال لي: يا محمّد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟

فقلت لا يا ربّ، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثدي، فعلمت ما في السماوات و ما في الأرض». أخرجه أيضا «مجمع الزوائد» عن عبد الرحمن بن عائش عنه صلّى اللّه عليه و آله ج ٧، كتاب التعبير باب ٥ ص ٣٦٧ الحديث ١١٧٣٩.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٣

و روي المجلسي في البحار ج ١٨ ص ٣٧٢ الحديث ٧٩ عن تفسير القمي و هو باسناده إسماعيل الجعفي قال: كنت في المسجد الحرام قاعدا و أبو جعفر الباقر، صلوات اللّه و سلامه عليه في ناحية فرفع رأسه فنظر إلى السماء مرّة و إلى الكعبة مرّة، ثمّ قال:

سُبْحٰانَ الَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» [الإسراءِ: ١].

و كرّر ذلك ثلاث مرّات، ثمّ التفت إليّ فقال: «أيّ شيء يقول أهل العراق في هذه الآية يا عراقي»؟ قلت: يقولون: أسرى به من المسجد الحرام الى البيت المقدّس، فقال: «ليس هو كما يقولون، و لكنه أسرى به من هذه إلى هذه»، و أشار بيده إلى السماء، و قال: «و ما بينهما حرم»، قال: «فلمّا انتهى به إلى سدرة المنتهى تخلّف عنه جبرئيل، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا جبرئيل أفي مثل هذا الموضع تخذلني؟

فقال: تقدّم أمامك، فو اللّه لقد بلغت مبلغا لم يبلغه خلق من خلق اللّه قبلك، فرأيت ربّي (فرأيت من نور ربّي) (فرأيت نور ربّي) و حال بيني و بينه السبحة».

قال: قلت: و ما السجة جعلت فداك؟ فأومأ بوجهه إلى الأرض و أومأ بيده إلى السماء و

هو يقول: جلال ربّي، «جلال ربّي ثلاث مرّات، (قال) قال: يا محمّد، قلت: لبّيك يا ربّ، قال: فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: سبحانك لا علم لي إلاّ ما علّمتني، قال: فوضع يده بين ثدييّ فوجدت بردها بين كتفيّ، قال: فلم يسألني عمّا مضى و لا عمّا بقي إلاّ علمته». الحديث قال العلاّمة الطباطبائي في تفسيره القيم بعد نقل هذا الحديث عن تفسير القمي:

«أقول: قوله عليه السّلام: و لكنّه أسري به من هذه إلى هذه» أي من الكعبة الى البيت المعمور، و ليس المراد به نفي الإسراء الى بيت المقدس و لا تفسير المسجد الأقصى في الآية بالبيت المعمور، بل المراد نفي أن ينتهي الإسراء إلى بيت المقدّس و لا يتجاوزه، فقد استفاضت الروايات بتفسير المسجد الأقصى ببيت المقدس.

و قوله: «فرأيت ربّي» أي شاهدته بعين قلبي.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ۵۴

و قوله: «و حالت بيني و بينه السجة» أي بلغت من القرب و الزلفى مبلغا لم يبق بيني و بينه إلاّ جلاله» انتهى.

أقول: إنّه بما أنّ مقام الإنسان الكامل و قلبه فوق مقام العرش و هو باطن العرش فلا بد من تفسير قوله: «إلى هذه» بمقام فوق العرش و هو مقام «أو أدنى» الذي كما قال قدس اللّه سرّه: لم يبق بينه و بين ربّه عزّ اسمه إلاّ جلاله سبحانه و تعالى.

و سوف نذكر في مقامه إنشاء اللّه بأنّ الكعبة مطاف للمؤمنين و للإنسان في عالم الطبيعة

و هو بيت اللّه في الأرض، و باطنه بيت المعمور و هو مطاف للملائكة الأرض، و باطن بيت المعمور العرش و هو مطاف للملائكة العالين، و باطن العرش الإنسان الكامل و قلبه و هو قطب عالم الإمكان يعني ما سوى اللّه سبحانه و تعالى.

و هناك أحاديث أخرى أيضا نشير إليها لمزيد الفائدة و البصيرة:

١- روى الصدوق قدّس اللّه نفسه في «علل الشرائع» الباب ٧ الحديث ١ ص ٥، و في عيون «أخبار الرضا» عليه السّلام الباب ٢٦ الحديث ٢٢ ص ٢٦٢، و في «كمال الدين» الباب ٢٣ الحديث ٤، باسناده عن الهروي، عن الرضا عليه الصلاة و السلام عن آبائه، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه عليه السّلام.

«ما خلق اللّه عزّ و جلّ خلقا أفضل منّي و لا أكرم منّي» .. إلى أن قال:

«و إنّه لمّا عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى و أقام مثنى مثنى، ثمّ قال لي: تقدّم يا محمّد، فقلت له: يا جبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال نعم، لأنّ اللّه تبارك و تعالى فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين و فضّلك خاصّة، فتقدّمت فصلّيت بهم و لا فخر ..

فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد و تخلّف عنّي فقلت: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يا محمّد إنّ انتهاء حدّي الّذي وضعني اللّه عزّ و جلّ فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله، فزخّ بي في النور زخّة (فزجّ بي ربي في النور) (فزجّ بي

في النور زجة) حتّى انتهت إلي حيث ما شاء اللّه من علوّ ملكه (ملكوته) فنوديت يا محمّد! فقلت: لبيك و سعديك تباركت و تعاليت». الحديث: روى عنه المجلسي في البحار ج ١٨ ص ٣٤٥ الحديث ٥٦ و أيضا ج ٢٦ ص ٣٣٥ الحديث ١.

و في كنز العمال ج ١٤ ص ٤٤٨، الحديث ٣٩٢١٠، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: «سألت جبرئيل هل ترى ربك؟ قال: إنّ بيني و بينه سبعين حجابا من نور، لو رأيت أدناها لاحترقت».

٢- المجلسي في البحار ج ٢٤ ص ٣٢٣ عن كنز جامع الفوائد باسناده عن الباقر عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«ليلة أسري بي إلى السماء صرت إلى سدرة المنتهى فقال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد فدنوت دنوّة، (و الدنوة: مدّ البصر)، فرأيت نورا ساطعا فخررت للّه ساجدا». الحديث.

٣- المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٩٠ الحديث ٣ عن الاحتجاج عن ابن عباس قال:

قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«حملّت على جناح جبرئيل حتّى انتهيت إلى السماء السابعة فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى حتّى تعلّقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش: إنّي أنا اللّه لا إله إلاّ أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبّر الرؤوف الرحيم، فرأيته بقلبي و ما رأيته بعيني». الحديث طويل فراجع.

٤- روى الصدوق في أماليه المجلس ٤٧ الحديث ٤ ص ٢٢٩ باسناده عن سنان قال:

«حضرت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليهم السّلام و دخل عليه رجل من الخوارج فقال: يا أبا جعفر أيّ شيء تعبد؟ قال: اللّه، قال: رايته؟ قال: «لم تره العيون بمشاهدة العيان و رأته القلوب بحقائق الإيمان». الحديث.

عنه البحار ج ٤ ص ٣٦ الحديث ١. و في «التوحيد» للصدوق ص ١٠٨ الحديث ٥ باب ٨ «ما جاء في الرؤية» و رواه أيضا الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٧ الحديث ٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ۵۶

٥- روى الصدوق في «التوحيد» باب ٨ ص ١١٦ الحديث ١٧ باسناده عن محمّد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السّلام هل رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ربّه عزّ و جلّ؟ فقال: نعم بقلبه رآه أما سمعت اللّه عزّ و جلّ يقول: «ما كذب الفؤاد ما رأى» لم يره بالبصر و لكن «رآه بالفؤاد». راجع البحار ج ٤ ص ٤٣ الحديث ١٩.

٦- الصدوق في «التوحيد» في باب ٨ ص ١٠٩ الحديث ٦ باسناده عن أبي الحسن الموصلي عن الامام الصادق عليه السّلام قال: «جاء حبر (عالم من علماء اليهود) إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ فقال: ويلك ما كنت أعبد ربّا لم أره، قال: و كيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان». و رواه الكليني أيضا في «الكافي» ج ١ ص ٩٧ الحديث ٦.

و قريب منه في نهج البلاغة الخطبة ١٧٦.

٧- و روى الكليني في الكافي ج ١ باب ابطال الرؤية ص ٩٨ الحديث ٨، باسناده عن ابن ابى نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السّلام، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«لمّا أسري بي إلي السماء بلغ بي جبرئيل مكانا لم يطأه قطّ جبرئيل فكشف له فأراه اللّه

من نور عظمته ما أحبّ».

۸- و روى في نفس الباب الحديث ۱ ص ۹۵ باسناده عن يعقوب بن إسحاق، عن أبي محمّد العسكري عليه السّلام قال:

«انّ اللّه تبارك و تعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ».

۹- و روى محمد بن قولويه القمي في «كامل الزيارات» باب ۲۲ الحديث ٦ باسناده عن ابن ابي يعفور عن الامام الصادق عليه السّلام قال:

«بينما رسول اللّه في منزل فاطمة، و الحسين في حجره، إذ بكى و خرّ ساجدا، ثمّ قال: يا فاطمة يا بنت محمدا! إنّ العليّ الأعلى تراءى لي ساجدا، ثمّ قال:

يا فاطمة يا بنت محمدا! إنّ العليّ الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۵۷

في أحسن صورة و أهيأ هيئة». الحديث.

تبصرة، لنا قاعدة في عدم الجمود في ظواهر الألفاظ في الكتاب و الحديث:

نذكر أوّلا كلاما قيما لأستاذنا العلاّمة الحجّة السيد مرتضى المستنبط، و هو قال في المقدّمة الخامسة من مقدّمات تفسيره «مواهب الرحمن» ص ۲:

«أنّ المعاني الموضوعة لها الألفاظ و الكلمات لا سيّما الألفاظ الواردة في الأخبار و الآيات أنّما هي الحقائق المطلقة، و لم يلاحظ في مقام الوضع إلاّ نفس الحقيقة و الذات بدون أن يعتبر فيها حالة من الحالات و لا خصوصيّة من الخصوصيّات، كما في لفظ

الكتاب مثلا حيث إنّه موضوع لما كان جامعا للنقوش المرسومة فيه، و لم يعتبر كونه قرطاسا أو جلدا أو حديدا أو نحاسا أو خشبة أو غيرها، و لا كونه جسمانيّا أو نفسانيّا أو عقلانيا .. إلى أن قال: و لمّا كان حقائق المعاني دائرة مدار فلك الوجود في قوسي النزول و الصعود بتمام مراحلها و سائرة بجميع مراتبها من الهاهوت إلى الناسوت بدون أن يتغيّر أصل الحقيقة و ينثلم وحدتها فكانت الألفاظ الواردة في الآيات و الأخبار دالّة على حقائق معانيها في كلّ مرتبة على حسب شؤونها و في كلّ مرحلة على وفق بروزها و ظهورها من دون أن يخالف مرتبة أخرى، و بهذا ينصرح ما ورد في الأخبار من أنّ القرآن له ظهر و بطن و لبطنه بطن إلى سبعة أبطن، و لكلّ آية ظهر و بطن و لكلّ حدّ و مطّلع كما عرفت». انتهى أقول: مراده من الهاهوت مقام الهوهويّة و الذات المطلقة كما كان يقول رحمهم اللّه في محاضرات درسه.

و أمّا القاعدة فهي هذه: لا بدّ أن نعرف بأنّ الألفاظ و المفاهيم لا تحمل على المصاديق الماديّة فقط، لأنها ما وضعت للمصاديق بل وضعت للغايات، و الغاية توجد في مختلف المصاديق من الماديّة أو غيرها، و لهذا عند ما نرى ألفاظا في القرآن مثل الكرسي، العرش، اليد، الرؤية، العمى، و غيرها إلى ما شاء اللّه يجب أن ندقّق في حملها على مصاديق معانيها و ليس صحيحا مطلقا، و لا ضرورة لحمل هذه الألفاظ و المفاهيم على

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۵۸

مصاديقها الماديّة فحسب، و عند ما يوجد هناك دليل قطعي يدلّ على استحالة معنى

المادّي من تلك الألفاظ في موردها القرآنيّة، مثلا بالنسبة إلى اللّه سبحانه و تعالى نرفع اليد منه و نحمل على المصاديق الأخرى، هذا لأنّ لكل مفهوم و معنى، و لكل مصداق و حقيقة، مراتب.

قال الفيض الكاشاني في تفسير الصافي ج ١ في المقدمة الرابعة:

«انّ لكل معنى من المعاني حقيقة و روحا و له صورة و قالب و قد يتعدّد الصور و القوالب لحقيقة واحدة، و إنما وضعت الألفاظ للحقائق و الأرواح و لوجودهما في القوالب، تستعمل الألفاظ فيهما على الحقيقة لاتحاد ما بينهما، مثلا لفظ القلم إنّما وضع لآلة نقش الصور في الألواح من دون أن يعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك بل و لا أن يكون جسما و لا كون النقش محسوسا أو معقولا و لا كون اللوح من قرطاس أو خشب بل مجرّد كونه منقوشا فيه و هذا حقيقة اللوح و حدّه و روحه، فإن كان في الوجود شيء يستطر بواسطة نقش العلوم في ألواح القلوب فأخلق به أن يكون هو القلم فإنّ اللّه تعالي قال: **عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم و حقيقته و حدّه، من دون أن يكون معه ما هو خارج عنه، و كذلك الميزان مثلا فإنه موضوع لمعيار يعرف به المقادير، و هذا معنى واحد هو حقيقته و روحه و له قوالب مختلفة و صور شتّى بعضها جسماني و بعضها روحاني ... و بالجملة: ميزان كل شيءٍ يكون من جنسه، و لفظة الميزان حقيقة في كل منها باعتبار حدّه و حقيقته الموجودة فيه، و على هذا القياس كل لفظ و معنى، ... و ممّا ذكر يظهر سبب اختلاف ظواهر الآيات و الأخبار الواردة في أصول الدين و ذلك لأنّها ممّا خوطب به طوائف شتّى و عقول مختلفة**

فيجب أن يكلّم كلّ على قدر فهمه و مقامه و مع هذا فالكلّ صحيح غير مختلف من حيث الحقيقة و لا مجاز فيه أصلا».

و هناك كلام قيّم للعلامة الطباطبائي في مقدمة تفسيره «الميزان» قال:

«و ليس بين آيات القرآن (و هي بضع آلاف آية) آية واحدة ذات أغلاق و تعقيد في

مفهومها بحيث يتحيّر الذهن في فهم معناها، ... و إنّما الإختلاف كلّ الإختلاف في المصداق الّذي ينطبق عليه المفاهيم اللفظيّة من مفردها و مركّبها، و في المدلول التصوّري و التصديقي.

توضيحه: أن الأنس و العادة (كما قيل) يوجبان لنا أن يسبق إلى أذهاننا عند استماع الألفاظ معانيها المادّية أو ما يتعلّق بالمادّة، فإنّ المادّة هي الّتي يتقلّب فيها أبداننا و قوانا المتعلقة بها ما دمنا في الحياة الدنيويّة، فإذا سمعنا ألفاظ الحياة و العلم و القدرة و السمع و البصر و الكلام و الإرادة و الرضا و الغضب و الخلق و الأمر، كان السابق إلى أذهاننا منها الوجودات المادّية لمفاهيمها، ... و هذا شأننا في جميع الألفاظ المستعملة، و من حقّنا ذلك، فإنّ الّذي أوجب علينا وضع ألفاظ إنّما هي الحاجة الاجتماعية إلى التفهيم المتعلقة بالمادة و لواحقها، فوضعنا الألفاظ علائم لمسمّياتها الّتي نريد منها غايات و أغراضا عائدة إلينا.

و كان ينبغي لنا أن نتنبّه: بأنّ المسمّيات المادّية محكومة بالتغيّر و التبدّل بحسب تبدّل

الحوائج في طريق التحوّل و التكامل كما أنّ السراج أوّل ما عمله الإنسان كان إناء فيه فتيلة و شيء من الدّهن تشتعل به الفتيلة للإضاءة به في الظلمة، ثمّ لم يزل يتكامل حتّى بلغ اليوم إلى السراج الكهربائي و لم يبق من أجزاء السراج المعمول أوّلا الموضوع بإزائه لفظ السراج شيء و لا واحد.

فكان ينبغي لنا أن نتنبّه بأنّ المدار في صدق الإسم اشتمال المصداق على الغاية و الغرض، لا جمود اللفظ على صورة واحدة، فذلك ممّا لا مطمع فيه البتة، و لكن العادة و الأنس منعنا ذلك، و هذا هو الّذي دعى المقلّدة من أصحاب الحديث من الحشويّة و المجسّمة أن يجمدوا على ظواهر الآيات في التفسير و ليس في الحقيقة جمودا على الظواهر بل هو جمود على العادة و الأنس في تشخيص المصاديق».

و قال العلاّمة الطباطبائي أيضا في تعليقه على البحار ج ۱ ص ۱۰۰:

«الكتاب و السنّة مشحونان بأنّ معارف الدين ذوات مراتب مختلفة، و أنّ لكل مرتبة [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۶۰

و قال بعض العارفين من أمّته:

«سبحان من لا يصل إليه إلاّ به» «۳۱».

أهلا، و أنّ في إلغاء المراتب هلاك المعارف الحقيقيّة». انتهى و ممّا ذكرنا ظهر صحّة الروايات الواردة في رؤية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ربّه سبحانه و تعالى و معنى

الرؤية، و أنّ للرؤية مراتب منها مرتبة رؤية القلب و لرؤية القلب أيضا مراتب منها الشهود و الفناء و اللقاء، و للكلام تفصيل له مقام آخر و كان المقصود هنا الإشارة إلى بعض الأحاديث الواردة في رؤية الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله ربّه عزّ اسمه، و هكذا معنى الرؤية في الأحاديث إجمالا، و لا بأس بالإشارة إلى روايتين في بيان بعض مصاديق العين العين و الرؤية و هما:

١- روى الصدوق عليه الرحمة في «التوحيد» باب ٦٠ ص ٣٦٦ الحديث ٤، باسناده عن السجاد علي بن الحسين عليهم السّلام قال:

«ألا إنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، و عينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد اللّه عزّ و جلّ بعبد خيرا فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما العيب (الغيب)، و إذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه». الحديث.

٢- روى الكليني في «روضة الكافي» ص ٢١٤ الحديث ٢٦٠ باسناده، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«انّما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس و عينان في القلب، ألا و الخلائق كلّهم كذلك، ألا إنّ اللّه عزّ و جلّ فتح أبصاركم و أعمى أبصارهم».

راجع أيضا تعليقنا الرقم ٣٤٨ على الجزء الثاني ص ٥٤٩، و الجزء الأوّل ص ٢٤٦ التعليق ٣٢، و ص ٢٥٨ التعليق ٣٩.

(٣١) قوله: سبحان من لا يصل.

نسبه السيّد المؤلف في «المقدّمات من كتاب نصّ النصوص» ص ٤١٤ الى أمير المؤمنين و نقل عنه عليه السّلام قال:

«سبحان من لا يصل إليه إلاّ به و بنوره» و عن أهل اللّه قالوا: «سبحان من لا يعرفه أحد إلاّ

به»

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۶۱

و كلّ عاقل يعرف أنّ مشاهدة جرم الشمس و شعاعها المشرقة لا يمكن إلاّ بنور الشمس.

و مثل أهل الشريعة في معرفة الحقّ بقوة نور الحسّ كمثل شخص يطلب مشاهدة جرم الشمس في ظلمة الليل بقوّة نور الكواكب، و معلوم أنّه لا يجدها أبدا.

و مثل أهل الطريقة في معرفة الحقّ بقوّة نور العقل كمثل شخص يطلب مشاهدة جرم الشمس في ظلمة الليل بقوة نور القمر، و معلوم أنّه لا يجدها أبدا.

و مثل أهل الحقيقة في معرفة الحقّ بقوّة نور القدس كمثل شخص يشاهد الشّمس بالشّمس، و معلوم أنّه يشاهدها لكن مع اعتبار الشاهد و المشهود، و ليس هذا بتوحيد صرف، فالدّقيقة في (من) هذا، و هي أنّ كلّ من شاهد الشّمس بنور الشّمس كما أنّه لا يقدر أن يصل إلى الشّمس حقيقية إلاّ بعد حصول المناسبة بينه و بينها من الصّفا و النّوريّة و الكمال و الشّرف و غير ذلك، فكذلك كلّ من شاهد الحقّ بنور الحقّ فإنّه لا يقدر أن يصل إليه إلاّ بعد حصول المناسبة بينه و بينه من التجرّد و الاستغناء و التّقديس و التّنزيه و أمثال ذلك المعبّر عنه بالتخلّق بأخلاقه لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله: «تخلّقوا بأخلاق اللّه» [۳۲].

(٣٢) قوله: تخلّقوا بأخلاق اللّه.

راجع «إرشاد القلوب» للديلمي الباب ٣٨ (في الصبر) ص ١٢٧ و بحار الأنوار ج ٦١

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٦٢

و قوله تعالى في الحديث القدسي:

«كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله» «٣٣».

إشارة إلى هذا، و لهذا قال العارف:

«ليس كلّ من سلك وصل، و لا كلّ من وصل حصل، و لا كلّ من حصل حصّل، و لا كلّ من حصّل فصّل، و لا كلّ من فصّل وصل، و لا كلّ من وصل أوصل» و لبيان المناسبة قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«أنّ للّه تعالى شرابا لأوليائه إذا شربوا سكروا، و إذا سكروا طربوا، و إذا طربوا طابوا، و إذا طابوا ذابوا، و إذا ذابوا خلصوا، و إذا خلصوا طلبوا، و إذا طلبوا وجدوا، و إذا وجدوا وصّلوا، و إذا وصّلوا اتّصلوا، و إذا اتصلوا لا فرق بينهم و بين حبيبهم» [٣٤].

ص ١٢٩، و إحياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٦١.

ذكرناه أيضا في الجزء الأوّل ص ٢٥٥ التعليق ٣٧ و الجزء الثاني ص ٤٦٩ التعليق ٢٥٦.

(٣٣) قوله: كنت سمعه سيأتي الكلام فيه في التعليق ٦٦ فراجع.

(٣٤) قوله: أنّ للّه تعالى شرابا لأوليائه.

ذكر الخوانساري في «روضات الجنات» ج ٣ ص ١٣٠، هذا الحديث نقلا عن «صحيفة الرضا» عليه السّلام و قال أيضا بعد نقله: «و في بعض المواضع عن الصادق عليه السّلام بزيادة: «و إذا طربوا، طلبوا، و إذا طلبوا وجدوا، و إذا وجدوا تابوا، و إذا تابوا آبوا، و إذا آبوا ذابوا، و إذا ذابوا خلصوا «إلى آخره».

قال الآلوسي في تفسير الآية:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۶۳

وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً [الإنسان: ٢١].

و يحكى أنّه سئل أبو يزيد عن هذه الآية فقال: سقاهم شرابا طهّرهم به عن محبّة غيره ثمّ قال: ان للّه تعالى شرابا ادّخره لأفاضل عباده يتولّى سقيهم ايّاه، فإذا شربوا طاشوا، و إذا طاشوا طاروا، و إذا طاروا و صلوا، و إذا وصلوا فهم **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر: ٥٥]. انتهى لا بأس بالإشارة إلى بعض الروايات و الكلمات الّتي يعلم المقصود من الشراب و السقي و السكر و الطهارة منها مزيدا للفائدة:**

قال عبد اللّه الأنصاري في تفسيره «كشف الأسرار» في تفسير الآية المذكورة:

«قال جعفر (يعني جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام): يطهرهم به عن كلّ شيء سواه

إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان».

لا يخفى ان ما نقله ناقص و امّا تمامه هو ما نقله أمين الإسلام الطبرسي في تفسير «مجمع البيان» في تفسير الآية المذكورة قال:

«و قيل: «يطهّرهم عن كلّ شيء سوى اللّه إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان إلاّ اللّه» رووه عن جعفر بن محمّد عليه السّلام».

قال العلاّمة الطباطبائي في «الميزان» في تفسير الآية المذكورة ج ٢٠ ص ١٣٠: «قوله:

وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً أي بالغا في التطهير لا تدع قذارة إلاّ أزالها، و من القذارة قذارة الغفلة عن اللّه سبحانه و الاحتجاب عن التوجّه إليه فهم غير محجوبين عن ربهم و لذا كان لهم أن يحمدوا ربهم كما قال: وَ آخِرُ دَعْوٰاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ [يونس: ١٠]، و قد تقدّم في تفسير الحمد: أنّ الحمد وصف لا يصلح له إلاّ المخلصون من عباد اللّه تعالى لقوله: سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ إِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ [الصافات: ١٦٠].

و قد أسقط تعالى في قوله: «و سقاهم ربهم» الوسائط كلّها و نسب سقيهم إلى نفسه، و هذا أفضل ما ذكره اللّه تعالى من النعيم الموهوب لهم في الجنّة».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٦٤

روى المجلسي رحمه اللّه في «البحار» ج ٢٤ ص ٢٦٦ الحديث ٢٩ عن الحسن بن

سليمان في كتاب «المختصر» باسناده عن أبي الورد عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«تسنيم أشرف شراب أهل الجنّة يشربه محمّد و آل محمّد صرفا، و يمزج لأصحاب اليمين و لسائر أهل الجنّة».

المراد من التسنيم الذي جاء في سورة المطففين و الذي هو شراب للمقربين، و الآيات هذه:

إِنَّ الْأَبْرٰارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرٰائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتٰامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ وَ مِزٰاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ [المطففين: ۲۳- ۲۸].

و روي الكليني في «روضة الكافي» ص ۹۵ الحديث ٦٩ باسناده عن محمّد بن إسحاق المدني عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سئل عن قول اللّه و جلّ: **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً [مريم: ۸۵].**

فقال: يا علي إنّ الوفد لا يكونون إلاّ ركبانا أولئك رجال اتّقوا اللّه فاحبّهم اللّه و اختصّهم و رضي أعمالهم فسمّاهم المتقين» ...

إلى ان قال:

«و على باب الجنّة شجرة إنّ الورقة منها ليستظلّ تحتها ألف رجل من الناس، و عن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكّية، قال: فيسقون منها شربة فيطهّر اللّه بها قلوبهم من الحسد و يسقط من أبشارهم الشعر، و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ:

وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً. من تلك العين المطهّرة». الحديث.

و روى الشيخ الطوسي رحمهم اللّه في «التهذيب» ج ۱ ص ۲۵۱ الحديث ۹ في فضل المساجد باسناده عن عبد اللّه بن يحيى الكاهلي عن الصادق عليه السّلام عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال (في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۶۵

و قد سبق هذا في المقدمات مرارا.

و لعدم المناسبة بينه و بين نبيّه صلّى اللّه عليه و آله قال تعالى:

وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمىٰ [الأنفال: ۱۷].

و قال النّبيّ عليه السّلام بنفسه:

«من رآني فقد رأى الحقّ» [۳۵].

مسجد الكوفة):

«في وسطه عين من دهن و عين من لبن و عين من ماء شراب للمؤمنين و عين من ماء طهر للمؤمنين». الحديث.

ذكر فخر الدين العراقي في «لمعات» ص ۱۰۱: كتب يحيى معاذ رازي إلى بايزيد:

مست أز مى عشق آنچنانم كه اگر

يك جرعه أز اين بيش خورم نيست شوم



و كتب بايزيد في جوابه:

شربت الحبّ كأسا بعد كأس فما نفد الشراب و ما رويت

قال الواسطي م ٣٢٠: «مقامات الواجدين أربعة: الذهول ثمّ الحيرة، ثمّ السكر، ثمّ الصحو، كمن سمع بالبحر ثمّ دنا منه، ثم دخل فيه، ثمّ أخذته الأمواج». مصباح الهداية ص ١٣٧.

قال ابن العربي في «الفتوحات» ج ١٢ ص ٥٦٥ ط. ج و ص ١١١ ح ٢ ط ق: «ما شراب الحبّ؟ الجواب: تجلّ متوسط بين تجلّيين، و هو التجلّي الدائم الّذي لا ينقطع و هو أعلى مقام يتجلّى الحقّ فيه لعباده العارفين، و قال: ما الكأس؟ الجواب: القلب من المحبّ ... فانّ القلب يتقلّب من حال الى حال، كما أنّ اللّه الّذي هو المحبوب «كل يوم هو في شأن» فينوّع المحبّ في تعلّق حبّه بتنوّع المحبوب في أفعاله ...

و شرابه (أى الحبّ) عين الحاصل في الكأس، و قد بيّنا أنّ الكأس هو عين المظهر، فالشراب عين الظاهر فيه، و الشراب ما يحصل من المتجلّى للمتجلّى له».

(٣٥) قوله: من رآني فقد رأى الحق.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٦٦

أخرجه البخاري الجزء التاسع، كتاب التعبير الباب ١٠٢٩ الحديث ١٨٣٠ باسناده عن أبو قتادة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و أخرجه مسلم أيضا في صحيحه ج ٤ ص ١٧٧٦ كتاب الرؤيا الباب ١ الحديث ٢٢٦٨.

أقول: هذا هو رؤية جمال الحق سبحانه و جلاله تعالى في مظهره التّام و مجلاه الأتمّ و مرآته الأصفى، لأن النبيّ الخاتم هو الإنسان الكامل الّذي يعبّر عنه بـ «عبده» أي العبد المطلق للغيب المطلق، و هو مجمع الأسماء الحسنى كلها و مظهر الإسم الأعظم بل هو هو، و هو الآية الكبرى للّه سبحانه و تعالى، و خليفته.

و لعلّ هذا أحد معاني أو ادقّ معاني قوله عليه السّلام:

«المؤمن مرآة المؤمن».

المراد من «المؤمن» الأوّل، الإنسان الكامل و قلبه، و من الثاني هو اللّه سبحانه و تعالى، لأن «المؤمن» من الأسماء الحسنى.

روى الطبرسي في مشكاة الأنوار الفصل السابع ص ٣٣ عن «المحاسن» عن الباقر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه عليه السّلام:

«إنّ جلّ ثناؤه يقول: و عزّتي و جلالي ما خلقت من خلقي خلقا أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، و لذلك سمّيته باسمي مؤمنا». الحديث، و عنه البحار ج ٧١ ص ١٥٨.

و روى المجلسي في «البحار» ج ٧٥ ص ٣٦٤ و ج ٧٧ ص ١٩٣ و ج ٧٨ ص ٢٧٦ عن الشهيد الثاني في كتاب الغيبة باسناده عن عبد اللّه بن سليمان النوفلي عن الصادق عليه السّلام عن آبائه، عن علي عليهم السّلام عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«نزل جبرئيل عليه السّلام فقال: يا محمّد إنّ اللّه يقرء عليك السلام و يقول: اشتققت للمؤمن اسما من أسمائي سمّيته مؤمنا فالمؤمن منّي و أنا منه من استهان بمؤمن فقد استقبلني بالمحاربة».

و هناك آيات و روايات تؤيّد ما ذكرنا أو تفسّر ما قلنا و هي:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٦٧

إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً [البقرة: ٣٠].

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها [البقرة: ٣١].

وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر: ٢٩].

قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا [البقرة: ٣٤].

كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ [يس: ١٢].

وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ [الذّاريات: ٢١].

و لهذا يكون اطاعة الرسول اطاعة اللّه و اتّباعه اتّباع اللّه و حبّه حبّ اللّه سبحانه و تعالى و فعله فعل اللّه:

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ [النساء: ٨٠].

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ [آل عمران: ٣١].

وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ [الأنفال: ١٧].

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«من أطاعني فقد أطاع اللّه و من عصاني فقد عصى اللّه». صحيح البخاري كتاب الأحكام الحديث ١.

و امّا الأحاديث فهي:

«إنّ اللّه خلق آدم على صورته» «قلب المؤمن بيت الربّ» «انّ للّه تعالى في الأرض أواني ألا و هي القلوب» كنز العمال ج ١ ص ٢٤٣.

«لا يسعني أرضي و لا سمائي و يسعني قلب عبدي المؤمن».

«إنّ للّه آنية من أهل الأرض و آنية ربّكم قلوب عباده الصالحين». كنز العمال ج ١ ص ٢٤١.

«ان اللّه خلق الإنسان فتجلّى فيه».

«الإنسان سرّى و أنا سرّه»

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٦٨

و قال غيره: «سبحاني ما أعظم شأني، و أنا الحقّ» و أمثال ذلك «٣٦».

(في بيان مقام الفناء في التوحيد، و فناء العارف في المعروف)

و هذا المقام يسمّى مقام الفناء في التوحيد أعني مقام فناء العارف في المعروف، و المحبّ في المحبوب، و الشاهد في المشهود، بمحو الاثنينيّة الاعتباريّة، و رفع الإنانيّة المانعة عن الوصول إليه، كقول بعضهم فيه:

بيـنـي و بيـنـك إنّي يـنـازعـنـي فأرفع بلطفك إنّي من البين

«۳۷» و ليس المراد بهذا الفناء فناء الأعيان، حتّى يتوهّم المحجوب منه ذلك، بل المراد بعد الفناء في العرفان على الوجه الّذي قرّرناه مرارا، لأنّ الأنبياء و الرّسل و الأولياء و العارفين منهم كانوا فانين فيه، باقين به،

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

«أوّل ما خلق اللّه نوري ابتدعه من نوره و اشتّقه من جلال عظمته».

«خلقت من نور اللّه عزّ و جلّ و خلق أهل بيتي من نوري» «خلقت محمّدا أوّلا من نور وجهي» و راجع في ما ذكرناه تتميما للبحث و مزيدا للفائدة تعليقنا الرقم ۳۰ الجزء الأوّل ص ۲٤۳ و أيضا تعليقنا ۲۱ الجزء الثاني ص ٥۳، و ص ٥٥۳ التعليق ٦- ۳٥٤.

(۳٦) قوله: سبحاني ما أعظم شأني هذا من كلمات أبي يزيد البسطامي «نصّ النصوص» ص ۲۰۳ (و راجع أيضا شصحات الصوفيّة تأليف عبد الرحمن بدوي ص ۳۰) و أمّا قوله: «أنا الحق» قاله الحلاّج، راجع أيضا نفس المصدر. [.....]

(۳۷) قوله: بيني و بينك الشعر.

قاله الحلاّج، ديوان الحلاّج ص ۹۰، و مرّ ذكره أيضا في الجزء الثاني ص ٤۲۷.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٦٩

و أعيانهم كانت موجودة، مع أنّهم فانين، فافهم جدّا، فانّ فناء نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله لا يمنع عن المآكل و المشارب و المناكح أيضا، و قوله:

«لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل» «٣٨».

إشارة إلى مقام الفناء، و قوله:

أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ [الكهف: ١١٠].

إشارة إلى مقام البقاء، وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [العنكبوت: ٤٣].

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [القصص: ٨٨].

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى‏ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [الرحمن: ٢٧ و ٢٦].

كما سبق تأويلهما إشارة إليه.

---

(٣٨) قوله: لي مع اللّه وقت.

رواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٢٤٣ و ج ١٨ ص ٣٦٠ مع زيادة:

«و لا عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان» الظاهر انّه إشارة أو فيه إشارة إلى المقام الّذي نعبّر عنه بمقام «أو أدنى» و مقام العنديّة في قوله تعالى:

قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى‏ [النجم: ٩].

و قوله تعالى:

عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر: ۵۵].

و الذي هو مقام فوق مقام التجرّد للإنسان، و فوق مرتبة «الخلق و الأمر» أي تجرّد الإنسان عن الكونين و استغراقه باللقاء و النجوى، فلا يكون بينه و بين اللّه سبحانه و تعالى أحد حتّى نفسه الّذي عبّر به بالمرسل.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۷۰

و مثال فناء العبد في الرّبّ- إن لم تفهم هذه العبارة- كفناء نور الكواكب في نور الشّمس عند استوائها في قطب الفلك، أو فناء الأمواج في البحر على التّواتر و التّوالي، كما قيل:

البحر بحر على ما كان من قدم ان الحوادث أمواج و أنهار

«۳۹».

و لهذا قيل: الباقي باق في الأزل، و الفاني فان لم يزل.

و علم اليقين، و عين اليقين، و حق اليقين إشارة إلى المعارف الثلاث، و لهذا حق اليقين خصّ بمقام الفناء و اضمحلال رسم العبد في الرّبّ، كما أشاروا إليه: «انّما ثبت الحق عند اضمحلال الرّسم».

و بالجملة فإذا حصل للشخص هذا الفناء، و فنى وجوده في وجود الحق، و ذاته في ذاته، و صفاته في صفاته، و انمحى رسمه و زال عنه اسمه، كفناء

نور الكواكب في نور الشمس، و شاهد الحق بالحق على ما هو عليه في مظاهر كمالاته و صفاته، و عرف معنى:

كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ [القصص: ٨٨].

و شاهد سرّ قوله:

فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ [البقرة: ١١٥].

عرف أنّ العارف لم قال: «إذا تمّ الفقر فهو اللّٰه».

و لم قال: «سبحاني ما أعظم شأني».

و لم قال: «من مثلي و هل في الدارين غيري».

---

(٣٩) قوله: البحر بحر، الشعر منسوب إلى ابن العربي و ثمامة:

لا يحجبنّك أشكال يشاكلها عمّن تشكّل فيها فهي أستار

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٧١

و قوله تعالى:

رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا وَ اغْفِرْ لَنٰا إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم: ٨].

هداية إلى طلب هذا النور الّذي يفني ظلمة وجوده، و يوصله إلى ربّه بقوة

المناسبة و النوريّة و الصفاء و التجرّد، و عدم التقيّد و التعلق بالغير، و لهذا قال في جوابهم:
قِيلَ ارْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً [الحديد: ١٣].
و معناه: اي ارجعوا إلى ورائكم الّذي هو العدم الأصلي، و الفناء الجبلّي اللازم لذوات الإمكان و وجود الحدثان، و قوموا عن عين بصيرتكم، و أخرجوا أنفسكم من ظلمات الأنانيّة و الغيرية، ثم بعد ذلك فالتمسوا النور الحقيقي الموجب لبقائكم أبد الآباد بدخولكم في جنة الذات و عرصة الصفات و عوالم التجلّيات الغير المتناهية.
و عند التحقيق قوله جلّ ذكره:
اللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰاةٍ [النور: ٣۵].
إشارة إلى مشاهدة هذا النور في المراتب الثلاث، لأنّ «المشكاة»، كما سبق تقريره، إشارة إلى عالم الملك، و هو بمثابة الشريعة، و الزجاجة إلى عالم الملكوت، و هو بمثابة الطريقة، و المصباح إلى عالم الجبروت، و هو بمثابة الحقيقة، و الشجرة إلى حضرت العزّة، و هو بمثابة الوجود المطلق الصادر منها جميع المقيّدات المعبّرة عنها بالممكنات، لأنّ النور بالاتّفاق وجود، و الظلمة عدم، و قوله:
نُورٌ عَلىٰ نُورٍ يَهْدِي اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ، إشارة إلى النور الأخير الّذي هو السبب في الشهود و الوصول، و العلة في المناسبة بينه و بين

عبيده، و لهذا قال عقيبه:

وَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [النور: ٣٥].

تنبيه (تنبيها) لعبيده لكي يتحقّقوا أنّ حصول نور المشاهدة موقوف على رفع ظلمة وجودهم الإضافي المجازي.

و في هذا المثال و الآيات الّتي قبله أسرار لا يحمّلها أطباق السموات و الأرض، كما قال:

لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً [الكهف: ١٠٩].

و الغرض من إيراد هذا المثال و تكرار هذه الآيات و الأقوال، أنّها شواهد عدل على صدق ما قلناه، و صحة ما بيّناه من حصول النور و المشاهدة، و رفع الإثنينيّة الاعتباريّة و غير ذلك، و نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله نظرا إلى طلب هذا النور أو إرشادا لأمّته إلى طلبه، قال في دعائه: [٤٠].

---

(٤٠) قوله: قال في دعائه: اللّهم اجعل نورا.

أخرج مسلم في صحيحه ج ١ كتاب صلاة المسافرين الباب ٢٦ باب الدعاء في صلاة الليل و قيامه الحديث ١٨٩ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨١ بأسانيده عن ابن عباس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في صلاته او سجوده قال:

«اللهم! أجعل في قلبي نورا (و في لساني نورا)، و في بصري نورا، و في سمعي نورا و عن يميني نورا، و عن يساري (شمالي) نورا، و فوقي نورا، و تحتي نورا، و أمامي نورا، و خلفي نورا، (و اجعل في نفسي نورا)، و عظّم لي نورا، (اللهم أعطني نورا)، و (أعظم لي

نورا)، و (أجعل لي نورا، و اجعلني نورا).

و أخرجه أيضا ابن الأثير الجزري في جامع الأصول ج ٦ ص ٨٦ الى ٨٣

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٧٣

«اللّهم أجعل نورا في قلبي، و نورا في سمعي، و نورا في بصري، و نورا في لحمي، و نورا في دمي، و نورا في عظامي و نورا من بين يدي، و نورا من خلفي، و نورا من تحتي، و نورا من فوقي، و نورا عن يميني، و نورا عن شمالي، و نورا في قبري، زدني نورا، و أعطني نورا، و أجعل لي نورا بحق حقّك يا أرحم الراحمين».

و إذا تحقّق هذا فنرجع إلى الغرض و نقول:

اعلم، أن المراد من مجموع هذا البحث أنّ الأنبياء و الرسل عليهم السّلام دائما كانوا مراعين لهذه المراتب الثلاث، و آمرين لأمّتهم بمراعاتها، و القيام بأداء حقوقها من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، فيجب على كلّ عاقل القيام بها بقدر القوّة و الطاقة، و الاجتهاد في مراعاتها نظرا إلى تحصيل كماله

فراجع، و أخرجه أيضا أيضا البخاري في ج ٨، كتاب الدعوات، باب ٧١٢، ص ٤٢٢، الحديث ١١٨٦.

و روى أبو حنيفة النعمان محمّد المغربي المتوفي ٣٦٣ هـ في «دعائم الإسلام» ج ١ ص ١٦٦ عن الصادق عليه السّلام كان يقول في صلاة الفجر:

«استمسكت بعروة اللّه الوثقى الّتي لا انفصام لها ... اللهم اجعل لي نورا في قلبي، و نورا في سمعي، و نورا في بصري، و نورا في لساني، و نورا في بشري إلى آخر الدعا. فراجع، و ذكر في آخره: اللهم عظّم لي نورا و نعمة و سرورا، عنه البحار ج ٨٧ ص ٣٥٥ الحديث ٢٢.

و روي أيضا الشيخ الطوسي في «مصباح المتهجّد» ص ٣٣٥ باسناده عن الصادق عليه السّلام من صلاة الحاجة نفس الدعا و الفقرات أكثر، و عنه في البحار ج ٩٠ ص ٤١.

و روى أيضا السيد ابن طاوس في الإقبال ص ٤٣١ (ج ٢ ص ٢٠٧) في ما ورد قراءته بعد صلاة الأضحى، و عنه البحار ج ٩١ ص ٦٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٧٤

و سعادته، بعد نظره على الانقياد الصرف و المطاوعة المحضة، و على هذا ذهب مذهب أهل اللّه و خاصّته، و أرباب التوحيد و خلاصته، فطوبى لعبد يقف أثرهم، و يضع قدمه قدمهم.

و الحمد للّه الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا اللّه، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء، و اللّه ذو الفضل العظيم.

و حيث تقرّر هذا و تحقّق أنّ الشريعة و الطريقة و الحقيقة أسماء صادقة على حقيقة واحدة، الّتي هي الشرع، و ليس بين هذه المراتب مغايرة، فلنشرع في الوجه الثاني، الّذي هو في بيان ترجيح كلّ واحدة من أهل هذه المراتب على الأخرى، و هو هذا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٧٥

الوجه الثاني: في بيان أنّ أهل الحقيقة هم أعلى مرتبة من أهل الطريقة، و أهل الطريقة من أهل الشريعة

(الطريقة كمال للشريعة، و الحقيقة كمال للطريقة)

اعلم، أنّ الشريعة و الطريقة و إن كانت بحسب الحقيقة واحدة، لكن الحقيقة أعلى من الطريقة، و الطريقة من الشريعة، و كذلك أهلها، لأنّ الشريعة مرتبة أوليّة، و الطريقة مرتبة وسطيّة، و الحقيقة مرتبة منتهائيّة، فكما أنّ البداية يكون كمالها بالوسط، فكذلك الوسط يكون كمالها بالنهاية، و كما أنّ الوسط لا يحصل بدون البداية، فكذلك النهاية لا تحصل بدون الوسط، أعني كما لا يصح وجود ما فوقها بدون ما تحتها و يصح بالعكس، فكذلك لا يصح وجود الوسط بدون البداية، و وجود النهاية بدون الوسط، و يجوز بعكس ذلك، أعني تصحّ الشريعة من غير الطريقة، و لا تصح الطريقة من غير الشريعة، و تصح الطريقة من غير الحقيقة، و لا تصح الحقيقة من غير الطريقة كما سبق ذكره، و ذلك لأنّ كلّ واحدة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٧٦

منها كمال للآخر، كالوسط للبداية، و النهاية للوسط، فحينئذ الشريعة و الطريقة و الحقيقة و إن لم تكن بينها مغايرة في الحقيقة، لكن كمال الشريعة لا يكون إلّا بالطريقة، كما أنّ كمال الطريقة لا يكون إلّا بالحقيقة.

(في أنّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله أعظم الأنبياء و جامع للكل)

و على هذا التقدير فالكامل المكمّل يكون هو الجامع لهذه المراتب كلّها،

لأنّ الجامع بين الشيئين أو بين المقامين لا بدّ و أن يكون أفضل منهما و أكمل، كأهل الحقيقة بالنسبة إلى أهل الشريعة و الطريقة، و لهذا صار نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله أعظم الأنبياء و أشرفهم، فإنّه كان جامعا للكلّ لقوله:

«أوتيت جوامع الكلم» «(٤١)».

و قد عرفت سرّ هذا الخبر بوجوه كثيرة، و هذا غير تلك الوجوه، و المراد أنّ المرتبة الجامعيّة الّتي هي مخصوصة به و بأمّته من أرباب الحقيقة و هي أعظم المراتب و أعلاها و أشرفها و أسناها.

(في بيان المراد من المشرق و المغرب في حديث النبويّ صلّى اللّه عليه و آله)

و قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«قبلتي ما بين المشرق و المغرب» [٤٢]

---

(٤١) قوله: «أوتيت جوامع الكلم» ذكرناه في التعليق الرقم ٢١.

(٤٢) قوله: «قبلتي ما بين المشرق و المغرب».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٧٧

إشارة إلى هذا، لأنّه أراد به بيان مقام الجمعيّة، لأنّ المشرق قبلة عيسى، و المغرب قبلة موسى، و ما بينهما قبلته صلّى اللّه عليه و آله، فيكون هو صلّى اللّه عليه و آله جامعا لهما أي جامعا لمقاميهما اللّذين هما عبارة عن

قبلتيهما، و هذا بحسب الظاهر.

فأمّا بحسب الباطن فالمشرق عالم الأرواح و الروحانيّات مطلقا، و المغرب عالم الأجسام و الجسمانيّات كذلك، أو عالم الظاهر و عالم الباطن و غير ذلك من العوالم، و ما بينهما البرزخ الجامع الّذي هو مقامه صورة و معنى، معنى كالحضرة الواحديّة المخصوصة بالحقيقة الإنسانية الّتي هي حقيقته، و صورة كصورة الإنسان الجامع بين العالمين الّتي هي مظاهره، أو معنى كجامعيّته لمعاني الأنبياء و الرسل كلّها، أو صورة كجامعيّته لصورة شرايعهم و أديانهم بأسرها كما ستعرفه مفصّلا و عرفته مجملا.

فكمال موسى عليه السّلام و أمّته كان في الإطلاع على حقايق عالم الأجسام

أخرجه ابن ماجة في (سننه ج ١ كتاب إقامة الصلاة باب القبلة الحديث ١٠١١ ص ٣٢٣) باسناده عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«ما بين المشرق و المغرب قبلة».

و أخرجه أيضا ابن الأثير الجزري في (جامع الأصول ج ٥ في الفصل الرابع في استقبال القبلة ص ٢٩٧ الحديث ٣٣٧٨)، و الحاكم في (المستدرك ج ١ ص ٢٠٥)، بنفس العبارة يعني بدل «قبلتي» «قبلة»، و هكذا روى الكليني في (الكافي ج ٣ ص ٢١٥ الحديث ٢ بإسناده عن الإمام الرضا عليه السّلام) و كذا الصدوق في (عيون أخبار الرضا ص ٢٥٩ الحديث ٨)، و أيضا الشيخ الطوسي في (الفقيه ج ١ ص ١٨٠ الحديث ٨٥٥) عن الإمام الباقر عليه السّلام.

و راجع في بيان الحديث تفسير صدر المتألّهين ج ۷ ص ۲۳٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۷۸

و الجسمانيّات و مدارجها و مراتبها، و كمال عيسى عليه السّلام و أمّته كان في الإطلاع على حقايق عالم الأرواح و الروحانيّات و مدارجها و مراتبها، و كمال محمّد صلّى اللّه عليه و آله و أمّته كان في الإطلاع على كليهما أي عالمي الأرواح و الأجسام، و لهذا قال تعالى في حقّه و نوره الّذي هو عبارة عن حقيقته:

لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّةٍ [النور: ۳۵].

و قال تعالى في حقّ أمّته:

جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ [البقرة: ۱٤۳].

(في بيان المراد من المشرق و المغرب الصّوري و المعنوي)

و أمّا وجه المشابهة بين العالمين و المغرب و المشرق الصّوري و المعنوي، و هو أنّ المشرق الصّوري عبارة عن موضع طلوع الشمس و انتشار أنوارها و إشراقها على عالم المحسوس ليصير بها مشرقة نيّرة، و المشرق المعنوي عبارة عن موضع طلوع شمس الحقيقة، و انتشار أنوارها و إشراقها الّتي هي الأرواح و النفوس على أراضي الأجسام و الأجساد الكدرة لتصير بها مشرقة نيّرة حيّة باقية ببقائها كما أشار إليه بقوله:

وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا [الزمر: ٦٩].

و قال الإمام عليه السّلام:

«نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره» [٤٣]

(٤٣) قوله: «نور يشرق من صبح الأزل».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٧٩

فيكون بينهما مناسبة مّا.

و كذلك المغرب لأنّ المغرب الصوري عبارة عن موضع أفول نور الشمس و جرمها و اختفائها فيه، و المغرب المعنوي عبارة عن موضع أفول نور شمس الحقيقة و اختفاء شعائها الّتي هي الأرواح و النفوس، لأنّ أنوارها تغرب فيه و تختفي اختفاء الشمس الصوريّة في مغربها، و لهذا قال:

تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ [الكهف: ٨٦].

و قال:

حديث مشهور كما قال السّيد المؤلف في (جامع الأسرار ص ١٧٠) و ذكر تمام الحديث فيه ص ١٧٠ و ص ٣٨ مع شرحه، فراجع، و أمّا تمام الحديث على ما ذكره هكذا:

قال أمير المؤمنين مخاطبا لكميل بن زياد حين سأله عن الحقيقة بقوله: ما الحقيقة، فقال عليه السّلام له:

«مالك و الحقيقة»؟ قال: أ و لست صاحب سرّك؟ قال: «بلى و لكن يرشح عليك ما يطفح

منّي»، قال: أو مثلك يخيّب سائلا؟ قال: «الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة»، قال: زدني فيه بيانا، قال: «محو الموهوم مع صحو المعلوم»، قال: زدني فيه بيانا، قال: «هتك الستر لغلبة السرّ»، قال: زدني فيه بيانا، قال: «جذب الأحديّة بصفة التوحيد»، قال: زدني فيه بيانا، قال: «نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره»، قال: زدني فيه بيانا، قال: «أطف السراج فقد طلع الصبح».

أقول: هناك توجد روايات عديدة مرويّة عن طرق الفريقين تؤيّد و توضّح هذا الحديث المبارك و هي شاملة على بعض ما فيه من المعارف النورانية. راجع في هذا (البحار ج ٥٨ كتاب السماء و العالم باب الحجب و الأستار ص ٣٩)، (و إحياء علوم الدين للغزالي ج ١ كتاب قواعد العقائد، الفصل الثاني ص ١٠١)، و (صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان باب ٧٩ الحديث ١، ص ١٦١)، و (سنن ابن ماجة ج ١، المقدمة، الحديث ١٩٦ ص ٧١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٨٠

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلاٰفِ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ لَآيٰاتٍ لِأُولِي الْأَلْبٰابِ [آل عمران: ١٩٠].

فيكون بينهما مناسبة مّا أيضا.

و نور نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله حيث لم يكن من عالم الأرواح الصرف، و لا من عالم الأجسام المحض قال:

لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّةٍ [النور: ٣٥].

و معناه أنّه ليس من أرباب عالم الظاهر و المحسوسات، و لا من أهل عالم الباطن و المعقولات بل غيرهما و فوقهما بمراتب غير متناهية، إذ ليس هو

في مقام الأنبياء الّذي هو الحكم بحسب الظواهر مطلقا، و لا من مقام الأولياء الّذي هو الحكم بحسب الباطن مطلقا، بل غيرهما بحسب المقامات و المعلومات، و فوقهما بحسب الجامعيّة و المجموعيّة، و يعرف هذا من شرايعهم و أديانهم كما سبق ذكره.

و لهذا جاء موسى عليه السّلام بتكميل الظواهر مضافا إليه تكميل بعض البواطن، و قد حقّق هذا في التوراة و ما فيها من الأحكام، و جاء عيسى عليه السّلام بتكميل البواطن مضافا إليه تكميل بعض الظواهر، و قد حقّق هذا في الإنجيل و ما فيه من الأسرار، و جاء نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله بتكميل الطرفين و الجمع بين المرتبتين لقوله:

«أوتيت جوامع الكلم» «٤٤» و لقوله:

---

(٤٤) قوله: «أوتيت جوامع الكلم» راجع التعليق الرقم ٤١ و ٣١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٨١

«قبلتي ما بين المشرق و المغرب» «٤٥» و قد حقّق هذا أيضا في القرآن و ما فيه من الأحكام و الأسرار الجامعة لهذه المعاني، و بالحقيقة تسميته بالقرآن لم يكن إلّا لجمعيّته لأنّ القرء في اللغة هو الجمع كما مرّ ذكره قبل هذا، و لهذا قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«أنا القرآن الناطق، و أنا كتاب اللّه الجامع» «٤٦» لأنّه جامع للمرتبتين، حاو

للمقامين، أي الظاهر و الباطن، و قال غيره من العارفين:

---

(٤٥) قوله: «قبلتي» راجع التعليق الرقم ٤٢.

(٤٦) قوله: «أنا القرآن الناطق».

روى المجلسي في (البحار، ج ٨٢ ص ١٩٩) عنه عليه السّلام قال:

«أنا كلام اللّه الناطق». أيضا روى في (البحار، ج ٣٩ ص ٧٦) عن (المناقب) لابن شهر آشوب عن ابن عبّاس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انّه قال:

«أعطاني اللّه جوامع الكلم و أعطى عليّا جوامع الكلام» روى المفيد رحمه اللّه في أماليه المجلس الأوّل الحديث ٢ باسناده عن الأصبغ بن نباتة عن عليّ عليه آلاف التحيّة و السلام قال:

«فنحن الأوّلون و نحن الآخرون، ... أوتيت فهم الكتاب و فصل الخطاب إلى أن قال: و أمددت بليلة القدر نفلا، و إنّ ذلك يجري لي و لمن استحفظ من ذرّيتي ما جرى الليل و النهار حتّى يرث اللّه الأرض و من عليها». الحديث.

روى الطوسي رحمهم اللّه في كتابه (الأمالي، الجزء الرابع ص ١٠٢) في حديث طويل بإسناده عن ابن عباس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«أعطاني اللّه جوامع الكلم و أعطى عليا جوامع العلم» الحديث، فراجع.

عنه (البحار، ج ٨ ص ٢٧ الحديث ٣١).

و راجع أيضا (الجزء الأوّل ص ٢١٤، التعليق ١٩ و ٢٠).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٨٢

أنـا الـقـرآن و الـسـبـع الـمـثـانـي   و روح الـروح لا روح الأوانـي

«٤٧» و ذلك أيضا لجامعيّته المرتبة الجمعيّة المحمّديّة، و قد أورد بعض الفضلاء هذا المعنى بعينه في بعض تصانيفه و هو قوله: لمّا كان التكميل

الموسوي في طريق الكمال المطلق النوعي، كان ميله إلى تكميل الجزء الأخس للإنسان و هو البدن، و لذلك شحنت التوراة ببيان مصالح المعاش، و لمّا كان عيسى عليه السّلام أكمل منه كان تكميله للجزء الأشرف منه و هو النفس، و لذلك شحن الإنجيل ببيان مصالح المعاد، و لمّا كان محمّد صلّى اللّه عليه و آله قد جاز الكمال المطلق النوعي، كان تكميله لجزئي الإنسان معا، فان كمال المركب هو إكمال جميع أجزائه الماديّة و الصوريّة، و هو سلوك الفضيلة، و هذا هو سرّ رفع الرهبانيّة في دينه، ففقهاء أمّته عليه السّلام و علماءها مشبهون بموسى عليه السّلام في تكميل الظواهر، و الحكماء الإسلامية و أمثالهم من أرباب المعقول مشبهون بعيسى عليه السّلام في تكميل البواطن، و العارفون المحققون مشبهون بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله في تكميل البواطن و الظواهر، لقيامهم بالمراتب الثلاثة المذكورة من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و يعضد ذلك قول سلطان العارفين مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام الّذي قال:

«الشريعة و الحقيقة بحر، فالفقهاء حول النهر يطوفون و الحكماء في البحر على الدر يغوصون و العارفون على سفن النجاة يسيرون» «٤٨»

(٤٧) أنشده محيي الدين ابن عربي كما ذكره في (الفتوحات ج ١ ص ٧٠) و في كتابه (الإسراء ص ٤). [.....]

(٤٨) قوله: «الشريعة و الحقيقة بحر».

قد مرّت الإشارة إليه في تعليقنا الرقم ٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٨٣

(في أنّ أهل الشريعة بإزاء الفقهاء و ...)

و إذا عرفت هذا فقس عليه أهل الشريعة و أهل الطريقة و أهل الحقيقة، فإنّ كلّ واحدة منها بإزاء تلك المراتب، فإنّ أهل الشريعة بإزاء الفقهاء و من في مرتبتهم، و أهل الطريقة بإزاء العلماء و الحكماء و من في مقامهم، و أهل الحقيقة بإزاء العارفين و من في منازلهم، و كذلك موسى و أمته، و عيسى و أمته، و محمّد صلّى اللّه عليه و آله و أمّته، فإنّ كلّ واحد منهم بإزاء كلّ واحدة منهم، فالمرتبة الجامعيّة حينئذ يكون مخصوصة بالعارفين المحققين من أمّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله المعبّرة عنهم بأهل الحقيقة، و يكونون هم أعلى و أعظم و أشرف و أفضل من أهل المرتبتين الباقيتين، و هذا هو المقصود من هذا البحث في هذا الوجه، و لعظمة قدرهم و جلالة شأنهم انتظموا تارة في سلك اللّه و ملائكته، لقوله تعالى:

شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلاٰئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ [آل عمران: ١٨].

و تارة في سلك اللّه وحده لقوله:

وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [آل عمران: ٧].

و لهذا خصّوا أيضا في التقسيم بخاصّ الخاصّ و المقرّبين و السابقين، لأنّ التقسيم وقع على العوام و الخواص و خاص الخاص، و على أصحاب

اليمين و أصحاب الشمال و المقربين، و على الظالم لنفسه و المقتصد و السابق بالخيرات، و في الكلّ، الأخير مخصوص بهم كما بيّناه غير مرّة عقلا و نقلا، و دليل آخر على ذلك، أي على خصوصيّتهم بهذا المقام قوله

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٨٤

تعالى:

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ [آل عمران: ٧].

لأنّ القائل بأنّ الكلّ من عند ربّنا على التحقيق ليسوا إلاّ هم، بخلاف الأشاعرة و المجبرة المحجوبين بأنفسهم عن هذا المقام، لأنّ المشاهدة الكلّ عن الربّ الحقيقي بحيث لا يلزم نقص في تقديسه و تنزيهه، موقوفة على التوحيد الصرف برفع الإثنينيّة الاعتباريّة مطلقا المعبّر عنها بالتوحيد الفعلي و الوصفي و الذاتي أيضا، و ليس لغيرهم هذه المرتبة، و لا يعتقدون فيها، فضلا عن حصولها، و قوله عقيبه:

وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ [آل عمران: ٧].

تأكيد لهذا المعنى، و معناه أنّ هذا السرّ الشريف العظيم، لا يعرفه على ما ينبغي إلاّ أولوا الألباب من عباده الموصوفين بالرسوخ في العلم الحقيقي و التوحيد الفعلي و الوصفي و الذاتي، و قد عرفت تحقيق أولى الألباب و الراسخين في العلم عند بحث التقوى و التعليم الإلهي للعبد، و عند تقسيم العلوم و تعريف الشيخ و المرشد و غير ذلك.

(في حاجة الشرع إلى العقل، و حاجة العقل إلى الشرع)

و إذا ثبت هذا و تقرّر أنّ مرتبة أهل الحقيقة من جميع الوجوه أعلى من

مرتبة أهل الطريقة و الشريعة، و إن كانوا هم في الحقيقة واحدة، فلنشرع في الوجه الثالث، و بيان احتياج الشرع إلى العقل، و احتياج العقل إلى الشرع، و اعتضاد كلّ واحد منهما بالآخر، لئلاّ يتوهّم الجاهل أنّ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٨٥

الشرعيّات خلاف العقل، و لا (و أنّ) العقليّات خلاف الشرع، فإنّ كثير من النّاس وقعوا في هذا و ضلّوا و أضلّوا كثيرا من عباد اللّه بغير علم، لقوله تعالى فيهم و في مخاصميهم حين المنازعة في الآخرة:

وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنٰا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاّٰنٰا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُمٰا تَحْتَ أَقْدٰامِنٰا لِيَكُونٰا مِنَ الْأَسْفَلِينَ [فصّلت: ٢٩].

و أمثال ذلك كثيرة في القرآن، و اللّه أعلم و أحكم، و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٨٦

الوجه الثالث في بيان احتياج العقل إلى الشرع، و افتقار الشرع إليه، و اعتضاد كلّ واحد منهما بالآخر

اعلم، أنّ هذا البحث يحتاج إلى مقدّمة، و هي أن تعرف أنّ الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام كلّهم أطبّاء النفوس و معالجي القلوب، كما أنّ الحكماء و الأطبّاء كلّهم أطباء الأبدان و معالجي الجسد، أعني كما أنّ أطباء الأبدان يعرفون إزالة الأمراض البدنيّة عن أبدان المرضى الصوريّة بحسن معالجتهم و لطف طبابتهم بواسطة الأشربة و المعاجين، فكذلك أطباء النفوس، فإنهم

يعرفون إزالة الأمراض النفسانيّة عن نفوس المرضى المعنويّة بحسن معالجتهم و لطف إرشادهم و هدايتهم بواسطة العلوم و المعارف الحقيقيّة، و لهذا ورد في اصطلاحهم في تعريف الطب الروحاني، و الطبيب الروحاني، و الشيخ و المرشد ما يوافق ذلك، كقولهم في الطبّ الروحاني «٤٩»:

(٤٩) قوله: الطب الروحاني و الطبيب الروحاني.

التعريف من كمال الدين عبد الرزاق القاساني كما في «اصطلاحات الصوفيّة»، ص ٦٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٨٧

«الطب الروحاني هو العلم بكمالات القلوب و آفاتها و أمراضها و أدوائها، و بكيفيّة حفظ صحّتها و اعتدالها و ردّ أمراضها عنها».

و كقولهم في الطبيب:

«الطبيب الروحاني هو الشيخ، العارف بذلك، القادر على الإرشاد و التكميل».

و كقولهم في الشيخ السابق ذكره: «٥٠» «الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة و الطريقة و الحقيقة، البالغ إلى حدّ التكميل فيها، لعلمه بآفات النفوس و أمراضها و أدوائها، و معرفته بدوائها، و قدرته على شفائها، و القيام بهداها إن استعدت و وفقت لاهتدائها».

فكما أنّ المريض الصوري لا يجوز له الاعتراض على الطبيب الصوري في علاجه و دوائه و تركيب الأدوية و الأشربة و المعاجين و غير ذلك، فكذلك المريض المعنوي فإنّه لا يجوز له الاعتراض على الطبيب المعنوي في إرشاده و هدايته و كيفيّة رياضاته و مجاهداته في التكاليف الشاقة و الأعمال البدنيّة الصعبة، لأنّ الاعتراض على الطبيب مطلقا صوريا أو معنويّا لا يزيد في المريض إلاّ المرض، لأنّ المريض الصوري إذا أعترض على الطبيب الصوري، ينفر منه الطبيب و يترك علاجه، و إذا ترك

(٥٠) قوله: كقولهم في الشيخ ذكره عبد الرزاق القاساني في «اصطلاحات الصوفيّة» ص ١٥٤، و سبق ذكره أيضا في التعليق ٢٤.

علاجه زاد مرضه أو مات و هلك، و كلاهما قبيح، و مع قبحه يوجب للهلاك الصوري و زوال الحياة عن صاحبها.

و كذلك المريض المعنوي، فإنّه إذا أعترض على الطبيب المعنوي ينفر الطبيب منه و ترك علاجه الّذي هو إرشاده، و إذا ترك علاجه زاد مرضه المعنوي الّذي هو الضلال و الإضلال، لقوله تعالى:

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضاً [البقرة: ١٠].

أو مات بالموت الحقيقي الّذي هو الكفر و النفاق، لقوله تعالى:

أَ و مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها [الأنعام: ١٢٢].

و كلاهما قبيح، و مع قبحه موجب للهلاك الأبدي و الشقاء السرمدي، فحينئذ كما أنّ المريض الصوري الذي يريد الصحة الكليّة، يجب عليه تناول الأشربة المنفرة للطبع من يد الطبيب الصوري طوعا و كرها من غير اعتراض و لا منع، فكذلك المريض المعنوي الّذي هو الصحة الكلّيّة، فإنّه يجب عليه أيضا تناول الأشربة المنفرة للطبع، الّتي هي التكاليف الشاقّة على أنواع طبقاتها من يد الطبيب المعنوي طوعا و كرها من غير اعتراض و لا منع، و إلى هذا المعنى أشار الحق تعالى في قوله بالنسبة إلى نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله:

فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً [النساء: ٦٥].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٨٩

(في أنّ مالا يكون مطابقا لعقل الناس أحيانا و ظاهرا لا يلزم أن يكون حقا و صدقا)

و المراد من هذا البحث في هذه المقدّمة أنّ يتحقق عندك و عند غيرك أنّ القواعد الّتي قد تقدّم تقديرها، و الضّوابط الّتي قد تقرّر تمهيدها، خصوصا من بحث الشريعة و الطريقة و الحقيقة حق و صدق، و كلّ واحدة منها في نفسها لا ينبغي إلاّ كذلك، و لا يعترض أحد على أحد منهم في شيء منها و

لا يقول إنّ هذا خلاف العقل أو خلاف النقل، لأنّ كلّ ما يكون خلاف عقل زيد مثلا، لا يجب أن يكون خلاف عقل عمرو، و خصوصا عقول الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام، فإنّ عقولهم أكمل العقول، كما أنّ نفوسهم أكمل النفوس، و التفاوت بين عقولهم و عقول الخلق بعينه التفاوت بين نفوسهم و نفوس الخلق، و معلوم أن بينهما بون بعيد، و من أنكر ذلك فهو جاهل سفيه، مكابر لعقله، لا يلتفت إليه، و ليس هو المخاطب لهذا الكلام، و كذلك النقل، لأنّك ما أنت في صدد أن كلّ نقل ورد في الوجود سمعته و عرفته، و إن سمعته و عرفته عرفت معناه و تحققت فحواه، لأنّ هناك نقل كثير ما قرع سمعك أبدا ذكره، و لا عرفت معناه، كما قال جلّ ذكره:
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر [٥١].

---

(٥١) قوله: أعددت لعبادي الصالحين.

رواه أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان في سورة السجدة الآية ١٧ و قال: قد ورد

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٩٠

في الصحيح عن النبي صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: الحديث.

و أخرجه ابن ماجة في سننه ج ٢ كتاب الزّهد باب صفة الجنّة ص ١٤٤٧.

و في حديث آخر أخرجه كنز العمال ج ١٤ الحديث ٣٩٢٤١:

«إنّ في الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر» و في حديث المعراج رواه الديلمي في «ارشاد القلوب» ص ٢٠٠:

«يا أحمد: إنّ في الجنّة قصرا من لؤلؤ فوق لؤلؤ، و درّة فوق درّة، ليس فيها قصم (فصم) و لا وصل، فيها الخواصّ، أنظر إليهم كلّ يوم سبعين مرّة و أكلّمهم، كلّما نظرت إليهم أزيد في ملكهم سبعين ضعفا، و إذا تلذّ أهل الجنّة بالطعام و الشراب تلذّدوا أولئك بكلامي و ذكري و حديثي الحديث».

و في حديث رواه المجلسي في «البحار» ج ٨ باب الجنة و نعيمها الحديث ١٠٩ عن التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«يا عليّ! في الجنة من القصور ... و قصر من نور ربّ العزّة». الحديث.

و في حديث آخر الحديث ١٣٨:

«في الجنة قصرا من نور ربّ العالمين».

أيضا فيه الحديث ١٩٨ عن كتاب حسين بن سعيد بإسناده عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه الصلاة و السلام قال:

«إنّ اللّه خلق جنّة لم يرها عين و لم يطّلع عليها مخلوق، يفتحها الربّ تبارك و تعالى كلّ صباح فيقول: ازدادي طيبا ازدادي ريحا، فتقول: قد أفلح المؤمنون، و هو قول اللّه تعالى:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ.

و رواه أيضا علي بن إبراهيم القمي في تفسيره في تفسير سورة السجدة الآية ١٧ بإسناده

عن عاصم بن حميد عن الصادق عليه السّلام في حديث طويل فراجع إلاّ أنّ فيه: «أنّ اللّه خلق الجنة بيده، و لم يرها عين». الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٩١

و معلوم أنّ أكثر الأوضاع الشرعيّة و الأحكام الإلهيّة، خلاف الإدراكات العقليّة و التّصرف الحسيّة، فلا يجوز حينئذ الاعتراض على واحدة منها، لأنّ الأنبياء و الأولياء، عليهم السّلام، الّذين حكموا بها، لو لم يكن موافقا لعقلهم لم يكونوا مأمورين من عند اللّه بأدائها ما حكموا بها، و لا كلفوا العباد بالقيام

روى الصدوق في «أمالي» في المجلس الحادي و الثمانون الحديث ١ ص ٤٣٥.

بإسناده عن سفيان الثوري، عن الباقر عليه السّلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام (في حديث) قال:

«من تصدق بصدقة في رجب ابتغاء وجه اللّه، أكرمه اللّه يوم القيامة في الجنة من الثواب بما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر».

أيضا روي فيه في «المجلس الثمانون» الحديث ١ ص ٤٣١ بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: (الحديث طويل قال صلّى اللّه عليه و آله فيه):

«من صام من رجب أربعة عشر يوما أعطاه اللّه من الثواب مالا عين رأت و لا أذن سمعت

و لا خطر على قلب بشر». الحديث.

و نشير في المقام إلى بعض آيات القرآن المباركة الّتي يكون ما جاء في الروايات المذكورة كالتطبيق و الجري أو كالتفسير لها أحيانا كما كان في نفس بعض تلك الروايات بالنسبة إلى بعض هذه الآيات، و الآيات هذه:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة: ١٧].

وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ٧٢].

لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا وَ لَدَيْنٰا مَزِيدٌ [ق: ٣٥].

وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ [الرحمن: ٤٦].

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر: ٥٥- ٥٤].

فَادْخُلِي فِي عِبٰادِي. وَ ادْخُلِي جَنَّتِي [الفجر ٢٩- ٣٠].

راجع في مصادر الحديث أيضا الجزء الأوّل ص ٣٠٧ التعليق ٦٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٩٢

بأركانها، و كلّ ما يكون موافقا لعقلهم، يكون موافقا لعقل جميع العقلاء، غاية ما في الباب يكون خلاف عقلك و عقل مثلك، فلا يلزم من هذا أنّه ليس بمعقول، و لا موافقا للعقل في نفس الأمر، و بسبب أن أكثر أسرارها و أحكامها خارجة عن طور عقل الخلق، خصوصا أهل الظاهر، منع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله السؤال عن كيفيّته و كميّته، مثل السؤال: أنّ الظهر مثلا

لم كانت أربعة، و المغرب ثلاثا، و الصبح ركعتان و كذلك باقي الأركان الشرعيّة و مثال عجز العقل عن إدراك أسرار الشرع و أحكامه كعجزه عن إدراك سرّ ملك الموت فإنّ العقل ما له قوّة أن يدرك أنّ هناك ملك واحد له قوّة أن يقبض في ساعة واحدة نفس مائة ألف إنسان أو حيوان مع بعد المسافة من المشرق إلى المغرب، و كذلك عن سرّ جبرئيل عليه السّلام، فإنّه لا يعرف و لا يدرك أنّ ملك واحد (ملكا واحدا) كيف ينزل في آن واحد من السابعة، على رأى، و من العرش على رأى إلى الأرض، و يوحي إلى نبيّ من الأنبياء، و يرجع في ذلك الآن أو غيره من الآنات، و على هذا التقدير ليس للمكلّف العاقل أصلح من التسليم للأوامر الإلهيّة و الأحكام الشرعيّة، و التصديق بها مع عدم السؤال عن ماهيّتها و حقيقتها، لأنّه ليس في الشرع شيء خلاف العقل أصلا، و لا في العقل الصحيح خلاف الشرع شيء أيضا، و عند التحقيق ليس بناء التكاليف الشرعيّة و القوانين الإلهيّة إلاّ على العقل و العاقل، و كذلك ظهور الشرع و إجراء أحكامه، فإنّ الكلّ موافق للعقل، مطابق لنظر العاقل إذا كان صحيحا، و بل مدار الوجود كلّه ليس إلاّ على العقل و العاقل، و به ابتدأ الوجود عند الإيجاد، و به يختتم عند الإعدام، و فيه قيل:

«سبحان من ابتدأ بالعقل و انختم بالعاقل».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۹۳

و قد ورد في الحديث النبوي: «۵۲» «أوّل ما خلق اللّه العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، فقال: بعزّتي و جلالي ما خلقت خلقا أحبّ

إليّ منك، بك أخذ و بك أعطي، و بك أثيب و بك أعاقب»، الحديث

(الشرع كالروح للعقل كما أنّ العقل كالبدن للشرع)

و بالجملة مثال الشرع و العقل و احتياج كلّ واحد منهما إلى الآخر، مثال الروح و البدن، و احتياج كلّ واحد منهما إلى الآخر، أعني كما انّ تصرّف الروح و ظهور صفاته و كمالاته لا يمكن إلاّ بالجسد، و ما أشتمل عليه من القوى و الأعضاء، فكذلك تصرف الشرع و ظهور مراتبه و كمالاته، فإنّه لا يمكن إلاّ بالعقل و مراتبه و أقسامه، و قد عرفت مراتب العقل من:

العقل الهيولاني، و العقل بالفعل، و العقل بالملكة، و العقل المستفاد.

فالشرع دائر على هذه المراتب، لأنّ الأولى و الثانية مرتبة العوام، و الثالثة مرتبة الخواصّ، و الرابعة مرتبة خاصّ الخاصّ من الأنبياء و الأولياء صلوات اللّه عليهم أجمعين.

---

(٥٢) قوله: في حديث النبويّ: أوّل ما خلق اللّه العقل.

رواه الصدوق في «الفقيه» ج ٤ ص ٢٦٧ باب النوادر الحديث ١/ ٨٢١، و روى قريبا منه الكليني في «أصول الكافي» باب العقل و الجهل بإسناده عن الباقر عليه السّلام. الحديث ٢٦ و ١، و راجع أيضا الجزء الأوّل تعليقنا الرقم ٧٥ ص ٣١٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٩۴

(في حاجة الشرع إلى العقل و العقل إلى الشرع)

و الغرض أنّ الشرع ليس بمستغن عن العقل، و لا العقل عن الشرع، و قد ذهب إلى هذا أكثر العلماء و العارفين، و أكثر الحكماء الإسلاميين، و منهم الشيخ الكامل أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب الإصفهاني تغمّده اللّه بغفرانه، فإنّه ذكر «٥٣» في كتابه المسمّى ب‍ «تفصيل النشأتين في تحصيل السعادتين» بيان ذلك مفصّلا و هو قوله:

«اعلم أنّ العقل لن يهتدي إلاّ بالشرع، و الشرع لن يتبيّن إلاّ بالعقل، و العقل (فالعقل) كالأس و الشرع كالبناء، و لن يغني أس ما لم يكن بناء، و لن يثبت بناء ما لم يكن أس.

---

(٥٣) قوله: فإنّه ذكر.

ذكره الراغب الإصفهاني في كتابه: «تفصيل النشأتين في تحصيل السعادتين» الباب الثامن عشر ص ٥٠، و في المطبوع حديثا في بيروت ص ١٤٠ الى ص ١٥٣.

و أمّا الراغب نفسه، المعروف أنّه: أبو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضّل الإصبهاني، الملقب بالراغب، المتوفّى ٥٠٢ ه‍ ق.

و هو شافعي في الفقه عند «روضات الجنّات»، و شيعي في العقائد عند «أعيان الشيعة» و عند البعض، كما أنّه معتزليّ عند بعض آخر و «بغية الوعاة»، و من أئمة السنّة عند الإمام فخر الرازي.

له مؤلفات عديدة منها:

«المفردات في غريب القرآن»، و منها «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و منها «تفصيل

النشأتين و تحصيل السعادتين».

راجع روضات الجنات ج ٣، أعيان الشيعة ج ٦، «بغية الوعاة» ج ٢، «الذريعة» ج ٨ و ٢٠.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٩٥

و أيضا فالعقل كالبصر و الشرع كالشعاع، و لن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، و لن يغني الشعاع ما لم يكن بصر، فلهذا (و لهذا) قال تعالى:

قَدْ جٰاءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَ كِتٰابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوٰانَهُ سُبُلَ السَّلاٰمِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ [المائدة: ١٦- ١٥].

و أيضا فالعقل كالسراج و الشرع كالزيت الّذي يمدّه فما لم يكن (فإن لم يكن) زيت لم يشتغل (يحصل) السراج، و ما لم يكن سراج لم يضيء الزيت، و على هذا نبّه بقوله:

اللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إلى قوله نُورٌ عَلىٰ نُورٍ [النور: ٣٥].

(و المراد نور الشرع على نور العقل فإنّه لا يضيئ إلاّ به).

و أيضا فالشرع عقل من خارج، و العقل شرع من داخل، و هما يتعاضدان بل يتّحدان (متّحدان)، و لكون الشرع عقلا من خارج سلب اللّه تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن، نحو:

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ [البقرة: ١٧١].

و لكون العقل شرعا من داخل قال اللّه تعالى في صفة (وصف) العقل:

فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِي فَطَرَ النّٰاسَ عَلَيْهٰا لاٰ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ [الروم: ٣٠].

فسمى العقل دينا، و لكونهما متّحدين قال: نُورٌ عَلىٰ نُورٍ أي نور العقل و نور الشرع، ثمّ قال:

يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاٰءُ [النور: ٣۵].

فجعلهما نورا واحدا، فالعقل إذا فقد عجز الشرع عن أكثر الأمور

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٩۶

الكلّيّة كما إذا فقد الشرع فإنّ العقل يعجز عن أكثر الأمور الجزئيّة، و ذلك لأنّ الشرع كالعين و العقل كالنور أو بالعكس و لا يستغني أحدهما عن الآخر، (فالشرع إذا فقد العقل عجز عن أكثر الأمور، عجز العين عند فقد الشعاع).

ثمّ اعلم أنّ العقل بنفسه قليل الغناء (الفناء) لا يكاد لا يتوصل إلاّ معرفة كلّيّات الشيء (الأشياء) دون جزئيّاته (تها) نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحق، و قول الصدق، و تعاطي الجميل، و حسن استعمال المعدلة (العدالة) و ملازمة العفّة، و نحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيء شيء، و الشرع يعرف كلّيّات الشيء و جزئياته (الأشياء و جزئيّاتها) و يبيّن ما الّذي يجب أن يعتقد في شيء شيء، و ما الّذي هو معدلة في شيء شيء و لا يعرفها (لا يعرّفنا) العقل مثلا: أنّ لحم الخنزير و الدم و الخمر محرّمة، و أنّه يجب أن يتحاشى (يتحامى) من تناول الطعام في وقت معلوم، و أن لا تنكح ذوات المحارم، و أن لا تجامع المرأة في حال الحيض، فإنّ أشباه ذلك لا سبيل إليها إلاّ بالشرع، فالشرع نظام الإعتقادات الصحيحة و الأفعال المستقيمة، و الدال على مصالح الدنيا و الآخرة، من عدل عنه فقد ضلّ سواء السبيل، و

لأجل ألاّ سبيل للعقل إلى معرفة ذلك.

قال اللّه تعالى:

وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً [الإسراء: ١٥].

و قال تعالى:

وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى‏ [طه: ١٣٤].

و إلى العقل و الشرع أشار بالفضل و الرحمة بقوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٩٧

وَ لَوْ لا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلاً [النساء: ٨٣].

و عنى بالقليل: المصطفين الأخيار».

(الإنسان الحقيقي هو الذّي يعبد اللّه سبحانه و تعالى)

ثمّ شرع في بيان من لم يتخصص بالشرع و عبادة الربّ و بيان أنه ليس بإنسان و لا عاقل و إن كان اسمه إنسانا أو عاقلا فقال:

«لمّا كان الإنسان إنّما يصير إنسانا بالعقل و لو توهّمنا العقل عنه مرتفعا لخرج عن كونه إنسانا و لم يكن إذا تخطينا الشبح الماثل إلاّ مثل بهيمة مهملة (إلاّ بهيمة مهملة) أو صورة ممثّلة «٥٤»، و (لمّا كان) العقل لن (لا) يكمل بل لا يكون عقلا إلاّ بعد الاهتداء (اهتداءه) بالشرع كما تقدّم و لذلك نفي العقل (نفى اللّه العقل) عن الكافر لمّا تعرّى عن الاهتداء بالشرع (عن الكفّار لما تعروا عن الهداية بالشرع) في غير موضع من كتابه، و (لمّا كان) الاهتداء بالشرع هو عبادة اللّه تعالى، فالإنسان إذن في

---

(٥٤) قوله: أو صورة ممّثلة.

مثل دائر، يضرب في مدح القدرة على الكلام، ذكره الميداني في «مجمع الأمثال» ج ٢ ص ٣٣٤ الرقم ٣٩٥٨،:

«ما الإنسان لو لا اللسان إلاّ صورة ممثّلة أو بهيمة مهملة».

و ذكره أيضا الطرابلسي في «فرائد اللآلي» ج ٢ ص ٢٥٥، و أضاف:

ما المرء لو لا النطق إلاّ صنم مثّل أو بهيمة يا أسلم

كما ذكره الراغب أيضا في كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة» باب ٥٣ ص ١٧١، قال:

و قيل: «المرء مخبوء تحت لسانه»، قال الشاعر:

لسان الفتى نصف و نصف فؤاده

فلم يبق إلاّ صورة اللحم و الدم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۹۸

الحقيقة هو الّذي يعبد اللّه و لذلك خلق» كما قال تعالى:

وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦].

و كما قال تعالى:

وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفٰاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكٰاةَ [البيّنة: ٥].

و كلّ من (فكلّ ما) أوجد لفعل فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم، و لذلك كثيرا ما يسلب عن الشيء اسمه إذا وجد فعله ناقصا لقولهم للفرس الرديء: ليس هذا بفرس، و للإنسان الرذل: ليس هو بإنسان، و يقال: فلان لا عين له و لا أذن إذا بطل فعل عينه و أذنه و إن كان شبحهما باقيا، و على هذا قال تعالى:

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ [البقرة: ١٧١].

فيمن لم ينتفع بهذه الأعضاء.

فالإنسان يحصل له من الإنسانيّة بقدر ما يحصل له من العبادة الّتي لأجلها خلق، فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانيّة، و من رفضها فقد انسلخ من الإنسانيّة، فصار حيوانا أو دون حيوان، كما قال في صفة الكفّار.

إِنْ هُمْ إِلاّٰ كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً [الفرقان: ٤٤].

و قال تعالى:

إِنَّ شَرَّ الدَّوٰابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ [الأنفال: ٢٢].

فلم يرض أن جعلهم أنعاما و دوابّ حتّى جعلهم أضلّ منها، و جعلهم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٩٩

من أشرارها، و أخرج كلامهم من جملة البيان فقال:

وَ مٰا كٰانَ صَلاٰتُهُمْ عِنْدَ اَلْبَيْتِ إِلاّٰ مُكٰاءً وَ تَصْدِيَةً [الأنفال: ٣٥].

(من لم يكن له دين ليس بإنسان حقيقة)

أن الإنسان لا يكون إنسانا إلاّ بالدين، و لا ذا بيان إلاّ بقدرته على الإتيان بالحقايق الدينيّة، فقال تعالى:

اَلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ اَلْقُرْآنَ خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ عَلَّمَهُ اَلْبَيٰانَ [الرحمن: ١].

فابتدأ بتعليم القرآن ثم بخلق الإنسان ثمّ بتعليم البيان، و لم يدخل الواو بينهما، (فيما بينها)، و كان الوجه على متعارف النّاس أن يقول:

خلق الإنسان، و علّمه البيان، و علّمه القرآن، فإنّ إيجاد الإنسان بحسب نظرنا مقدّم على تعليم البيان، و تعليم البيان مقدّم على تعليم القرآن، لكن لمّا لم يعدّ الإنسان إنسانا ما لم يتخصّص بالقرآن ابتدأ بالقرآن ثم قال: «خلق الإنسان» تنبيها على أنّ بتعليم القرآن جعله إنسانا على الحقيقة، ثمّ قال: «علمه البيان» تنبيها على أنّ البيان الحقيقي المختصّ بالإنسان يحصل بعد معرفة القرآن، فنبّه بهذا الترتيب المخصوص، و ترك حرف العطف منه، و جعل كلّ جملة بدلا ممّا قبلها لا عطفا: على أنّ الإنسان ما لم يكن عارفا برسوم العبادة متخصّصا بها لا يكون إنسانا و أنّ كلامه ما لم يكن على مقتضى الشرع لا يكون بيانا.

فان قيل: فعلى ما ذكرت لا يصحّ أن يقال كلّ كافر إنسان، و قد سمّاهم اللّه

تعالى بذلك في عامّة القرآن.

(قلنا) قيل: أنّا لم نقل إنّا لا نسمّي الكافر إنسانا على تعارف الكافّة،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٠٠

بل (قلنا) قضيّة العقل و الشرع تقتضي أن لا يسمّى به إلاّ مجازا ما لم يوجد منه الفعل المختصّ به، ثمّ إن سمّى به على سبيل تعارف الكافّة (العامّة) فليس بمنكر، فكثير من الأسماء تستعمل على هذا الوجه فبيّن الشرع أن ليس استعماله على ما استعملوه كقولهم: «الغنى» فإنّهم استعملوه في كثرة المال فقالوا:

«ليس الغنى بكثرة المال إنّما الغنى غنى النفس» «٥٥».

فبيّن أنّ الغنى ليس هو كثرة المال، و قال تعالى:

وَ مَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ [النساء: ٦].

أي كثير الأغراض، فاستعمله على ما هو متعارف.

(الإنسان المطلق)

و جملة الأمر أنّ الشيء إذا أطلقه الحكيم على سبيل المدح يتناول الأشرف كقوله تعالى:

وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ [الزخرف: ٤٤].

وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ [الشرح: ٤].

---

(٥٥) قوله: ليس الغنى بكثرة المال ... إلخ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه

باب ٧٨٦ الحديث ١٣١١ ج ٨ ص ٤٦٥ بإسناده عن النّبي صلّى اللّه عليه و آله إنّه قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض و لكنّ الغنى غنى النفس» أيضا أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٧٢٦ كتاب الزكاة باب ٤٠ ح ١٠٥١ و ذكره أيضا ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٨٧٠ سورة الضحى الآية ٨.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٠١

و إن كان الذكر قد يقال للمحمود و المذموم، و على هذا يمدح كلّ شيء بلفظ نوعه، فيقال: فلان هو إنسان، و هذا السيف سيف، و لهذا قيل:

«الإنسان المطلق «٥٦» هو نبيّ زمانة (كل زمان)»، و قال بعض العلماء:

قول من قال: «الإنسان هو الحيّ الناطق المايت» صحيح و ليس معناه ما توهّم كثير من الناس من له (من أنّه من) الحياة الحيوانيّة و الموت الحيواني و النطق الّذي هو في الإنسان بالقوّة، و إنّما أريد بالحيّ من كان له الحياة المذكور في قوله: «٥٧» عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ [الرحمن: ٤].

و بالمايت من جعل قوّتي الشهويّة و الغضبيّة مقهورتين على مقتضى الشريعة، فيكون حينئذ ميّتا بالإرادة، حيّا بالطبيعة كما قيل: مت بالإرادة تحيي بالطبيعة».

---

(٥٦) قوله: الإنسان المطلق.

راجع التعليق ١١.

(٥٧) قوله: و إنّما أريد بالحيّ.

نعم حياة الإنسان مساوق لإيمانه بالحيّ القيّوم، إذن المؤمن هو الحيّ، و الحياة هي الإيمان، كما أنّ الشرك موت و الكافر ميّت في القرآن، قال سبحانه و تعالى:

أَ وَ مَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّٰاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمٰاتِ لَيْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكٰافِرِينَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ [الانعام: ١٢٢] و قال تعالى:

وَ مٰا يَسْتَوِي الْأَحْيٰاءُ وَ لاَ الْأَمْوٰاتُ [فاطر: ٢٢].

و قال عزّ و جلّ:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاكُمْ لِمٰا يُحْيِيكُمْ [الأنفال: ٢٤].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٠٢

(الموت الإرادي)

و بالحقيقة عن هذا الموت أخبر نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله في قوله:

«موتوا قبل أن تموتوا» «٥٨» و كذلك أمير المؤمنين عليه السّلام في قوله:

«قد أحيا عقله و أمات نفسه حتّى دقّ جليله و لطف غليظه و برق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق و سلك به السبيل و تدافعته الأبواب إلى

(٥٨) قوله: موتوا قبل أن تموتوا.

قال المجلسي في البحار ج ۷۲ ص ۵۹: قد ورد في الحديث المشهور:

«موتوا قبل أن تموتوا».

قال السبزواري في كتابه «شرح الأسماء» ص ٤٣٠:

الموت الاختياري هو: قمع هوى النفس و قتلها، و قلع شهواتها كما في الحديث:

«موتوا قبل أن تموتوا» و «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»، و قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهم السّلام: «الموت هو التوبة» قال اللّه تعالى: **فَتُوبُوا إِلى‏ بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [البقرة: ٥٤]، فمن تاب فقد قتل نفسه.**

راجع أيضا اصطلاحات الصوفيّة لعبد الرزاق الكاشاني ص ۹۱، قال: و إلى هذا الموت أشار أفلاطون بقوله: «مت بالإرادة تحيي بالطبيعة».

تبصرة: الميّت بالموت الإرادي يرى قبل موته الطبيعي في هذه النشأة ما يرى غيره بعد موته الطبيعي بل أكثر بكثير أحيانا، و من هنا قال أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين الّذي قامت قيامته الكبرى في هذه الدنيا: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا».

روى الغزالي في إحياء علوم الدين ج ٤ ص ۷۱۸ كتاب ذكر الموت، عن أنس عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله انّه قال: «الموت قيامة، فمن مات فقد قامت قيامته».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۱۰۳

باب السلامة و دار الإقامة و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و الراحة بما استعمل قلبه و أرضى ربّه» [نهج البلاغة، الخطبة: ۲۲۰].

و أمثال ذلك كثير في هذا الباب فأطلب من مظانّها، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

هذا آخر بحث الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و آخر بحث احتياج العقل إلى الشرع و احتياج الشرع إليه بقدر هذا المقام، و لهذه الأبحاث أبحاث أخرى، و هي من توابعها و لوازمها، و بل لا يتحقّق هذه الأبحاث على ما ينبغي إلاّ بها و هي بحث الأصول و الفروع و القواعد و الضوابط الّتي تتعلّق بهما و سيّما بحث كلّ أصل و فرع من (في) مراتب ثلاث من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و كيفيّة تدويره فيها.

ثمّ بحث المذاهب و الملل و الآراء و النحل في صورة دائرتين مجدولتين مشتملتين على اثنين و سبعين فرقة من أهل الإسلام، و اثنين و سبعين فرقة من أهل الكفر مطابقا لما ذكر الشهرستاني في كتابه المسمّى بالملل و النحل.

و حيث إنّ هذه الأبحاث لها طول و بسط نجعلها في أصلين و ثلاث قواعد: الأصل الأوّل في الضوابط الكلّية المقرّرة بين الأنبياء و الأولياء و الرسل عليهم السّلام لإرشاد الخلائق و هدايتهم إلى الطريق المستقيم و الدّين القويم.

الأصل الثاني، في تعيين كمال كلّ موجود من الموجودات، و كيفيّة سلوكه إليه و اتّصافه به.

و القاعدة الأولى، في بحث الأصول الخمسة، و كيفيّة تدويرها في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١٠۴

المراتب الثلاث من الشريعة و الطريقة و الحقيقة.

و القاعدة الثانية، في الفروع الخمسة، و كيفيّة تدويرها في المراتب الثلاث

ايضا.

و القاعدة الثالثة، في بيان المذاهب و الملل، و تعدادها في العدد المعيّن مطابقا للحديث النبويّ:

«ستفترق أمّتي على ثلاث و سبعين فرقة، الواحدة منها ناجية و الباقي هالك» [٥٩].

---

(٥٩) قوله: ستفترق أمّتي.

الحديث معروف عند الفريقين و نقلاه في جوامعهم الروائيّة و إليك النظر الى بعض ما نقلهم:

أخرج ابو داود في سننه ج ٤ ص ١٩٧ باب شرح السنّة الحديث ٤٥٩٦، بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين و سبعين فرقة، و تفرقت النصارى على إحدى او ثنتين و سبعين فرقة، و تفترق أمّتي على ثلاث و سبعين فرقة».

أخرجه أيضا الترمذي و سننه ج ٥ ص ٢٥ باب ما جاء في افتراق هذه الأئّمة، الحديث ٢٦٤٠.

أيضا أخرج أبو داود في المصدر نفسه الحديث ص ١٩٨، بإسناده عن معاوية بن أبي سفيان، عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال:

«ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين و سبعين ملّة، و إن هذه الملّة ستفترق على ثلاث و سبعين، ثنتان و سبعون في النار، و واحدة في الجنّة، و هي

الجماعة».

و أخرج الترمذي في المصدر نفسه الحديث ٢٦٤١ بإسناده عن عبد اللّه بن عمر (عبد اللّه بن عمرو)، عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال: «ليأتيّن على أمّتي ما أتى على بني إسرائيل [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٠٥

حذو النعل بالنعل (إلى أن قال): و ستفترق أمّتي على ثلاث و سبعين ملّة، كلّها في النّار إلاّ ملّة واحدة، قالوا: من هي يا رسول اللّه، قال: ما أنا عليه و أصحابي، (فقيل له ما الواحدة، قال: ما أنا عليه اليوم و أصحابي)».

أخرجه أيضا الحاكم في المستدرك ج ١ ص ١٢٨.

و أخرجه أيضا الهندي في كنز العمّال ج ١ ص ١٨٢ الحديث ٩٢٨.

و رواه الصدوق في معاني الأخبار ص ٣٢٣ باب معنى الفرقة الواحدة الناجية، الحديث ١ بإسناده عن عبد اللّه بن عمر عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«ما نحن عليه اليوم أنا و أصحابي».

و أخرج الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٤٣٠ بإسناده عن عوف بن مالك، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«ستفترق أمّتي على بضع و سبعين فرقة أعظمها فرقة قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرّمون الحلال و يحلّلون الحرام».

روى المجلسي في بحار الأنوار ج ٢ ص ٣١٢ بإسناده عن الكراجكي في كنز الفوائد، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«ستفترق أمّتي على بضع و سبعين فرقة أعظمها فتنة على أمّتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرّمون الحلال و يحلّلون الحرام».

و روي الصدوق في الخصال ص ٦٣٢٦ في حديث اربعمائة بإسناده عن محمّد بن مسلم و أبي بصير عن الصادق عليه السّلام، عن آبائه على أمير المؤمنين عليهم السّلام قال في حديث طويل:

«افترقت بنو إسرائيل على اثنتين و سبعين فرقة، و ستفترق هذه الأمّة على ثلاث و سبعين فرقة، واحدة في الجنّة».

و روي سليم بن قيس في كتابه ص ١٧٥ الحديث ٣٩ عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «افترقت اليهود على احدى و سبعين فرقة سبعون منها في النار و واحدة في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١٠٦

و إذا تقرّر هذا فلنبدأ بالأوّل ثمّ بما بعده على الترتيب المذكور، و باللّه التوفيق.

الجنة، و هي الّتي أتبعت يوشع بن نون وصي موسى، و افترقت النصارى على اثنتين و سبعين فرقة، احدى و سبعون فرقة في النار و واحدة في الجنّة و هي الّتي أتبعت شمعون وصيّ عيسى، و تفرقت هذه الأمّة على ثلاث و سبعين فرقة اثنتان و سبعون فرقة في

النار و واحدة في الجنّة، و هي الّتي أتبعت وصي محمّد صلّى اللّه عليه و آله و ضرب بيده على صدره».

و روى الكليني قريب منه في الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٢٤ الحديث ٢٨٣ بإسناده عن الباقر عليه السّلام.

و روي المجلسي في بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٤٦ الحديث ١٨ عن كنز الفوائد للكراجكي قال: روى الجمهور عن أبي نعيم و ابن مردويه باسنادهما عن زاذان عن علي عليه السّلام قال:

«تفترق هذه الأمّة على ثلاث و سبعين فرقة: اثنتان و سبعون في النار، و واحدة في الجنة، و هم الّذين قال اللّه عزّ و جلّ:

وَ مِمَّنْ خَلَقْنٰا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ، و هم أنا و شيعتي.

روي البحراني في تفسيره «البرهان» ج ٢ ص ٥٣ الحديث ٩ عن موفّق بن أحمد، بإسناده عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، و قال: أخبرنا أحمد بن محمّد السري قال: حدثنا المنذر بن محمّد بن المنذر، قال: حدّثني عمّي، عن الحسين بن سعيد، قال حدثني أبي، عن أبان بن تغلب، عن فضل، عن عبد الملك الهمداني، عن زادان عن علي عليه السّلام، مثله.

روي أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج ٥ ص ٨ بإسناده عن أبي الطفيل، عن علي عليه السّلام قال:

«تفرّق هذه الأمّة على ثلاث و سبعين فرقة، شرّها فرقة تنتحل حبّنا و تفارق أمرنا».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٠٧

الأصل الأوّل في الضوابط الكلّيّة المقرّرة بين الأنبياء و الرّسل عليهم السّلام لإرشاد الخلايق و هدايتهم إلى الطريق المستقيم و الدّين القويم

(في أنّ غرض الأنبياء و هدفهم إيصال الخلق إلى كمال المطلوب)

اعلم أنّ الضوابط الكلّيّة و القواعد الجمليّة المقرّرة بين الأنبياء و الرسل و الأولياء و الأئمّة من آدم إلى نبيّنا صلّى اللّه عليه و عليهم أجمعين، و منه إلى المهدي عليه السّلام هي إيصال كلّ إنسان إلى كماله المعين له بحسب الاستعداد و القابليّة، و إخراجه من درك النقصان و الجهل بحسب الطاقة و الجهد، لقوله تعالى فيهم:

كَمٰا أَرْسَلْنٰا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيٰاتِنٰا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ مٰا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة: ١٥١].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٠٨

لأنّ غرضه تعالى من إيجاد الخلق لم يكن إلاّ هذا، كما أشار إليه في كتابه الكريم في قوله:

وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦].

و في قوله:

اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَحٰاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [الطلاق: ١٢].

و في قوله في الحديث القدسي:

«كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» [٦٠].

---

(٦٠) قوله: كنت كنزا مخفيا إلخ.

ذكره المجلسي في البحار ج ٨٤ ص ١٩٩ و أيضا ص ٣٤٤.

نقل مؤلّف كتاب «أحاديث مثنوي» ص ٢٩ عن «منارات السائرين» لنجم الدين أبو بكر الرازي المتوفى ٦٥٨، هكذا:

«قال داود عليه السّلام: يا ربّ لما ذا خلقت الخلق؟ قال:

كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف».

فأنظر أيضا تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣٢٤ التعليق ٧٧.

و الجزء الثاني ص ٣٥٦ تعليقنا ١٥٧.

نذكر في المقام بعض ما يناسب مضمون الحديث و جريه أي تطبيقه، و اللّه العالم:

روي الصدوق رضي اللّه عنه في «العلل» ص ٩ الباب ٩، الحديث ١ بإسناده عن سلمة بن عطاء عن أبي عبد اللّه الصادق عليه الصلاة و السلام قال:

«خرج الحسين بن علي عليهم السّلام على أصحابه فقال: أيها الناس إنّ اللّه جلّ ذكره ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٠٩

و قال البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» في تفسير الآية المباركة:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦] ج ٥ ص ٢٣٠:

«و قال المجاهد: إلا ليعرفوني و هذا حسن».

و فسّرها المؤلّف الجليل أيضا كما فسّرها المجاهد و قال: «أي ليعرفوني» راجع الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٤٠٥ و تعليقنا فيه الرقم ١٠٥.

و روى الصدوق رضي اللّه عنه في التوحيد ص ٢٩٠ عن الصادق عليه أفضل صلوات المصلين، إنّه قال:

«لو لا اللّه ما عرفنا و لو لا نحن ما عرف اللّه».

و روي أبا بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس، عن سلمان و أبي ذر و المقداد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال (في حديث طويل):

«يا علي، خلقت أنا و أنت من عمودين من نور معلّقين تحت العرش، إلى ان قال صلّى اللّه عليه و آله: يا علي، ما عرف اللّه إلاّ بي ثمّ بك».

و الحديث كما أشرنا طويل فراجع كتاب سليم بن قيس الهلالي المتوفى حوالي سنة ٩٠ للهجرة ص ٢٠٢، و نقل عنه المجلسي أيضا في بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٧ الحديث ١٤١.

أيضا روي سليم بن قيس في كتابه ص ٢٠٥ عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال: (في حديث طويل):

«لو لا أنا و علي ما عرف اللّه، و لو لا أنا و علي ما عبد اللّه، و لو لا أنا و علي ما كان ثواب و لا عقاب، و لا يستر عليا عن اللّه ستر، و لا يحجبه عن اللّه حجاب، و هو الستر و الحجاب فيما بين اللّه و بين خلقه».

راجع بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٩٦ الحديث ١١٦.

و روي المجلسي في بحار الأنوار ج ۲۳ ص ۱۰۲ الحديث ۸ عن «بصائر الدرجات» بإسناده عن بريد عن أبي جعفر الباقر عليه أفضل صلوات المصلّين قال:

«بنا عبد اللّه، و بنا عرف اللّه، و بنا وحّد اللّه، و محمّد صلّى اللّه عليه و آله حجاب اللّه».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۱۰

و قوله أيضا:

وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ مٰا زَكىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً [النور: ۲۱].

إشارة إليه، و معناه: و لو لا فضل اللّه عليكم بإنزال الكتب و رحمته بإرسال الرسل، ما زكى منكم من جهله و كفره أبدا، لأنّ الشيء إذا كان بالقوّة لا بدّ له من آخر يخرجه إلى الفعل، فكمال الّذي للموجودات و المخلوقات بالقوّة لو لا الأنبياء و الرسل و تكميل قوّتي العلمية و العملية

راجع في مضمون هذا الحديث تفصيلا بحار الأنوار ج ۳۵ ص ۲۸ الحديث ۲٤.

و فيه عن الكاظم عليه السّلام قال:

«و لولاهم ما عرف اللّه». الحديث.

و روي المجلسي في البحار ج ۲۵ ص ٤ الحديث ۷ عن كنز الفوائد، عن منهج التحقيق بإسناده عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه الصلاة و السلام قال:

«إن اللّه تعالى خلق أربعة عشر نورا من نور عظمته قبل خلق آدم ... فهي أرواحنا ... الى أن قال: و لولانا ما عرف اللّه». الحديث.

و روي مثله أيضا عن بصائر الدرجات باسناد مختلفة في ج ٢٦ ص ١٠٦ الحديث ٥ و ص ١٠٧ الحديث ١٠ و ص ٢٤٧ الحديث ١٤.

قال الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» ج ٢٧ ص ٢٥. في تفسير الآية:

وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ: أي ليعرفون، و هو عندهم اشارة إلى ما صححوه كشفا من روايته صلّى اللّه عليه و آله عن ربّه سبحانه أنّه قال: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»، و في كتاب الأنوار السنيّة للسيّد نور الدين السمهوري بلفظ: «كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت هذا الخلق ليعرفوني فبي عرفوني»، و في المقاصد الحسنة للسخاوي بلفظ: «كنت كنزا لا أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١١١

اللّتان هما في الإنسان بالقوة ما ترقى أحد من النقصان إلى الكمال أبدا، و قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

«أو تيت جوامع الكلم» «٦١».

و: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» «٦٢».

دالّ على هذا، لأنّه يقول: بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق الّذي وضعوها الأنبياء قبلي و كان تمامها موقوفا على بعثتي في عالم الشهادة، و إن كان جميع الأنبياء و الرسل في عالم الغيب و الشهادة كانوا خلفائي و (نوّابي) نائبي و مظهر من مظاهري، كما قال:

«أدم و من دونه تحت لوائي» [٦٣].

---

(٦١) قوله: أوتيت جوامع الكلم قد سبق ذكر مصادره في التعليق الرقم ٢١ تفصيلا فراجع، و أيضا في الجزء الثاني ص ٥٩ التعليق الرقم ٢٢.

(٦٢) قوله: بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق.

راجع في مصادر الحديث، تعليقنا الرقم ٢٢ قد ذكرنا فيه تفصيلا.

(٦٣) قوله: آدم و من دونه تحت لوائي قد ذكرنا مصادر الحديث في الجزء الثاني من تفسير المحيط الأعظم ص ٤٥٩ و تعليقنا فيه الرقم ٢٤٧ فراجع.

و أخرج الترمذي في سننه ج ٥ كتاب المناقب الباب ١ ص ٥٨٧ الحديث ٣٦١٥، بإسناده عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، و بيدي لواء الحمد و لا فخر، و ما من نبيّ يومئذ آدم فمن سواه إلّا تحت لوائي». الحديث.

و أخرجه أيضا ابن حنبل في مسنده ج ١ ص ٢٨١ و ٢٩٥ بإسناده عن ابن عباس

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ١١٢

و قال:

«كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين» «٦٤».

عنه صلّى اللّه عليه و آله و فيه: «آدم فمن دونه تحت لوائي»، و الحديث طويل.

و روى الصدوق في أماليه المجلس السابع و الأربعون ص ۲۳۰ الحديث ۹ بإسناده عن المفصل عمر عن الصادق عليه الصلاة و السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«اذكروا وقوفكم بين يدي اللّه جلّ جلاله فإنّه الحكم العدل، و استعدوا لجوابه إذا سألكم فإنّه لا بدّ سائلكم عمّا عملتم بالثقلين من بعدي كتاب اللّه و عترتي، فانظروا أن لا تقولوا: أمّا الكتاب فغيّرنا، و أمّا العترة ففارقنا و قتلنا، فعند ذلك لا يكون جزاؤكم إلاّ النار، فمن أراد منكم ان يتخلّص من هول ذلك اليوم فليتولّ وليّ و ليتّبع وصي خليفتي من بعدي علي بن أبي طالب عليه السّلام فإنّه صاحب حوضي يذود عنه أعداءه و يسقي أولياءه، فمن لم يسق منه لم يزل عطشان و لم يرو أبدا، و من سقى منه شربة لم يشق و لم يظمأ أبدا.

و أنّ علي بن أبي طالب عليه السّلام لصاحب لوائي في الآخرة كما كان صاحب لوائي في الدنيا، و إنّه أوّل من يدخل الجنّة لأنّه يقدمني و بيده لوائي تحته آدم و من دونه من الأنبياء».

و روى المجلسي في بحار الأنوار ج ۳۸ ص ۹۹ الحديث ۱۸ عنه.

نقل العلاّمة الحجّة السيّد الأستاذ المرعشي النجفي رضي اللّه عنه في «ملحقات الإحقاق» ج ۲۰ ص ۳۲۱ عن العلاّمة حسام الدين المردي الحنفي، عن أحمد بن حنبل في كتاب «فضائل علي» و في «المناقب» بإسناده عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال:

«انا أوّل من يدعى يوم القيامة فأقوم عن يمين العرش في ظلّه ثمّ أكسى حلة، ثمّ يدعى بالنبيّين بعضهم على إثر بعض فيقومون عن يمين العرش و يكسون حللا، ثمّ يدعى

بعليّ بن أبي طالب لقرابته مني و منزلته عندي و يدفع إليه لوائي لواء الحمد آدم دونه تحت ذلك اللواء». الحديث.

(٦٤) قوله: كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين.

أنظر في مصادر الحديث الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٢٦٧ تعليقنا الرقم ٤٥ و الجزء الثاني ص ٣٨٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١١٣

و هذا لمكان يحتاج إلى عقليّة، ثمّ إلى كلمات خطابيّة نقررها أوّلا، و نرجع بعدها الى الغرض.

(في أنّ لكلّ استعداد خاصّ)

فمنها، أن تعرف: أنّ كلّ ذات لها استعداد فيض من الفيوض الإلهي و لم يمنع منه مانع لم يحرم منه لا في عالم الغيب و لا في عالم الشهادة، و طلب الفيض إنّما يمكن لمن علم شيئين: أحدهما وجود هذا الفيض بالنفس التامّ، و ثانيهما أنّ كلّ ذات حصل لها هذا الفيض اقتضى كمالها، و هذا العلمان يقارنان استعداد قبول ذلك الفيض في جميع الأحوال.

و منها، أن تعرف أنّ للنفس الناطقة قوّتي علم و عمل، و لكلّ واحدة منهما مراتب في الكمال و النقصان، و أكملها فيها ما يسمّى عقلا مستفادا، و هو حصول العلوم الكسبيّة بالفعل، المتعلقة بالأمور العلميّة و العمليّة، و الطريق الصّواب هو المؤدى إليها، دون الحيرة الّتي هي التردد في الإعتقاد، و الضّلال الّذي هو سلوك طريق الخطأ، و نعم اللّه تعالى و ان كانت غير متناهية إلاّ

أنّها متفاوتة في الكمال و أعلاها مرتبة العقائد اليقينيّة في الأصول الدينيّة إذ من حصلت له هذه المرتبة خلص من العذاب السرمد و حصل بالنعيم المؤبّد.

و منها أنّ اللّه تعالى يفعل لغرض لا عايد إليه تعالى اللّه عن ذلك علوّا

كبيرا بل هو نفع للعباد، لأنّ الفاعل لا لغرض عابث و العبث عليه محال، و لأنّ القرآن ناطق به كقوله:

وَ لَوْ لاٰ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ [البقرة: ٢٥١].

و كقوله:

وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ [الأنبياء: ١٦].

و هاهنا مسائل:

(في معنى اللطف الواجب على اللّه سبحانه و تعالى)

الأولى: انّ اللطف واجب على اللّه تعالى، و اللطف ما كان معه المكلّف أقرب إلى الطاعة و أبعد من المعصية، لأنّه لايق بحكمته و كرمه و رحمته، و لا نعني بالوجوب إلاّ ذلك، و لأنّ أنّ من أراد من آخر فعلا و علم أنّه يرجح فعله عند فعل نوع ما من اللطف به، و هو قادر عليه، و لا ضرر في فعله عليه و لا على غيره و لا على ذلك المكلّف، فإنّه إن لم يفعل به كان ناقضا لغرضه و نقض الغرض على الحكيم محال، و إنزال الكتب و إرسال الرسل لطف، و التكليف أيضا لطف، فيجب على اللّه تعالى جميع ذلك عقلا لئلاّ يناقض فعله غرضه الّذي أشار إليه في كتابه في قوله:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦].

و وجه آخر: و هو أنّه تعالى خلق الشهوات في بني آدم و أقدرهم على مقتضاها و لم تف عقول كثير منهم بإدراك الحسن و القبح، و بسبب استيلاء الجهل على أكثرهم يسهل فعل القبيح و الإخلال بالحسن، و يسهل اختلال نظام النوع في إبلاغ القوة الشهويّة و الغضبيّة و مقتضاهما، و مع

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١١٥

إنزال الكتب و إرسال الرسل و إيجاب طاعتهم على النّاس يكون معه الناس إلى الصلاح أقرب، و من الفساد أبعد، فهذا هو اللطف فيجب عليه، و لأنّه لو لا أن يفعل ذلك لكان تاركا للحسن و فاعلا للقبيح، و هما محالان على اللّه تعالى.

و بالجملة يجب عليه اللطف مع عباده لئلاّ يلزم بإخلاله له هذه المفاسد و العلم بهذه المقدمات من ضروريّات هذا البحث و أكثرها بل بأجمعها منقولة من كتب أرباب الظاهر و أهل المنقول منهم، لأنّه مطابق موافق لأغراض أهل الباطن.

و إذا عرفت هذا نرجع إلى الغرض و نقول:

اعلم أنّ الكمال و النقصان بحسب كلّ شخص من الأشخاص و نوع من الأنواع كما ستعرفه في موضعه، و أمّا الكمال مطلقا فهو منحصر في معرفة اللّه تعالى و عبادته على حسب طبقاتها و مراتبها، و أمّا النقصان مطلقا فهو الّذي يكون بإزاء هذه المعرفة أو الكمال على حسب مراتبها و مدارجها أيضا، و حيث أنّ تحصيل هذه الكمالات و الإخراج من هذه النقصانات لم

يكن يتيسّر إلا بتكميل قوّتي العلم و العمل و مقتضاهما، فجميع سعيهم و اجتهادهم و إرشادهم و دعوتهم كان في تكميل القوّتين و تحصيل هاتين القاعدتين المشار إلى الأولى بالأصول، و إلى الثانية بالفروع، و لهذا ما تعدى أوامرهم و نواهيهم من حيث الإجمال عنهما، و إن استقريت عرفت تحقيق هذا من غير شك و لا شبهة، و الّذي قيل: إنّ جميع أوامر اللّه و نواهيه منحصرة في كلمتين من قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله اللّتين هما التعظيم لأمر اللّه و الشفقة على خلق اللّه فهو مطابق لهذا القول، لأنّ من قام بحق

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١١۶

هاتين الكلمتين و ما اشتمل عليهما من الأوامر و النواهي فقد قام بجميع أحكام اللّه الشرعيّة و أوامرها و نواهيها، فكذلك أيضا في تلك الصورة، فإنّ كلّ من قام بالأصول و الفروع المذكورة على ما ينبغي فقد قام بجميع أوامر اللّه و نواهيه و وصل إلى كماله المعين له بحسب الاستعداد و القابليّة، و غرضه تعالى من ذلك ان تحصل العلّة الغائيّة من إيجاد الخلق و تكليفهم و لا يقع فعلها عبثا و مهملا لأنّ العبث و الإهمال من الحكيم الكامل قبيح، و بل مستحيل كما أشرنا إليه غير مرّة و أشار إليه هو في قوله:

وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ [الأنبياء: ١٦].

(تكليف كلّ طائفة يكون بحسبها)

و حيث إنّ جميع الناس كانوا منحصرين في طبقات ثلاثة الّتي هي البداية و الوسط و النهاية، فانحصرت مراتب إرشادهم و هدايتهم إجمالا في هذه

الثلاث المعبّرة عنها بالشريعة و الطريقة و الحقيقة، و حيث إنّهم مع هذا الحصر ليسوا في مرتبة واحدة من حيث الذوات و الماهيّات بل مختلفين فيها و في الاستعدادات و القابليّات المرتبة عليهما أيضا اقتضت الحكمة الإلهيّة و العناية الربانيّة نظم هذا الترتيب إجمالا و تفصيلا ليمكن إيصال كلّ واحد منهم إلى كماله المعين له و إخراجهم من النقصان الّذي هم فيه قوة و فعلا، و بناء على هذا اختلف التكاليف بحسب كلّ طائفة بل بحسب كلّ نوع و صنف و شخص، و إن كان من حيث الإجمال حكمهم واحد، و من هذا صار تكليف كلّ طائفة من الطوائف المذكورة خلاف طائفة أخرى من حيث الفروع و الأحكام لا من حيث الأصول و القواعد، أعني صار

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۱۷

تكليف كلّ طائفة من الطوائف المذكورة خلاف طائفة أخرى من حيث الفروع و الأحكام لا من حيث الأصول و القواعد، أعني صار تكليف أهل الشريعة و كمالهم و معرفتهم غير تكليف أهل الطريقة و كمالهم و معرفتهم، و كذلك أهل الحقيقة فإنّ كمالهم و معرفتهم غير كمال أهل الطريقة و كمالهم و معرفتهم، و قد عرفت هذا عند تفصيل كلّ طائفة من الطوائف الثلاث على الأخرى شرفا و رتبة مع اتحادهم في المقصد، و من هذا كان تكليف الأنبياء و الرسل و الأولياء و الأوصياء من تابعيهم غير تكليف الخلايق بعد مشاركتهم في تكليفهم من غير عكس، لقوله تعالى:

فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ [هود: ۱۱۲].

و قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«شيّبتني سورة هود» «٦٥».

و من هذا يعرف قدرهم و منزلتهم عند اللّه و شرفهم و رفعتهم عند الخلق، و هاهنا سؤالان:

(وجه وصول الإنسان الى مقام إلهى من قبل اللّه سبحانه)

الأوّل: انّهم لم خصصوا بهذه المراتب من بنى النوع دون غيرهم؟

و الثاني: أنّهم لم صاروا مكلّفين بزيادة تكليف مع عظمة قدرهم

(٦٥) قوله: شيّبتني سورة هود.

ذكرنا مصادر الحديث الجزء الثاني من تفسير المحيط الأعظم ص ٤٦٢ تعليقنا الرقم ٢٤٩ فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۱۸

و جلالة شأنهم؟

أمّا جواب السؤال الأوّل، فهو انّ اللّه تعالى حيث خلق الخلق و كلّفهم بتكليف معيّن و ليس لهم علم بذلك التكليف يجب عليه تعالى ان يعلمهم التكليف ليقومون به و يخرجون عن عهدته، و يحصل به غرضه تعالى منهم، و لا يقع فعله عبثا كما بيّناه و قررناه قبل هذا، و هذا يسمّى لطفا عند أهل الظاهر، و عند أهل الباطن عناية، و إذا كان كذلك و لم يكن لكل واحد منهم استعداد أخذ هذا التكليف منه تعالى بنفسه لعدم المناسبة و بعد

الجنسيّة، لقوله جلّ ذكره:

مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاّٰ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرٰاءِ حِجٰابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مٰا يَشٰاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ [الشورى: ٥١].

وجب عليه تعالى عقلا، تعيين جماعة يكون بينه و بينهم مناسبة مّا حتّى يأخذون منه ذلك التكليف وحيا و إلهاما و يوصلونه إلى المكلفين من عبيده بحكم المناسبة أيضا لقوله:

وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنٰاهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنٰا عَلَيْهِمْ مٰا يَلْبِسُونَ [الأنعام: ٨].

فهؤلاء الجماعة هم الأنبياء و الرسل بالأصالة، و الأولياء و الأوصياء بالتبعيّة، لقوله فيهم على الإطلاق و التقييد:

إِنّٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ كَمٰا أَوْحَيْنٰا إِلىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبٰاطِ وَ عِيسىٰ وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هٰارُونَ وَ سُلَيْمٰانَ وَ آتَيْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً وَ رُسُلاً قَدْ قَصَصْنٰاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسىٰ تَكْلِيماً رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاّٰ يَكُونَ لِلنّٰاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كٰانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً [النساء: ١٦٤].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١١٩

و إن قلت: هذا بيان علّة الاحتياج إلى جماعة يكونون واسطة بين اللّه و بين الخلق في إيصال تكليفهم إليهم لا بيان خصوصيّتهم بذلك.

قلنا: علّة خصوصيّتهم بذلك، المناسبة الذاتيّة بينه و بينهم الآتية بيانها بعد هذه الكلمات من الاتّصاف بصفاته التخلّق بأخلاقه لقوله:

«كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله» [٦٦].

---

(٦٦) قوله: كنت سمعه و بصره. الحديث.

هذا الحديث معروف بحديث القرب النوافل و قد ذكرناه في تعليقنا الرقم ٨٥ في الجزء الاول ص ٣٤٥.

أخرج البخاري في الصحيح ج ٨ كتاب الرقاق، باب ٨٠٩ (التواضع) ص ٤٨٢ الحديث ١٣٦٧ بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أنّ اللّه قال من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب، و ما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه و ما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به و بصره الّذي يبصر به و يده الّتي يبطش بها و رجله الّتي يمشي بها، و إن سألني لأعطينّه و لئن استعاذني لأعيذنّه و ما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن يكره الموت و أنا أكره إساءته».

أخرجه أيضا أحمد بن حنبل في المسند ج ٦ ص ٢٥٦ بإسناده عن عائشة، و فيه:

«من أذلّ لي وليّا فقد استحلّ محاربتي».

و أخرج أيضا: «المسند الجامع» ج ٢٠ ص ٣٨٣ نقلا عن أحمد.

و أخرجه أيضا البيهقي في السنن الكبرى ج ٣ ص ٣٤٦ و ج ١٠ ص ٢١٩، و فيه في آخر الحديث: و أكره مساءته» و ذكره أيضا «الأحاديث القدسيّة» ص ٨١ الحديث ٨١.

أقول: ينبغي للقاري العزيز التأمّل في الأمور التالية:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٢٠

و لقوله:

وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمىٰ [الأنفال: ١٧].

و إن قلت: ذلك المناسبة الذاتيّة ممن حصلت لهم أو من أين حصلت.

قلنا: هاهنا قولان:

الأوّل على طريق أهل الشرع و أهل الظاهر، و ذلك راجع إلى عناية اللّٰه تعالى و إعطائه لهم هذه المراتب و المقامات لقوله:

لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ٢٣].

أ- التأمل في قوله صلّى اللّٰه عليه و آله في صدر الحديث: «من أهان لي وليا بارزني بالمحاربة»، «من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب»، «من أذلّ لي وليّا فقد استحلّ محاربتي»، و جريه على عمل الذين عادوا و آذوا و أهانوا عليّا و فاطمة عليهما السّلام، و أولادهما عليهم السّلام، و هم أهل البيت و عترة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله.

ب- معنى الحديث في قرب النوافل هو التخلّق بأخلاق اللّٰه سبحانه و تحقق أسماء اللّٰه الحسنى و صفاته العليا في وجود الإنسان و أعماله، و ما ذكر في متن الحديث بأن اللّٰه سبحانه يكون سمع ذلك الإنسان و يده و رجله جاء من باب المثال و إلاّ الحكم جار في لسان هذا الإنسان مثلا و ساير قواه الظاهرة و فؤاده و ساير قواه الباطنة أيضا.

ج- معنى قرب الفرائض الّذي هو أعلى و أفضل بكثير من القرب النوافل هو كون الإنسان نفس أسماء الحسنى و الصفات العليا و نفس وجه اللّٰه سبحانه و تعالى، و الإنسان في

هذا المقام يكون عين اللّه و يد اللّه و وجه اللّه كما ورد كثيرا و متواترا عن أئمّة أهل البيت عليهم آلاف التحية و السلام بأنهم: عين اللّه، يد اللّه، وجه اللّه، و هم الأسماء الحسنى و غير ذلك.

فان شئت الإطلاع فراجع الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٢١٤ تعليقنا الرقم ١٩ و ٢٠ ذكرنا فيه بعض تلك الأحاديث، و أيضا ص ٤٤١ التعليق الرقم ١١٦، و الجزء الثاني ص ٤٥٣ تعليقنا فيه الرقم ٢٣٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٢١

و الثاني، على طريق أرباب الباطن و أهل الحقيقة، و ذلك راجع إلى بحث الأعيان و الماهيّات و أنّها بجعل الجاعل أم لا؟ و قد بسطنا الكلام فيها في المقدّمة الأولى، و بيّناه أنّ استحقاق تلك المناصب لهم من اقتضاء ذواتهم و ماهيّاتهم بمقتضى علمه تعالى بها لأنّ العلم تابع للمعلوم و المعلوم لا يوجد إلاّ على الوجه الّذي كان مقررا في نفي العالم، و هاهنا أبحاث و أسرار لا يعرفها إلاّ أهلها، و قد بيّنا أكثرها في المقدمة الأولى، و مع ذلك أيّ جماعة فرض فيهم هذه المناصب يمكن عليهم هذا الاعتراض و يلزم من هذا امّا دور و امّا ترجيح من غير مرجّح، و امّا الإخلال بالواجب منه تعالى و الكلّ مستحيل بالنسبة إلى حضرته، فيجب عليه تعيينهم و تخصيصهم بمقتضى علمه و حكمته، لقوله أيضا تأكيدا للأقوال المذكورة:

إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ [ص: ٤٧- ٤٦].

و إذا عرفت هذا لا بدّ من بيان المناسبة الواقعة بينهم و بين الحقّ بوجه، و بينهم و بين الخلق بوجه آخر.

امّا الأولى أي المناسبة التي بينهم و بين الحقّ فتلك بوجهين:

(بيان وجه المناسبة الموجبة للمحبّة بين الحق و الخلق عقلا)

الأوّل من حيث العقل. و الثاني من حيث النقل.

امّا العقل، فالعقل الصحيح يحكم بانّ بين الذاتين أو الشخصين مثلا لو لم يكن مناسبة مّا لم يمكن تصوّر المحبّة بينهما أصلا، لأنّ أعظم شرط

المحبّة: المناسبة الذاتيّة، ثمّ العارضيّة، و تلك بأنواع كما هي مذكورة في الكتب الحكميّة في باب المحبّة، و كذلك في كتب المحقّقين من أرباب التوحيد، حتّى ذهب بعض الحكماء إلى أنّ اللّه تعالى لا يجوز له أن يحبّ أحدا و يحبّه أحد، لأنّ المحبّة تقتضي الجنسيّة و ليس للواجب مع الممكن جنسيّة بوجه من الوجوه فلا يجوز له محبّته أصلا، و هذا الكلام ليس له أصل لكن ذكرناه تنبيها لك على فساد عقائدهم و قواعده.

و الغرض أنّه لا بدّ في المحبّة من المناسبة، ذاتيّة كانت أو عرضيّة كما ورد في اصطلاح أهل اللّه و هو قولهم: المحبّة الأصليّة هي محبّة الذات عينها لذاتها لا باعتبار أمر زائد لأنّها أصل جميع أنواع المحبّات، فكلّ ما بين اثنين فهي إمّا لمناسبة في ذاتهما أو لاتّحاد في وصف أو مرتبة أو حال أو فعل، فمناسبتهم مع اللّه حينئذ يكون من حيث تقديسهم و تنزيههم من دنس البشريّة، و رجس الحدوث و الإمكان، و اتّصافهم بالأوصاف الربّانيّة و

الأخلاق الإلهيّة، و الدليل على ذلك و هو أنّهم إذا كانوا في عالم البشريّة و حكم الطبيعة لم يتمكّنوا من هذا، كما قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله: «لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل» [٦٧].

---

(٦٧) قوله: لي مع اللّه وقت. الحديث.

ذكره المجلسي رحمه اللّه في بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٦٠، و الحديث معروف و مشهور عند علماء المسلمين و خاصّة عند العرفاء.

مقام لدى سدرة المنتهى   لأحمد لا شكّ للمصطفى

فقد كان بالقرب من ربّه   على قاب قوسين لما دنا

فما مثل أحمد فيمن مضى   من الرسل في سالف من ورى

[.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٢٣

لعله صلّى اللّه عليه و آله أخبر في هذا الحديث عن مقامه الأعلى يعني مقام: «قاب قوسين أو أدنى» كما قال سبحانه و تعالى:

وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلىٰ ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ [النجم: ٧- ١٠].

لا يصل الى هذه المرتبة من القرب إلاّ العبد المطلق أي «عبده» يعني عبد الذات و هو أشرف من عباد الأسماء حتى من عبد اللّه سبحانه و تعالى.

و المقام هذا فوق المقامات و المرتبة هذه أعلى المراتب و هو التجرّد عن الكونين يحصل بعد العبور عن العالمين: الخلق و الأمر، لم يصل إليه أحد من الملائكة و الرسل، كما قال الروح الأمين ليلة المعراج:

«لو دنوت أنملة لاحترقت» [بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٣٨٢].

أي لو أتجاوز هذا المقام لا أكون و مرتبة وجودي هذا، قال سبحانه و تعالى:

وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ [الصافات: ١٦٤].

قيل أراد بالنبيّ المرسل أخاه الخليل عليه السّلام و لكنّه سهو واضح باعتبار أنّ كلمة «مرسل» في الحديث نكرة في سياق النفي و هي تفيد العموم يعني أنّه صلّى اللّه عليه و

آله أراد نفي أيّ رسول حتّى نفسه، و المذكور في الرسالة القشريّة ص ١٥٥ هكذا:

«لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي عزّ و جلّ».

و يعبر أيضا هذا: بمقام العنديّة كما قال سبحانه و تعالى:

فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر: ۵۵].

نعم هناك رفيق معه صلّى اللّه عليه و آله من هو نفسه و هو حقيقة العلويّة و هي مع حقيقته المحمّديّة نور واحد من نور واحد كما أشار إليه سبحانه و تعالى:

فَقُلْ تَعٰالَوْا نَدْعُ أَبْنٰاءَنٰا وَ أَبْنٰاءَكُمْ وَ نِسٰاءَنٰا وَ نِسٰاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَكُمْ [آل عمران: ٦١].

كما وصل إليه و اعترف به الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي و قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٢۴

(ظهور الملائكة في صورة الإنسان)

بل لا بدّ لهم من الانسلاخ عن عالم البشريّة، و الاتّصاف بالصفات الإلهيّة، ليتمكّنوا من هذا، لأنّه ورد في الخبر الصحيح أنّه إذا كان من عالم البشريّة الصرفة، لم يتمكّن من أخذ الوحي بنفسه لعدم المناسبة، بل كان يحتاج إلى جبرئيل في صورة [٦٨] دحية الكلبي [٦٩] و غيره، لئلاّ يحصل

فلما أراد سبحانه و تعالى وجود العالم، و بداه على حدّ ما علمه بعلمه بنفسه، انفعل عن تلك الإرادة المقدّسة بضرب تجلّ من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكليّة، انفعل عنها

حقيقة تسمّى الهباء ...

ثمّ أنّه سبحانه تجلّى بنوره إلى الهباء ...

فلم يكن أقرب إليه تعالى قبولا في ذلك الهباء إلاّ حقيقة محمّد صلّى اللّه عليه و آله فكان سيّد العالم و أقرب الناس إليه علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه إمام العالم و سرّ الأنبياء أجمعين. (و أسرار الأنبياء) ذكره في الفتوحات المكيّة ج ١ ص ١١٦ و أنظر الطبع الحديث ج ٢ ص ٢٢٧ متنا و تعليقا.

راجع أيضا الجزء الأول من تفسير المحيط الأعظم ص مج و ص ١٤٩ من المقدّمة و ص ٢٦٧ تعليقنا الرقم ٤٦ و ص ٤٤٦ تعليقنا الرقم ١١٦ و ص ٥١٠ تعليقنا الرقم ١٥٩.

و ان شئت الإطلاع في الهباء أكثر فراجع «مصباح الأنس» ص ٧٤ و ص ١٦٤، و تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٣٧٥ و تعليقنا فيه الرقم ١٧٨ و أيضا ص ٤١٠ و ص ٤١٢.

(٦٨) قوله: في صورة دحية كلبي.

روي المجلسي في بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٧ ح ٢٩ عن الأمالي للشيخ الطوسي بإسناده عن ابن عباس قال:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يغدو إليه علي عليه السّلام في الغداة، و كان يحبّ أن لا يسبقه إليه أحد، فدخل فإذا النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في صحن الدار و إذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي،

فقال: «السلام عليك، كيف أصبح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله»؟

قال: «بخير يا أخا رسول اللّه، فقال علي عليه السّلام: جزاك اللّه عنّا أهل البيت خيرا، قال له دحية: إنّي أحبّك، و إنّ لك عندي مديحة أهديها إليك: أنت أمير المؤمنين، و قائد الغرّ المحجّلين، و سيّد ولد آدم (يوم القيامة) ما خلا النبيّين و المرسلين، لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزفّ أنت و شيعتك مع محمّد و حزبه الى الجنان زفّا، قد أفلح من ولاّك، و خاب و خسر من خلاّك، بحبّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله أحبّوك و ببغضه ابغضوك، (محبّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله محبّك و مبغضه مبغضك) و لا تنالهم شفاعة محمّد صلّى اللّه عليه و آله أدن من (مني) صفوة اللّه، فأخذ رأس النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فوضعه في حجره، فانتبه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فقال: «ما هذه الهمهمة»؟ فأخبره الحديث، فقال: «لم يكن دحية (الكلبي) كان جبرئيل، سمّاك باسم سمّاك اللّه به و هو الّذي ألقى محبّتك في قلوب المؤمنين، و رهبتك في صدور الكافرين».

و روى أيضا قريب منه في بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٦ ح ٣٣ و ج ٣٩ ص ٩٦ ح ٨ عن كتاب «اليقين» للعلاّمة الحلّي بإسناده عن أمّ سلمة و أيضا بإسناده عن ابن عباس.

و روى أيضا في ج ٤٠ ص ١١ ح ٢٦ عن كتاب اليقين في إمرة أمير المؤمنين للعلاّمة الحلّي بإسناده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّه عليه السّلام:

«الجنة مشتاقة إلى أربعة من أمتي»، فهبت أن أسأله من هم؟ ...

إلى أن قال: فأتيت عليّا عليه السّلام ... فدخلنا على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و رأسه في حجر دحية الكلبيّ، فلمّا رآه دحية قام إليه و سلّم عليه و قال: خذ برأس ابن عمّك يا أمير المؤمنين فأنت أحقّ به (منّي)، فاستيقظ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و رأسه في حجر علي عليه السّلام فقال له: «يا أبا الحسن ما جئتنا إلاّ في حاجة»، قال: بأبي و أمّي يا رسول

صلى اللّه عليه و آله دخلت و رأسك في حجر دحية الكلبيّ، فقام إليّ و سلّم عليّ و قال: خذ برأس ابن عمّك إليك فأنت أحقّ به منّي يا أمير المؤمنين! فقال له النبيّ صلّى اللّه عليه و آله: فهل عرفته؟ فقال: هو دحية الكلبيّ، فقال له: «ذاك جبرئيل»، فقال له: بأبي و أمّي يا رسول اللّه أعلمني أنس أنّك قلت: «إنّ الجنّة مشتاقة

إلى أربعة من أمّتي» فمن هم؟ فأومأ إليه بيده فقال: «أنت و اللّه أوّلهم، أنت و اللّه أوّلهم أنت و اللّه أوّلهم»، ثلاثا، فقال له: بأبي و أمّي فمن الثلاثة؟ فقال له: «المقداد و سلمان و أبو ذرّ».

و روى قريب منه الشيخ الطوسي في أماليه (المجلس الثالث عشر) ص ٣٩٥، و أيضا روى قريب منه العياشي من تفسيره ج ٢ ص ٧٠ في سورة الأنفال الآية ٨١، و عنه البحار ج ٤١ ص ١٧٢ ح ٩.

و روى (الكليني في الكافي ج ٢ ص ٥٨٧ ح ٢٥ عن كتاب الدعاء الباب ٢ بإسناده عن الصادق عليه السّلام قال:

«إنّ أبا ذر أتى رسول اللّه و معه جبرئيل في صورة دحية الكلبي». الحديث.

و عنه البحار ج ٢٢ ص ٤٠٠ ح ٩. و روى مثله الصدوق في «أماليه» ص ٢٨٣ ح ٣ المجلس الخامس و الخمسون، و عنه البحار ج ٩٥ ص ٣٥٤ ح ٨.

(٦٩) قوله: دحية الكلبي الرجل، اسمه دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي

القضاعي. و هو من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من رسله، أرسله مع رسالة إلى قيصر ملك روم، و كان جميلا بل أجمل الناس وجها، و كان جبرئيل عليه السّلام يأتي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على صورته أحيانا.

سلّم بعد بدر و شهد المشاهد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بقي إلى زمان معاوية، و شهد اليرموك ثمّ سكن دمشق بعد ذلك، و قيل: أسلم قبل البدر و لم يشهدها.

و من كلامه أنّه قال: قدمت من الشام، فأهديت الى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فاكهة يابسة من فستق، و لوز، و لعك. الحديث.

و قال: بعث رسول اللّه معيى بكتاب إلى قيصر، فقمت بالباب، فقلت: أنا رسول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ففزعوا لذلك فدخل عليه الآذن، فأدخلت و أعطيته الكتاب، «من محمّد رسول اللّه، إلى قيصر صاحب الروم».

فإذا ابن أخ له، أحمر أزرق، قد نخر، ثمّ قال: لم لم يكتب و يبدأ بك! لا تقرأ كتابه اليوم،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١٢٧

فقال لهم: أخرجوا.

فدعا الأسقف- و كانوا يصدرون عن رأيه- فلمّا قرئ عليه الكتاب، قال: هو- و اللّه- رسول اللّه الّذي بشّرنا به عيسى و موسى، قال: فأيّ شيء ترى؟ قال: أرى أن نتبعه، قال قيصر: و أنا أعلم ما تقول، و لكن لا أستطيع أن أتبعه، يذهب ملكي و يقتلني الروم.

راجع: «سير أعلام النبلاء» ج ٤ ص ١٥٧ و ١٥٨ و «تهذيب الكمال» ج ٨ ص ٤٧٣ و

«الوثائق السياسية» ص ۱۱۲ و «سيرة ابن هشام» ج ٤ ص ۲۳۲ و «تاريخ الإسلام» للحافظ الذهبي، المجلد «المغازي» ص ٥٠١ و ص ٤٢١ و ص ۳۰۹.

و قال صاحب تفسير «كشف الأسرار» أبو إسماعيل عبد اللّه الأنصاري فيه ج ۳ ص ٥٠٠: «روي في بعض الأخبار أنّ دحية الكلبي كان كافرا من ملوك العرب، فلمّا أراد أن يسلم، أوحى اللّه تعالى إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بعد ما كان صلّى الفجر: يا محمّد! إنّ اللّه يقرئك السلام و يقول: إن دحية الكلبي يدخل عليك الآن و يسلم، قال: فلمّا دخل المسجد، رفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله رداءه عن ظهره و بسطه على الأرض بين يديه، قال: يا دحية! هاهنا، و أشار إلى رداءه، فبكى دحية من كرم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و رفع رداءه و قبّله و وضعه على رأسه و عينه، فقال: بأبي من له هذا الرّداء، ثمّ قال: يا محمّد! ما شرائط الإسلام أعرضها عليّ، فقال: «أن تقول: لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه» فقال: يا رسول اللّه! إني ارتكبت الخطيئة و فاحشة كبيرة، فماذا كفارته؟ إن أمرتني أن أقتل نفسي قتلتها، و إن أمرتني أن أخرج من جميع مالي خرجت، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «و ما ذاك يا دحية»! قال: كنت رجلا من ملوك العرب و أستنكف أن يكون لبناتي ازواج، فقتلت سبعين من بناتي كلّهن بيدي، فتحيّر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من ذلك حتّى نزل جبرئيل، فقال: يا محمّد! إنّ اللّه يقرئك السّلام و يقول: «قل لدحية: و عزّتي و جلالي أنّك لمّا قلت: لا إله إلاّ اللّه غفرت لك كفر ستين سنة، فكيف لا أغفر لك قتلك بناتك»! قال: فبكى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: «إلهي غفرت لدحية قتل بناته بشهادة واحدة، فكيف لا تغفر للمؤمنين

صغائرهم بشهادات كثيرة؟».

و روي بحار الأنوار ج ۸۹ ص ۱۹۵ ح ۳۹ نقلا عن مناقب ابن شهر آشوب، عن ابن عباس في قوله تعالى:

وَ إِذٰا رَأَوْا تِجٰارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهٰا وَ تَرَكُوكَ قٰائِماً [الجمعة: ۱۱].

إن دحية الكلبيّ جاء يوم الجمعة من الشام بالميرة، فنزل عند أحجار الزيت ثمّ ضرب بالطبول ليؤذّن الناس بقدومه، فتفرّق النّاس إليه إلاّ عليّ، و الحسن، و الحسين، و فاطمة، و سلمان و أبو ذرّ، و المقداد، و صهيب، و تركوا النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قائما يخطب على المنبر، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«لقد نظر اللّه يوم الجمعة إلى مسجدي فلو لا الفئة الّذين جلسوا في مسجدي لأضرمت المدينة على أهلها، و حصّبوا بالحجارة كقوم لوط، و نزل فيهم:

رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ [النور: ۳۷]».

و روى الطبرسي في تفسير «مجمع البيان» في تفسير سورة الجمعه، في الآية ۱۱:

وَ إِذٰا رَأَوْا تِجٰارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهٰا وَ تَرَكُوكَ قٰائِماً [الجمعة: ۱۱].

و قال: قال الحسن و أبو مالك أصاب أهل المدينة جوع و غلاء سعر، فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام و النبيّ صلّى اللّه عليه و آله يخطب يوم الجمعة، فلمّا رأوه قاموا إليه بالبقيع خشية أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبيّ صلّى اللّه عليه و آله إلاّ رهط فنزلت الآية، فقال: «و الّذي نفسي بيده لو تتابعتم حتّى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي نارا».

و قال المقاتلان (يعني مقاتل بن سليمان و مقاتل بن قيام): بينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، ثمّ أحد بني الخزرج، ثمّ أحد بني زيد بن مناة من الشام بتجارة، و كان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلاّ أتته، و كان يقدم إذا قدم لكل ما يحتاج إلى من دقيق أو برّ أو غيره، فينزل عند أحجار الزيت، و هو مكان في سوق المدينة، ثمّ يضرب بالطبل ليؤّن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليتباعوا معه، فقدم ذات جمعة، و كان ذلك قبل أن يسلم، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قائم على المنبر يخطب،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٢٩

له غيبة عن عالم الحسّ و انزعاج في النفس، و يتمكّن من الإبلاغ و الرسالة و الدعوة و الإرشاد، و قد كان يحصل له غشيان في بعض الأوقات عند نزول الوحي فكان يقول لعائشة:

«كلّميني يا حميراء كلميني يا حميراء» «٧٠».

ليرجع من تلك العوالم إلى عالم الحسّ و الشهادة، و يقوم بالأمر

فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلاّ اثنا عشر رجلا و امرأة، فقال صلّى اللّه عليه و آله: لو لا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء، و أنزل اللّه هذه الآية.

راجع في هذا أيضا تفسير «التبيان» ج ١٠ ص ٩ و تفسير الدّر المنثور ج ٨ ص ١٦٦، و فيه في نقل آخر: «فخرجوا من الجمعة، بعضهم يريد أن يشتري، و بعضهم يريد أن ينظر إلى

دحية».

و راجع أيضا تفسير «معالم التنزيل» ج ۵ ص ٣٨٤، و عوالي اللئالي ج ٢ ص ۵٧.

(٧٠) قوله: كلّميني يا حميراء.

الحميراء: يعني عائشة، أي لقبها. راجع «النهاية» لابن الأثير ج ٣ ص ٤٣٨ و «مهّذب الأسماء».

و أمّا في قول المنسوب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله راجع احياء العلوم للغزالي ج ٣ ص ١٠١ و فيه:

«كلميني يا عائشة»، و طبقات الشافعيّة ج ٤ ص ١٦٣ و «المحجة البيضاء» ج ۵ ص ١٧٩.

و قال مولانا جلال الدين محمد المولوي:

مصطفى آمد كه سازد همدمى   كلّميني يا حميرا كلّمي

أي حميرا اندر آتش نه تو نعل   تا ز نعل تو شود اين كوه لعل

اين حميرا لفظ تأنيث است و جان

نام تأنيثش نهند اين تازيان



لیك أز تأنیث جان را باك نیست
روح را با مرد و زن اشراك نیست

أز مؤنّث و ز مذکّر برتر است
این نه آن جانست کز خشك و تر است

این نه آن جان است کافراید ز نان
یا گهی باشد چنین گاهی چنان

الدفتر الأوّل في معنى حديث: «ان لربكم في ايّام دهركم نفحات».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٣٠

المأمور به من إبلاغ الرسالة، و يعضد ذلك حال موسى عليه السّلام حيث قال:

وَ خَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً [الأعراف: ١٤٣].

لأنّ ذلك كان من اقتضاء البشريّة و الطبيعة الحيوانيّة، و إلاّ كلّم اللّه موسى تكليما في حال التجرّد و المناسبة الحقيقيّة، شاهد عدل لأنّه في ذلك الوقت تكلّم مع اللّه تعالى و ما حصل له هذه الحالة حتّى قال تعالى له:

فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوٰادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً [طه: ١٢].

و قال:

إِنِّي أَنَا اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ [القصص: ٣٠].

و قطّ ما تغيّر من حاله و كان يتكلّم حتى قال في جواب كلام واحد كم من كلام و هو قوله تعالى:

وَ مٰا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰا مُوسىٰ قٰالَ هِيَ عَصٰايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهٰا وَ أَهُشُّ بِهٰا عَلىٰ غَنَمِي وَ لِيَ فِيهٰا مَآرِبُ أُخْرىٰ [طه: ١٧- ١٨].

و كذلك نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ليلة المعراج الّذي هو الانسلاخ عن عالم البشريّة حيث قال تعالى:

فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ [النجم: ١٠].

(شرف الإنسان الكامل على الملائكة)

فان ذلك كان في حال التجرّد و المناسبة الذاتيّة من غير واسطة ملك أو جبرئيل، و ورد انّه أوحى إليه تعالى [٧١] ثلاثين ألف خبر أو أكثر في

(٧١) قوله: ورد أنّه أوحى إليه تعالى.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٣١

نقول: تدلّ عليه غير واحد من الآيات و الروايات التالية و غيرها:

قوله تعالى:

فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ مٰا كَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ [النجم: ١٠- ١١].

و قوله تعالى:

مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ وَ مٰا طَغىٰ لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ [النجم: ١٧- ١٨].

و أما من الروايات:

روى الصدوق في كتابه «علل الشرائع» باب ١١٢ علة المعراج ص ١٣١ الحديث ١ بإسناده عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السّلام عن اللّه جلّ جلاله هل يوصف بمكان، فقال: «تعالى عن ذلك»، قلت فلما أسرى بنبيّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله إلى السماء؟ قال: «ليريه ملكوت السماوات و ما فيها من عجائب صنعه و بدائع خلقه»، قلت: فقول اللّه عز و جلّ:

ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ [النجم: ٩- ٨].

قال: «ذاك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دنا من حجب النور، فرأى ملكوت السماوات، ثمّ تدلّى صلّى اللّه عليه و آله فنظر تحته إلى ملكوت الأرض حتّى ظنّ أنّه في القرب من

الأرض كقاب قوسين أو أدنى».

و روى أيضا في نفس المصدر ص ١٣٢ الحديث ٢ و في كتابه «التوحيد» باب نفي الزمان و المكان عن اللّه عزّ و جلّ ص ١٧٥ الحديث ٥ بإسناده عن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام:

لأي علّة عرج اللّه بنبيّه صلّى اللّه عليه و آله إلى السماء، و منها إلى سدرة المنتهى، و منها إلى حجب النور، و خاطبه و ناجاه هناك و اللّه لا يوصف بمكان؟ فقال عليه السّلام:

«إنّ اللّه تبارك و تعالى لا يوصف بمكان و لا يجري عليه زمان، و لكنّه عزّ و جلّ أراد أن يشرف به ملائكته و سكّان سماواته، و يكرمهم بمشاهدته، و يريه من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١٣٢

ساعة واحدة أو أقل و في هذا المقام قال جبرئيل:

«لو دنوت أنملة لاحترقت» [٧٢].

عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، و ليس ذلك على ما يقول المشبّهون، سبحان اللّه و تعالى عمّا يصفون، (عمّا يشركون)».

و عنهما «بحار الأنوار» ج ١٨ ص ٣٤٨ الحديث ٥٧ و ٥٩.

(٧٢) قوله: قال جبرئيل: لو دنوت انملة ...

روى ابن شهر آشوب في كتابه «مناقب آل أبي طالب» ج ١ ص ١٧٩، المتوفى ٥٥٨ ه‍ ق عن ابن عباس في حديث في المعراج:

فلمّا بلغ الى سدرة المنتهى فانتهى إلى الحجب، فقال جبرئيل: «تقدّم يا رسول اللّه ليس لي أن أجوز هذا المكان، و لو دنوت أنملة لاحترقت».

و عنه البحار ج ۱۸ ص ۳۸۲.

روى الكليني في الكافي ج ۱ ص ٤٤٢ باب مولد النبيّ ص ۱ ح ۱۲ بإسناده عن أبي بصير، عن الصادق عليه السّلام قال:

«لمّا عرج برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انتهى به جبرئيل إلى مكان فخلّى عنه، فقال له: «يا جبرئيل تخليني على هذه الحالة»؟ فقال: امضه، فو اللّه لقد وطئت مكانا ما وطئه بشر و ما مشى فيه بشر قبلك».

أقول: ليس المراد من المكان، المكان المادّي، بل المراد منه المقام الرّتبيّ و المرتبة الوجوديّة، كما قال تعالى:

وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ [الصافات: ١٦٤].

و هذا يعني لكل من الخلق و منه الملائكة، قدر خاصّ من الوجود و هو رتبته منه، و مرتبة وجود جبرئيل عليه السّلام ذاك المقدار و ليس أكثر و لا أشدّ منه، و مستحيل ان يتجاوز عن ذلك المقام، و تجاوزه عنه أي التجاوز عن رتبته، و هذا يعني عدمه و ليس هو بعد ذلك التجاوز هو هو، بل لو كان يكون موجودا آخر، و هذا معنى توقيفيّة كلّ اسم و كلّ شيء موجود في العالم، و هذا بمعنى أنّ مرتبة كل موجود هي نفسه و ذاته، و بما ذكرنا [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۳۳

و هذا أيضا يدل على شرف الإنسان و فضيلته على الملك و غيره، هذا من

طرفهم، و أمّا من طرف الحقّ فيكفي فيه قوله:

فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِينَ [الحجر: ٢٩].

لأنّ هذا القول دالّ على شيئين: الأوّل، المناسبة بينه و بين عبده،

يعلم معنى الاحتراق أيضا و لا تغفل.

و مقام رسول الخاتم صلّى اللّه عليه و آله أنّه صلّى اللّه عليه و آله «عبده» أي عبد الذات و الهويّة المطلقة كما قال تعالى:

سُبْحٰانَ الَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ [الإسراء: ١].

و قال سبحانه و تعالى على ما ورد في الحديث التالي:

«يا محمّد أنت عبدي و أنا ربّك».

و هذا هو كمال الإنسان و الغاية من خلقه، يعني الهدف من خلق الإنسان و الهدف من العمل بالدين هو أن يكون الإنسان عبدا و سلما له سبحانه و تعالى.

و روى الصدوق في «العلل» باب ٧ الحديث ١ ص ٥ و في «عيون» باب ٢٦ الحديث ٢٢ ص ٢٦٢ بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن الامام الرضا عليه السّلام عن آباءه، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في حديث طويل في المعراج قال:

«إنّه لمّا عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى، و أقام مثنى مثنى، ثمّ قال لي: تقدّم يا محمّد، فقلت له: يا جبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم، لأنّ اللّه تبارك و تعالى فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين، و فضّلك خاصّة، فتقدّمت فصلّيت بهم و لا فخر، فلمّا انتهيت إلى حجب النور، قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد، و تخلّف عنّي، فقلت: يا جبرئيل في مثل

هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يا محمّد إنّ انتهاء حدّي الّذي وضعني اللّه عزّ و جلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله، فزج بي في النور زجة، (فزخّ بي النور زخّة)، (فرجّ بي النور رجّة) حتّى انتهيت إلى حيث ما شاء اللّه من علوّ ملكه، فنوديت: يا محمّد، فقلت: لبيك ربّي و سعديك تباركت و تعاليت، فنوديت: يا محمّد أنت عبدي و أنا ربّك فإيّاي فاعبد». الحديث.

عنهما البحار ج ١٨ ص ٣٤٦ الحديث ٥٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٣٤

و الثاني، على شرف الإنسان و فضيلته على الملك، و قد ورد في اصطلاحهم أيضا ما يؤكّد ذلك و هو قولهم:

المناسبة الذاتيّة بين الحق و عبيده من وجهين: إمّا أن لا تؤثّر أحكام تعيّن العبد و صفات كثرته في أحكام وجوب الحقّ و وحدته، بل تتأثّر منها و تصبغ ظلمة كثرته بنور وحدته، و إمّا بأن يتّصف العبد بصفات الحقّ و يتحقّق بأسمائه كلّها.

فإن اتّفق الأمران فذلك العبد هو الكامل المقصود بعينه، و إن اتّفق الأمر الأوّل بدون الثّاني فهو المحبوب المقرّب، و حصول الثّاني بدون الأوّل محال، و في كلا الأمرين مراتب كثيرة:

أمّا في الأمر الأوّل فبحسب (فيجب) شدّة غلبة نور الوحدة على الكثرة و ضعفها و قوّة استيلاء أحكام الوجوب على أحكام الإمكان و ضعفه.

و أمّا في الأمر الثاني، فبحسب (فيجب) استيعاب تحقّقه بالأسماء كلّها و

عدمه بالتّحقّق ببعضها دون البعض، و هاهنا أبحاث كثيرة بالنسبة إلى أرباب الظّاهر من المعتزلة و الأشاعرة و أرباب التّوحيد من المتقدّمين و المتأخّرين، و ليس هذا موضع تلك الأبحاث فاطلب في مظانّها.

(بيان وجه المناسبة الموجبة للمحبة بين الحق و الخلق نقلا)

و امّا الوجه الثاني الّذي هو من حيث النقل فلقوله تعالى:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ [المائدة: ٥٤].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٣٥

و لقوله في الحديث القدسي: «٧٣» «ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي، و إنّي لأشدّ شوقا إليهم» و لقوله فيه:

«كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» «٧٤».

لأنّ هذه كلّها تشهد بالمحبّة من طرف الحقّ أوّلا، ثمّ من طرف العبد آخرا. المحبّة كما تقرّر لا تكون إلاّ بعد حصول المناسبة و المؤانسة، و قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

(إخبار الإنسان الكامل من عالم الواحدة الصرفة)

«لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل» «٧٥».

إشارة إلى هذا، لأنّه من عالم الوحدة الصرفة، و مقام رفع البشريّة بالكلّيّة الّتي هي الاتصاف بالصفات الإلهيّة، و التخلّق بالأخلاق الرّبانيّة، و معلوم أنّ هذا لا يكون إلاّ بعد فناء أوصاف العبد في أوصاف الربّ و فناء

(٧٣) قوله: في الحديث القدسي: ألا طال شوق الأبرار. الحديث.

ذكرنا مع الأحاديث الأخرى من الأدعية و غيرها في الجزء الأوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٢٦٥ التعليق الرقم ٤٤ فراجع.

(٧٤) قوله: كنت كنزا مخفيّا.

ذكرناه في التعليق الرقم ٦٠ من هذا الجزء و أيضا في الجزء الأوّل ص ٣٢٤ التعليق ٧٧، و الجزء الثاني ص ٣٥٦ التعليق ١٥٧ فراجع.

(٧٥) قوله: لي مع اللّه وقت. الحديث.

قد مرّت الإشارة إليه في تعليقنا الرقم ٦٧ و ٣٨ فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٣۶

وجوده في وجوده كفناء القطرة في البحر، و فناء الجليلد في الماء و إن لم تفهم هذه الإشارات في صورة هذه المناسبات.

(بيان ما يحصل للإنسان بفناءه في الحقّ سبحانه)

نضرب لك مثلا تفهم منه مطلوبك من غير شكّ، و ذلك المثل و هو أن تعرف النار مثلا نوراني مضيء شفّاف يحصل منه الطبخ و النضج و الإضائة و غير ذلك، و الفحم أو الحطب ظلماني مظلم كدر ما يحصل منه هذه الفوائد، و بل في طبعه البرودة و الغلظ و اليبوسة و غير ذلك لكن إذا حصل له مجاورة النار تدريجا أو دفعيا و اتصف به صار نارا، و صدق عليه أنّه نورانيّ مضيء شفاف، و يحصل منه كلّ ما يحصل من النار من الطبخ و

النضج و الإضائة و غير ذلك من الأوصاف، و من هذا قال النبيّ صلى الله عليه و آله:

«من رآني فقد رأى الحقّ» «(۷٦)».

و قال غيره:

«سبحان ما أعظم شأني» «(۷۷)».

و قال غيره:

«أنا الحقّ» «(۷۸)».

---

(۷٦) قوله: من رآني فقد رأى الحقّ.

ذكرنا في تعليقنا الرقم ۳۵ قدّ مرّ فراجع.

(۷۷) قوله: سبحانه ما أعظم شأني.

قاله أبي يزيد، راجع تعليقنا الرقم ۳٦.

(۷۸) قوله: أنا الحقّ.

قاله الحلاّج، قد مرّت الإشارة اليه في تعليقنا الرقم ۳٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۱۳۷

و قال:

«أنا من أهوى و من أهوى أنا» «(۷۹)».

وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ [العنكبوت: ٤۳].

هذا بالنسبة الحاصلة بين الأنبياء و الحقّ تعالى جلّ ذكره.

(المناسبة الحاصلة بين الأنبياء و الخلق)

و أمّا بالنسبة المناسبة الحاصلة بينهم و بين الخلق فتلك أيضا بوجهين:

الأوّل العقل، و الثاني النقل:

امّا العقل، فالّذى تقدّم ذكره من حيث الإمكان و الحدوث و البشريّة و الخلقيّة، فإنّ الناس و بل الموجودات كلّها من هذه الحيثيّة سواء، لأنّ الموجودات منحصرة في الممكن و الواجب، و الواجب واحد بالاتّفاق فلم يبق إلاّ الممكن و الممكنات من حيث ذواتهم و ماهيّاتهم متساوية كما هو معلوم عند أهله.

و أمّا النقل، فلقوله تعالى:

---

(۷۹) قوله: أنا من أهوى.

قاله الحسين المنصور الحلاج و تمامه هكذا:

أنا من أهوى، و من أهوى أنا　　نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته　　و إذا أبصرته أبصرتنا

راجع شرح الفصوص للقيصري فصّ شيثيّة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٣٨

إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ [الكهف: ١١٠].

و لقوله:

مٰا لِهٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعٰامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوٰاقِ [الفرقان: ٧].

فإنّ ذلك كلّه يدل على بشريّته، و مناسبته للخلق في أوصافهم البشريّة و أخلاقهم الطبيعيّة.

إذا عرفت المناسبة الّتي بينهم و بين الحقّ، و المناسبة الّتي بينهم و بين الخلق.

فاعلم، أنّ بينهم و بين الملك أيضا مناسبة، و كذلك بين اللّه و بين الملك.

(المناسبة بين الأنبياء و الملائكة)

و أمّا المناسبة الّتي بينهم و بين الملك فلقوله تعالى على العموم:

إِنَّ الَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاٰئِكَةُ [فصّلت: ٣٠].

و على الخصوص:

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوىٰ [النجم: ٥].

و كذلك:

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلىٰ قَلْبِكَ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

(المناسبة الحاصلة بين الحق سبحانه و الملائكة)

و أمّا المناسبة الّتي بين اللّه و بين الملك فلتقديسهم و تنزيههم عن نقائص البشرية و حسائس الجسمانية و دنس الطبيعة الحيوانيّة، و لقوله

تعالى فيهم:

نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ [البقرة: ٣٠].

لأنّ هذا كلام صادر من اقتضاء ذواتهم، و مقتضى مقاماتهم لقولهم:

وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ [الصافات: ١٦٤].

و ذلك المقام ليس إلاّ مقام التقديس و التنزيه و التسبيح، و يدلّ على ذلك كلّه تعليم اللّه لهم في قوله:

قٰالُوا سُبْحٰانَكَ لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِلاّٰ مٰا عَلَّمْتَنٰا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [البقرة: ٣٢].

لأنّ التعليم لا يتيسّر إلاّ بالمناسبة بين المعلّم و المتعلم كما قال تعالى لآدم عليه السّلام حيث يشاهد فيه المناسبة العلميّة بينه و بينهم و هو قوله:

قٰالَ يٰا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ فَلَمّٰا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [البقرة: ٣٣].

و إذا عرفت هذا فقس عليه حال الأولياء و الأوصياء و أمثالهم فإنّهم يأخذون منه العلوم و الحقائق من غير واسطة أحد لقوله تعالى فيهم:

آتَيْنٰاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنٰا وَ عَلَّمْنٰاهُ مِنْ لَدُنّٰا عِلْماً [الكهف: ٦٥].

و لقوله في الإنسان:

اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسٰانَ مٰا لَمْ يَعْلَمْ [العلق: ٣- ٥].

و لقوله فيهم:

الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ [الرحمن: ١- ٣].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٤٠

و أمثال ذلك كثيرة في هذا الباب، و اللّه أعلم و أحكم، هذا بالنسبة إلى السؤال الأوّل.

(في وجه زيادة تكليف الأنبياء و الأولياء بالنسبة الى غيرهم)

امّا السؤال الثاني، فهو أنّهم لم صاروا مكلّفين بتكليف زيادة مع عظمة قدرهم و جلالة شأنهم، فجواب ذلك من وجهين أيضا:

الأوّل باستعدادهم الحاصل لهم في الأزل من غير سبب سابق و عمل لا حق كما بيّناه في المقدّمات السابقة بحكم قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولٰئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ [الأنبياء: ١٠١].

و قوله:

هٰذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ [ص: ٣٩].

و قوله:

ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد: ٢١].

و أمّا الثاني، فلزيادة مجاهدتهم و سعيهم و رياضاتهم في طاعة اللّه و تحصيل مرضاته، لقوله تعالى:

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً [النساء: ١١٤].

أمّا نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله فرياضته و مجاهدته بعد الجهاد و الحرب مع الكفّار و حمل إيذائهم لقوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٤١

«ما أوذي نبيّ بمثل ما أوذيت» «٨٠».

معلومة مشهورة، خصوصا ما ورد في القرآن من قوله تعالى:

طه مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ [طه: ١- ٢].

و ما روى عن عائشة:

انّه قام في الليل للصلاة و التهجد حتّى تورّمت قدماه، فقالت:

يا رسول اللّه ما ورد فيك:

لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مٰا تَأَخَّرَ [الفتح: ٢].

---

(٨٠) قوله: ما أوذي نبيّ. الحديث.

أخرجه السيوطي في الجامع الصغير مرّة:

«ما أوذي أحد ما أوذيت» [الرقم: ٧٨٥٢].

و أخرى:

«ما أوذي أحد ما أوذيت في اللّه» [الرقم: ٧٨٥٣].

و رواه أيضا بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٥٦ نقلا عن المناقب لابن شهر آشوب. و روى في «مصباح الشريعة و مفتاح الحقيقة» المنسوب الى أبي عبد اللّه جعفر بن محمّد الصادق عليهم السّلام، الباب التّسعون في البلاء:

قال الصادق عليه السّلام:

«البلاء زين المؤمن و كرامة لمن عقل، لأنّ في مباشرته، و الصبر عليه، و الثّبات عنده

تصحيح نسبة الإيمان».

قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله: «نحن معاشر الأنبياء أشدّ الناس بلاء، و المؤمنون الأمثل فالأمثل». الحديث، عنه بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٣١ حديث ٤٧.

و أخرج السيوطي أيضا في جامع الصغير الرقم ١٠٥٦.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثمّ الأمثل فالأمثل».

و راجع تفسير القرآن الكريم لصدر المتألهين الشيرازي ج ١ ص ١٥٣ الى ١٥١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ١٤٢

فقال لها:

«أفلا أكون عبدا شكورا» [٨١].

---

(٨١) قوله: أفلا أكون عبدا شكورا.

روي الكليني في الكافي ج ٢ باب الشكر ص ٩٥ الحديث ٦ بإسناده عن الباقر عليه السّلام قال:

كان رسول اللّه عليه السّلام عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول اللّه لم تتعب نفسك و قد غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر؟ فقال: يا عائشة ألاّ أكون عبدا شكورا. الحديث.

و عنه البحار ج ١٦ ص ٢٩٤ الحديث ٥٩.

و أخرج البخاري- قريب منه في الصدر و مثله في الذّيل- في صحيحه كتاب التفسير

سورة الفتح، الحديث ١٢٦٣.

و روى المجلسي في البحار ج ١٦ ص ٢٨٧ الحديث ١٤٣ نقلا عن أمالي الشيخ، و الشيخ روى بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال:

«قال علي بن الحسين عليهما السّلام: إن جدّي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، فلم يدع الاجتهاد له، و تعبّد بأبي هو و أمّي حتّى انتفخ الساق، و ورم القدم، و قبل له: أ تفعل هذا و قد غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر؟

قال: أفلا أكون عبدا شكورا».

أيضا فيه ص ٢٢٢ الحديث ٢٠ عن أمالي الطوسي ج ٢ ص ١٨، المجلس الرابع عشر بإسناده عن بكر بن عبد اللّه قال:

أنّ عمر بن الخطّاب دخل على النبي صلّى اللّه عليه و آله و هو موقوذ- أو قال: محموم- فقال له عمر:

يا رسول اللّه ما أشدّ و عكك أو حماك؟ فقال:

ما منعني ذلك أن قرأت الليلة ثلاثين سورة فيهنّ السبع الطول، فقال عمر: يا رسول اللّه غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر و أنت تجتهد هذا الاجتهاد؟ فقال: يا عمر! أ فلا أكون عبدا شكورا؟

و روي ابن شهر آشوب في كتابه «مناقب آل أبي طالب» ج ٣ ص ١٤٨ و أيضا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ١٤٣

و أمّا باقي الأنبياء عليهم السّلام فرياضتهم و مجاهداتهم معلومة من كتبهم و

صحفهم مفصّلا، و على الإجمال من القرآن، و ذلك لا يخفى على أحد من العلماء، و نعم الشاهد القرآن، و نعم الدليل البرهان، و كفى باللّه شهيدا و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

و هاهنا أبحاث كثيرة نختصر منها على هذا، و نشرع في القاعدة الثانية و تعيين كمال كلّ موجود و سيره و سلوكه صورة و معنى بحسب هذا المقام و هي هذه و باللّه التوفيق.

المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٦٠ نقلا عن أمالي الشيخ بإسناده عن عمرو بن عبد اللّه بن هند عن الباقر عليه السّلام قال: (و الحديث طويل فراجع) فلمّا دخل (يعني جابر بن عبد اللّه الانصاري) عليه (يعني الإمام السجّاد علي بن الحسين عليهما السّلام) وحده في محرابه قد أنصبته (أنضته) العبادة، فنهض عليّ عليه السّلام فسأله عن حاله سؤلا حفيّا (خفيّا) ثمّ أجلسه بجنبه، فأقبل جابر عليه يقول: يا ابن رسول اللّه أما علمت أنّ اللّه خلق الجنّة لكم و لمن أحبّكم؟

و خلق النار لمن أبغضكم و عاداكم؟ فما هذا الجهد الّذي كلّفته نفسك؟ قال له عليّ بن الحسين عليهما السّلام: يا صاحب رسول اللّه أما علمت جدّي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، فلم يدع الاجتهاد و تعبّد، بأبي هو و أمّي، حتى انتفخ الساق و ورم القدم و قيل له: أ تفعل هذا و قد غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا. الحديث.

و أخرج البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب ٤٨٠ سورة الفتح الحديث ١٢٦٢ ص

٥١٠ ج ٦، و أيضا ابن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٢٥١ باسنادهما عن المغيرة بن شعبة، قال: قام النبيّ صلّى اللّه عليه و آله حتّى تورّمت قدماه فقيل له غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخر، قال: أفلا أكون عبدا شكورا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١۴۵

الأصل الثّاني في تعيين كمال كلّ موجود من الموجودات الروحانيّة و الجسمانية صورة و معنى

(كلّ موجود سائر إلى اللّه سبحانه و يسبّح له)

اعلم أنّ السير و السلوك و طلب الكمال ليس مخصوصا بالإنسان فقط بل جميع الموجودات و المخلوقات علويّة كانت أو سفليّة، فإنّها في السير و السلوك و طلب الكمال، و له توجّه إلى مطلوبه و مقصوده، و يشهد بذلك النقل و العقل، أمّا النقل و كقوله تعالى:

وَ مٰا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ مٰا فَرَّطْنٰا فِي الْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام: ٣٨].

و كقوله:

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١۴۶

وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبٰالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النّٰاسِ [الحجّ: ١٨].

و كقوله:

كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِمٰا يَفْعَلُونَ [النور: ٤١].

و كقوله:

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: ٤٤].

و هذه الأقوال الأربعة دلالات قاطعة على أنّ الكلّ مكلّفين و مأمورين بحسب قابليّتهم و استعدادهم، لأنّ القول الأوّل يشمل الأرض و أهلها، و القول الثاني يشمل السّماوات و الأرض و ما بينهما، و القول الثالث يشمل الكلّ على التعيين، و القول الرابع يشمل الكلّ على الإطلاق.

فيعلم من هذا أنّ الكلّ متوجّهون إلى اللّه تعالى، سائرون إليه، طالبون معرفته و عبادته، لأنّ السّجدة و الصّلاة هاهنا بمعنى العبوديّة و المعرفة، لا بمعنى السّجدة المتعارفة في الشّرع، و كذلك التسبيح لأنّ تسبيحهم و صلاتهم لو كان من قسم صلاة الإنسان و تسبيحهم لعرفوها و فهموها لكن لمّا لم يعرفوها بشهادة اللّه لهم في قوله:

لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: ٤٤].

عرفنا أنّها ليست من تلك الأقسام، فحينئذ صلاة كلّ موجود و سجدته و تسبيحه يكون مناسبا لحاله، و عند التحقيق تسبيح كلّ موجود غير الإنسان هو الّذي هو عليه من الأوضاع و الأفعال و الأخلاق و الأحوال، لقوله تعالى:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شٰاكِلَتِهِ [الإسراء: ٨٤].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۴۷

(حقيقة الصلاة و الذكر و التسبيح)

و كذلك صلاته و سجدته، و المراد من الكلّ واحد و هو معرفة اللّه أو

عبادته لقوله فيهما: أمّا المعرفة فلقوله:

«كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» «۸۲» و أمّا العبادة، فلقوله:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦].

و مثال ذلك مثال روح الإنسان و بدنه و أعضاؤه و قواه فإنّ الكلّ ساجدون له منقادون لأمره مطيعون لأحكامه و هذا هو الصّلاة الحقيقيّة و السّجدة المعنويّة و التسبيح و الذّكر المعنويان و غير ذلك.

(أنّ العالم بدن للإنسان الكبير) (الإنسان الكامل و الروح الكلي الإنساني خليفة اللّه في العالم كما هو مظهره سبحانه)

و المراد من هذا المثال أنّ نسبة جميع العالم بالنسبة إلى روح الإنسان، هذا هو بعينه، لأنّ العالم بأسره بدن الإنسان الكبير، و جميع ما في ضمنه و ما اشتمل عليه بمثابة أعضائه و جوارحه و قواه كما سبق ذكره في المقدّمات.

---

(۸۲) قوله: كنت كنزا مخفيا قد أشرنا اليه في التعليق الرقم ٦٠ و ٧٤ فراجع.

فتسبيح الكلّ و صلاتهم و سجدتهم بالنسبة إليه يكون مطاوعتهم فيما ينهاهم و يأمرهم، و تسبيح هذين المظهرين و سجدتهما هو تسبيح الحقّ و سجدته في الحقيقة، لأنّ الروح الجزئي الإنساني كما هو خليفة اللّه في

البدن، فالروح الكلي الإنساني خليفة الله في العالم و ليس مظهره الحقيقي أيضا إلاّ الإنسان الّذي هو خليفة اللّه فيكون السجدة و التسبيح لهما حقيقة، السجدة و التسبيح للّه، لقوله تعالى:

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اللهَ [النساء: ٨٠].

وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ [العنكبوت: ٤٣].

و من هذا ورد في الشكر الحقيقي من بعض الأئمّة:

«إنّه صرف كلّ عضو فيما خلق لأجله» [٨٣].

---

(٨٣) قوله: إنّه صرف كلّ عضو فيما خلق لأجله.

روى الصدوق في «الخصال» ج ١ ص ١٤ الحديث ٥٠ بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «و شكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم اللّه عزّ و جلّ».

و رواه أيضا في معاني الأخبار ص ٢٥١ و عنه البحار ج ٧٠ ص ٣١٠ الحديث ٣ و روي الكليني في الكافي ج ٢ ص ٩٥ الحديث ١٠ بإسناده عن الصادق عليه السّلام قال:

«شكر النعمة اجتناب المحارم و تمام الشكر قول الرّجل: الحمد للّه ربّ العالمين».

روى ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ٤ ص ١٨٠ عن الباقر عليه السّلام قال:

«إنّ اللّه تعالى أعطى المؤمن البدن الصحيح، و اللّسان الفصيح، و القلب الصريح، و كلّف كلّ عضو منها طاعة لذاته و لنبيه و لخلفائه، فمن البدن الخدمة له و لهم، و من اللسان الشهادة به و بهم، و من القلب الطمأنينة بذكره و بذكرهم، فمن شهد باللّسان و اطمأنّ بالجنان، و خدم بالأركان أنزله اللّه الجنان». عنه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٤٩

(لا يقع شيء في الوجود و يكون خلاف علم اللّه سبحانه و تعالى)

و قيل: «إنّ كلّ موجود من الموجودات العلويّة و السفليّة بالنسبة إلى الإنسان الكبير، هو في الّذي خلق لأجله إلاّ الإنسان».

يعني ليس هناك موجود يخالفه في أمره و نهيه و طاعته و عبادته إلاّ الإنسان، فإنّه في حالة المخالفة للّه تعالى ليس في أمره و طاعته كأنفسنا في بعض الأوقات بالنسبة إلى روحنا و عقلنا و ان كانت تلك المخالفة

البحار ج ٦٧ ص ٣٣ الحديث ٣٣.

في البحار ٦١ ص ٢٤٦: قال النيسابوري (في تفسير الآية: «لعلكم تشكرون» النحل ٨٠): أن تصرفوا كلّ آلة في ما خلق لأجله.

قال المراغي في تفسير الآية المذكورة ج ١٤ ص ١١٨:

«لعلكم تشكرون» «أي رجاء أن تشكروه باستعمال نعمه فيما خلقت لأجله، و تتمكنوا بها من عبادته تعالى، و تستعينوا بكل جارحة و عضو على طاعته».

قال العلاّمة الطباطبائي في «الميزان» ج ٤ ص ٣٨:

«و حقيقة الشكر إظهار النعمة، كما أن الكفر الّذي يقابله هو إخفاؤها و الستر عليها، و إظهار النعمة هو استعمالها في محلها الّذي أراده منعمها، و ذكر المنعم بها لسانا و هو

الثناء، و قلبا من غير نسيان، فشكره تعالى على نعمة من نعمه أن يذكر عند استعمالها، و يوضع النعمة في الموضع الّذي أراده منها و لا يتعدى ذلك، و إن من شيء إلاّ و هو نعمة من نعمة تعالى، و لا يريد بنعمة من نعمه إلاّ أن تستعمل في سبيل عبادته، قال تعالى:

وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [إبراهيم: ٣٤].

فشكره على نعمته أن يطاع فيها و يذكر مقام ربوبيّته عندها. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٥٠

أيضا عين الموافقة في الحقيقة، لأنّ كلّ مخالفة فرض في العالم من حيث الأوامر الشرعيّة و نواهيها، فهو موافق لعلم اللّه به أزل الآزال و أبد الآباد، لوجوب تطابق العلم المعلوم أيّ معلوم كان، كما قال بعض العارفين في هذا المعنى: «من خالف اللّه في أمره لم يخالفه، و من خالفه في مراده منه وافقه في مراده به، و إلى هذا أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام في بعض خطبه بالنسبة الى آدم عليه السّلام أو ذرّيته في قوله:

«و أسكنه جنته و أرغد فيها أكله، و أوعز إليه فيما نهاه عنه، و أعلمه أنّ في الإقدام عليه التعّرض لمعصيته، و المخاطرة بمنزلته، فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله» [نهج البلاغة: صبحي الخطبة ٩١ و فيض: ٩٠].

و يدلّ على هذا أيضا قوله في موضع آخر:

«اعلموا علما يقينا أنّ اللّه لم يجعل للعبد- و إن عظمت حيلته، و اشتدّت

طلبته، و قويت مكيدته- أكثر ممّا سمّى له في الذكر الحكيم، و لم يحل بين العبد في ضعفه و قلّة حيلته، و بين أن يبلغ ما سمّى له في الذكر الحكيم، و العارف لهذا، العامل به، أعظم الناس راحة في منفعة، و التارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلا في مضرّة، و ربّ منعم عليه مستدرج بالنّعمى، و ربّ مبتلى مصنوع له بالبلوى، فزد أيّها المستمع (المستنفع) في شكرك، و قصّر من عجلتك، وقف عند منتهى رزقك» [نهج البلاغة: الحكمة رقم ٢٧٣].

و كذلك قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«جفّ القلم بما هو كائن» «٨٤».

(٨٤) قوله: جفّ القلم بما هو كائن.

ذكرناه الى مصادره تفصيلا في الجزء الثاني من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٢٣٩ و ص ٤٤٤، تعليقنا الرقم ٩٧ و ٢٣١ فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٥١

و قوله:

«كلّ ميسر لما خلق له» «٨٥».

و كذلك قوله تعالى:

كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ [القمر: ٥٢].

و قوله:

وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [الأنعام: ٥٩].

و ليس مرادنا بهذا إثبات مسألة الجبر، و لا إثبات قول من قال: إنّ كلّ ما علم اللّه تعالى وقوعه يجب وقوعه، و كلّ ما علم اللّه تعالى بعدم وقوعه يستحيل وقوعه، بل مرادنا أنّه لا يقع شيء في الوجود خلاف علم اللّه تعالى موافقا كان ذلك الشيء أو مخالفا، و هذا شمّة من بحر سرّ القدر المنهيّ «عن كشف» أسراره، و إن سبق من سرّ القدر أكثر من ذلك في المقدّمات، و لهذا مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام ما شرع في جواب سرّ القدر إذا سئل، و بل منعهم عن ذلك، و هو قوله:

«ألا إنّ القدر سرّ من سرّ [٨٦] اللّه عزّ و جلّ، و ستر من ستر اللّه، و حرز

---

(٨٥) قوله: كل ميسر لما خلق له.

راجع في مصادره الجزء الأوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٣٠٤ تعليقنا فيه الرقم ٦٤، و قد مرّ أيضا ذكره في التعليق الرقم ١٦ من هذا الجزء.

(٨٦) قوله: ألا إنّ القدر سرّ. الحديث.

رواه الصدوق في كتابه «التوحيد» باب القضاء و القدر ص ٣٨٣ الحديث ٣٢ بإسناده

عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه آلاف التحيّة و السلام.

و عن أمير المؤمنين أيضا في نهج البلاغة، الحكمة الرقم ٢٨٧:

و سئل عن القدر، فقال: «طريق مظلم فلا تسلكوه، و بحر عميق فلا تلجوه، و سرّ اللّه فلا تتكلّفوه».

و روي ابن أبي جمهور الأحسائي في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٠٨ الحديث ١٦١، فقال:

و روي عن عليّ عليه السّلام و قد سئل عن القدر؟

فقال: «سرّ عظيم فلا تكشفه».

و اخرج السيوطي في «الجامع الصغير» ج ١ ص ٩٥ الرقم ٦١٥، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إذا ذكر القدر فأمسكوا».

و روي الصدوق في «التوحيد» باب التوحيد و نفي التشبيه الحديث ٩ ص ٤٧ بإسناده عن الإمام الرضا عليه السّلام قال:

«الخلق إلى ما علم (الربّ) منقادون، و على ما سطر في المكنون من كتابه ماضون، و لا يعملون خلاف ما علم منهم، و لا غيره يريدون». الحديث. عنه البحار ج ٣ ص ٢٩٧.

و روي المجلسي في البحار ج ٥ ص ١٢٣ باب القضاء و القدر الحديث ٧٠ عن «فقه الرضا»:

«سئل أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه عن القدر فقيل له: أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين، فقال: «سرّ اللّه فلا تفتّشوه»، فقيل له الثاني: أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين، قال:

«بحر عميق فلا تلحقوه»، فقيل له: أنبئنا عن القدر، فقال:

ما يفتح اللّه للنّاس من رحمة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل له» [فاطر: ٢].

و روى الصدوق في «التوحيد» باب القضاء و القدر الحديث ٣ ص ٣٦٥ بإسناده عن عبد الملك بن عنترة الشيباني، عن أبيه، عن جدّه، قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٥٣

«يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال عليه السّلام: طريق مظلم فلا تسلكه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال عليه السّلام: سرّ اللّه فلا تكلّفه (فلا تتكلّفه)، قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: أمّا إذا أبيت فإنّي سائلك أخبرني أ كانت رحمة اللّه للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة اللّه؟ قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة اللّه للعباد قبل أعمال العباد، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: قوموا فسلّموا على أخيكم فقد أسلم و قد كان كافرا، قال: و انطلق الرجل غير بعيد، ثمّ انصرف إليه فقال له: يا أمير المؤمنين أ بالمشيئة الأولى نقوم و نقعد، و نقبض و نبسط؟ فقال لها أمير المؤمنين عليه السّلام: و إنّك لبعد (لبعيد) في المشيئة، أما إنّي سائلك عن ثلاث لا يجعل اللّه لك في شيء منها مخرجا: أخبرني أخلق اللّه العباد كما شاء أو كما شاؤوا؟ فقال: كما شاء، قال عليه السّلام:
فخلق اللّه العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟ فقال: لما شاء، قال عليه السّلام: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟ قال: يأتونه كما شاء، قال عليه السّلام: قم فليس إليك من المشيئة شيء». عنه البحار ج ٥ باب القضاء و القدر الحديث ٣٥ ص ١١٠.

أقول هناك في «البحار» للعلاّمة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان تعليق على كلام المجلسي ذيل الحديث، نذكر ما بيّنه العلامة هنا مزيدا للفائدة و نذكر أيضا بعده كلام من صدر المتألهين الشيرازي.

و امّا كلام العلامة هكذا:

«كل واحد من آحاد الخلق محدود بحدود يتعيّن بها في وجوده كالطول و العرض و اللون و سائر الأوصاف و الروابط الّتي يرتبط بغيره بواسطتها ككون الإنسان ابن فلان و أخا فلان و أبا فلان و في زمان كذا و مكان كذا و هكذا.

و إذا أمعنت النظر في ذلك وجدت أن جميع أسباب وجود الشيء ذوات دخل في حدود وجوده سائر ما يتعلق بوجوده، و أنّها هي الّتي يتقدّر بها الشيء، غير أنّ كلاّ من الأسباب أيضا يتقدّر بما يتقدّمه من المقدّرات، و لا محالة تنتهي إليه سبحانه فعنده تعالى حقيقة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۱۵۴

ما يتقدّر به كلّ شيء و يتحدّد به كلّ أمر.

و الأشياء إنّما ترتبط به تعالى من جهة صفاته الفعليّة الّتي بها ينعم عليها و يقيم صلبها و يدبّر أمرها كالرحمة و الرزق و الهداية و الإحياء و الحفظ و الخلق و غيرها و ما يقابلها فللّه سبحانه من جهة صفات فعله دخل في كل شيء مخلوق و ما يتعلّق به من أثر و فعل إذ لا معنى لإثبات صفة فيه تعالى متعلقة بالأشياء و هي لا تتعلّق بها.

و لذلك فإنّه عليه السّلام سأل الرجل عن تقدّم صفة الرحمة على الأعمال، و لا معنى

لتقدّمها مع عدم ارتباطها بها و تأثيرها فيها فقد نظم اللّه الوجود بحيث تجري فيه الرحمة و الهداية و المثوبة و المغفرة، و كذا ما يقابلها، و لا يوجب ذلك بطلان الإختيار في الأفعال فان تحقق الإختيار نفسه مقدمة من مقدمات تحقق الأمر المقدّر، إذ لو لا الإختيار لم يتحقق طاعة و لا معصية، فلم يتحقق ثواب و لا عقاب، و لا أمر و لا نهي، و لا بعث و لا تبليغ.

و من هنا يظهر وجه تمسّك الإمام عليه السّلام بسبق صفة الرحمة على العمل، ثمّ بيانه عليه السّلام أنّ للّه مشيّة في كلّ شيء و أنّها لا تلغوا و لا تغلبه مشية العبد فالفعل لا يخطئ مشيئته تعالى و لا يوجب ذلك بطلان تأثير مشيئة العبد فإنّ مشيئة العبد إحدى مقدّمات تحقق ما تعلّقت به مشيئته تعالى، فإن شاء الفعل الّذي يوجد بمشيئة العبد فلا بدّ لمشيئة من التحقق و التأثير، فافهم ذلك.

و هذه الرواية الشريفة على ارتفاع مكانتها و لطف مضمونها يتّضح به جميع ما ورد في الباب من مختلف الروايات، و كذا الآيات المختلفة من غير حاجة إلى أخذ بعض و تأويل بغض آخر» انتهى كلام العلاّمة.

و أمّا كلام صدر المتألهين، في تفسير سورة السجدة الآية ٢١، فهو ما يلي:

«و أمّا ما ألهمني اللّه به و قذف في قلبي من نوره، و هو أنّ لعلم اللّه تعالى و إرادته مراتب متفاوتة في النزول، فكما أنّ لعلمه مرتبة كماليّة هي نفس ذاته بذاته، إذ بذاته يعلم جميع الأشياء الكلّية و الجزئية، و هذا العلم ليس متكثرا بل علم واحد إجمالي، هو واجب بالذات و هو مرآة كل الحقائق و مجلى جميع الرقائق، و بعد ذلك مرتبة تفصيل

من حرز اللّه، مرفوع في حجاب اللّه، مطويّ عن خلق اللّه، مختوم بخاتم اللّه، سابق في علم اللّه، وضع اللّه عن العباد علمه (وضع اللّه العباد عن علمه)، و رفع فوق شهاداتهم، و منع عقولهم بأنّهم لا ينالونه (و رفعه فوق شهاداتهم و مبلغ عقولهم لأنّهم لا ينالونه) لا بحقيقة الربانيّة، و لا بقدرة الصمدانيّة، و لا بعظمة النورانيّة، و لا بعزّة الوحدانيّة، لأنّه بحر زاخر خالص للّه عزّ و جلّ، عمقه ما بين السّماء و الأرض، عرضه ما بين المشرق

المعقولات الكلية، و هو مرتبة القضاء الإلهي و هي مفاتيح الغيب لقوله:

وَ عِنْدَهُ مَفٰاتِحُ الْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ [الانعام: ٥٩].

و هي أيضا خزائن الرحمة لقوله تعالى:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ [الحجر: ٢١].

ثمّ بعده مرتبة الجزئيّات و الشخصيّات المقدّرة بأوقاتها و أزمنتها المثبتة بهيئاتها في كتاب لا يجليها لوقتها إلاّ هو، و هذه المرتبة «عالم قدر» لقوله:

وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [الحجر: ٢١].

و هذا هو «كتاب المحو و الإثبات» كما أنّ السابق «اللوح المحفوظ» لقوله:

يَمْحُوا اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتٰابِ [الرعد: ٣٩].

و بعد ذلك مرتبة وجودات المعلومات في موادّها الخارجيّة الجزئيّة المكتوبة بمداد الهيولى الّتي تسمّى ب‍«البحر المسجور» و «الكتاب المبين» كما أشير في قوله:

لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّي [الكهف: ١٠٩].

و في قوله:

لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [الانعام: ٥٩].

و هاتان المرتبتان قابلتان للتغير، و بهاتين الأخيرتين يتّضح (يسترجع) عروض التغيّر في علمه تعالى بالحوادث من حيث هو معلوم، لا بما هو علم، و إن كانا أمرا واحدا بالذات، و هذا ممّا لا يعلمه إلاّ المحقّقون المحقّون، المتحقّقون بالشهود.

راجع أيضا الجزء الثاني من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٢٣٩ التعليق ٩٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٥٦

و المغرب، أسود كالليل الدّامس، كثير الحيّات و الحيتان، يعلو مرّة و يسفل أخرى، في قعره شمس تضيء، و لا ينبغي أن يطلع عليها إلاّ الواحد الصمد (الفرد)، فمن تطلّع إليها فقد ضادّ اللّه في حكمه، و نازعه في سلطانه، و كشف عن سرّه و ستره بٰاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

و تلك شقشقة هدرت ثمّ فرت، فنرجع إلى كنّا بصدده و نقول:

(كل موجود له تسبيح و حياة)

اعلم، حيث ثبت إنّ كلّ موجود له صلاة و تسبيح و سجدة، ثبت أنّ كلّ موجود له حياة و نطق و معرفة، و هذا هو الكمال المقصود من الكلّ، أمّا الحياة فتلك حقيقيّة و مجازيّة.

(الحياة الحقيقيّة هي العلم و المعرفة)

أمّا الحقيقيّة فقد تقرّر أنّ الحياة الحقيقيّة هي العلم و المعرفة أي العلم باللّه و المعرفة به، و هذه حاصلة لكلّ موجود بحكم قوله:

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ [لقمان: ٢٥].

لأنّ هذا إقرار بألوهيّته و وحدانيّته، و هذا المقدار يكفي في المعرفة الجبليّة دون الكسبيّة، و كذلك قوله:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [الإسراء: ٤٤].

لأنّ التسبيح للشيء يكون مسبوقا عن معرفة، لأنّ التسبيح بدون المعرفة مستحيل جبليّة كانت أو كسبيّة.

و أمّا المجازيّة، فقد تقرّر أنّ كلّ موجود له حياة بحسبه و يشهد به

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٥٧

قوله تعالى:

وَ جَعَلْنٰا مِنَ الْمٰاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ [الأنبياء: ٣٠].

فهذا الماء إن قلنا: من المركبات فذلك ظاهر، لأنّ جزء كلّ مركب ماء عنصريّ صوريّ الّذي تركب به بدن الإنسان لقوله:

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمٰاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً [الفرقان: ٥٤].

و إن قلنا: من البسائط فذلك يرجع إلى الهيولى الكلّيّة الّتي كان العرش عليه قبل إيجاد العالم و ما فيه لقوله تعالى:

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ وَ كٰانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمٰاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً [هود: ٧].

و بالجملة للكلّ حياة مناسب بحاله، فإن شئت سمّها علما و معرفة، و إن شئت سمّها ماء عنصريّا، و إن شئت هيولى كلّيّا، لا مشاحّة في الألفاظ.

و أمّا النطق فذلك أيضا مجازيّ و حقيقي.

امّا المجازي فلقوله تعالى:

أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ [فصّلت: ٢١].

و لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«يشهد للمؤذن كلّ رطب و يابس [٨٧]، و يستغفر لطالب العلم كلّ

(٨٧) قوله: يشهد للمؤذن.

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٤٦١ و ٤٥٨ بإسناده عن أبي هريرة و في ج ٤ ص ٢٨٤ بإسناده عن البراء بن عازب عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

شيء حتّى الحيتان في البحر و الطير في السماء» «٨٨».

فإنّ هذين القولين دالاّن على أن لهم نطق و أظهر و أبين من ذلك

«يغفر للمؤذن مدّ صوته و يشهد له كل رطب و يابس». الحديث.

و في رواية ابن عازب هكذا:

المؤذن يغفر له مدّ صوته و يصدّقه من سمعه من رطب و يابس، و له مثل أجر من صلّى معه.

و أخرجه أيضا ابن ماجة في سننه ج ١ كتاب الأذان باب فضل الأذان الحديث ٧٢٤.

و فيه: «و يستغفر له كلّ رطب و يابس».

و روي الشيخ المفيد مثل ما أخرجه ابن حنبل، مرسلا عن الصادقين، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في المقنعة باب الأذان و الإقامة ص ۹۸.

و روي الصدوق في «الخصال» باب العشرة ص ٤٤٨ الحديث ٥٠ و أيضا في «ثواب الأعمال» ص ٥٣ الحديث ١، بإسناده عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال:

«من أذّن عشر سنين محتسبا يغفر اللّه له مدّ بصره، و مدّ صوته في السماء، و يصدّقه كلّ رطب و يابس سمعه، و له من كل من يصلّي في مسجده سهم، و له من كلّ من يصلّي بصوته حسنة».

و عنهما البحار ج ٨٤ ص ١٠٤ الحديث ٢ و ١.

(٨٨) قوله: يستغفر لطالب العلم.

رواه محمّد بن الحسن الصفّار المتوفّى ٢٩٠، بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن الصادق عليه السّلام، في «بصائر الدرجات» باب ٢ الحديث ٣. و قريب منه الحديث ٥ و ٤ أيضا و أخرجه ابن ماجة في سننه ج ١ باب ١٧ فضل العلماء الحديث ٢٢٣ ص ٨١.

و رواه أيضا الصدوق في «أماليه» المجلس الرابع عشر ص ٥٨ الحديث ٩ بإسناده عن عبد اللّه بن ميمون، عن الصادق عليه السّلام، عن آبائه عليهم السّلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و رواه أيضا الطوسي في أماليه، ج ٢، في آخر الجزء الثامن عشر ص ١٣٥. فراجع، و عنه البحار ج ١ ص ١٧٢ الحديث ٢٥.

تسبيح الحصى في كفّ نبيّنا صلى اللّه عليه و آله الّذي هو الجماد، و أنين الخشبة الّذي هو النبات، و تكلّم الذراع المشوى، لأنّ المولّدات منحصرة في هذه الثلاث، و أمّا العنصريات و الطبيعيّات فقد تقدّم تقريرها.

و امّا الحقيقي، فالنطق هو التعقّل مطلقا و تعقّل الشيء ذاته و ذات موجوده هو النطق الحقيقي، و قد سبق بيان ذلك بحكم الآية و الخبر، و الدليل على أنّهم عرفوه و سبّحوه لأنّهم لو لم يعرفوه لم يسبحوه لأنّ الشيء المجهول الغير المعلوم لا يسبحه أحد أصلا.

(المعرفة حقيقية و مجازية و المراد من المعرفة في «عالم أ لست» هي المعرفة في عالم الفطرة و الجبلّة)

و أمّا المعرفة فتلك أيضا حقيقيّة و مجازيّة، أعني جبليّة و كسبيّة.

أمّا الجبليّة الحقيقيّة فقد شهدت به الآية في قوله:

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ [لقمان: ٢٥].

و شهد به قوله:

أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ [الأعراف: ١٧٢].

و ان قلت: هنا ضمير راجع إلى ذريّة آدم لا إلى الموجودات مطلقا.

قلنا: هذا صحيح، أنّه ضمير إلى ذرّيّة آدم لكن آدم يشمل الإنسان الكبير و الصغير، و هذا ضمير إلى آدم الكبير الّذي هو العالم و ما فيه من الموجودات، لأنّ الكلّ ذريّة له كما أشار إليه الحقّ في قوله:

يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا وَ بَثَّ مِنْهُمٰا رِجٰالاً كَثِيراً وَ نِسٰاءً [النساء: ١].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۶۰

و المراد بالرجال و النساء الذكورة و الأنوثة الحاصلة في كلّ موجود من الموجودات العلويّة و السفليّة المشار إليه في قوله:

وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ [الذاريات: ٤٩].

أي الإناث و الذكور، و الذي قيل:

و في كلّ شيء له آية تدل على أنّه واحد

«۸۹» أيضا دليل على هذا.

و أمّا الكسبيّة المجازيّة، فتلك مخصوصة بالإنسان و الملك و الجنّ مع أنّ لهم معارف جبليّة سابقة على الكسبيّة و قد تقدّم ذكرها بوجوه كثيرة، و العود إلى ما سبق غير مستحسن، فأرجع إليه، هذا من حيث النقل الممزوج بالعقل، و أمّا من حيث العقل الممزوج بالكشف المحبوب و الذوق:

(ليس في الوجود سوى اللّه، و هو العارف و المعروف و هو المحبّ و المحبوب)

فاعلم، انّه قد تقرّر عند أهل اللّه باتّفاق أكثر العقلاء أنّ الوجود واحد، و ذلك دائر بين المحبّ و المحبوب، و العارف و المعروف، و الطالب و المطلوب، بشهادة قوله تعالى:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ [المائدة: ٥٤].

و قوله:

(٨٩) قوله: و في كل شيء له آية.

ذكره ابن العربي في «الفتوحات» ج ١ ص ١٨٤، و نسبه إلى أبي العتاهيّة، و هو أبو إسحاق بن القاسم بن سويد بن كيسان، المتوفّى ٣١٠.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٦١

«فأحببت ان أعرف» «٩٠».

فالمحبوب الحقيقي عند التحقيق يكون هو اللّه فقط، و المحبّ ما سواه من المخلوقات و الموجودات جمادا أو نباتا، أو حيوانا أو إنسانا، أو جنّا أو ملكا، كما قيل:

و كل مليح حسنه من جماله معار له بل حسن كلّ مليحة

و كما قيل:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلاّ للحبيب الأوّل

و بناء على هذا يصدق على الكلّ أنّهم محبّون له، متوجّهون إليه، سايرون إلى حضرته، و إن حقّق عرف أنّه المحبّ و المحبوب، و الطالب و

المطلوب، و العارف و المعروف، لأنّ من هذه الاعتبارات يلزم الغيريّة و الكثرة و مشاهدة الغير، و هذا خلاف التوحيد الحقيقي، و المقصد ليس إلاّ التوحيد، فيجب حينئذ مشاهدة وجود باعتبارين:

بوجه باعتبار أن لا تعتبر معه أحد غيره أصلا و هو اعتبار الحضرة الأحديّة، و مقام الإطلاق و الوحدة. و الثاني باعتبار أن تعتبره مع أسماوءه و صفاته و أفعاله، و المظاهر الّتي بإزائها المعبّر عنها بالأكوان، و بالنسبة إلى الأوّل قيل:

لقد كنت دهرا قبل أن تكشف الغطاء

أخالك إني ذاكر لك شاكر

فلما أضاء الليل أصبحت عارفا (شاهدا)

بأنّك مذكور و ذكر و ذاكر

(٩٠) قوله: فأحببت ان أعرف.

قدّ مرّ ذكره في التعليق الرقم ٦٠ فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١۶٢

و قيل: لا يحبّ اللّه إلاّ اللّه، و لا يعرف اللّه إلاّ اللّه، و لا يذكر اللّه إلاّ اللّه.

و بالنسبة إلى الثاني قيل: ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله فالكلّ هو و به و منه و إليه، و قال هو بنفسه:

هُوَ الأَوَّلُ وَ الآْخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد: ٣].

و قال:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [فصّلت: ٥٤- ٥٣].

و فيه قيل:

جمالك في كلّ الحقائق سائر　　و ليس له إلاّ جلالك ساتر

تجليت للأكوان خلف ستورها　　فنمت بما ضمت عليه الستائر

و قيل:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة　　فشاهدته في كلّ معنى و صورة

و أكثر ذلك قد ذكرناه مرارا، و الغرض واحد و هو إثبات أنّ كلّ شيء له سير و سلوك صورة و معنى، و قد ثبت ذلك و الحمد للّه، و حيث إنّه كان على سبيل الإجمال فالواجب أن نشرع فيه على سبيل التفصيل بعون اللّه و حسن توفيقه و هذا:

(كمال كل شيء وصوله إلى الإنسان و كمال الإنسان وصوله الى الحق سبحانه)

اعلم، أنّ لكلّ موجود سيران صوري و معنوي:

أمّا السير الصوري للجماد فهو انّه يصل إلى مرتبة النبات

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ١٦٣

كالمرجان فإنّه ينبت و يحصل له أغصان و أوراق و شعب كالنبات و الشجر.

و أمّا السير المعنوي له فهو أن يصير جزء بدن الإنسان على أيّ وجه كان، أعني في صورة الأغذية و الأشربة و المعاجين و غير ذلك.

و أمّا السير الصوري للنبات فهو أن يصل إلى مرتبة الحيوان كالنخل، فإنّ له تعشّق و تحبّب كالحيوان إلى نخل آخر بقوّة التناسب الّتي بينه و بينه و غير

ذلك من المناسبة مع الحيوان لأنّه إذا قطع رأسه يموت، و إذا غرق في الماء يموت، و أمثال ذلك و كلّ ذلك من خصال الحيوان.

و أمّا السير المعنوي له، فهو ان يصير جزء بدن الإنسان على أيّ وجه يكون بالأغذية كانت أو بغيرها.

و أمّا السير الصوري للحيوان، فهو أن يصل إلى مرتبة الإنسان، و يحصل له النطق و التكلّم كالقرد و الببغاء و غير ذلك من الحيوانات.

و أمّا السير المعنوي له، فهو أن يصير جزء بدن الإنسان على أيّ وجه كان، و السرّ في ذلك كلّه أنّ كمال جميع الموجودات دون الإنسان هو وصوله إلى الإنسان فقط، و كمال الإنسان في وصوله إلى الحقّ تعالى فقط، فحينئذ توجّه جميع العالمين يكون إلى الإنسان صورة و معنى كبيرا كان الإنسان، أو صغيرا لحصول كما لهم المعيّن لهم في الأزل، و توجّه الإنسان إلى الحقّ تعالى مطلقا لحصول كمالهم المعين لهم في الأزل.

فافهم جدّا، و إليه الإشارة:

وَ سَخَّرَ لَكُمْ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً [الجاثية: ١٣].

و أبلغ من ذلك قوله لنبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٦۴

«لولاك لما خلقت الأفلاك» «٩١».

أي لولاك لما خلقت العالم و ما فيه.

و امّا السير الصوري للإنسان، فهو أن يصير ملكا و يحصل له الطهارة و التجرّد من ملابس الصورة البشريّة و خسائس الطبيعة الحسيّة.

و امّا السير المعنوي له، فهو أن يحصل مرتبة النبوّة و الرسالة و الولاية، و يصل منها إلى مرتبة الوحدة الصرفة الّتي هي عبارة عن رفع الإثنينيّة الاعتباريّة، لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل» «٩٢».

و قوله أيضا:

---

(٩١) قوله: لولاك لما خلقت الأفلاك.

قد مرّ ذكره و ذكر مصادره في التعليق الرقم ١٦٧، الجزء الأوّل ص ٥٤٨ تفصيلا فراجع، و ذكره السيد الجليل المؤلّف أيضا في الجزء الثاني ص ٥٠٧.

روى المجلسي رحمهم اللّه في «البحار» ج ١٥ ص ٢٦ الحديث ٤٨، و ج ٥٧ ص ١٩٨ الحديث ١٤٥، عن كتاب «الأنوار ٩ للشيخ أبي الحسن البكري، أستاذ الشهيد الثاني، قال: روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام، قال:

«كان اللّه و لا شيء معه، فأوّل ما خلق نور حبيبه محمّد صلّى اللّه عليه و آله قبل خلق الماء، و العرش، و الكرسي، و السماوات و الأرض، و اللوح، و القلم، و الجنة و النار، و الملائكة، و آدم و حوّاء بأربعة و عشرين و أربعمائة ألف عام، فلمّا خلق اللّه تعالى نور نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله بقي ألف عام بين يدي اللّه عزّ و جلّ واقفا يسبّحه و يحمده، و الحقّ تبارك و تعالى ينظر إليه و يقول: يا عبدي أنت المراد و المريد، و أنت خيرتي من خلقي، و عزّتي و جلالي لولاك ما خلقت الأفلاك». الحديث.

(٩٢) قوله: لي مع اللّه وقت.

ذكرنا تفصيلا في تعليقنا على الكتاب الرقم ۳۸ و ٦٧، فراجع. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ١٦٥

«من رآني فقد رأى الحقّ» «۹۳».

لأنّ كلّ ذلك دليل عليه، و قوله تعالى:

وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ [الأنفال: ١٧].

يكفي فيه، لأنّه نفي في عين الإثبات، و إثبات في عين النفي، و المراد إثبات مقام الوحدة له و رفع الإثنينيّة و الكثرة، الموجب للاتّحاد الكلّي المشار إليه في قوله تعالى:

ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ [النجم: ٨- ٩].

و قد ذكرنا من كلام العارف في هذا الباب أقوال كثيرة فارجع إليها.

و أمّا السير الصوري للجنّ، فهو أن يحصل له مرتبة الملكيّة السماويّة من التجرّد و التقديس (التقدّس)، فإنّ عند أكثر الناس الجنّ من الملائكة الأرضيّة و سمّاهم الجنّ لخفائهم عن عيون الإنس، كما قال تعالى في حقّ إبليس:

كٰانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ [الكهف: ٥٠].

و إن كان عند البعض هم أشكال ناريّة موضعهم كرة الأثير، و لهم دخول في كرة الماء و التّراب، و كيفيّة ذلك موقوف على بسط عظيم ليس هذا موضعه.

و امّا السير المعنوي له، فهو أن يحصل له المراتب الإنسيّة و المعارف

البشريّة، و يؤمن بالشرع و القرآن، كما نطق به الكتاب الكريم في قوله:

---

(٩٣) قوله: من رآني فقد رأى الحقّ.

ذكرناه مع ذكر مصادره و توضح في التعليق الرقم ٣٥ فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٦٦

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً [الجنّ: ١- ٢].

و أمّا السير الصوري للملك، فهو أن يحصل له مقام القرب و التقديس و التنزيه، و يصل إلى مرتبة الكروبيين الّذين أخرجهم اللّه تعالى عنهم بالاستثناء الفاضل بين النوع و الأشخاص كإخراج جبرئيل و ميكائيل من الملائكة، أو الإنسان من الحيوان المطلق، و قد سبق ذكره في الديباجة.

(في أنّ الإنسان أفضل من الملائكة)

و امّا السير المعنوي له، فهو أن يحصل له الإطلاع على بعض أسرار الإنسان الحاصلة له من اللّه تعالى المخصوصة بالإنسان دون الملك لقول جبرئيل عليه السّلام:

«لو دنوت أنملة لاحترقت» «٩٤».

و يشهد به تعليم آدم الملائكة في قوله:

فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ [البقرة: ٣٣].

و لهذا ذهب العارف: أنّ الإنسان أعظم من الملك [۹۵]، و أشرف منه

---

(۹٤) قوله: لو دنوت أنملة.

قد مرّت الإشارة إليه في التعليق الرقم ۷۲.

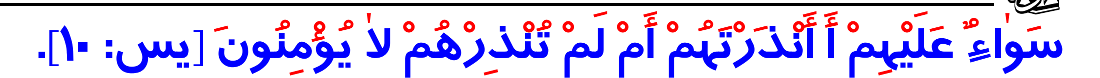
(۹۵) قوله: ان الإنسان أعظم من الملك.

أقول: كيف لا يكون الإنسان أشرف و أعظم عند اللّه سبحانه مع أنّه خليفته، و خلقه على صورته، و علّمه الأسماء كلّها.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱٦۷

الإنسان الكامل هو نفس الأسماء الحسنى، و هو الإسم الأعظم، امّا الملائكة لا يعرفون الأسماء بل عرفوا أسماء أنفسهم و حقيقة وجودهم من خلال إنباء الإنسان الكامل لهم، و أين التعلّم و العلم و الإنباء و الخبر، اللّه سبحانه و تعالى علّم الإنسان الأسماء كلّها، و الإنسان أخبرهم بأسمائهم بأمر اللّه تبارك و تعالى.

نعم ليس البحث في أنّ جميع أفراد الإنسان أفضل من الملائكة لأنّه يوجد بينهم أشق الأشقياء، و من **لَمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لاٰ لِيَهْدِيَهُمْ** [النساء: ۱۳۷]، **إِنْ هُمْ إِلاّٰ كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** [الفرقان: ٤٤]، **و الّذين لا يفيدهم هداية النبيّ و القرآن، لقوله تعالى:**


سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ [يس: ١٠].

و قوله تعالى:

وَ لاٰ يَزِيدُ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ خَسٰاراً [الإسراء: ٨٢].

بل الحقّ هو أنّ حقيقة الإنسانيّة لها فضيلة على حقيقة الملائكة، و الإنسان الكامل أشرف و أفضل و أعظم بمراتب من الملائكة المقرّبين، و هو الّذي كان مسجود الملائكة، و الآن كما كان، فهو قطب العالم و مختلف الملائكة، و ليس هذا أمرا تشريفيّا بل أمر حقيقيّ و بسبب كمال المرتبة الوجوديّة في قوس النزول و عبوديته الصرفة في قوس الصعود قال سبحانه في حديث القدسي:

«أنت المريد و المراد».

المراد من العلم بالأسماء كلّها، عبارة عن العلم الشهودي، و بتعبير آخر عبارة عن أعلى المراتب من مراتب حق اليقين بحقائق ما سوى اللّه سبحانه و أسرار حقائق وجودات العالم، و هذا يعني تحقق الأسماء في وجود العالم و هو فوق التخلّق بها، فيكون العالم حينئذ:

الأسماء المتجسدة.

الإنسان الكامل لا يصل الى هذا المقام إلاّ من خلال الطهارة و العبوديّة الصرفة،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٦٨

و الإخلاص و القرب و المحبوبيّة و الولاية المطلقة، و من هنا صار الإنسان الكامل

«عبده» و «خليفته»، قال سبحانه و تعالى:

سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ [الإسراء: ۱].

و قال:

فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى [النجم: ۱۰].

اذن الإنسان الكامل مقامه و مرتبته فوق مقام عبوديّة الأسماء فهو عبد مطلق للذّات المطلقة (أي المطلقة حتّى من قيد الإطلاق) لشهادة «ه» في «عبده».

و الآن نذكر قسما من الآيات و الروايات الكثير الدالّة على ما ذكرنا و هي كثيرة جدا، خاصّة الأحاديث و لا يبعد دعوى التواتر في المعنى و المضمون فيها، و أمّا ما قصدنا بذكرها من الآيات القرآنيّة الكريمة و الأحاديث الشريفة هنا ما يلي:

وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [البقرة: ۳۰- ۳۳].

و قوله تعالى:

وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى إِذْ يَغْشَى

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۱۶۹

و أمّا الأحاديث، منها:

قول جبرئيل عليه السّلام: «لو دنوت أنملة لاحترقت». راجع التعليق ۷٦.

منها، ما روى عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«لي مع اللّه وقت لا يسعه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل و لا عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان». راجع التعليق ٤۱ و ۷۱.

منها، ما روى أيضا عن الرسول الأكرم عليه السّلام:

«من رآني فقد رأى الحقّ»، راجع التعليق الرقم ۳۸.

منها، ما رواه الكليني في أصول الكافي ج ۱ ص ۲۳۰ الحديث ۱ باب ما أعطى الأئمة عليهم السّلام من أسم اللّه الأعظم، بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال:

«إنّ أسم اللّه الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفا و إنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، و نحن عندنا من الإسم الأعظم اثنان و سبعون حرفا، و حرف واحد عند اللّه تعالى أستأثر به في علم الغيب عنده، و لا حول و لا قوّة إلاّ

بالله العليّ العظيم».

و منها، ما رواه الكليني أيضا في المصدر نفسه الحديث الثاني بإسناده عن الصادق عليه السّلام قال:

«إن عيسى ابن مريم عليه السّلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، و أعطي موسى أربعة أحرف، و أعطي إبراهيم ثمانية أحرف، و أعطي نوح خمسة عشر حرفا، و أعطي آدم خمسة و عشرين حرفا، و إنّ اللّه تعالى جمع ذلك كلّه لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله، و إنّ اسم اللّه الأعظم ثلاثة و سبعون حرفا، أعطى محمدا صلّى اللّه عليه و آله اثنين و سبعين حرفا و حجب عنه حرف واحد».

و منها ما رواه الكليني أيضا في المصدر باب لو لا أن الأئمة عليه السّلام يزدادون لنفد ما عندهم، الحديث ٤، ج ١ ص ٢٥٥، بإسناده عن الصادق عليه السّلام قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٧٠

«ليس يخرج شيء من عند اللّه عزّ و جلّ حتّى يبدأ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، ثمّ بأمير المؤمنين عليه السّلام ثمّ بواحد بعد واحد، لكيلا يكون آخرنا أعلم أولنا».

و منها، ما رواه الكليني في المصدر باب الإشارة و النصّ على أبي الحسن الرضا عليه السّلام، الحديث ٤ بإسناده عن محمّد بن إسحاق بن عمّا قال: قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السّلام: ألا تدلّني إلى من آخذ عنه ديني؟ فقال:

«هذا ابني عليّ، إنّ أبي أخذ بيدي فأدخلني إلى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال:

يا بنيّ! إنّ اللّه عزّ و جلّ قال:

إِنِّي جٰاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً [البقرة: ٣٠].

و إنّ اللّه عزّ و جلّ إذا قال قولا و في به.

أقول: الحديث يدل بأن الجعل مستمرّ لا ينقطع قطّ ابدا و الآن كما كان، لو لا العالم لانعدم العالم، العالم يعني الإنسان الكامل الّذي علّمه اللّه سبحانه الأسماء كلّها فهو خليفة اللّه و صاحب العصر و أمام الهدى و قطب العالم.

و منها، ما روى المجلسي في البحار ج ٥٣ ص ٤٦ الحديث ٢٠، عن كتاب «منتخب البصائر» بإسناده عن عاصم بن حميد، عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام، قال: قال أمير أمير المؤمنين عليه السّلام:

«إن اللّه تبارك و تعالى أحد واحد، تفرّد في وحدانيّته، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نورا، ثمّ خلق من ذلك النور محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و خلقني و ذرّيتي، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحا فأسكنه اللّه في ذلك النور، و أسكنه في أبداننا فنحن روح اللّه و كلماته، فبنا احتجّ على خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء، حيث لا شمس و لا قمر و لا ليل و لا نهار، و لا عين تطرف، نعبده و نقدّسه و نسبّحه، و ذلك قبل أن يخلق الخلق، و أخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان و النصرة لنا، ... إلى ان قال:

و أنا عبد اللّه، و أخو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، أنا أمين اللّه و خازنه، و عيبة سرّه، و حجابه و وجهه و صراطه و ميزانه، و أنا الحاشر إلى اللّه، و أنا كلمة اللّه التّي يجمع بها

و يفرق بها المجتمع، و أنا أسماء اللّه الحسنى، و أمثاله العليا، و آياته الكبرى». الحديث.

و منها، ما رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٤٣ باب النوادر الحديث ٤ بإسناده عن معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السّلام في قول اللّه عز و جلّ: **وَ لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا [الأعراف: ١٨٠].**

قال: «نحن و اللّه الأسماء الحسنى الّتي لا يقبل اللّه من العباد عملا الاّ بمعرفتنا».

و منها، ما رواه العياشي في تفسيره ج ٢ ص ٤٢ الحديث ١١٩ في سورة الأعراف الآية ١٨٠ بإسناده مرسلا عن الرضا عليه السّلام قال:

«إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على اللّه، و هو قول اللّه:

وَ لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا.

قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «نحن و اللّه «الأسماء الحسنى» الّذي لا يقبل من أحد إلاّ بمعرفتنا، قال: «فادعوه بها». عنه البحار ج ٩٤ ص ٥ الحديث ٧.

و منها، ما رواه الصدوق في «علل الشرائع» ص ٥ الباب ٧ الحديث ١، و في «عيون أخبار الرضا» ج ص ٢٦٢ الباب ٢٦ الحديث ٢٢، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا، عن آباءه عليهم السّلام، عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السّلام، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«ما خلق اللّه خلقا أفضل منّي، و لا أكرم منّي، قال علي عليه السّلام: فقلت: يا رسول اللّه! فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله: يا علي إنّ اللّه تبارك و تعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، و فضّلني على جميع النبيّين و المرسلين، و الفضل بعدي لك يا عليّ و للأئمّة من بعدك، و إنّ الملائكة لخدّامنا، و خدّام محبّينا. يا

عليّ! الّذين يحملون العرش و من حوله يسبّحون بحمد ربّهم و يستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

يا علي لو لا نحن ما خلق اللّه آدم و لا حوّاء، و لا الجنّة و لا النار، و لا السماء و لا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٧٢

الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟!، و قد سبقناهم إلى معرفة ربّنا و تسبيحه و تهليله و تقديسه لأنّ أوّل ما خلق اللّه عزّ و جلّ أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده و تحميده، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظموا أمرنا، فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون، و أنّه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا و نزّهته عن صفاتنا، فلمّا شاهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ اللّه، و أنّا عبيد و لسنا بآلهة يجب أن نعبد معه، أو دونه، فقالوا: لا إله إلاّ اللّه، فلمّا شاهدوا كبر محلّنا لتعلم الملائكة أن اللّه أكبر من أن ينال عظم المحلّ إلاّ به، فلمّا شاهدوا ما جعله لنا من العزّة و القوّة، قلنا لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه، لتعلم الملائكة أن لا حول لنا و لا قوّة إلاّ باللّه، فلمّا شاهدوا ما أنعم اللّه به علينا و أوجبه لنا من فرض الطاعة، قلنا: «الحمد للّه»، لتعلم الملائكة ما يحقّ للّه تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته، فقالت الملائكة: الحمد للّه، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد اللّه و تسبيحه و تهليله و تحميده و تمجيده.

ثمّ إن اللّه تبارك و تعالى خلق آدم فأودعنا صلبه و أمر الملائكة بالسجود له تعظيما لنا و إكراما، و كان سجودهم للّه عزّ و جلّ عبوديّة، و لآدم إكراما و طاعة لكوننا في صلبه،

فكيف لا نكون أفضل من الملائكة و قد سجدوا لآدم كلهم أجمعون.

و إنّه لمّا عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى، و أقام مثنى مثنى، ثمّ قال لي: تقدّم يا محمّد، فقلت له: يا جبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم، لأنّ اللّه تبارك و تعالى فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين، و فضّلك خاصّة، فتقدّمت فصلّيت بهم و لا فخر، فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد، و تخلّف عنّي، فقلت: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال: يا محمّد إنّ انتهاء حدّي الّذي وضعني اللّه عزّ و جلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۷۳

احترقت اجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله، فزخّ بي في النور زخّة حتّى انتهيت إلى حيث ما شاء اللّه من علوّ ملكه». الحديث.

عنهما البحار ج ۱۸ ص ۳٤٥ الحديث ٥٦.

و راجع أيضا تعليقنا الرقم ۱۱٦ في الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٤٤۱.

ذكر هذا الحديث الشريف، العالم الرّباني و العارف الصمداني الامام الخميني رضي اللّه تعالى عنه، في كتابه «مصباح الهداية إلى الخلافة و الولاية» ص ۱٦٤، و في طبع الآشتياني ص ۷٥. و له فيه تعليق على الحديث، و لا بأس بذكر ما بيّنه في التعليق، مزيدا للفائدة، قال بعد ذكر الحديث هكذا:

مطلع: اعلم جعلك اللّه و إيّانا من أمّة الرسول المختار و سلكنا سبيل الشيعة الأبرار: أنّ

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «ما خلق اللّه خلقا أفضل منّي»، إشارة إلى أفضليته صلّى اللّه عليه و آله في مقام تعيّنه الخلقي، فإنّه في النشأة الخلقيّة أوّل التعيّنات و أقربها إلى الإسم الأعظم إمام أئمة الأسماء و الصفات، و إلاّ فهو بمقام ولايته الكلّيّة العظمى، و برزخيّة الكبرى، و الهيولويّة الأولى المعبّر عنها بـ«دنى و تدلّى» و الوجود الإنبساطي الإطلاقي، و الوجه الدائم الباقي المستهلك فيه كلّ الوجودات و التعيّنات، و المضمحلّ لديه جميع الرسوم و السمات، لا نسبة بينه و بين شيء لإحاطته القيّوميّة بكلّ ضوء و فيء، فلا يستصحّ الأكرميّة و الأفضلية، و لا يتصوّر الأوّليّة و الآخريّة، بل هو الأوّل في عين الآخريّة، و الآخر في عين الأوّليّة ظاهر بالوجه الّذي هو باطن، و بالوجه الّذي هو ظاهر كامن، كما قال:

«نحن السابقون الأوّلون».

١- قوله عليه السّلام: فأنت أفضل أم جبرئيل؟

أعلم أنّ هذا السؤال و غيره من المقال من مولانا أمير المؤمنين و إمام اصحاب الكشف و اليقين عليه صلوات ربّ العالمين لمصلحة كشف الحقائق بالنسبة إلى ساير الخلق (الخلائق)، و إلاّ فهو عليه الصلاة و السلام يستفيد من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حقائق العلوم و غيبيّات السرائر بمقامه العقلي و شأنه الغيبي قبل الوصول إلى النشأة المثاليّة الخياليّة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٧٤

فضلا عن نزولها إلى الهيئات اللفظيّة و الكلاميّة، فإنّ منزلته عليه السّلام منه صلّى اللّه عليه و آله بعد اتحاد نورهما بحسب الولاية الكليّة المطلقة، منزلة اللطيفة العقلية، بل الروحيّة السريّة من النفس الناطقة الإلهيّة، و منزلة ساير الخلايق منه صلوات اللّه عليه و آله منزلة ساير القوى الباطنيّة و الظاهرة منها، فإنّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أحديّة جمع الحقائق الغيبيّة و الشهادتيّة، و هو اصل اصول المراتب الكلّية و الجزئيّة، و نسبته إلى رعيته نسبة الإسم الأعظم في الحضرة الجمعية إلى ساير الأسماء و الصفات، بل هو الإسم الأعظم المحيط بسائر الأسماء الإلهية في النشأة الخلقيّة و الأمريّة، فكما أن الفيض من حضرة الجمع لا يصل إلى التفاصيل المحضة إلاّ بعد عبوره في مراحل متوسطة، و لا يمرّ على السوافل إلاّ بعد مروره على العوالي الّتي هي الواسطة، كذلك الفيوضات العلميّة و المعارف الحقيقيّة النازلة من سماء سرّ الأحمديّة لا تصل إلى الأراضي الخلقيّة إلاّ بعد عبورها على المرتبة العماء العلويّة، و لذلك و لأسرار أخر قال صلّى اللّه عليه و آله:

«أنا مدينة العلم و عليّ بابها».

و ممّا يؤيد ما ذكرنا لك و يشهد على ما تلونا عليك أنّه يسمع كلام جبرئيل، و من ذلك ما ورد في الكافي الشريف في باب العهود، في رواية طويلة، أنّه قال أمير المؤمنين:

و الّذي فلق الحبّة و برء النسمة لقد سمعت جبرئيل يقول للنّبي صلّى اللّه عليه و آله: يا محمّد! عرّفه أنّه منتهك (ينتهك) الحرمة». الخبر الشريف. (الكافي ج ١ باب أنّ الأئمّة لم يفعلوا، الحديث ٤ ص ٢٨٤.)

٢- ثمّ إنّ السؤال عن أفضليّته عن جبرئيل سؤال عن قاطبة سكنة عالم الجبروت، و اختصاصه بالذكر إمّا لعظمة شأنه من بين سائر الملائكة أو لتوجّه الأذهان إليه دون غيره، و بالجملة ليس السؤال مختصّا به و لهذا أجاب صلّى اللّه عليه و آله بفضله على جميع

الملائكة.

٣- و ليعلم انّ هذه الفضيلة ليست فضيلة تشريفيّة اعتباريّة كفضيلة السلطان على الرعيّة، بل فضيلة حقيقيّة وجوديّة كماليّة ناشئة من إحاطته التامّة، و سلطنته القيّوميّة ظلّ الإحاطة الّتي لحضرة الإسم اللّه الأعظم المحيط على ساير الأسماء و الصفات، فان

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٧٥

ساير الأسماء و الصفات من شؤونه و أطواره و مظاهره و أنواره، فكما أنّ شرافة اسم اللّه الأعظم المحيط على ساير الأسماء ليست تشريفيّة اعتباريّة، فكذا ساير الأسماء بعضها بالنسبة إلى بعض، و كذلك الأمر في مربوب الأسماء المحيطة الّذي هو النبيّ في كلّ عصر، و خصوصا نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله الّذي هو مربوب إمام أئمّة الأسماء و الصفات، فله الرياسة التامّة على جميع الأمم السابقة و اللاّحقة بل كلّ النبوّات من شؤون نبوّته، و نبوّته دائرة عظيمة محيطة على جميع الدوائر الكليّة و الجزئيّة و العظيمة و الصغيرة.

٤- قوله صلّى اللّه عليه و آله: «و الفضل بعدي لك و للأئمّة من بعدك»، إشارة إلى ما ذكرنا من أنّ مرتبة وجوده عليه السّلام وجود سائر الأئمّة عليهم السّلام بالنسبة إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله مرتبة الروح من النفس الناطقة الإنسانيّة، و رتبة سائر الأنبياء و الأولياء رتبة سائر القوى النازلة منه، و رتبة سائر الرعيّة رتبة القوى الجزئيّة النازلة الظاهرة أو الباطنة حسب درجاتهم و مراتبهم، و كلّ فضيلة و كمال و شرف في المملكة الإنسانية

ثابتة للمرتبة الروحية، و منها يصل الفيض إلى سائر القوى و المراتب، بل جميع القوى الظاهرة و الباطنة ظهور حقيقة الروح، و لذلك قال علي عليه السّلام:

«كنت مع الأنبياء سرّا و مع رسول اللّه جهرا».

على ما حكى، و المعيّة بالنسبة إلى سائر الأنبياء عليهم السّلام معيّة قيّوميّة، و بالنسبة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله معيّة تقوّميّة.

٥- قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«و انّ الملائكة لخدّامنا و خدام محبّينا».

شاهد على ما ذكرنا من أنّ العالم بجميع أجزائه و جزئياته من القوى العلاّمة و العمّالة الكامل فبعض الملائكة من قواه العلاّمة كجبرئيل، و من في طبقته، و بعضهم من العمّالة كعزرائيل و من في درجته و كالملائكة السماويّة و الأرضيّة المدبّرة، و خدمة الملائكة لمحبّيهم أيضا بتصرّفهم عليه السّلام كخدمة بعض الأجزاء الإنسانيّة لبعض بتصرّف النفس.

٦- قوله صلّى اللّه عليه و آله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ١٧٦

لأنّ السرّ الّذي هي مخصوص به ليس للملك حظّ و لا سمع رائحته أبدا، و هاهنا أبحاث سيجيء في موضعها إن شاء اللّه.

هذا آخر بحث الكمالات المخصوصة لكلّ موجود من الموجودات العلويّة و السفليّة، و إذا عرفت هذا، و عرفت أنّ كمال الإنسان و مرتبته أعظم و أشرف في الكلّ، فاجتهد في تحصل كمالك و تكميل مرتبتك، و كن

بمعزل عن غيرك و لو كان ملكا، فإنّ الإشتغال بالغير يمنعك عن الوصول إلى سعادتك العظمى و مرتبتك العليا، وَ كُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبٰاءِ الرُّسُلِ مٰا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤٰادَكَ وَ جٰاءَكَ فِي هٰذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ [هود: ١٢٠].

و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، و إذا فرغنا من الأصلين المذكورين فالشروع في القواعد المذكورة واجب و هي هذه:

«لو لا نحن ما خلق اللّه آدم» الى آخر لأنّهم وسائط بين الحق و الخلق و روابط بين الحضرة الوحدة المحضة و الكثرة التفصيليّة، و في هذه الفقرة بيان وساطتهم بحسب أصل الوجود، و كونهم مظهر الرحمة الرحمانيّة الّتي هي مفيض أصل الوجود، بل بحسب مقام الولاية هم الرحمة الرحمانيّة، بل هم الإسم الأعظم الّذي كان «الرحمن الرحيم» تابعين له كما أنّ الفقرة الآتية أي قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«كيف لا نكون أفضل من الملائكة».

بيان كونهم وسائط بحسب كمال الوجود و كونهم مظهر الرحمة الرحيمية الّتي بها يظهر كمال الوجود، فبهم يتمّ دائرة الوجود و يظهر الغيب و الشهود، و يجري بالفيض (الفيض) في النزول و الصعود.

قال الشيخ محيي الدّين في فتوحاته:

«ظهر الوجود ببسم اللّه الرحمن الرحيم، فتمام دائرة الوجود تحت هذه الأسماء الثلاثة، جمعا في الأوّل منها، و تفصيلا في الآخرين».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۷۷

القاعدة الأولى

في بيان الأصول الخمسة من التوحيد و العدل و النّبوّة و الإمامة و المعاد في المراتب الثلاثة الّتي هي الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و علّة حصرها فيها

اعلم، أنّ غرض الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام كما سبق ذكره حيث كان إيصال الخلق إلى كمالهم المعين لهم بحسب استعدادهم و قابليتهم، و إخراجهم من ظلمات نقصهم و جهلهم بقدر الجهد و الطاقة، و كانوا عالمين بأنّ هذا لا يتيسّر إلاّ بتكميل قوّتي العلم و العمل، اللذين هما عبارتان عن الأصول و الفروع، فوضعوا الأصول لتطهير بواطنهم و تكميل عقائدهم، و الفروع لتطهير ظواهرهم و تكميل أعمالهم و أفعالهم، و أخبروا عنهما بنعمتي الظاهر و الباطن بأمر اللّه و إذنه المشار إليه في كتابه بقوله:

وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَ بٰاطِنَةً [لقمان: ۲۰].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۷۸

و قالوا بعد ذلك كلّه:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاٰ تُحْصُوهٰا [النحل: ۱۸].

ليعرف العبد أنّ نعم اللّه في حقّه غير قابلة للحصر في الدنيا و الآخرة.

(في أن غرض الأنبياء طهارة الإنسان، ظاهرا و باطنا)

و بيان ذلك، و هو أنّ طهارة الباطن من نجاسة الشرك الجليّ و الخفي، و تصقيل مرآة النفس من رين الكفر و الضلال لا يمكن إلاّ بالاعتقاد الصحيح

بالتوحيد و العدل و النّبوّة و الإمامة و المعاد المشار إليها بقول النبيّ صلى اللّه عليه و آله:

«بني الإسلام على خمسة» [٩٦].

---

(٩٦) قوله: بني الإسلام على خمسة.

الظاهر أنّه صحيح- و اللّه العالم- أن نقول: ان معالم الإسلام اعتقاديّة و عمليّة مركّبة من الأصول و الفروع، كما أن فيه توجد الأصول الاعتقاديّة، كذلك فيه توجد الأصول العمليّة، و الأصول الاخلاقيّة، و توجد أيضا الأصول، بالنسبة الى المسائل و الموضوعات الاجتماعيّة، مثلا، العدل الاجتماعي و التعاون على البرّ، و المصابرة و الترابط و الاتّحاد، و الأمن و غيرها، و تفصيل هذا المقال يقتضي المقام الآخر.

و معلوم انه كما ان الأصول الاعتقاديّة في الإسلام عبارة عن التوحيد و النبوة و المعاد و العدل و الإمامة، كذلك الأصول العملية هي عبارة عن الصلاة، و الصوم، و الزكاة، و الحجّ و الجهاد، و لكل منها فروع و أحكام كثيرة جدا.

و على ما ذكرنا تحمل الأحاديث المسماة بدعائم الإسلام، بمعنى انّه ذكرت فيها الأصول الاعتقاديّة و الأصول العمليّة في الإسلام بتعبيرهم عليهم السّلام: بني الإسلام على كذا و كذا.

و نعلم أن الأحاديث الّتي وردت عن أهل بيت العصمة و الطهارة و عترة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بيان [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۷۹

و تفصيل لما ورد عن الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله، اذن كما أنّه يجب علينا الأخذ بقوله و سنّته صلّى اللّه عليه و آله كذلك يجب علينا بقولهم و سنتهم عليهم السّلام لدلالة حديث الثقلين، و من هنا قولهم و سنّتهم عليهم السّلام تصير نفس سنّة النبي و قوله صلّى اللّه عليه و آله و لا غير، و لهذا تكون حجّة علينا.

و أمّا ما ورد في دعائم الإسلام و هو كما يلي:

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ۲ ص ۹۳ بإسناده عن ابن عمران قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ اللّه، و أنّ محمدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و اقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و حجّ البيت، و صيام رمضان».

و أخرجه أيضا مسلم في الصحيح ج ۱ كتاب الايمان ص ٤٥ باب أركان الإسلام و دعائمه العظام الحديث ۲۱.

و راجع أيضا كنز العمال ج ۱، الكتاب الأول في الايمان و الإسلام، الفصل الأوّل.

و أخرج البخاري في صحيحه ج ۱، كتاب الإيمان ص ۸۹ الباب ۳۸، الحديث ٤۹، بإسناده عن أبي هريرة قال: كان النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بارزا يوما للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان قال:

«الإيمان أن تؤمن باللّه، و ملائكته، و بلقاءه، و رسله، و تؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام، قال: الإسلام أن تعبد اللّه و لا تشرك به، و تقيم الصلاة، و تؤدّي الزكاة

المفروضة، و تصوم رمضان، قال: ما الإحسان، قال: أن تعبد اللّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

و أخرج الهندي في كنز العمال ج ١ الفصل الأول من الكتاب الاول، الحديث ٣٢ و ٣٧ و ٤٣، بأسناده مختلفة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«الإسلام عشرة أسهم و قد خاب من لا سهم له، شهادة أن لا إله إلاّ اللّه و هي الملّة، و الثانية الصلاة و هي الفطرة (الفريضة)، و الثالثة الزكاة و هي الطهرة، و الرابعة الصوم و هي الجنّة، و الخامسة الحجّ و هي الشريعة، و السادسة الجهاد و هو الغزوة، و السابعة الأمر، بمعروف و هو الوفاء، و الثامنة النهي عن المنكر

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٨٠

و هو الحجّة، و التاسعة الجماعة و هي الألفة، و العاشرة الطاعة و هي العصمة». و روي مثله الصدوق في «الخصال» ج ٢ ص ٤٤٧ باب العاشر الحديث ٤٧ بإسناده عن عبد العزيز القراطيسي، عن أب عبد اللّه الصادق عليه السّلام.

و روى الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ١٨ باب دعائم الإسلام الحديث ٣ بإسناده عن فضيل بن يسار، عن الباقر عليه السّلام قال:

«بني الإسلام على خمس: على الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الولاية، و لم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع و تركوا هذه».

و روى أيضا في المصدر الحديث ٥ بإسناده عن زرارة عن الباقر عليه السّلام قال:

«بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة و الزكاة و الحجّ و الصوم و الولاية، قال زرارة: فقلت، و أيّ شيء من ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضل، لأنّها مفتاحهنّ و الوالي هو الدليل عليهن».

و روى أيضا في المصدر الحديث ۹ بإسناده عن عيسى بن السريّ قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام: حدّثني عمّا بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زكى عملي، و لم يضرّني جهل ما جهلت بعده، فقال:

«شهادة أن لا إله إلاّ اللّه، و أنّ محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و الإقرار بما جاء به من عند اللّه، و حقّ في الأموال من الزكاة، و الولاية الّتي أمر اللّه عزّ و جلّ بها ولاية آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: من مات و لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة، فان اللّه عزّ و جلّ: **أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. الحديث.**

و روى أيضا في المصدر الحديث ١٤ بإسناده عن عمرو بن حريث قال: دخلت على أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام، فقلت: جعلت فداك ألا أقصّ عليك ديني؟ فقال: بلى، قلت: أدين اللّه بشهادة أن لا إله اللّه وحده لا شريك له، و أنّ محمّدا عبده و رسوله، و أنّ الساعة آتية لا ريب فيها، و انّ اللّه يبعث من في القبور، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، و صوم شهر رمضان، و حجّ البيت، و الولاية لعليّ أمير المؤمنين بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الولاية للحسن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۸۱

و قوله تعالى:

إِنَّ اللهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشٰاءُ [النساء: ١١٦].

إشارة إلى الشركين اللّذين هما بإزاء التوحيدين المذكورين الآتي ذكرهما مرّة أخرى من الألوهي و الوجودي المبنيّ عليهما الأصول الخمسة.

و كذلك طهارة الظاهر من نجاسة الأحداث العيني و الحكمي، و تطهير البدن و نظافته من القاذورات و النجاسات، فإنّه لا يمكن أيضا إلاّ بالفروع الخمسة من الصّلاة و الصّوم و الزكاة و الحجّ و الجهاد المشار إليه بقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«بني الإسلام على النظافة» «٩٧».

و بقوله تعالى:

و الحسين و الولاية لعليّ بن الحسين، و الولاية لمحمّد بن عليّ، و لك من بعده صلوات اللّه عليهم أجمعين.

أنّكم أئمتي عليه أحيا و عليه أموت و أدين اللّه به، فقال: يا عمرو هذا و اللّه دين اللّه و دين آبائي. الحديث.

و راجع أيضا أمالي الصدوق ص ٢٢١ الحديث ١٤ و الخصال له ج ١ ص ٢٧٧، الحديث ٢١.

(٩٧) قوله: بني الإسلام على النظافة.

أخرجه الغزالي أبو حامد في احياء علوم الدين ج ٦٠ ص ٧٣ الباب الخامس في آداب المتعلّم و المعلّم، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بهذه العبارة: «بني الدين على النظافة».

و روي أيضا عن الرسول الأعظم ص ٦ قال:

«النظافة من الايمان» رواه نهج الفصاحة، و رواه أيضا البحار ج ٦٢ ص ٢٩١ عن كتاب طب النبيّ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٨٢

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: ٢٢٢].

و إليهما معا أشار أمير المؤمنين عليه السّلام و قال:

«فرض اللّه الإيمان تطهيرا من الشرك، و الصلاة تنزيها عن الكبر، و الزكاة تسبيبا للرزق، و الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق، و الحجّ تقوية للدين، و الجهاد عزّا للإسلام و الأمر بالمعروف مصلحة للعوام، و النهي عن المنكر ردعا للسّفهاء، وصلة الأرحام (الرحم) منماة للعدد، و القصاص حقنا للدماء، و إقامة الحدود إعظاما للمحارم، و ترك شرب الخمر تحصينا للعقل، و مجانبة السرقة إيجابا للعفة، و ترك الزنا حفظا و تحصينا للنسب، و ترك اللواط تكثيرا للنسل، و الشهادات استظهارا على المجاحدات، و ترك الكذب تشريفا للصدق، و السلام أمانا من المخاوف، و الإمامة نظاما للأمّة، و الطاعة تعظما للإمامة» [نهج البلاغة، الكلمات القصار، الرقم في فيض ٢٤٤ و في ص ٢٥٢].

فكلّ من أراد تطهير الظاهر و الباطن على الوجه الّذي تقرّر، فعليه بالقيام بالأصول و الفروع المذكورة، و ما اشتمل عليهما في المراتب الثلاث من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، لأن أصول كلّ واحدة من أهل هذه المراتب و

فروعها خلال أصول ذاك الآخر و فروعه كما ذكرناه و سنذكر إن شاء اللّه، و بناء على هذا لا بدّ أوّلا من تعيين الأصول و الفروع على مذهب الحقّ، ثم تحقيق القيام بهما، ثمّ تعيين أركانهما، ثمّ بيان انحصارهما في العدد المذكور.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۱۸۳

أمّا الأصول و تحقيقها على مذهب الحقّ (الأصول الخمس على مذهب الحق)

فاعلم، انّ الناس قد اختلفوا فيها اختلافا شديدا لأنّ عند البعض منهم أصول الإيمان شيئان: التصديق باللّه و بكون النبيّ صادقا، و التصديق بالأحكام الّتي يعلم يقينا انّه صلّى اللّه عليه و آله حكم بها دون ما فيه اختلاف أو اشتباه، و هؤلاء البعض هم الأشاعرة.

و عند البعض الآخر ثلاث: التصديق بالقلب، و الإقرار باللسان، و العمل بالجوارح، و على هذا ذهب بعض الشيعة أيضا، و قال:

«أصول الإيمان ثلاثة: التصديق بوحدانيّة اللّه في ذاته، و العدل في أفعاله، و التصديق بنبوّة الأنبياء و إمامة الأئمّة المعصومين عليهم السّلام».

و عند البعض الآخر من الشيعة أصول الإيمان أربعة: التوحيد، و العدل، و النّبوّة، و الإمامة.

و عند المعتزلة، خمسة: التوحيد، و العدل، و الإقرار بالنبوّة، و بالوعد

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۱۸۴

و الوعيد، و القيام بأمر المعروف و نهي المنكر.

و بعض متأخرين الشيعة ذهبوا إلى هذا، لكن بعبارة أخرى و هي:

أنّ اصول الإيمان خمسة: التوحيد، و العدل، و النّبوّة، و الإمامة، و المعاد، و هذا هو الحقّ في نفس الأمر و المختار عندي و أكثر المحققين من أهل اللّه.

أمّا حقيّته فلانحصاره في العدد المذكور لا غير، لأنّ صاحب الإعتقاد الصحيح و الإيمان الكامل لا بدّ له من التوحيد ليخلص من الشرك، و مع هذا التوحيد لا بد له من أن يعتقد أنّ اللّه تعالى عادل حكيم لا يفعل القبيح و لا يخلّ بالواجب حتّى تخلص من الجبر و إضافة أفعال الخير و الشرّ إلى اللّه، لأنّ ذلك يؤدّي إلى ظلمه تعالى على العباد و جلّ جنابه عن أمثال ذلك و إليه أشار أيضا بقوله:

وَ مٰا رَبُّكَ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ [فصّلت: ٤٦].

و حيث إنّ هذين الاعتقادين هما موقوفان على وجود النبيّ و إظهار معجزته لبيان سقمهما و صحتهما فلا بدّ له أيضا من الإعتقاد في النبيّ و نبوّته، و الذي قال بعض النّاس: أنّ الأصول ليست موقوفة على النقل بل يكفي في حصولها العقل ليس بحسن، لأنّ العقل لو كان كاف في معرفة الدين و الأصول لكان كلّ عاقل مصيب (مصيبا) في اعتقاده و ليس كذلك، و مع ذلك لم يكن يلزمنا مذمّة البراهمة و الفلاسفة الّذين يقولون بالعقل المجرّد و لا يلتفتون إلى النقل، نعم يعرف المكلّف الأصول بنظره العقلي بعد أن تحقّق حقيّتها و باطليّتها من النبيّ المعصوم أو الإمام، و لا يلزم من هذا، الميل إلى مذهب الإسماعيليّة، و لا إلى غيره، بل هو الحقّ في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ١٨٥

نفسه و هذا هو مذهب الأئمّة المعصومين و العلماء المتقدّمين دون متأخريهم.

و حيث إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله لا يبقى دينه و شرعه إلاّ بوجود إمام كامل معصوم الّذي يحفظ شرعه و يقوم بأداء أركانه قوّة و قهرا و إرشادا و تعليما، المعبّر عنه بأولى الأمر، لقوله تعالى:

أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ٥٩].

فلا بدّ له أيضا من الإعتقاد في الإمام، لأنّ النبيّ كما هو لطف في حقّ المكلّف كذلك الإمام فإنّه لطف في حقّه أيضا، فكما أنّ إرسال الرسول و النبيّ يجب على اللّه تعالى فكذلك تعيين الإمام و تمكينه يجب عليه لئلاّ يلزم منه الإخلال بالواجب، و هذان الأصلان ترجع إلى اللّه و إلى تعيينه، فيكون حصولهما نقليّا لا عقليّا كما سبق، و هاهنا أبحاث كثيرة ليس هذا موضعها و هي مخصوصة بعلم الكلام من أصول الدين.

و حيث إنّ جميع ذلك ليس إلاّ لدعوة الخلق إلى المعاد و إرشادهم إلى القيامة و الإخبار بالوعد و الوعيد فلا بدّ له أيضا من الإعتقاد في المعاد و ما يتعلّق به من الثواب و العقاب المعبر عنهما بالنقصان و الكمال، لئلاّ يهمل في شيء من الأصول المذكورة و الفروع المعلومة الآتية ذكرها، فتكون الأصول حينئذ منحصرة في هذه الخمسة، و لا يحتاج المكلّف إلى أكثر من ذلك، و لا يجوز له الوقوف على أقلّ منه.

و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحق و هو يهدي السبيل.

هذا من حيث الأصول و أمّا الفروع فسيجيء بيانه عند بحث الفروع إن شاء اللّه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٨٦

و إذا تقرّر هذا فلنشرع في بيان كلّ واحدة من هذه الأصول في المراتب الثلاث الّتي هي الشريعة و الطريقة و الحقيقة:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٨٧

أمّا التوحيد و أقسامه

(في توحيد الأنبياء و الأولياء و بيان التوحيد الألوهي و الوجودي)

فذلك يحتاج أوّلا إلى مقدّمة ثمّ إلى تقسيمه في المراتب المذكورة.

أمّا المقدّمة فهي أن تعرف:

أنّ التوحيد مع كثرة أقسامه و أنواعه، كما سيجيء بيانها في موضعها بعد هذه المقدّمة مفصّلا، مشتمل على قسمين: الأوّل: توحيد الأنبياء، و الثاني: توحيد الأولياء.

أمّا التوحيد الأنبياء فهو التوحيد الألوهي الظاهر العام الّذي هو دعوة الخلق إلى عبادة إله مطلق من عبادة آلهة مقيّدة، أو إلى إثبات إله واحد و نفي آلهة كثيرة، لقوله تعالى في الأوّل:

قُلْ يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ تَعٰالَوْا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَوٰاءٍ بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّٰ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَ لاٰ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لاٰ يَتَّخِذَ بَعْضُنٰا بَعْضاً أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اللهِ [آل عمران: ٦٤].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٨٨

و لقوله أيضا فيه:

أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً واٰحِداً إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ عُجٰابٌ [ص: ٥].

و لقوله تعالى في الثاني:

قُلْ إِنَّمٰا يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمٰا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واٰحِدٌ [الأنبياء: ١٠٨].

و لقوله:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ [محمّد: ١٩].

و كلمة لا إله إلاّ اللّه، هذا معناها، أعني نفي آلهة كثيرة و إثبات إله واحد، و يشهد به قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

«أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ اللّه» «٩٨».

و بهذا كان دعوة الأنبياء و الرسل من آدم إلى محمّد عليهما السّلام.

و سيجيء اثبات هذا عقلا و نقلا في المقدّمة السابعة الآخرة إن شاء اللّه.

و أمّا توحيد الأولياء فهو التوحيد الوجودي الباطنيّ الخاصّ، و هو دعوة إلى مشاهدة وجود مطلق من مشاهدة وجودات مقيّدة، أو إلى إثبات وجود واحد حقّ واجب بالذات و نفي وجودات كثيرة ممكنة بالذات

---

(٩٨) قوله أمرت أن أقاتل.

رواه الصدوق في «العيون» ج ٢ ص ٦٥ بإسناده عن داود بن سليمان، عن علي بن موسى الرضا عليهما السّلام عن أبيه، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام قال: قال رسول

اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ اللّه، فإذا قالوها فقد حرم عليّ دماؤهم و أموالهم».

و أخرجه ابن ماجة مثله مع تفاوت في اللفظ في سننه ج ۲ ص ۱۲۹۵ الحديث ۹ و ۸ و ۳۹۲۷ بإسناده عن أبي هريرة و جابر و أوس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

و أخرجه أيضا السيوطي في «الجامع الصغير» ج ۱ ص ۲٤۹ الحديث ١٦٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۸۹

معدومة في نفس الأمر لقوله تعالى:

كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [القصص: ٨٨].

و لقوله:

كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ [الرحمن: ٢٦].

و لقول العارفين بأجمعهم فيه:

«ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله فالكلّ هو و به و إليه».

و بهذا كان دعوة الأولياء و الأئمّة من شيث إلى المهدي عليهم السّلام كما سيجيء إثباته في موضعه أيضا.

(الشرك الجليّ و الشرك الخفيّ)

و ليس غير هذين التوحيدين هناك توحيد آخر، و الدليل على حصره في القسمين، هو أنّ الشرك الّذي هو بإزاء التوحيد منحصر في الشركين:

الجليّ و الخفيّ، لأنّ الشرك إمّا أن يكون في الظاهر أو الباطن، فإن كان في الظاهر كعبادة الأصنام و الأوثان، و الحجر و المدر، و الشمس و القمر، و أمثال ذلك فهو شرك جليّ لجلائه و ظهوره بين أهل العالم المشار إليه في قوله تعالى:

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لاٰ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لاٰ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً وَ لاٰ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لاٰ حَيٰاةً وَ لاٰ نُشُوراً [الفرقان: ۳].

و هو بإزاء التوحيد الألوهي.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۹۰

و إن كان في الباطن كمشاهدة وجود الغير و إثباته في الخارج من مشاهدة الموجودات الممكنة كالعقل و النفس، و الأفلاك و الأجرام، و العناصر و المواليد، و غير ذلك و هو الموسوم بالشرك الخفّي لخفائه بين الناس المشار إليه في قوله تعالى:

يٰا صٰاحِبَيِ السِّجْنِ أَ أَرْبٰابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّٰهُ الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّٰ أَسْمٰاءً سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمْ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ أَمَرَ أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِيّٰاهُ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ [يوسف: ۴۰].

و هو بإزاء التوحيد الوجودي.

و ليس غير هذين الشركين هناك شرك آخر، فتحقّق حينئذ أنّ التوحيد منحصر في التوحيدين المذكورين، و كذلك الشركين.

(في أن دعوة الأنبياء كانت إلى التوحيد الألوهي، أمّا دعوة

الأولياء فتكون إلى التوحيد الوجودي)

و إذا عرفت هذا فاعلم، أنّ ظهور جميع الأنبياء و الرسل عليهم السّلام لم يكن إلاّ لدعوة الخلق إلى التوحيد الإلهي و الخلاص من الشّرك الجلي الّذي هو بإزائه، و ظهور جميع الأولياء و الأئمّة عليهم السّلام لم يكن إلاّ لدعوة الخلق إلى التوحيد الوجودي و الخلاص من الشرك الخفي الّذي هو بإزائه.

و كلّ من توجّه إلى الإله المطلق من الإله المقيّد، و عدل عن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق و نطق بكلمة التوحيد الألوهي الّتي هي: لا إله الاّ اللّه خلص من الشرك الجليّ و صار في الشريعة مسلما مؤمنا موحّدا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٩١

بحسب الظاهر، و صار ظاهره و باطنه طاهرا من نجاسة الشرك الجليّ، لقوله تعالى:

إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ [التوبة: ٢٨].

و ان لم يكن كذلك يكون مشركا كافرا نجسا في الظاهر و الباطن.

و كل من توجّه إلى الوجود المطلق من الوجود المقيّد، و عدل عن مشاهدة الممكن إلى مشاهدة الواجب و نطق بكلمة التوحيد الوجودي الّتي هي: ليس في الوجود سوى اللّه، خلص من الشرك الخفي و صار في الحقيقة موحّدا عارفا محقّقا بحسب الباطن، و صار ظاهره و باطنه طاهرا من نجاسة الشرك الخفي لقوله تعالى:

وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ١٠٦].

و ان لم كذلك يكون مشركا نجسا في الباطن دون الظاهر عند البعض، لأنّ

عند بعض المحقّقين و هو أيضا نجس في الظاهر و الباطن. و يشهد بذلك قوله تعالى:
إِنَّ اللهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشٰاءُ [النساء: ٤٨].
لأنّ حكمه حكم العموم و لا مخصص هناك، فكلّ من يكون مشركا، جليّا كان شركه أو خفيّا، فهو لا يكون مغفورا، و هذا في غاية الصعوبة لأنّه ما يخلص منهما إلاّ القليل النادر لقوله تعالى:
وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبٰادِيَ الشَّكُورُ [سبأ: ١٣].
و لقوله:
وَ قَلِيلٌ مٰا هُمْ [ص: ٢٤].
و من هذا قال العارف: إنّ الخلاص من الشرك الجليّ أسهل من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۹۲

الخلاص من الشرك الخفيّ، كما أن الوصول إلى التوحيد الألوهي أسهل من الوصول إلى التوحيد الوجوديّ، لأنّ صاحب الشرك الخفيّ يعد نفسه من المؤمنين الموحّدين بمجرّد توحيده الألوهي، و هو غافل عن الشرك الخفي الّذي هو محجوب به، و من هذا قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:
«دبيب الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء» [۹۹].

---

(۹۹) قوله: دبيب الشرك في أمّتي.

نقله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان في سورة الأنعام الآية ١٠٨: **وَ لاٰ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ، هكذا:**

«الشرك أخفى من دبيب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء» و رواه الصدوق في «معاني الأخبار» ص ٣٧٩ باب نوادر المعاني الحديث ١ بإسناده عن عبد الحميد بن أبي العلاء، عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام قال:

«إنّ الشرك أخفى من دبيب النمل. و قال: منه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة و شبه هذا». و عنه البحار ج ٧١ ص ١٤٢ الحديث ٣٦.

و روى الهمداني في بحر المعارف ج ٢ ص ٢٧٨ عن النّبي صلّى اللّه عليه و آله:

«ان الشرك أخفى فيكم من شعر الرّس في ليل مظلم في بيت مظلم».

و أخرج الحاكم في «المستدرك» ج ٢ ص ٢٩١، بإسناده عن عائشة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«الشرك أخفى في أمّتي من دبيب النمل على الصّفا في الليلة الظّلماء، و أدناه أن تحبّ علي شيء من الجور، أو تبغض على شيء من العدل، و هل الدين إلاّ الحبّ في اللّه، و البعض في اللّه؟

قال اللّه تعالى:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ [آل عمران: ٣١]

.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ١٩٣

لأنّه كان عارفا بأنّ أكثر أمّته لا يخلصون منه، و معلوم أنّ هذا الشرك الخفيّ مخصوص بالمؤمنين و المسلمين، دون المنافقين و الكفّار، لأنّ اللّه تعالى

ضمّه إلى الإيمان في قوله:

وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ١٠٦].

و النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ضمّه إلى المسلمين من أمّته، و اجتماع الشرك الجلي و الإيمان مستحيل، فلم يبق إلاّ أن يكون المراد به الشرك الخفيّ، و قد عبّر القرآن بالشرك الخفيّ بالهوى في قوله:

أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلىٰ عِلْمٍ [الجاثية: ٢٣].

لأن بالهوى يصيّر الشخص كافرا و مشركا و منافقا كما قيل:

«لو لا الهوى ما عبدت الأصنام أصلا»، و قيل: «ما عبد إلها دون اللّه أعظم من الهوى»، لأنّ من هوائه مال الكافر إلى دين آبائه و أجداده، و صار من المشركين، كما أخبر اللّه تعالى عنهم في قوله:

بَلْ قٰالُوا إِنّٰا وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا عَلىٰ أُمَّةٍ وَ إِنّٰا عَلىٰ آثٰارِهِمْ مُهْتَدُونَ [الزّخر: ٢٢].

و هاهنا أبحاث كثيرة و دقائق شريفة و قد سبقت بعضها أبسط من ذلك

و راجع تعليقنا على الجزء الأوّل ص ٢٨٤ الرقم ٥٤.

و أخرجه أيضا السيوطي في «الجامع الصغير» ج ٢ ص ٨٥ الحديث ٤٩٣٥.

و أخرج السيوطي أيضا في المصدر الحديث ٤٩٣٤ عن الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله:

«الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، و سأدلّك على شيء إذا فعلته اذهب عنك صغار الشرك و كباره، تقول: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أشرك بك و أنا أعلم، و استغفرك لما لا

أعلم» تقولها ثلاث مرّات».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۹۴

في المقدّمة الرابعة عند بحث الكلمة، و سيجيء أكثر منه إن شاء اللّه في المقدّمة السابعة المخصوصة بالتوحيد.

و إذا عرفت هذه القواعد في هذه المقدّمة على سبيل الاختصار فلنشرع إلى تخصيص التوحيد بكلّ طائفة من الطوائف الثلاث و هو هذا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۹۵

أمّا توحيد أهل الشريعة

فهو التوحيد الألوهي الّذي هو عبارة عن نفي آلهة كثيرة، و إثبات إله واحد، أو نفي آلهة مقيّدة و إثبات إله مطلق، لا مشاحّة في الإصطلاح.

(في بيان التوحيد التقليدي)

و هذا التوحيد ينقسم إلى قسمين: قسم يتعلّق بأرباب التقليد منهم كالعوام و الجهلة، و قسم يتعلّق بأرباب النظر و الاستدلال كالخواصّ و العلماء.

أمّا الطائفة الأولى فطريقتهم و هي أنّهم يعتقدون في الباطن أنّ الإله واحد، لا شريك له في الإلهيّة، و لا نظير له في الوجود، ليس كمثله شيء، و هو السميع البصير، و يتمسّكون في هذا بقوله تعالى:

لَوْ كٰانَ فِيهِمٰا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتٰا [الأنبياء: ۲۲].

و بقوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٩٦

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ و لَمْ يكُنْ لَهُ كفُوا أَحَدٌ [التوحيد: ١- ٤].

و يعتقدون انّه حيّ، عالم، قادر، سميع، بصير، مريد متكلّم، «لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّموات و لا في الأرض» [سبأ: ٤] و هو بكلّ شيء عليم» [البقرة: ٢٩].

و يعتقدون أنّ غيره من الآلهة أصنام و أوثان لا يملكون نفعا و لا ضرّا و لا موتا و لا حياة، و عابديها كفّار مشركون ملعونين، أينما ثقفوا يجب البراءة منهم في الدنيا و الآخرة، كما أمر اللّه تعالى به في قوله:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [التوبة: ٢٣].

و لقوله:

لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ [المجادلة: ٢٢].

و هؤلاء القوم بهذا الإعتقاد يكونون في حماية الإسلام و حفظة في دار الدنيا، آمنين على أنفسهم و أموالهم و أعراضهم، و في الآخرة يكون رجوعهم إلى فضل اللّه و رحمته، فإن اللّه ذو فضل عظيم.

و قد أشار إلى هذا المعنى الشيخ الكامل أبو إسماعيل الهروي قدّس اللّه سرّه في كتابه الموسوم بـ«منازل السائرين» «١٠٠»، و هو قوله:

(۱۰۰) قوله: في كتابه الموسوم بمنازل السائرين.

راجع شرح منازل السائرين لعبد الرزاق القاساني ص ٦۰۹ و أيضا «شرح منازل السائرين» لعفيف الدين سليمان التلمساني ص ٦۰۲.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۱۹۷

«و التوحيد على ثلاثة أوجه (وجوه):

الوجه الأوّل، توحيد العامّة، الّذي يصح بالشواهد، و الوجه الثاني توحيد الخاصّة، و هو الّذي يثبت بالحقايق، و الوجه الثالث توحيد قائم بالقدم، و هو توحيد خاصّة الخاصّة.

و امّا توحيد الأوّل، فهو شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، الأحد الصمد الّذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، هذا هو التوحيد الظاهر الجليّ الّذي نفي الشرك الأعظم، و عليه نصبت القبلة و به وجبت الذمّة، و به حقنت الدماء و الأموال، و انفصلت دار الإسلام عن دار الكفر، و صحت به الملّة للعامّة و إن لم يقوموا بحق الاستدلال.

(في بيان التوحيد النظري و الاستدلالي)

و أمّا الطائفة الثانية، فطريقتهم مع حصول هذا يكون طريقة النظر و الاستدلال، و هو أنّهم يثبتون بالدليل العقلي أنّ الإله واحد و لا يجوز أن يكون أكثر من واحد.

و بيانه و هو أنّه لو كان في الوجود إلهين مستقلّين لكان كلّ واحد منهما

متميّزا عن الآخر بالذّات و مشاركا له بالصفات فليزم أن يكون كلّ واحد منهما مركّبا من جزء المباينة و جزء المشاركة، و كلّ مركّب ممكن، لأنّه محتاج إلى جزئه، و جزؤه غيره، و المحتاج إلى الغير ممكن فيكون الواجب ممكنا هذا خلف فيجب أن يكون الإله واحدا و هذا هو المطلوب.

و هؤلاء بهذا الإعتقاد يكونون في مقام التوحيد البرهاني دون العياني، و يكون لهم مرتبة النظر و الاستدلال، و يصدق عليهم أنّهم الحقّ ببعض

الوجوه، و صاروا من الّذين نجوا و دخلوا الجنّة الصوريّة الموعودة في القيامة «(١٠١)».

و قد يعبّر عن هذا التوحيد بالتوحيد الفعلي لأنّهم بالفعل يستدلّون على الفاعل و بالصنع على الصانع، و ليس لهم وراء هذا مرمى، ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [النجم: ٣٠].

يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰافِلُونَ [الروم: ٧].

---

(١٠١) قوله: الموعودة في القيامة.

هذا الوعد أشار إليه القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى:

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ كُلَّمٰا رُزِقُوا مِنْهٰا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قٰالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنٰا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشٰابِهاً وَ لَهُمْ فِيهٰا أَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ [البقرة:

.[٣٥

و منها قوله تعالى في سورة النساء الآية ٥٧:

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ١٩٩

و أمّا توحيد أهل الطريقة

(في بيان التوحيد الفعلي و التوحيد الوصفي) فهم أنّهم يشاهدون بعد حصول هذا التوحيد و الوصول إليه بعين البصيرة أنّ الإله واحد، و ليس في الوجود غيره و لا فاعل سواه، لقولهم: لا فاعل إلاّ اللّه و ليس في الوجود فاعل غيره، فيقطعون النظر عن الأسباب و المسبّبات، و يتّكلون عليه حقّ التوكّل، يسلمون أمرهم إليه بالكلّي، و يفرحون بما يجري عليهم منه، و يرضون به، لقوله:

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ [المائدة: ١١٩].

و بهذا يحصل لهم مقام التوكّل و التسليم و الرضا و أمثالها لقوله تعالى:

وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً [الطلاق: ٣].

و يصلون بذلك إلى مرتبة التوحيد الوصفي بعد الفعلي و يستحقّون به درجة جنّة الصفات و مقام الرّضا الّذي هو أعلى المقامات في التوحيد الوصفي كما أشار إليه الحقّ جلّ ذكره في قوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٠٠

وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ [التوبة: ٧٢].

و لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«الرضا باب اللّه الأعظم» [١٠٢].

---

(١٠٢) قوله: الرضا باب اللّه الأعظم.

نقله أبو نعيم الإصفهاني في «حلية الأولياء» ج ٦ ص ١٥٦، بإسناده عن عبد الواحد بن زيد.

أخرج الطبري في تفسيره «جامع البيان» ج ١٠ ص ١٢٦، و أيضا النيسابوري في تفسيره «غرائب القرآن» المطبوع بهامش «جامع البيان» و أيضا البغوي في «معالم التنزيل» ج ٣ ص ٨١، في سورة التوبة الآية ٧٧: **وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، باسنادهم عن أبي سعيد الخدري عن الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله قال:**

«يقول اللّه عزّ و جلّ لأهل الجنّة: «ياأهل الجنّة هل رضيتم»؟ فيقولون: ربّنا و مالنا لا نرضى و قد أعطيتنا ما لم تعطه أحدا من خلقك؟ فيقول: «أفلا أعطيكم أفضل من ذلك»؟ فيقولون: ربنا و أيّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: «أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا».

و روى العياشي في تفسيره ج ٢ ص ٩٧ في تفسير الآية المذكورة، عن ثور، عن علي بن الحسين عليهما السّلام قال:

إذا صار أهل الجنّة، و دخل وليّ اللّه إلى جنّاته و مساكنه، و اتّكأ كلّ مؤمن على أريكته حفّته خدّامه، و تهدّلت عليه الأثمار، و تفجّرت حوله العيون، و جرت من تحته الأنهار، و بسطت له الزرابيّ، و وضعت له النمارق، و أتته الخدّام بما شاءت هواه من قبل أن يسألهم ذلك، قال: و يخرج عليه الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء اللّه.

ثمّ إن الجبّار يشرف عليهم فيقول لهم: «أوليائي و أهل طاعتي و سكان جنّتي في جواري! ألا هل أنبؤكم بخير ممّا أنتم فيه»؟ فيقولون: ربّنا و أيّ شيء خير ممّا نحن فيه: فيما اشتهت أنفسنا و لذّت أعيننا من النعم في جوار الكريم، قال: فيعود

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۰۱

و إلى هذا التوحيد أشار الشيخ أبو إسماعيل الهروي «۱۰۳» قدّس اللّه سرّه أيضا في قوله:

«و أمّا التوحيد الثّاني، الّذي يثبت بالحقايق، فهو توحيد الخاصّة، و هو إسقاط الأسباب الظاهرة، و الصعود عن منازعات العقول، و عن التعلّق بالشواهد، و هو أن لا يشهد في التوحيد دليلا، و لا في التوكّل سببا، و لا للنجاة وسيلة، فيكون مشاهدا سبق الحقّ بحكمه و علمه، وضعه الأشياء مواضعها، و تعليقه إيّاها باحايينها، و إخفائه إيّاها في رسومها، و يحقق معرفة العلل، و تسلك سبيل إسقاط الحدث».

و الفرق بين هذا التوحيد و التوحيد المخصوص بأهل الشريعة، و هو

عليهم القول، فيقولون: ربّنا نعم فأتنا بخير ممّا نحن فيه، فيقول لهم تبارك و تعالى: رضاي عنكم و محبّتي لكم خير و أعظم ممّا أنتم فيه، قال فيقولون: نعم يا ربنا رضاك عنّا و محبّتك لنا خير و أطيب لأنفسنا»، ثمّ قرأ علي بن الحسين عليه السّلام هذه الآية:

وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَ مَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ٧٢].

و روي الشيخ الطوسي في أماليه الجزء السابع ص ٢٠٠ بإسناده عن إسحاق بن عمّار، عن الصادق عليه السّلام قال:

«رأس طاعة اللّه الرضا بما صنع اللّه فيما أحب العبد و فيما كره، و لم يصنع اللّه تعالى بعبد شيئا إلاّ و هو خير له».

(١٠٣) قوله: أشار الشيخ أبو إسماعيل الهروي.

راجع شرح «منازل السائرين» للقاساني ص ٦١١، و للتلمساني ص ٦٠٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٢٠٢

أنّ ذلك من التوحيد العلمي المنسوب إلى العوام، و هذا التوحيد العيني المنسوب إلى الخواصّ، و الأوّل موجب للخلاص من الشرك الجليّ، و الثّاني للخلاص من الشرك الخفيّ الّذي هو الأعظم و الأصعب و بينهما بون بعيد.

أمّا الفرق بين هذا التوحيد و توحيد خاصّ الخاصّ من أهل اللّه، و هو أنّ التوحيد المخصوص بأهل الطريقة مبنيّ على التوكّل و التسليم و الرضا و

أخواتها «١٠٤» منوط بتحصيل المقامات و المراتب و التخلق بأخلاق الله و الاتّصاف بصفاته، و هذا كلّه من باب التوحيد الوصفي الّذي يقتضي الواصف و الموصوف و الصفة، و هذا لا يخلوا من الكثرة بل هو عين الكثرة، لأنّه مشتمل على الموكّل و المتوكّل و الراضي و المرضي و أمثال ذلك، و بين الكثرة و التوحيد مباينة كلّيّة، و توحيد خاصّ الخاص مبنيّ

---

(١٠٤) قوله: مبنيّ على التوكّل و التسليم و الرضا.

روي الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٤٧، باب خصال المؤمن، الحديث ٢ عن السكوني، عن الصادق عن أبيه الباقر عليهما السّلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه:

«الإيمان له أركان أربعة: التوكّل على اللّه، و تفويض الأمر إلى اللّه، و الرضا بقضاء اللّه، و التسليم لأمر اللّه عزّ و جلّ».

و روى مثله أيضا في باب المكارم الحديث ٥ ص ٥٦، و روى أيضا مثله الحميري في قرب الإسناد ص ٣٥٦، الحديث ١٢٦٨ بإسناده عن البزنطي، عن علي بن موسى الرضا عليه السّلام.

و روى الصدوق في «الخصال» الباب الرابع ج ١ ص ٢٣١، الحديث ٧٤، بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، و اليقين، و العدل، و الجهاد».

و راجع أيضا الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٢، باب حقيقة الإيمان و اليقين.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۰۳

على الفناء المحض و الطمس الكلّي، و العبور عن جميع المقامات و المراتب و الإضافات و الاعتبارات حتّى الوجود و توابعه لقولهم:

«التوحيد إسقاط الإضافات» «۱۰۵».

و أين هذا من ذاك؟ و أين الباقي بنفسه من الفاني بربّه، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم، و ستعرف توحيدهم أبسط من ذلك في موضعه ان شاء اللّه.

و في الكتاب العزيز «۱۰٦» جلّت كلمته: علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين، إشارة إلى هذا التوحيدات الثلاث، و كذلك الإسلام، و الإيمان، و الإيقان [۱۰۷]، و أصحاب الشمال و أصحاب اليمين، و السابق

---

(۱۰۵) قوله: التوحيد إسقاط الإضافات.

قال محيي الدين بن عربي في الفتوحات، في الباب الثالث و السبعون، السؤال الرابع و الستّون، ج ۱۲ ص ۳٦۹:

«التوحيد لا يضاف و لا يضاف إليه». [.....]

(۱۰٦) قوله: و في الكتاب العزيز.

في قوله تعالى:

كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ [التكاثر:

٥- ٧].

و قوله تعالى:

إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ [الواقعة: ٩٥].

و قوله تعالى:

وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ [الحاقّة: ٥١].

(١٠٧) قوله: و كذلك الإسلام، و الإيمان، و الإيقان.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٠۴

نذكر في المقام قسما من الآيات القرآنيّة و عدّة من الأحاديث الدالّة على العناوين الثلاثة المذكورة، و امّا الآيات في بيان الإسلام، منها قوله تعالى:

قٰالَتِ الْأَعْرٰابُ آمَنّٰا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنٰا وَ لَمّٰا يَدْخُلِ الْإِيمٰانُ فِي قُلُوبِكُمْ [الحجرات: ١٤].

و منها قوله تعالى:

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰاسِرِينَ [آل عمران: ٨٥].

و منها قوله تعالى:

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمٰاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ [الأحزاب: ٣٥].

و أمّا الأحاديث، منها ما رواه الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٢٥ الحديث ١ باب

أنّ الإيمان يشرك الإسلام و الإسلام لا يشرك الإيمان، بإسناده عن سماعة قال:

قلت لأبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام: أخبرني عن الإسلام و الإيمان أ هما مختلفان؟ فقال:

«الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ اللّه و التصديق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، به حقنت الدّماء و عليه جرت المناكح و المواريث و على ظاهره جماعة الناس، و الإيمان الهدى و ما يثبت في القلوب من صفة الإسلام و ما ظهر من العمل به، و الإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، و الإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، و إن اجتمعا في القول و الصفة».

و ينبغي أن يعلم أنّ هذه المرتبة المذكورة من الإسلام الّتي هي أدنى المراتب في سلوك الإنسان إلى اللّه سبحانه و تعالى، غير مرتبة الإسلام بمعنى الانقياد الصرف الّتي درجتها أعلى حتّى بالنسبة إلى بعض مراتب الإيمان أيضا، و يعتبر هذا الإسلام في القرآن الكريم من مقامات سيدنا إبراهيم الخليل عليه السّلام، كما قال سبحانه و تعالى:

أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ [الزمر: ۲۲].

و قال تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۰۵

وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً [النساء: ۱۲۵].

و قوله سبحانه:

رَبَّنٰا وَ اجْعَلْنٰا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنٰا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ [البقرة: ۱۲۸].

و قوله تعالى:

إِذْ قٰالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قٰالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ [البقرة: ۱۳۱].

و امّا الآيات و الأحاديث في بيان الإيمان، منها قوله تعالى:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ [المؤمنون: ۱- ۳].

و منها قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدٰادُوا إِيمٰاناً مَعَ إِيمٰانِهِمْ [الفتح: ٤] و منها قوله تعالى:

لاٰ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمٰانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ [المجادلة: ۲۲].

و امّا الأحاديث، منها:

روي الكليني في الأصول من الكافي ج ۲ ص ١٤ الحديث ۱ بإسناده عن عبد اللّه بن سنان عن الصادق عليه السّلام في قول اللّه عزّ و جلّ:

صِبْغَةَ اللّٰهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً [البقرة: ۱۳۸]، قال: «الإسلام»، و في قوله عزّ و جلّ: فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ، قال: «هي الإيمان باللّه وحده لا شريك له».

و روى أيضا بإسناده عن جميل في الحديث ٥ قال سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن

قوله عزّ و جلّ: **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، قال: هو «الإيمان». قال:**

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٠٦

وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، قال: «هو الإيمان»، و عن قوله: وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوىٰ؟

[الفتح: ٢٦]. قال: «هو الإيمان».

و روى أيضا في المصدر باب فضل الإيمان ص ٥٢ الحديث ٣ بإسناده عن حمران بن أعين، قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السّلام يقول:

«إنّ اللّه فضّل الإيمان على الإسلام بدرجة كما فضّل الكعبة على المسجد الحرام».

و روي أيضا في المصدر باب ان الإسلام يحقن به الدم الحديث ١ ص ٢٤ بإسناده عن الصيرفي قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

«الإسلام يحقن به الدّم، و تؤدّي به الأمانة، و تستحلّ به الفروج، و الثواب على الإيمان».

و روى أيضا في الباب الحديث ٤ بإسناده عن سفيان بن السمط، قال: سأل رجل أبا عبد اللّه عليه السّلام، عن الإسلام و الإيمان، ما الفرق بينهما؟ فقال:

«الإسلام هو الظاهر الّذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، و أنّ محمّدا عبده و رسوله، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حجّ البيت و صيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، قال: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقرّ بها و لم يعرف هذا الأمر كان

مسلما و كان ضالا».

راجع أيضا على ما مرّ في التعليق الرقم ۱۰۴.

و امّا الآيات و الأحاديث في بيان اليقين، منها قوله تعالى:

وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر: ۹۹].

و منها قوله تعالى:

وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [الأنعام: ۷۵].

و منها قوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۰۷

المقرّب [۱۰۸]، و أمثال ذلك و كأنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله. إلى أهل هذه المراتب أشار

وَ جَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا لَمّٰا صَبَرُوا وَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يُوقِنُونَ [السجدة: ۲۴].

و أمّا الأحاديث في بيان اليقين، منها رواه الكليني في الأصول من الكافي ج ۲ ص ۵۱ باب فضل الإيمان على الإسلام، و اليقين على الإيمان، الحديث ۱ بإسناده عن جابر، عن الصادق عليه السّلام قال:

«إنّ الإيمان أفضل من الإسلام و إنّ اليقين أفضل من الإيمان و ما من شيء أعزّ من

اليقين».

و منها ما رواه في المصدر الحديث ٢، بإسناده عن الوشّاء عن أبي الحسن عليه السّلام قال:

«الإيمان فوق الإسلام بدرجة، و التقوى فوق الإيمان بدرجة، و اليقين فوق التقوى بدرجة، و ما قسّم في الناس شيء أقلّ من اليقين».

و منها ما رواه الكليني في المصدر باب حقيقة الإيمان و اليقين الحديث ٢، ص ٥٣، بإسناده عن إسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد و هو يخفق و يهوى برأسه، مصفرّا لونه، قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول اللّه موقنا، فعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من قوله و قال: إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟

فقال: إنّ يقيني يا رسول اللّه هو الّذي أحزنني و أسهر ليلي و أظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا و ما فيها حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي و قد نصب للحساب و حشر الخلائق لذلك و أنا فيهم، و كأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة و يتعارفون و على الأرائك متّكئون، و كأنّي أنظر إلى أهل النار و هم فيها معذّبون مصطرخون، و كأنّي الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأصحابه: هذا عبد نوّر اللّه قلبه بالإيمان». الحديث.

[١٠٨] قوله: و أصحاب الشمال، و أصحاب اليمين، و السابق المقرّب.

بقوله:

«الدنيا حرام على أهل الآخرة، و الآخرة حرام على أهل الدنيا، و هما حرامان على أهل اللّه» «۱۰۹».

لأنّ الطائفة الاولى حيث إنّهم في مقام التقليد و مرتبة الظاهر جعلوهم من أهل الدنيا، لأنّهم ما تجاوزا عنها لحرصهم و شرّهم في طلبها، و بخلهم و شحّهم على متاعها، و:

المذكور في قوله تعالى:

فَأَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَةِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَةِ وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [الواقعة: ۷- ۱۱].

و في قوله تعالى:

وَ أَصْحٰابُ الْيَمِينِ مٰا أَصْحٰابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ [الواقعة: ۲۷- ۲۸].

و في قوله تعالى:

وَ أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ [الواقعة: ۴۱- ۴۲].

و في قوله تعالى:

فَأَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحٰانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ وَ أَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ

أَصْحٰابِ الْيَمِينِ فَسَلاٰمٌ لَكَ مِنْ أَصْحٰابِ الْيَمِينِ وَ أَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضّٰالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ [الواقعة: ٨٨- ٩٣].

(١٠٩) قوله: الدنيا حرام على أهل الآخرة.

رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١١٩، الحديث ١٩٠.

و أخرجه أيضا السيوطي في «الجامع الصغير» ج ١ ص ٦٥٦ الحديث ٤٢٦٩.

و أخرجه أيضا الديلمي في «الفردوس» الحديث ٣١١٠، راجع «سرّ الأسرار و مظهر الأنوار» لعبد القادر الجيلاني ص ٨١ و ٩٨، و الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٣٠٩ التعليق ٦٨.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٠٩

«حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة» «١١٠».

مقرّر، فنسبتهم إليها يكون صحيحة واقعة، و فيهم ورد قوله تعالى:

يَعْلَمُونَ ظٰاهِراً مِنَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰافِلُونَ [الروم: ٧].

و الطائفة الثانية، حيث إنّهم في مقام التّحقيق و مرتبة الباطن و التّوحيد العيني، الّذي هو فوق العلمي، جعلوهم من أهل الآخرة، لأنّهم تجاوز عن الظاهر و وصلوا إلى الباطن، و شاهدوا المطلوب بعين البصيرة على ما هو عليه المشار إليه في قوله:

قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي [يوسف: ١٠٨].

و الطائفة الثالثة، حيث إنّهم في مقام الفناء و مرتبة الباطن و خاصّ الخاصّ و التوحيد الذاتي، جعلوهم من أهل اللّه و خاصّته، لأنّهم تجاوزوا عن الظاهر

و الباطن، أعني الملك و الملكوت و الغيب و الشّهادة، و وصلوا إلى المقصود بالذّات من الكلّ الّذي هو الحقّ تعالى، و شاهدوه، بنوره على

(١١٠) قوله حبّ الدنيا.

رواه الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ١٣٠ الحديث ١١ بإسناده عن محمّد بن مسلم بن شهاب، عن علي بن الحسين عليهما السّلام، عن الأنبياء و العلماء.

رواه الصدوق في الخصال ج ١ ص ٢٥ الحديث ٨٧ بإسناده عن درست بن أبي منصور عن الصادق عليه السّلام.

و رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي، ج ١ ص ٢٧ الحديث ٩، بإسناده عن سلمان الفارسي، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله».

و أخرجه أيضا السيوطي في «الجامع الصغير» ج ١ ص ٥٦٦ الحديث ٣٦٦٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢١٠

ما ينبغي و نطقوا لما نطق العارف مثلهم و هو قولهم:

«سبحان من لا يوصل إليه إلاّ به»، و طابق قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«رأيت ربّي بربّي، و عرفت ربّي بربّي» «١١١».

و حيث كان سلمان من أهل هذا المقام قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في حقّه:

«إنّ الجنّة أشوق من سلمان من سلمان إلى الجنّة» «١١٢».

لأنّ الجنّة من الآخرة و سلمان من أهل اللّه الّذين هم فوق أهل الجنّة بمراتب كثيرة فكيف يشتاق إليها؟

لأنّ التنزّل من الأعلى إلى الأدون نقص، و فيه قال نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله: «حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين» «(١١٣)».

---

(١١١) قوله: رأيت ربي و عرفت ربّي.

راجع التعليق الرقم ٢٩ و ٣٠.

(١١٢) قوله: ان الجنّة أشوق من سلمان.

راجع الجزء الأوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٣٠٧ التعليق ٦٦ و ص ٤٣٣ التعليق ١١١ و ص ٤٩٠ التعليق ١٤٣.

و أخرج الترمذي في «الجامع الصحيح» ج ٥ كتاب المناقب باب ٣٤ الحديث ٣٧٩٧ بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إنّ الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ و عمّار، و سلمان».

و راجع أيضا شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢٦٩، و شرح الخطبة ١٢٠، و راجع أيضا «إحقاق الحق» ج ١٦ ص ٥٣٢، و ج ٦ ص ١٩٣.

أقول: و السّر في اشتياق الجنّة إلى هؤلاء الكرام، هو أنّ مقامهم أعلى بمراتب من حيث الوجود و القرب، من مقام الجنّة و مرتبتها، و معلوم أنّ الداني لمشتاق للوصول إلى العالي.

(١١٣) قوله: حسنات الأبرار سيئات المقرّبين كلام معروف، و منسوب إلى المعصومين،

و مضمونه مطابق للقواعد و الأصول.

ذكره عبد الرزاق القاساني في شرح منازل السائرين باب الصدق، ص ٢٣٦، نقلا عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

و ذكره المجلسي في البحار ج ٢٥ ص ٢٠٥ و السيد علي خان المدني في رياض السالكين ج ٢ ص ٤٧٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٢١١

و قد سبق بعض هذا البحث في المقدّمة الأولى، و سيجيء أكثر من ذلك في المقدّمة السابعة إن شاء اللّه.

هذا توحيد أهل الطريقة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٢١٢

و أمّا توحيد أهل الحقيقة

(وحدة الشهود و وحدة الوجود)

بعد وصولهم إلى التوحيدين المذكورين، فهو أنّهم لا يشاهدون في الوجود غير اللّه و لا يعرفون في الحقيقة غيره، لأنّ وجوده حقيقيّ ذاتي، و وجود غيره عارضيّ مجازيّ في معرض الفناء و الهلاك آنا فآنا، لقوله:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [القصص: ٨٨].

و لقوله:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى‏ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [الرحمن: ٢٦- ٢٧]

لأنّ هذا الفناء و الهلاك ليس موقوفا على زمان و آن، كما ذهب إليه بعض المحجوبين، بل هو واقع دائما من الأزل إلى الأبد على و تيرة واحدة، لهلاك الأمواج في البحر، و فناء القطرات في المحيط، فإنّ الأمواج و القطرات و إن كانت لها اعتبارا عقليّا و تميزا وهميّا، لكن في الحقيقة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢١٣

ليس لها وجود أصلا لأن الوجود الحقيقيّ للبحر فقط، و الأمواج هالكة فانية في نفس الأمر، و هذا أمر معقول يعرفه كلّ عاقل، و بل أمر محسوس يعرفه كلّ ذي حسّ، و فيه قيل:

البحر بحر على ما كان في (من) قدم

إنّ الحوادث أمواج و أنهار

لا تحجبنك أشكال تشاكلها عمن تشكّل فيها فهي أستار

«١١٤» فكما أنّ من شاهد البحر و الأمواج و القطرات على الوجه المذكور، و عرف أنّه ليس في الحقيقة وجود إلاّ للبحر، و الأمواج و القطرات معدومات في نفس الأمر لأنّها ساعة فساعة في معرض الفناء و الهلاك و الزّوال، و قال ليس في الحقيقة و لا في الخارج إلاّ البحر، فكذلك من شاهد الحقّ و الخلق و المظاهر على ما يقرّر و عرف أنّه ليس في الحقيقة وجود إلاّ للحقّ، و الخلق و المظاهر معدومات في نفس الأمر لأنّهم آنا فآنا في معرض الزوال و الهلاك، فإنّه يجوز له أيضا أن يقول: ليس في الحقيقة و لا في

الخارج إلاّ الحقّ، و هذا معنى قولهم:

«الباقي باق في الأزل، و الفاني فان لم يزل»

---

(١١٤) قوله: البحر بحر.

الشعر منسوب إلى ابن العربي، راجع جامع الأسرار ص ٨٠٦ و الفتوحات ج ٣ ص ١٧٢، و تمام الشعر هكذا:

و لا أقول بتكرار الوجود و لا عود الوجود فما الأمر تكرار

البحر بحر على ما كان من قدم إنّ الحوادث أمواج و أنهار

لا يحجبنّك أشكال تشاكلها عمّن تشكّل فيها فهي أستار

و كن فطينا بها في أيّ مظهره فإنّ ذا الأمر إخفاء و إظهار

و راجع الجزء الثاني ص ٦٧ تعليقنا الرقم ٢٨.

[.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢١٤

و إليه الإشارة بقوله:

بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ [ق: ١٥].

لأنّ عند العارف، الوجود الإضافي القائم بنفس الرحمان و مدد الوجود الحقيق ساعة فساعة في معرض الزوال و الفناء و قبول الوجود مثله، و من

هذا يصعب إدراكه، لأنّه في غاية الخفاء، و إلى هذا أشار أيضا و قال:

تَرَى الْجِبٰالَ تَحْسَبُهٰا جٰامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحٰابِ [النمل: ٨٨].

و يعرف هذا من كبر الثمرة ساعة فساعة و عدم إدراك الحس ذلك الكبر و الصغر و الإعدام و الإيجاد، و كذلك في سريان الماء و تموّجه، فإنّه في كلّ ساعة يعدم و يوجد مثله بقدرة اللّه و كمال صنعه، و إليه الإشارة في اصطلاحهم أيضا و هو قولهم:

«المدد الوجودي هو وصول كلّما يحتاج إليه الممكن في وجوده على الولاء حتّى يبقى، فإنّ الحقّ يمده من النفس الرحماني بالوجود، حتّى يترجّح وجوده على عدمه الّذي هو مقتضى ذاته بدون موجده، و ذلك في التحلّل و بدله من الغذاء و التنفّس و مدده من الهواء ظاهر محسوس».

و أمّا في الجمادات و الأفلاك و الروحانيات، فالعقل يحكم بدوام رجحان وجودها من مرجّحة، و الشّهود يحكم بكون كلّ ممكن في كلّ آن خلقا جديدا، و بالجملة ليس في نظر هذا العارف الّذي شهد الحقّ أو الوجود على ما هو عليه إلاّ الحقّ تعالى المعبّر عنه بالوجود تارة، و بالذات أخرى.

(ليس في الوجود سوى اللّه تعالى)

و يعضد ذلك قول جميع العارفين مثله، الّذي قالوا بالاتّفاق:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۱۵

«ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله فالكلّ هو و به و منه و إليه» و هذا معنى قوله تعالى عند التحقيق:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد: ٣].

و معنى قوله:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلاٰ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقٰاءِ رَبِّهِمْ أَلاٰ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [فصّلت: ۵۴- ۵۳].

لأنّ المحيط لا ينفكّ عن المحاط و لا المحاط عن المحيط، و المحاط عند التحقيق أسماؤه و أفعاله و آثاره، أو الوجود الإضافي الإمكاني الّذي لا حقيقة له في الخارج، فلا يكون في الخارج إلاّ هو، و لهذا قال تأكيدا للأقوال المذكورة:

فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ [البقرة: ۱۱۵].

لأنّ الوجه هو الذات بالاتّفاق فيكون تقديره: أينما تولّوا من الأمكنة و الجهات، ثمّ ذاته و وجوده لأنّه المحيط، و المحيط لا يكون مخصوصا بمحاط دون محاط، و لا بموضع دون موضع، و اللّه بكلّ شيء محيط، فافهم جدا مع انّه قد مرّ هذا البحث مرارا و سيجيء أيضا مرارا.

(في توحيدات الثلاث الفعلي و الوصفي و الذاتي)

فالتوحيد الفعلي كما أنّه عبارة عن إسقاط كلّ فاعل و فعل عن النظر حتّى يصل صاحبه إلى الفاعل الحقيقيّ الواحد الّذي هو مصدر كلّ الأفعال، و يثبت قدمه العقليّ في التّوحيد الفعلي.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۱۶

و التوحيد الوصفيّ عن إسقاط كلّ صفة و موصوف عن النظر حتّى يصل صاحبه إلى الموصوف الحقيقيّ الوحدانيّ الّذي هو منشأ كلّ صفة و موصوف، و يثبت قدمه البصيري في التوحيد الوصفيّ.

و التوحيد الذاتي المشار إليه الآن عبارة عن إسقاط كلّ ذات و وجود عن النظر حتّى يصل صاحبه إلى الوجود المطلق المحض، و الذات البحت الخاصّ الّذي هو موجد كلّ موجود، منشئ جميع الذوات، و يثبت بذلك قدمه الشهودي الروحي في التوحيد الوجوديّ الذاتيّ، و يصير به عارفا كاملا مكمّلا محقّقا، و أصلا مقام الاستقامة و التمكّن، الّذي لا مقام فوقه، المعبّر عنه في قولهم:

«ليس وراء عبّادان قرية».

و إلى التوحيدات الثلاث أشار النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في دعائه المشهور عند الخاصّ و العام و الموافق و المخالف، و هو قوله:

«اللهمّ إنّي أعوذ بعفوك من عقابك، و أعوذ برضاك من سخطك و أعوذ بك منك» «(١١٥)».

لأنّ الأوّل إشارة إلى التوحيد الفعلي، و الثاني إلى التوحيد الصفاتي، و الثالث إلى التوحيد الذاتي.

و كذلك القوم في اصطلاحهم فإنّهم قسّموا التّوحيد ثلاثة أقسام، و سمّوا صاحب القسم الأوّل بذو العقل، و صاحب القسم الثاني بذو العين،

---

(١١٥) قوله: اللّهم إني أعوذ بعفوك من عقابك.

ذكرناه في الجزء الأوّل ص ٢٨١ التعليق الرقم ٥٢، فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۱۷

و صاحب القسم الثالث بذو العقل و العين، لأنّه الجامع لهما و الفائق عليهما، نذكره هاهنا و نختم هذا البحث عليه و هو قولهم:

«ذو العقل هو الّذي يرى الخلق ظاهرا و الحقّ باطنا، فيكون الحقّ عنده مرآة الخلق، لاحتجاب المرآة بالصورة الظاهرة فيه احتجاب المطلق بالمقيّد.

ذو العين هو الّذي يرى الحقّ ظاهرا و الخلق باطنا فيكون الخلق عنده مرآة الحقّ لظهور (لظهوره) عنده و اختفاء الخلق فيه اختفاء المرآة بالصورة.

ذو العقل و العين هو الّذي يرى الحق في الخلق، و الخلق في الحقّ، و لا يحتجب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الوجود بعينه: حقّا من وجه، خلقا من وجه، فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد، و لا تزاحم في شهوده كثرة المظاهر أحديّة الذات الّتي يتجلّى فيها، و لا يحتجب بأحديّة وجه الحقّ عن شهود الكثرة الخلقيّة و لا تزاحم في شهودها أحديّة الذات المتجلّية في المجالي كثرتها».

و إلى المراتب الثلاث أشار الشيخ الكامل محيي الدين الأعرابي (ابن العربي) قدّس اللّه سرّه في أبيات له: [۱۱٦]

(۱۱٦) قوله: أشار الشيخ الكامل محي الدين في أبيات له.

قاله ابن العربي في الفتوحات الملكيّة ج ۳ ص ۲۹۰، في آخر باب الموفى ستين و ثلاثمائة في «معرفة منزل الظلمات المحمودة و الأنوار المشهورة».

و أمّا متن الشعر في الفتوحات هكذا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۱۸

ففي الخلق عين الحقّ إن كنت ذا عين

و في الحقّ عين الخلق إن كنت ذا عقل

و ان كنت ذا عين و عقل فما ترى

سوى عين شيء واحد فيه بالشكل

و حيث هذا مقام شريف ليس فوقه مقام كما أشرنا إليه قال الشيخ أيضا في فصوصه: «۱۱۷» «و إذا ذقت هذا فقد ذقت الغاية الّتي ليس فوقها غاية في حقّ المخلوق، فلا تطمع و لا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذا الدرج فما هو ثمّ أصلا و ما بعده إلا العدم المحض».

رزقنا اللّه و ايّاكم الوصول إلى هذا المقام بمحمّد و آله الكرام صلّى اللّه عليه و آله.

هذا آخر بيان التوحيدات الثلاث بقدر هذا المقام بالنسبة إلى الطوائف

الثلاث. و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

ففي الحقّ عين الخلق إن كنت ذا عين

و في الخلق عين الحقّ إن كنت ذا عقل

فإن كنت ذا عين و عقل معا فما

ترى غير شيء واحد فيه بالفعل

و نقل السيّد المؤلّف الشعر في «نصّ النصوص» ص ٣٦٠، و في «جامع الأسرار» ص ١١٣ كما نقله هنا.

(١١٧) قوله: في فصوصه.

قاله في فصّ الشيثي.

راجع شرح فصوص الحكم للقيصري ص ١٠٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢١٩

و أمّا العدل

(المراد من العدل الإلهي)

فالمراد بالعدل و هو أنّه تعالى لا يفعل القبيح و لا يخلّ بالواجب، و القبيح كلّ فعل ينفر العقل عنه، و لا يكون ملائما لحكمه كالكذب و الظلم و السرقة و أمثال ذلك، فإنّ العقل الصحيح ينفر عن أمثالها، و لا يحكم بها أصلا، و الواجب عليه تعالى [١١٨] و هو الّذي تقدّم ذكره بانّه تعالى حيث

---

(١١٨) قوله: و الواجب عليه تعالى مراده رضي اللّه عنه هو أنّ بعث النبيّ و إرسال الرسول واجب عنه سبحانه و تعالى لرحمته و حكمته.

و ليعلم أنّ الحقّ سبحانه و تعالى كتب على نفسه الرحمة و الهداية و غير ذلك.

فهذه كلّها واجب عنه عزّ و جلّ و لبس بواجب عليه، لأنّ الواجب تعالى مستحيل أن يكون موجبا.

قال سبحانه و تعالى:

قُلْ لِمَنْ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام: ١٢].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٢٠

خلق الخلق و كلّفهم بتكليف يجب عليه أن يبعث إليهم أحدا من عنده،

ليعلمهم هذا التكليف، و يرشدهم إلى سواء الطريق لقوله فيه جلّ ذكره:

لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ [آل عمران: ١٦٤].

و إلاّ يلزم منه الإهمال و الإجمال في التكليف و الأفعال، و الإخلال بالواجب عن الحكيم الكامل، و يؤدّي ذلك إلى نقض غرضه، و نقض الغرض على الحكيم الكامل محال، فيجب أن يبعث أحدا إليهم ليعلّمهم ذلك التكليف، و هم يقوموا به و يحصل غرضه منهم لقوله:

وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦].

و لقوله في الحديث القدسي:

«كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» «١١٩».

(المراد من اللطف اللهي)

و هذا يسمّى لطفا كما سبق ذكره غير مرّة بأنّ اللطف هو الّذي يكون

و قال:

كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [المجادلة: ٢١].

و قال:

إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [يوسف: ٩٠].

أي كتب على نفسه ان لا يضيع أجر المحسنين لأنّه عليم، حكيم، قدير، غنّى.

(۱۱۹) قوله: كنت كنزا مخفيّا.

راجع التعليق ٦٠.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۲۱

العبد به إلى الطاعة أقرب و من المعصية أبعد، و كلّ ذلك راجع إلى حكم العقل لأنّ الحسن و القبح عند أكثر العقلاء عقليّان لا نقليّان، و عند البعض بعكس ذلك أعني هما نقليّان و بينهما خلاف، فالمعتزلة و تابعيهم ذهبوا إلى أنّهما عقليّان، و الأشاعرة و تابعيهم ذهبوا إلى أنّهما نقليان، و الحقّ في طرف المعتزلة بحكم العقل الصحيح أيضا، لأنّ النقل ماله دخل في ذلك، لأنه لو كان موقوفا على النقل و الشرع، ما أقرّوا به الكفار و عبدة الأوثان لأنّ عندهم الصدق حسن و الكذب قبيح، و العدل حسن و الظلم قبيح، و كذلك جميع الأفعال المستحسنة عند العقل، و المستقبحة عنده، فإنّ أكثر العقلاء اتفقوا على أنّهما عقليان لا نقليان.

و مع ذلك كلّه، المعتزلة و تابعيهم استدلّوا عليه ببرهان عقلي غير قابل للمنع، نقرره هاهنا حتّى يتحقّق عندك صدق دعوانا و دعواهم و هو قولهم: مرادنا في كونه تعالى عادلا و هو أنّه لا يفعل القبيح و لا يخلّ بالواجب، و هذه المسألة متفرّعة على إثبات الحسن و القبح بحكم العقل مطلقا، فنقول:

(في اثبات الحسن و القبح العقليان)

اعلم أنّ كلّ من صدر عنه فعل المكلفين من الأفعال الاختياريّة لا يخلو إمّا أن يكون صدور ذلك الفعل منافرا للعقل، أو لا يكون، فالأوّل هو القبيح، و

الثاني إمّا أن يكون تركه منافرا للعقل أو لا يكون، و الأوّل هو الواجب، و الثاني إمّا أن يكون فاعله مستحقا للمدح أو لا يكون، و الأوّل هو الندب، و الثاني إمّا أن يكون فعله أولى من تركه أو لا يكون، و الأوّل

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۲۲۲

هو الحسن، و الثاني إمّا أن يكون تركه أولى من فعله أو لا يكون، و الأوّل هو المكروه، و الثاني هو المباح، و ليس أفعال المكلّفين بخارج عن هذا الحصر.

و إذا ثبت هذا فلا شك أنّ بعض أفعالنا ما يكون العقل منافرا عن فعلها، كالظلم و الكذب و العبث و المفسدة و غير ذلك، و بعض أفعالنا ملائما للعقل، كشكر المنعم، و ردّ الوديعة، و قضاء الديون و غير ذلك، و العلم بذلك يجده كل عاقل من نفسه، و لا يحتاج فيه إلى شرع و لا نقل، و لهذا يعرفه المنكرون للشرائع كالكفار الأصليّة و البراهمة و عبدة الأوثان، كما يعرفه المليّون و أرباب الأديان و الشرائع، و من أنكر ذلك فهو جاهل مكابر، لا يستحقّ الخطاب.

و حيث تقرّر هذا فلنشرع في بيانه بالنسبة إلى الطوائف الثالث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۲۲۳

أمّا عدل أهل الشريعة

(في نفي الظلم و القبيح عن فعل اللّه سبحانه و تعالى) فجميع ما مرّ في هذا الباب، و بوجه آخر، هو أنّه تعالى لا يفعل القبيح و لا يخلّ بالواجب لأنّه إذا

كان عالما بقبح القبيح و عالما باستغنائه عنه فعلمه دائما يصرفه عن فعله و لا يدعوه الدّاعي إليه لاستغنائه، و مع عدم الداعي و وجود الصارف يستحيل أن يصدر أمثال هذه الأفعال عن القادر المختار، فثبت أنّه تعالى لا يفعل القبيح البتّة، و لا يخلّ بالواجب.

و إذا ثبت أنّه تعالى لا يفعل القبيح، فكلّ ما صدر من أحداث العالم و ما فيه من خلق الحيوانات الموذية، و النبات المضرّة، و السموم القاتلة، و غير ذلك من التكاليف الشّاقّة، و تعذيب بعض الحيوان بلا سبب معلوم و أمثاله، يكون حسنا، و كلّ ما يصدر في العالم من الظلم و القبح و الكذب و الفساد و غير ذلك، إنّما يصدر عن غيره لا عنه، و لا يريد شيئا من القبائح أصلا، لأنّ إرادة القبيح قبيحة، و إلى عدم إرادة القبيح و عدم صدوره عنه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۲۴

قال:

وَ إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَةً قٰالُوا وَجَدْنٰا عَلَيْهٰا آبٰاءَنٰا وَ اللّٰهُ أَمَرَنٰا بِهٰا قُلْ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَأْمُرُ بِالْفَحْشٰاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدىٰ وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيٰاطِينَ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ [الأعراف: ۲۸- ۳۰].

و هذه الآيات من أعظم الدلالات على صدق ما قلناه، و قد سبق الكلام في هذا المعنى مبسوطا في المقدّمة الأولى عند بيان المتشابهات سيّما قوله:

وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ

عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَ أَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَ كَفى بِاللهِ شَهِيداً مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً [النساء: ٧٨- ٨٠].

فإنّ هذه الأقوال تشهد بانّ الأفعال القبيحة من العبد، و الأفعال الحسنة أيضا منه، لكن بتوفيق اللّه و هدايته، لأنّ المدح و الذّم فيهما راجعان إليه لا إلى غيره، و على جميع التقادير ليس هناك قول يدلّ على ظلمه تعالى، و صدور الأفعال القبيحة عنه، و هذا هو المراد بالعدل عند أرباب الشريعة بحكم العقل و النقل المطابق لقوله أيضا:

مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصّلت: ٤٦].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٢٢٥

و أمّا عدل أهل الطريقة

(في أنّ العدل هو إعطاء كلّ شي‏ء حقّه حسب ما هو مستعدّ له و تقتضي قابليّته من الوجود و الكمال) فالعدل عندهم بعد رسوخهم في هذا الاعتقاد، و هو أنّ اللّه تعالى أعطى كلّ شي‏ء ما أعطى من الحقائق و الكمالات و الطبائع و الغرائز و الأحوال و الأفعال، بمقتضى العدل و القسط من غير حيف و ميل و تقصير و إهمال لأنّه الجواد المطلق، و الجواد المطلق ما يجود على القوابل و المستعدّين إلّا على الوجه الأتمّ و إلّا لا يكون جوادا، و

إلى هذا أشار بقوله:

رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى‏ كُلَّ شَيْ‏ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى‏ [طه: ٥٠].

و كذلك بقوله:

وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها [إبراهيم: ٣٤].

و معناه على ما مرّ مرارا، أي آتاكم من كلّ ما سألتموه في الأزل بلسان

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٢٢٦

استعدادكم و قابليّاتكم من غير زيادة و نقصان، و إن تعدّوا نعمة اللّه لا تحصوها، أي و إن تعدّوا هذه النعمة الّتي أنعم بها عليكم ظاهرا و باطنا بقوله:

وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً [لقمان: ٢٠].

لم تقدروا عليها و لا على إحصائها فإنّها غير قابلة للحصر و العدّ، و قوله:

قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [التوبة: ٥١].

بيان لهذا المعنى و تأكيد بأنّ كلّ فعل يصدر منه لا يكون إلّا بمقتضى العدل و الحكمة و القسط فيجب على العبد أن يتّكل و يعتمد على أفعاله و أقواله، و لا يتحرّك إلّا بأمره و إشارته من غير التفات إلى غيره كما قال أيضا:

أَ لَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ [الزمر: ٣٦].

و قال:

وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدْراً [الطلاق: ٣].

و من هذا ثبتت قدمهم في مقام الاستقامة و التمكن دائما، أي قدم أهل الطريقة و أرباب العرفان في مقام التوكّل و التسليم و الرضا و أمثال ذلك كما أشار إليه بقوله:

يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ [إبراهيم: ٢٧].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٢٧

و لا يمكن التجاوز عنه، لأنّ كلّ شخص يعرف أن الحكيم الكامل في ذاته، العالم بجميع الأشياء قبلها و بعدها، لا يفعل إلّا بمقتضى علمه و حكمته و لا يصدر منه شيء خلاف الواقع، لا بدّ و أن يتّكل عليه و يرضى بفعله، حسنا كان ذلك الفعل أو قبيحا، لأنّ مقام الرضا و التسليم و العلم بعلم ربّه، و أنّه عالم بحقائق الأشياء كلّها يقتضي هذا، و من حيث إنّ هذا الرضا موجب لرضاء ربّه عنه أشار الحقّ تعالى في قوله و قال:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ [البيّنة: ٨ و ٧].

و لهذا ورد في أوليائه الّذين هم في هذا المقام أعني مقام الرضا و التسليم و التوكّل و عدم الالتفات إلى الماضي و المستقبل، و قلّة التعلّق بالأمور الدنيويّة، الّتي تكون هي موجبة للحزن و الخوف، أي الحزن على ما فات و الخوف على ما سيجيء، أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس: ٦٢].

لأنّهم فارغين عن الهمّ و الحزن بالأمور الماضية و الآتية لعلمهم بعلم ربهم، و أنّه ما يفعل شيء إلاّ على الوجه الّذي ينبغي، و من هذا قال أمير المؤمنين عليه السّلام:
وجدت الزهد كلّه في كلمتين من القرآن [۱۲۰] و هو قوله تعالى:

---

(۱۲۰) قوله: وجدت الزهد.
كلامه عليه آلاف التحيّة و السلام في نهج البلاغة (صبحي) في كلمات القصار الرقم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۲۸

لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ [الحديد: ۲۳].
لأن المراد تساوي الحالين في جميع الحالات من المحبوبات و المكروهات و الملايم و غير الملايم و قد أشار إلى هذا في بعض أقواله في هذا المعنى أبسط من ذلك، و هو قوله:
«اعلموا علما يقينا أنّ اللّه لم يجعل للعبد- و إن عظمت حيلته، و اشتدّت طلبته، و قويت مكيدته،- أكثر ممّا سمّي له في الذكر الحكيم.
و لم يحل بين العبد في ضعفه و قلّة حيلته، و بين أن يبلغ ما سمّي له في الذكر، و العارف لهذا و العامل به أعظم النّاس راحة في منفعة، و التارك له الشاكّ فيه أعظم النّاس شغلا في مضرّة. و ربّ منعم عليه مستدرج بالنّعمى، و ربّ مبتلى مصنوع بالبلوى! فزد أيّها المستنفع في شكرك، و قصّر من

عجلتك وقف عند منتهى رزقك» [نهج البلاغة: الحكمة (فيض) ٢٦٥ و (صبحي) ٢٧٣].

و ورد (هذا) الكلام برهان قاطع على صدق جميع ما قلنا في هذا الباب. و ورد عن ابن عباس رضي اللّه عنه انّه قال: [١٢١].

---

٤٣٩ و (فيض) و ٤٣١، هكذا:

«الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن: قال اللّه سبحانه:

لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ [الحديد: ٢٣].

و من لم يأس على الماضي، و لم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه».

(١٢١) قوله: ورد عن ابن عباس.

أخرجه ابن حنبل في سننه ج ١ ص ٣٠٧ بإسناده عن ابن عباس، و أخرجه أيضا الهندي في «كنز العمال» ج ٣ ص ٧٥٤ الحديث ٨٦٦١، أيضا ص ١٣٣ الحديث ٦٣١

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٢٢٩

كنت رديف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال:

«يا غلام، (أو يا غليم)، أو يا بنيّ! ألا أعلّمك كلمات ينفعك اللّه بهنّ»، قلت: بلى يا رسول اللّه قال:

«احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده أمامك، و تقرّب (تعرّف) إلى اللّه في الرخاء يقربك (يعرفك) في الشدائد، و إذا سئلت فاسئل اللّه، و ان استعنت

فاستعن بالله، فقد جفّ القلم بما هو كائن الى يوم القيامة، فلو أنّ الخلايق أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه اللّه عليك، لم يقدروا عليه، و إن أرادوا أن يضرّوك بشيء لم يقضه اللّه عليك لم يقدروا عليه، و اعمل للّه بالشكر و اليقين، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل و إن لم تستطع فاصبر، و أعلم أنّ في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، و أنّ النصر مع الصبر، و أنّ الفرج مع الكرب و أنّ مع العسر يسرا».

و معلوم أنّ الشخص ما يتمكّن من هذا بشيء إلاّ إذا صار عالما بما سبق ذكره من سبق علم اللّه بالأشياء قبلها و بعدها، و صدور الأفعال منه تعالى على مقتضى العلم و الحكمة.

و جاء في الآثار أيضا «١٢٢»: أنّ جابر عبد اللّه الأنصاري رحمة اللّه

و ٦٣٢.

و رواه الطبرسي في مشكاة الأنوار الفصل الخامس ص ٥٦، الحديث ٥٩، و رواه الشهيد الثاني في مسكّن الفؤاد ص ٤٩، و عنه البحار ج ٨٢ ص ١٣٨.

و روي الشيخ في «الأمالي» ج ٢ الجزء الثامن عشر، مجلس يوم الجمعة ٤ محرّم سنة ٤٥٧، ص ١٤٩ بإسناده عن أبي ذر، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، في حديث طويل، في وصيّة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله لأبي ذر مثل ما قاله صلّى اللّه عليه و آله لعبد اللّه بن عبّاس. راجع البحار أيضا ج ٧٧ ص ٨٧.

(١٢٢) قوله: و جاء في الآثار، انّ جابر.

رواه أيضا الشهيد الثاني في «مسكّن الفؤاد» ص ٨٢.

و روي ذيله الكليني في «الأصول من الكافي» ج ١ باب مولد أبي جعفر محمّد بن علي عليهما السّلام، ص ٤٦٩ الحديث ٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٣٠

عليه الّذي كان من كبار الصحابة، ابتلى في آخر العمر بضعف الهرم و العجز، فزاره محمّد بن علي الباقر عليه السّلام، فسأله عن حاله، فقال: أنا في حالة أحبّ فيها الشخوخة على الشباب، و المرض على الصحّة، و الموت على الحياة، فقال الباقر عليه السّلام:

«أما أنا (يا جابر) فإن جعلني اللّه سبحانه شيخا أحبّ الشيخوخة، و إن جعلني شابا أحبّ الشيبوبة، و إن أمرضني أحبّ المرض، و إن شفاني أحبّ الشفاء (و الصحة)، و إن أماتني أحبّ الموت، و إن أبقاني أحبّ البقاء».

فلما سمع جابر هذا الكلام منه قبّل وجهه و قال: صدق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فإنه قال لي:

«انّك ستدرك ولد من أولادي اسمه اسمي يبقر العلم (أبقرا) كما يبقر الثور الأرض، و لذلك سمّي باقرا، أي باقر علم الأوّلين و الآخرين».

(في بيان التفاوت بين الصبر و الرضا)

و يعلم من هذا الكلام الّذي سبق في بيان مقامات العارفين أنّ جابرا كان في مرتبة الصبر، و محمّد الباقر عليه السّلام كان في مرتبة الرضا، و الفرق بينهما ظاهر.

و بالجملة هذه المراتب لا تحصل إلّا بعلم العبد بربّه أنّه عالم بحاله

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۳۱

و بحال جميع المخلوقات أزلا و أبدا، و أنّه عادل في أفعاله و أحواله، منزّه عن الظلم و التعدّي على نفسه و على غيره، كما قال:

إِنَّ اللهَ لاٰ يَظْلِمُ النّٰاسَ شَيْئاً وَ لٰكِنَّ النّٰاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [يونس: ٤٤].

و إذا عرفت هذا فعليك بتحصيل هذا الإعتقاد، ثمّ بتحصيل المقامات اللازمة له ممّا مرّ ذكرها.

و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، هذا عدل أهل الطريقة و اعتقادهم في الحقّ تعالى ذكره.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۳۲

و أمّا عدل أهل الحقيقة

(تطابق الوجود العلمي و الخارجي و بالعكس) بعد رسوخهم في العدلين المذكورين، فهو أنّ اللّه عادل في إعطاء وجود الموجودات، كما هو عادل في إعطاء أخلاقهم و أوصافهم، بعد النظر إلى استعدادهم الذاتي و قابليّاتهم الجبليّة، و ذلك لأنّ كلّ موجود فرض في العالم أو لم يفرض، له تعيّن و تحقّق في علم ربّه «۱۲۳» قبل أن يوجد في العين و الخارج، و الوجود له تابع لوجوده العلمي، فيجب عليه تعالى حينئذ إعطاء وجود ذلك الموجود العلمي الأزلي المعدوم في الخارج الموجود في العلم، على ما هو عليه في تحقّقه و تعيّنه في علمه، لا

(١٢٣) قوله: له تعيّن و تحقق في علم ربّه.

هذا كما قال سبحانه و تعالى:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [الحجر: ٢١].

و معلوم أنّ هذا النزول ليس على النحو التجافي بل كان على نحو التجلّي و الظهور، و الآن كما كان في كل آن.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٣٣

أزيد و لا أنقص، لأنّه لو أعطي وجوده بخلاف ذلك لكان ظلما فاحشا، لأنّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، و هذا غير جايز منه لأنّه عادل في فعله و قوله، مقسط في إعطائه و صنعه كما سبق ذكره، فيجب أن يعطي وجود كلّ موجود على ما هو عليه في نفسه من غير تفاوت من الزيادة و النقص، و هذا هو العدل الحقيقي، لأنّ العدل هو وضع الشيء في موضعه بعكس الظلم.

و هاهنا أبحاث كثيرة و أسرار دقيقة قد بسطنا الكلام فيها في المقدّمة الأولى عند بحث المشيئة و الإرادة و العلم و الأمر، و غير ذلك.

و نقل كثير ورد في هذا الباب، منها ما سبق من قوله تعالى:

وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ [ابراهيم: ٣٤].

لأنّه يقول: و آتاكم من كلّ ما سألتموه في الأزل عند الوجود العلمي ليطابق

الأزل الأبد، و الوجود العلمي الوجود الخارجي.

و منها ما سبق أيضا من قوله:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شٰاكِلَتِهِ [الإسراء: ٨٤].

لأن هذا شاهد عدل على صدق هذه الدعوى، لأنّه يقول: «قل كلّ يعمل على شاكلته»، أي كلّ يعمل على شاكلته الظاهرة و صورته الحسّيّة مطابقا لما في شاكلته الباطنة و صورته المعنويّة، و من هذا قال:

فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبٰالِغَةُ [الأنعام: ١٤٩].

على عباده، أي فللّه الحجّة البالغة عليهم بأفعالهم الصادرة منهم على مقتضى ذواتهم و ماهيّاتهم، و إعطائهم الوجود مطابقا لتلك الماهيّات و الذوات.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٣٤

و منها، ما سبق من قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«كلّ ميسّر لما خلق له» «١٢٤».

و قد سبق معناه مرارا. و كذلك سؤال داود عليه السّلام حين قال:

يا ربّ لما ذا خلقت الخلق، قال: لما هم عليه [١٢٥].

(١٢٤) قوله: كل ميسّر لما خلق له.

راجع التعليق ١٦ و ٨٥، و الجزء الأوّل التعليق ٦٤. [.....]

(١٢٥) قوله: قال: لما هم عليه.

روي الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥ باب طينة المؤمن و الكافر الحديث ٧،

بإسناده عن إبراهيم، عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام قال:

«إنّ اللّه عزّ و جلّ لمّا أراد أن يخلق آدم عليه السّلام بعث جبرئيل عليه السّلام في أوّل ساعة من يوم الجمعة، فقبض بيمينه قبضة، بلغت (فبلغت) قبضته من السماء السابعة إلى الدنيا، و أخذ من كلّ سماء تربة.

و قبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى.

فأمر اللّه عزّ و جلّ كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه، و القبضة الأخرى بشماله ففلق الطين فلقتين، فذرا من الأرض ذروا، و من السماوات ذروا، فقال للّذي بيمنه: منك الرسل و الأنبياء و الأوصياء و الصدّيقون و المؤمنون و السعداء و من أريد كرامته، فوجب لهم ما قال كما قال، و قال للّذي بشماله:

منك الجبّارون و المشركون و الكافرون و الطواغيت و من أريد هوانه و شقوته، فوجب لهم ما قال كما قال.

ثمّ إنّ الطينتين خلطتا جميعا، و ذلك قول اللّه عز و جلّ:

إِنَّ اللّٰهَ فٰالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوىٰ [الانعام: ٩٥] الحديث. و عنه البحار ج ٦٧ ص ٨٧ الحديث ١٠.

و روي الصدوق في «علل الشرائع» باب نوادر العلل، ص ٦٠٦، الحديث ٨١، بإسناده عن أبي إسحاق الليثي، عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام في حديث طويل، قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٣٥

«فكان ممّا خلق اللّه عز و جلّ أرضا طيّبة، ثمّ فجّر منها ماءا عذبا زلالا، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبّقها و عمّها، ثمّ نصب ذلك الماء عنها، و أخذ من صفوة ذلك الطين طينا فجعله طين الأئمّة عليهما السّلام، ثمّ أخذ ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ...

خلق اللّه عزّ و جلّ بعد ذلك أرضا سبخة خبيثة منتنة، ثمّ فجّر منها ماءا أجاجا، آسنا، مالحا، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت، و لم تقبلها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبقها و عمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، ثمّ أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة و أئمّتهم، ثمّ مزجه بثقل طينتكم ... إلى أن قال: (قال اللّه عز و جلّ): فانّي أنا اللّه لا إله إلا أنا، عالم السرّ و أخفى، و أنا المطّلع على قلوب عبادي، لا أحيف و لا أظلم و لا ألزم أحدا إلّا ما عرفته منه قبل أن أخلقه».

روي المجلسي هذا الحديث عن الصدوق في البحار ج ٥ ص ٢٣٨.

لا بأس في المقام أن ننقل كلاما عن النورين النيّرين، العلمين الحكيمين، العالمين الرّبانيّين، و العارفين باللّه سبحانه و الخالصين له تعالى، كأنّهما كانا كالسيّد حيدر الآملي رضي اللّه عنه في عصرنا، حشرهما اللّه سبحانه و تعالى مع أجدادهما الطّاهرين عليهم السّلام، و هما: مولانا السيّد الإمام الخميني و مولانا السيّد العلاّمة الطباطبائي رضي اللّه عنهما.

قال العلاّمة الطباطبائي في تفسير «الميزان» ج ١١ ص ٣٣٨ في سورة الرعد، في تفسير الآية: **أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَسٰالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهٰا** [الرّعد: ١٧] **أن الوجود النازل من عنده تعالى على الموجودات الّذي هو بمنزلة الرحمة السماويّة و المطر النازل من السحاب على ساحة الأرض، خال**

في نفسه عن الصور و الأقدار، و إنّما يتقدّر من ناحية الأشياءِ أنفسها، كماءِ المطر الّذي يحتمل من القدر و الصورة ما يطرءِ عليه من ناحية قوالب الأودية المختلفة في الأقدار و الصور، فإنّما تنال الأشياءِ من العطيّة الإلهيّة بقدر قابليّتها و استعداداتها، و تختلف باختلاف الاستعدادات و الظروف و الأوعية.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٣٦

ثمّ إنّ هذه الأمور المسمّاة بالأقدار و إن كانت خارجة عن الإفاضة السماويّة مقدرة لها، لكنّها غير خارجة عن ملك اللّه سبحانه و سلطانه، و لا واقعة من غير إذنه، و قد قال تعالى:

إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ. و قال: بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً [هود: ٣١ و ١٢٣].

و قال في تفسير سورة النحل الآية ٢- ج ١٢ ص ٢٠٨:

«فإنّ استعداد المستعد ليس إلاّ كسؤال السائل، فكما أنّ سؤال السائل إنّما يقرّبه من جود المسئول و عطائه، من غير أن يجبره على الإعطاء و يقهره، كذلك الاستعداد في تقريبه المستعدّ لإفاضته تعالى و حرمان غير المستعدّ من ذلك، فهو تعالى يفعل ما يشاء من غير أن يوجبه عليه شيء أو يمنعه عنه شيء، لكنّه لا يفعل شيئا و لا يفيض رحمة إلاّ عن استعداد فيما يفيض عليه و صلاحيّة منه».

و قال السيّد الإمام الخميني في رسالة «الطلب و الإرادة» المطلب الخامس، ص ١٤١:

«فاعلم أنّ واجب الوجود بالذات لمّا كان واجبا من جميع الجهات و الحيثيّات يمتنع عليه قبض الفيض عن الموضوع القابل، فإنّ قبضه بعد تماميّة الاستعداد و عدم نقص في جانب القابل مستلزم لنقص في الفاعل أو جهة إمكان فيه تعالى عنه.

و هذا اللّزوم و الوجوب كلزوم عدم صدور القبيح و امتناع صدور الظلم عنه اختياريّ إراديّ لا يضرّ بكونه مريدا مختارا قادرا، فإذا تمّت الاستعدادات في القوابل أفيضت الفيوضات و الوجودات من المبادئ العالية.

و أمّا إفاضة الفيض الوجودي بمقدار الاستعداد و قابليّة المواد للتناسب بين المادّة و الصورة للتركيب الطبيعي الإتّحادي بينهما لا يمكن قبولها صورة ألطف و أكمل من مقتضى استعدادها كما لا يمكن منعها عمّا استعدّت له.

ثمّ اعلم أنّ منشأ اختلاف نفوس الإنسان في الحنين إلى الخيرات أو الشرور و الميل إلى موجبات السعادة أو الشقاوة أمور كثيرة.

(ذكر من الأمور بعضها) إلى أن قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۳۷

أي لما هم عليه من القابليّات و الاستعدادات.

و على هذه التقادير لا يكون لأحد لسان اعتراض و إقامة حجّة على اللّه تعالى بأنّك لم خلقتني كذا و كذا، بأنّ اللّه تعالى يجيبه بلسان الحال: بأنّ

و بالجملة الإنسان بما أنّه واقع في دار الهيولى من بدء خلقه، بل قبله حسب اختلاف

الموادّ السابقة إلى زمان انتقاله من هذه النشأة واقع تحت تأثير الكائنات، لكن كلّ ذلك لا يوجب اضطراره و إلجائه في عمل من أعماله الاختياريّة ... إلى أن قال:

أعلم أنّ اللّه تعالى و إن أفاض على الموادّ القابلة ما هو اللائق بحالها من غير ضنّة و بخل و العياذ باللّه، لكنّه تعالى فطر النفوس سيعدها و شقيّها خيّرها و شريرها على فطرة اللّه أي العشق بالكمال المطلق.

فجبلّة النفوس بقضّها و قضيضها إلى الحنين إلى كمال لا نقص فيه، و خير لا شرّ فيه، و نور لا ظلمة فيه، و إلى علم لا جهل فيه، و قدرة لا عجز فيها.

و بالجملة الإنسان بفطرته عاشق الكمال المطلق و بتبع هذه الفطرة فطرة أخرى فيها هي فطرة الانزجار عن النقص أيّ نقص كان.

و معلوم أنّ الكمال المطلق، و الجمال الصّرف، و العلم و القدرة و سائر الكمالات على نحو الإطلاق بلا شوب نقص و حدّ، لا توجد إلاّ في اللّه تعالى فهو المطلق و صرف الوجود و صرف كلّ كمال».

أقول: تدلّ على ما قاله أخيرا الآيات القرآنية التالية:

كُلاًّ نُمِدُّ هٰؤُلاٰءِ وَ هَؤُلاٰءِ مِنْ عَطٰاءِ رَبِّكَ وَ مٰا كٰانَ عَطٰاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً [الإسراء: ٢٠] و قوله تعالى:

فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّٰاسَ عَلَيْهٰا [الروم: ٣٠] و قوله تعالى:

وَ إِذٰا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [لقمان: ٣٢] و قوله تعالى:

أَلاٰ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرّعد: ٢٨]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۳۸

ما أعطيت وجودك إلاّ على قدر قابليّتك و استعدادك، و قابليّتك و استعدادك من اقتضاء ذاتك و ماهيّتك لا منّي، لأنّي فاعل و أنت قابل، و قابليّة القابل لا يكون من الفاعل، بل وجوده مطابقا لماهيّته و قابليته، فأنت حينئذ تعرض على قابليّتك و استعدادك لا عليّ، لأنّ الفاعل ليس له تصرّف في القابل إلاّ على قدر قابليّته و إعطائه الوجود على ما هو عليه من حيث القابليّة.

و إن قلت: بالعلم و إنّي كنت عالما بك فالعلم ليس له تصرّف في المعلوم حتّى يرد هذا و المطابقة شرط بين العلم و المعلوم، لأنّ العلم تابع للمعلوم، فالتابع لا يكون عالما بالمتبوع إلاّ على الوجه الّذي هو عليه من معلوميّته، فحينئذ ما أعطيت وجودك إلاّ على الوجه الّذي كنت عالما بك و بماهيّتك على مقتضى قابليّتك، و أنا حكيم عادل عالم كامل لا يصدر منّي شيء إلاّ على الوجه الّذي ينبغي و قولي:

لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ۲۳].

إشارة إلى هذا، و مرادي إنّي عالم، حكيم و لا يسأل عن فعل العالم الحكيم، و لكن هم يسألون من جهلهم بحقائق الأشياء و قدرتهم على وضع كلّ شيء موضعه، و أنت لو كنت مثلي عالما بحقائق الأشياء كلّها قبلها و بعدها، ما كنت ممّا يسأل عن فعله، و أنا العالم الحكيم الكامل فلا ينبغي أن يسأل عن فعلي أصلا، لأنّي ما أفعل شيئا إلاّ بمقتضى علمي و حكمتي و على الوجه الّذي ينبغي، و من هذا قلت:

لاٰ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقٰالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَ

لاٰ أكبرُ [سبأ: ٣].

و هو قولي:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٣٩

وَ مٰا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقٰالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فِي السَّمٰاءِ وَ لاٰ أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْبَرَ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [يونس: ٦١].

و قولي أيضا:

ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الأنعام: ٩٦].

يشهد بهذا كلّه فارجع إليه و تدبّر فيه، فإنّه ينفتح عليك أسرار هذا المعنى بأسرها من غير مانع لقولنا أيضا:

اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسٰانَ مٰا لَمْ يَعْلَمْ [العلق: ٣- ٥].

و لقولي:

الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسٰانَ عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ [الرحمن: ١- ٤].

و بالجملة هاهنا أبحاث كثيرة موقوفة على بحث المشيئة و الإرادة و العلم و الأمر، و أنّ الحقائق و الماهيّات بجعل الجاعل أم لا، و أنّ قابليّة الأشياء من اللّه أو من غيره، و أنّ القابل عين الفاعل أو غيره أو هما شيء واحد، و أمثال ذلك، و قد سبق ذكره مبسوطا في المقدّمة الأولى و العود إلى ما سبق غير مستحسن فارجع إليه تظفر به، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٤١

و أمّا النبوّة

فهي على الإطلاق عبارة عن قبول النفس القدسي حقايق المعلومات و المعقولات عن اللّه تعالى بواسطة جوهر العقل الأوّل المسمّى بجبرئيل تارة، و بروح القدس أخرى، و الرسالة تبليغ تلك المعلومات و المعقولات إلى المستفيدين، و التابعين لذلك النبيّ و الرسول.

و أمّا عند أهل الشريعة

(تعريف النّبوّة عند أهل الشريعة)

فالنّبي إنسان مبعوث من اللّه تعالى إلى عباده ليكملهم بأن يعرّفهم ما يحتاجون إليه من طاعته، و يعلّمهم ما يجترحهم عن معصيته، و تعرف نبّوته بثلاثة أشياء:

أولّها، أن لا يقرّر ما يخالف ظاهر العقل، كالقول بأنّ الباري أكثر من واحد.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۲۴۲

و الثاني، أن يكون دعوته للخلق إلى طاعة اللّه و الاحتراز عن معصيته.

و الثالث، أن يظهر منه عقيب دعوى النّبوّة معجزة مقرونة بالتحدّي مطابقة لدعواه.

(في معنى المعجزة و الكرامة)

و المعجز: كلّ فعل خارق للعادة يعجز عن أمثاله البشر، و التحدّي هو أن يقول النبيّ لأمّته: إن لم تقبلوا قولي فافعلوا مثل هذا الفعل أو بالعكس، أعني تقول أمّته هذا القول بعينه معارضة له مثل ما قالوا لنبيّنا: افعل كذا و كذا حتّى نصدّق بنبوّتك، كشقّ القمر و إنطاق الحجر و غير ذلك من

المعجزات، و الفعل الّذي يظهر من أحد على غير التحدّي و التعارض يسمّى بالكرامة و هو المختصّ بالأولياء، كما أنّ المعجزة مختصّة بالأنبياء.

(الهدف من بعثة الأنبياء)

و العلّة في بعثة هذا النبيّ و الرسول و هي أنّ اللّه تعالى حيث غرضه من خلق العبيد إيصالهم إلى كمالهم المعيّن لهم في الأزل لمقتضى ذواتهم و ماهيّاتهم، وجب عليه بعثة هؤلاء ليعلّمهم كيفيّة التكليف و العبادة و المعرفة، ليحصل به غرضه، و بيان ذلك و هو:

أنّه تعالى إذا أمكنهم بسبب كثرة حواسّهم و قواهم، و اختلاف دواعيهم و آرائهم وقوع الشرّ و الفساد، و وقوع الخير و الصلاح، فيجب عليه بعثة أحد إليهم ليبيّنهم على كيفيّة معاشرتهم و حسن معاملتهم و انتظام أمور معاشهم

و معادهم الّتي تسمّى شريعة، و هذا اللطف الواجب عليه المتقدّم ذكره، و حيث إنّ اللّه تعالى غير قابل للإشارة الحسيّة، و ليس لكلّ أحد قوّة أخذ هذا المعنى منه تعالى، و تعليم هؤلاء العباد بغير واسطة ممتنع، فيجب عليه تعيين طائفة من الرسل يكون بينه و بينهم مناسبة ليأخذوا منه و يوصلوا إلى عبيده التابعين، و هذا النبيّ أو الرسول بعد تخلّقه بأخلاق اللّه و الاتّصاف بصفاته يجب أن يكون معصوما من الصغائر و الكبائر من أوّل عمره إلى آخره ليحصل الوثوق بقوله و فعله كما قالوا:

امتناع وقوع القبائح و الإخلال بالواجبات عن الرسل على وجه لا يخرجون عن حدّ الإختيار، لئلاّ ينفر عقول الخلق عنهم، و يثقون بما جاءوا به، لطف،

و اللطف واجب عليه تعالى [١٢٦]، و يسمّى عصمة، فالرسل

---

(١٢٦) قوله: و اللطف واجب عليه تعالى.

قال العلاّمة الحلّي في كشف المراد: «اللطف واجب، و الدليل على وجوبه أنّه يحصل غرض المكلف فيكون واجبا و إلاّ لزم نقض الغرض.

بيان الملازمة: انّ المكلّف إذا علم أنّ المكلّف لا يطيع إلاّ باللطف فلو كلّفه من دونه كان ناقضا لغرضه، كمن دعا غيره إلى طعام و هو يعلم أنّه لا يجيبه إلاّ إذا فعل معه نوعا من التأدّب كان ناقضا لغرضه فوجوب اللطف يستلزم تحصيل الغرض».

و قال أيضا في كتابه «نهج المسترشدين»:

و هو واجب، و إلاّ لكان نقضا لغرضه تعالى في التكليف، لأنّه تعالى أراد الطاعة من العبد، فإذا علم أنه لا يختارها أو لا يكون أقرب إليها إلاّ عند فعل اللطف، فلو لم يفعله تعالى لكان ناقضا لغرضه و هو نقص، تعالى اللّه عنه.

قال فاضل المقداد في شرح كلام العلامة:

و استدلّ (العلاّمة) على وجوبه بما تقريره: أنّه لو لم يكن واجبا لهم لزم نقض الغرض،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٤٤

يجب أن يكونوا معصومين من الخطأ و الزلل.

و كلّ مبعوث من حضرته إلى قوم لم يقابل بأمر خارق العادة، خال عن المعارضة، مقرون بالتحدّي موافق لدعواه، لم يكن لهم طريق إلى تصديقه،

و يسمّى ذلك معجزا، فظهور معجزات الرسل واجب بالضرورة لئلا تبطل بعثتهم و يحصل غرض اللّه منهم، فافهم جداً، و إليه الإشارة بقوله تعالى: لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [آل عمران: ١٦٤].

هذا ما عند أهل الشريعة في النبيّ و الرسول و النبوّة و الرسالة بقدر هذا المقام، و اللّه أعلم و أحكم.

و اللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: أنّه تعالى مريد للطاعة و كاره للمعصية، فإذا علم أن المكلّف لا يختار الطّاعة، أو لا يترك المعصية، أو لا يكون أقرب إلى ذلك، إلاّ عند فعل يفعله فيه، و ذلك الفعل ليس فيه مشقّة و لا غضاضة، فإنّه يجب في حكمته أن يفعله، إذ لو لم يفعله لكشف ذلك: إمّا عن عدم إرادته لذلك الفعل و هو باطل، أو عن نقض غرضه إذا كان مريدا له، لكن ثبت كونه مريدا له فيكون ناقضا لغرضه.

و أمّا بطلان اللازم: فلأنّ نقض الغرض نقص، و النقص عليه تعالى محال. ارشاد الطالبين ص ٢٧٧، و راجع في هذا أيضا «قواعد المرام» لابن ميثم البحراني ص ١١٧.

و أمّا عند أهل الطريقة

(تعريف النّبوّة عند أهل الطريقة)

(و تعريف النبوّة لإنبائي و التشريعي) فالنبوّة عندهم بعد رسوخهم في الطريقة المذكورة اعتقادا و تصديقا هي الإخبار عن الحقائق الإلهيّة و الأسرار الربانيّة، مترتبا على تحقيق أسمائه و صفاته و أفعاله، و هي على قسمين: نبوة التعريف و نبوّة التشريع.

فالأولى هي الإنباء عن معرفة الذات و الأسماء و الصفات، و الثانية جميع ذلك مع تبليغ الأحكام، و التأديب بالأخلاق، و التعليم بالحكمة، و القيام بالسياسة، و يخصّ هذه بالرسالة، و بيان ذلك على سبيل التفصيل و البسط و هو أن نقول:

(في أنّ النبيّ هو الحاكم بين الأسماء و المظاهر)

اعلم أنّ للحقّ تعالى ظاهرا و باطنا، و الباطن يشمل الوحدة الحقيقيّة

الّتي للغيب المطلق، و الكثرة العلميّة حضرة الأعيان الثابتة، و الظاهر لا يزال مكتفيا بالكثرة لا خلو له عنها، لأنّ ظهور الأسماء و الصفات من حيث خصوصيّتها الموجبة لتعدّدها لا يمكن إلاّ أن يكون لكلّ منها صورة مخصوصة فيلزم التكثّر، و لمّا كان كلّ منها طالبا لظهوره و سلطنته و أحكامه حصل النّزاع و التّخاصم في الأعيان الخارجيّة باحتجاب كلّ منها عن الإسم الظاهر في غيره فاحتاج الأمر إلى مظهر حكم عدل ليحكم بينها، و يحفظ نظام العالم في الدّنيا و الآخرة، و يحكم بربّه الّذي هو ربّ الأرباب بين الأسماء بالعدالة، و يوصل كلا منها إلى كماله ظاهرا و باطنا و هو النبيّ

الحقيقيّ و القطب الأزليّ أوّلا و آخرا و ظاهرا و باطنا و هو الحقيقة المحمّديّة صلّى اللّه عليه و آله كما أشار إليه بقوله:

كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين «۱۲۷».

أي بين العلم و الجسم.

و أمّا الحكم بين المظاهر دون الأسماء فهو النبيّ الّذي تحصل نبوّته بعد الظهور نيابة عن النّبيّ الحقيقيّ، فالنّبيّ هو المبعوث إلى الخلق ليكون هاديا لهم و مرشدا إلى كمالهم المقدّر لكلّ منهم في الحضرة العلميّة باقتضاء استعدادات أعيانهم الثابتة إيّاه، و هو قد يكون مشرّعا و قد لا يكون كأنبياء بني إسرائيل.

و النبوّة: البعثة، و هي اختصاص إلهيّ حاصل لعينه من التجلّي

---

(۱۲۷) قوله: كنت نبيّا و آدم.

قد مرّت الإشارة اليه في تعليق الرقم ٦٤.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۲۴۷

الموجب للأعيان في العلم، و هو الفيض الأقدس، و لمّا كان من المظاهر طالبا لهذا المقام الأعظم بحكم التفوّق على أبناء جنسه، فرتّب النبوّة بإظهار المعجزات و خوارق العادات مع التحدّي، لتميز النبيّ من المتنبّي.

فالأنبياء عليهم السّلام مظاهر الذات الإلهيّة من حيث ربوبيّتها للمظاهر و

عدالتها بينها.

فالنّبوّة مختصّة بالظاهر و يشترك كلّهم في الدعوة و الهداية و التصرّف في الخلق و غيرها ممّا لا بدّ منه.

في النّبوّة دائرة تامة مشتملة على دوائر متناهية متفاوتة في الحيطة التامّة كأولي العزم و المرسلين عليهم السّلام، و غير التامة كأنبياء بني إسرائيل، فالنّبوّة دائرة تامّة مشتملة على دوائر متناهية متفاوته في الحيطة، كما بيّناه قبل هذا في الدّائرة و غير الدّائرة، هذا ما عند أهل الطريقة في بحث النّبوّة و الرسالة و النبيّ و الرسول، و باللّه التوفيق.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۴۸

و أمّا عند أهل الحقيقة

(تعريف النّبوّة و الخلافة عند أهل الحقيقة)

(و في أنّ حقيقة نبوّة الخاتم صلّى اللّه عليه و آله هي الروح الأعظم، و ظهرت فيها جميع أسماء الحقيقة و صفاتها) فالنّبوّة عندهم بعد رسوخهم في المرتبتين المذكورتين، و هي الخلافة الإلهيّة المطلقة، لكن لها مراتب بحسب مراتب الشخص الّذي هو مظهر تلك الخلافة، و تلك المراتب لها تعريفات قد سبقت بعضها و قد بقيت البعض الآخر نقرّره بعبارة أخرى و هي هذه:

(في أنّ نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله ذاتيّة دائمة غير منصرمة)

اعلم أنّ النّبوّة عندهم بمعنى الإنباء، و النبيّ هو المنبئ عن ذات اللّه تعالى و صفاته و أسمائه و أحكامه و مراداته، و الإنباء الحقيقيّ الذاتيّ الأوّليّ ليس إلاّ للروح الأعظم الّذي بعثه اللّه إلى النفس الكليّة أوّلا ثمّ إلى النفس الجزئيّة ثانيا لينبّئهم بلسانه العقلي عن الذات الأحديّة و الصفات الأزليّة،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۴۹

و الأسماء الإلهيّة، و الأحكام الجليلة، و المرادات الجسميّة.

و كلّ نبيّ من آدم عليه السّلام إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله مظهر من مظاهر نبوّة الروح الأعظم، فنبوّته ذاتيّة دائمة، و نبوّة المظاهر عرضيّة منصرمة إلاّ نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله فإنّها دائمة غير منصرمة، إذ حقيقته حقيقة الروح الأعظم، و صورته صورته الّتي ظهرت فيها الحقيقة بجميع أسمائها و صفاتها، و ساير الأنبياء مظاهرها ببعض الأسماء و الصفات، تجلّت في كلّ مظهر بصفة من صفاتها و اسم من أسمائها إلى أن تجلّت في المظهر المحمّدي بذاتها و جميع صفاتها، و ختم به النّبوّة فكان الرسول صلّى اللّه عليه و آله سابقا على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة متأخرا عنهم من حيث الصورة كما قال: «نحن الآخرون السابقون» [۱۲۸].

---

(۱۲۸) قوله: نحن الآخرون السابقون.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ۲ ص ۵۸۵ باب ٦ «هداية هذه الأمّة» الحديث ۲۱ و ۲۰ و ۱۹ و أخرجه أيضا ابن حنبل في مسنده بإسناده عن ابي هريرة عنه صلّى اللّه عليه و آله،

ج ٢ ص ٣٤١ و ٢٤٩ و ٢٤٣.

و روي المجلسي، نقلا عن ابن شهر آشوب، في البحار ج ٢٤ ص ٤ الحديث ١١، عن الصادق عليه السّلام في قوله تعالى: **وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** [**الواقعة:**

١٠- ١١]، قال: «نحن السّابقون، و نحن الآخرون».

و روي أيضا في البحار ج ٢٥ ص ٢٢ نقلا عن كتاب «رياض الجنان» لفضل اللّه بن محمود الفارسي، بإسناده عن جابر بن عبد اللّه، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«أوّل ما خلق اللّه نوري، ابتدعه من نوره و اشتقّه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ سجد للّه تعظما، ففتق منه نور عليّ عليه السّلام، فكان نوري محيطا بالعظمة و نور عليّ محيطا بالقدرة ... إلى أن قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٥٠

و قال: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين».

هذا تعريف النّبوّة و النبيّ بقدر هذا المقام.

(في تعريف الخلافة و الخليفة و بيان الولاية التكوينيّة له)

أمّا تعريف الخلافة و الخليفة و ذلك أيضا بعبارتهم فهو أنّهم قالوا:

لمّا اقتضى حكم سلطنة الذات الأزليّة و الصفات العليّة بسط مملكة الألوهيّة و نشر ألوية الربوبيّة بإظهار الخلايق و تسخيرها و إمضاء الأمور و تدبيرها، و حفظ مراتب الوجود و رفع مناصب الشهود، و كان مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة بغير واسطة بعيدا جدا لبعد المناسبة بين عزّة القدم و ذلّة

الحدث، حكم الحكيم بتخلف نائب ينوب عنه في التصرّف و الولاية و الحفظ و الرعاية، و له وجه في القدم يستمدّ به من الحقّ تعالى، و وجه في الحدث يمدّ به الخلق فجعل على صورته خليفة يخلف عنه في التصرّف و خلع عليه جميع أسمائه و مكّنه في مسند الخلافة بإلقاء مقاليد الأمور إليه، و إحالة حكم الجمهور عليه، و تنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه

فنحن الأوّلون و نحن الآخرون، و نحن السّابقون، و و و» الحديث.

و روي السيّد الحجّة العلاّمة المرعشي في ملحقات إحقاق الحق ج ١٣ ص ٨٣ عن محمّد بن أبي بكر بن حمويه، في كتابه «فرائد السمطين»، بإسناده عن خيثمة بن الجعفي، عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال:

«نحن جنب اللّه و نحن صفوته، و نحن خيرته، و نحن مستودع مواريث الأنبياء، إلى أن قال: و نحن السّابقون و نحن الآخرون». الحديث.

راجع في هذا أيضا، تعليقنا الرقم ١١٥ و ١١٦ في الجزء الأوّل ص ٤٤١، و أيضا الجزء الثاني، ص ٤٥٩ التعليق ٢٤٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٥١

و ملكوته، و تسخير الخلايق لحكمه و جبروته، و سمّاه إنسانا لإمكان وقوع الإنس بينه و بين الخلق برابطة الجنسيّة، و روابط الإنسيّة و جعل له بحكم اسمية الظاهر و الباطن حقيقة باطنة و صورة ظاهرة، ليتمكّن بهما من

التصرّف في الملك و الملكوت.

و حقيقته الباطنة هي الروح الأعظم و هو الأمر الّذي يستحقّ به الإنسان الخلافة، و العقل الأوّل وزيره و ترجمانه، و النفس الكلّيّة خازنه و قهرمانه، و الطبيعة الكلّيّة عامله و هي رئيس القوى الطبيعيّة.

و أمّا صورته الظاهرة صورة العالم من العرش إلى الفرش و ما بينهما من البسايط و المركبات، و هذا هو الإنسان الكبير المشير إليه قول المحققين: «العالم إنسان كبير».

و أمّا قولهم: الإنسان عالم صغير أرادوا به نوع البشر و هو خليفة اللّه في الأرض و الإنسان الكبير خليفة اللّه في السّماء و الأرض.

و الإنسان الصغير نسخة منتخبة، و نخبة منتسخة من الإنسان الكبير بمثابة الولد من الوالد، و له أيضا حقيقة باطنة و صورة ظاهرة:

أمّا حقيقته الباطنة فالروح الجزئيّ، و النفس و الطبيعة الجزئيّتان.

و أما صورته الظاهرة فنسخة منتخبة من صورة العالم، فيها من كلّ جزء من أجزاء العالم لطيفها و كثيفها قسط و نصيب، فسبحانه من صانع جمع الكلّ في أحد أجزائه، و قول القائل:

و ما (ليس) على اللّه بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

«۱۲۹».

(١٢٩) قوله: و ما على اللّه بمستنكر.

ذكر ابن العربي في الفتوحات ج ٣ ص ٣٠٧ نقلا عن بعض.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٥٢

صادق في حق الكلّ و إن أراد به شخصا معينا.

و صورة كلّ شخص نتيجة صورة آدم و حوّاء عليهما السّلام، و معناه نتيجة الروح الأعظم و النفس الكلّيّة.

و الإنسان الكبير هو مظهر الحقّ المبين، و الإنسان الصغير قد يصل إليه بفناء تعيّناته و محو تقيّداته، فيصح له حينئذ أن يقول بلسان الجمع حاكيا عن الإنسان الكبير ما يستعجم على بعض السامعين:

و إنّي و إن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

«١٣٠» فافهم ذلك فإنّه أصل كبير يتفرّع عليه فهم كثير من الحقائق، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

هذا آخر البحث في النبوّة و الرسالة في المراتب الثلاث بقدر هذا المقام، و هذا ليس ببسط تام فيه لأنّا قد واعدناك في المقدّمة السابعة عند بحث التوحيد و ستعرف تحقيق ذلك هناك إن شاء اللّه، و كذلك عند تأويل البقرة

و غير ذلك من المواضع لأنّ هذا المقام يحتاج إلى تعيين حالة الأنبياء و حالة الأولياء، و تعيين النّبوّة المطلقة المقرّرة و الولاية المطلقة و المقيّدة، و أمثال ذلك، و قد تقدّم بعض ذلك في المقدّمات في موضع الاحتياج و سيجيء تمامه في موضع قرّرناه، و الحمد للّه و نحمده.

و حيث فرغنا من بحث النّبوّة، فالشروع في بحث الإمامة واجب و هو هذا:

---

(۱۳۰) قوله: و إنّي و ان كنت ابن آدم الشعر لابن فارض، راجع مشارق الدّراري ص ۵۳۷.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۵۳

و أمّا الإمامة

(تعريف الإمامة عند أهل الشريعة)

فهي على الإطلاق رئاسة دينيّة مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينيّة و الدنياويّة، و زجرهم عمّا يضرّهم بحسبهما.

و أمّا عند أهل الشريعة

(في حاجة الناس الى الإمام المعصوم)

فالإمامة عندهم واجبة في الدّين عقلا و شرعا، كما أنّ النّبوّة واجبة في الفطرة و الإسلام عقلا و سمعا.

و أما الوجوب عقلا فهو أنّ احتياج الناس إلى إمام واجب العصمة يحفظ

أحكام الشرع عليهم و يحملهم على مراعاة أحكامه بالوعد و الوعيد و اجراء حدود الدين، كاحتياجهم إلى نبيّ يشرع لهم الأحكام و يبيّن لهم

الحلال و الحرام، و احتياج الخلق إلى استبقاء الشرع كاحتياجهم إلى تمهيده، و إذا كان إرسال النبيّ واجبا لكونه لطفا و تمكينا، كان نصب الإمام أيضا واجبا لئلاّ تبطل حجة اللّه و بيّناته.

(في أنّ نصب الإمام لطف من قبل اللّه سبحانه)

و بوجه آخر نصب الامام لطف [١٣١] و اللطف واجب عليه تعالى،

---

(١٣١) قوله: نصب الإمام لطف.

لا يخفى أنّ هذا البحث كلاميّ معروف يوجد في كثير من الكتب الكلاميّة، و لكن الظاهر أنّ السيّد المؤلّف أخذ الكلام في المقام من «كشف المراد» للعلاّمة الحلّي المتوفى ٧٢٦ قدس سرّه.

قال العلاّمة قدّس اللّه روحه في كتابه «كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد» في المسألة الثانية عشرة من الفصل الثالث من المقصد الثالث:

«اللطف هو ما يكون المكلّف معه أقرب إلى فعل الطاعة و أبعد من فعل المعصية و لم يكن له حظ في التمكين و لم يبلغ حدّ الإلجاء ...

و هذا هو اللطف المقرّب.

و قد يكون اللطف محصّلا و هو ما يحصل عنده الطاعة من المكلّف على سبيل الإختيار،

و لولاه لم يطع مع تمكنه في الحالين، و هذا بخلاف التكليف الّذي يطيع عنده، لأنّ اللطف أمر زائد على التكليف، فهو من دون اللطف يتمكّن بالتكليف من أن يطيع أو لا يطيع، و ليس كذلك التكليف لأنّ عنده يتمكّن من ان يطيع، و بدونه لا يتمكن من أن يطيع أو لا يطيع فلم يلزم أن يكون التكليف الّذي يطيع عنده لطفا».

و أيضا قال الشيخ الطائفة الطوسي في كتابه «تمهيد الأصول» ص ٢٠٨:

«أمّا اللطف فهو عبارة عمّا يدعوا إلى فعل الواجب و يصرف عن القبيح، ثمّ ينقسم قسمين فان وقع عنده الواجب و لولاه لم يقع سمّى توفيقا، و إن كان المعلوم أنّه يرتفع

عنده القبيح سمّي عصمة.

و لا بد أن يكون اللطف منفصلا من التمكين».

قال أبي الصلاح الحلبي في كتابه تقريب المعارف ص ٧٩:

«و من شرط اللطف أن يتأخّر عن التكليف و لو بزمان واحد لكونه داعيا و لا يتقدّر الدواعي إلى غير ثابت».

قال المحقّق الحلّي في كتابه «المسلك في أصول الدين ص ١٠١»:

و أمّا المصالح الدينيّة فإنّها تنقسم إلى ما يقع عنده الطاعة و يسمّى لطفا بقول مطلق، و إلى ما يكون المكلّف معه أقرب إلى الطاعة و يسمّى لطفا مقرّبا.

قال الفاضل المقداد في كتابه: «إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين» ص ٢٧٧ في شرح

قول العلامة الحلّي: «و لم يكن له حظ في التمكين»:

«و بقوله: «و لم يكن له حظ ّفي التمكين» خرج القدرة و الآلات التّي يتمكّن من إيقاع الفعل، فانّ هذه كلّها لها حظ ّفي التمكين إذ بدونها لا يمكن إيقاع الفعل، و أمّا اللّطف فليس كذلك، إذ وقوع الفعل الملطوف فيه بدونه ممكن لكن معه يكون الفعل إلى الوقوع أقرب بعد إمكانه الصرف».

قال الشيخ تقي الدين أبي الصلاح الحلبيّ المتوفّى سنة ٤٤٧ في كتابه تقريب المعارف ص ٧٩:

«فوصف هذا الجنس من الأفعال بأنّه لطف اشتقاقا من التلطّف للغير في إيصال المنافع إليه، و تسمّى صلاحا لتأثيره وقوع الصلاح أو تقريب المكلّف إليه، و يسمّى استصلاحا على هذا الوجه، و يسمّى منه توفيقا ما وافق وقوع الملطوف به فيه عنده، و يسمّى منه عصمة ما اختار عنده المكلّف ترك القبيح على كلّ حال.

قال الفيض الكاشاني في كتابه «علم اليقين» ج ١ ص ١٢٣:

و إنّما سمّى فعل ما يقرّب العباد إلى اللّه تعالى و يبعّدهم عن المعاصي لطفا بهم، لأنّ ذلك تلطيف لهم عن كثافة الجسم و تجريد إيّاهم عن الموارد الجسمانيّة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۵۶

و على هذا فإطلاق اللطيف على اللّه تعالى بمعنى فاعل اللطف، و حظّ العبد منه إرشاد العباد إلى ما يقرّبهم إلى اللّه تعالى و يبعّدهم عن النشأة الفانية».

لا بأس بذكر حديث في المقام المنقول عن الأئمة المعصومين عليهم آلاف التحيّة و السلام و هو ما رواه الصدوق في العلل باب ١٠٣ ج ١ بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السّلام: لأيّ شيء يحتاج إلى النّبي صلّى اللّه عليه و آله و الإمام؟ فقال: لبقاء العالم على صلاحه، و ذلك أنّ اللّه عزّ و جلّ يرفع العذاب عن الأرض إذا كان فيها نبيّ أو إمام، قال اللّه عزّ و جلّ:

وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ [الأنفال: ٣٣].

و قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله: «النجوم أمان لأهل السماء، و أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون، و إذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون، يعني بأهل بيته الأئمّة: الّذين قرن اللّه عزّ و جلّ طاعتهم بطاعته فقال:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. [النّساء:

٥٩].

و هم المعصومون المطهرون الّذين لا يذنبون و لا يعصون و هم المؤيدون الموفّقون المسدّدون، بهم يرزق اللّه عباده و بهم تعمر بلاده و بهم ينزل القطر من السماء و بهم يخرج بركات الأرض و بهم يمهل أهل المعاصي و لا يعجل عليهم بالعقوبة و العذاب، لا يفارقهم روح القدس و لا يفارقونه، و لا يفارقون القرآن و لا يفارقهم، صلوات اللّه عليهم أجمعين.

و هناك توجد روايات أخرى كثيرة حول الموضوع روى الشيخ الجليل الصدوق رحمهم اللّه طائفتين منها في كتابه «علل الشرائع» ص ١٩٥، باب ١٥٣ «باب العلّة الّتي من أجلها لا تخلو الأرض من حجّة اللّه عزّ على خلقه» الطائفة الأولى في بيان تأثير الإمام و

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٥٧

تأثيره و ضرورة وجوده بالنسبة الى الشرع و مصالح الأمّة.

اما الطائفة الأولى فمن الأحاديث الواردة فيها ما يلي:

١- عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السّلام، قال: قلت له تكون الأرض و لا إمام فيها؟ فقال: «لا، إذا لساخت بأهلها».

٢- عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام: تبقي الأرض بغير إمام؟ فقال:

«لا، لو بقيت الأرض بغير امام لساخت».

و امّا الطائفة الثانية فمن الأحاديث الواردة فيها ما يلي:

١- عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام تبقى الأرض بلا عالم حيّ ظاهر يفزع إليه الناس في حلالهم و حرامهم؟ فقال لي «إذا لا يعبد اللّه يا أبا يوسف»، (ح ٣).

٢- عن الصادق عليه السّلام قال: «لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام» و قال: «إنّ آخر من يموت الإمام لئلاّ يحتجّ أحدهم على اللّه عز و جلّ تركه بغير حجّة اللّه عليه» (ح ٦).

٣- عن الصادق عليه السّلام قال: «إنّ جبرئيل نزل على محمّد صلّى اللّه عليه و آله يخبر

عن ربّه عزّ و جلّ فقال: يا محمّد لم أترك الأرض إلاّ و فيها عالم يعرف طاعتي و هداي، و يكون نجاة فيما بين قبض النبي إلى خروج النبيّ الآخر، و لم أكن أترك إبليس يضلّ الناس و ليس في الأرض حجّة وداع إليّ و هاد إلى سبيلي و عارف بأمري، و إنّي قد قضيت لكل قوم هاديا أهدى به السعداء و يكون حجّة على الأشقياء» (ح ۷).

٤- عن الصادق عليه السّلام قال: «و اللّه ما ترك اللّه الأرض منذ قبض آدم إلاّ و فيها إمام يهدى به إلى اللّه عزّ و جلّ و هو حجّة اللّه عزّ و جلّ على العباد، من تركه هلك و من لزمه نجا، حقّا على اللّه عزّ و جلّ»، (ح ۱۳).

٥- عن الصادق عليه السّلام قال: «إنّ اللّه عزّ و جلّ لم يدع الأرض إلاّ و فيها عالم يعلم الزيادة و النقصان في الأرض، فإذا زاد المؤمنون شيئا ردّهم و إذا نقصوا أكمله لهم فقال خذوه كاملا، و لو لا ذلك لالتبس على المؤمنين أمورهم و لم يفرقوا بين

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۲۵۸

فيكون نصب الإمام واجبا عليه [۱۳۲]، و إنّما قلنا: نصب الإمام لطف، لأنّ

الحقّ و الباطل» (ح ۲۲).

و من الأحاديث الّتي مشتركة في الدلالة بين الطائفتين المذكورتين ما يلي:

١- ما رواه الصدوق في الباب المذكور في علل الشرائع الحديث ١. عن الصادق عليه السّلام قال: «لمّا انقضت نبوة آدم و انقطع أكله، أوحى اللّه عزّ و جلّ إليه: أن يا آدم قد انقضت نبوّتك و انقطع أكلك، فانظر إلى ما عندك من العلم و الإيمان و ميراث النّبوّة و

أثرة العلم و الإسم الأعظم فاجعله في العقب من ذرّيتك عند هبة اللّه، فإني لم أدع الأرض بغير عالم يعرف به طاعتي و ديني و يكون نجاة لمن أطاعه».

٢- ما رواه الكليني رحمهم اللّه في الأصول من الكافي ج ١ ص ١٦٩ ح ٣ باب الاضطرار إلى الحجّة، في مناظرة هشام بن الحكم مع أبا مروان عمر بن عبيد، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد اللّه عليه السّلام جماعة فيهم هشام بن الحكم و هو شاب، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد و كيف سألته»؟

فقال هشام ... إلى أن قال: قلت له: يا أبا مروان فاللّه تبارك و تعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماما ... (القلب) يصحّح لها الصحيح و يتيقّن به ما شكّ فيه، و يترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم و شكّهم و اختلافهم لا يقيم لهم إماما يردّون إليه شكّهم و حيرتهم، و يقيم لك إماما لجوارحك تردّ إليه حيرتك و شكك؟! ... الى أن قال: فضحك أبو عبد اللّه عليه السّلام و قال: «يا هشام من علّمك هذا»؟ قلت: شيء أخذته منك و ألّفته، فقال:

«هذا و اللّه مكتوب في صحف ابراهيم و موسى».

أمّا دلالة الحديثين إلى ما تدلّ عليه الطائفة الثانية فمعلوم، و امّا دلالتهما على ما تدل عليه الطائفة الأولى من تأثير الإمام في عالم التكوين و ضرورة وجود الإمام في ثبات العالم باذن اللّه سبحانه و تعالى فبما أنه صاحب اسم الأعظم و أنّه قلب العالم أي لو عدم الإمام انعدم العالم.

(١٣٢) قوله: فيكون نصب الإمام واجبا عليه سبحانه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٥٩

قال الشيخ الطوسي قدّس سرّه في «تمهيد الأصول» ص ٣٤٨:

أمّا الكلام في وجوب الرياسة فإنّه يجب لكلّ مكلّف غير معصوم، يدلّ على ذلك ما ثبت من كونها لطفا، في أفعال الواجبات و الامتناع من القبائح، بدلالة أنّ الناس متى كان لهم رئيس منبسط اليد يأخذ على أيديهم و يمنع القوى من الضعيف و يؤدّب الظالم و يردع المعاند، فإنّ عند وجوده يكثر الصلاح و يقلّ الفساد، و عند عدم من ذكرناه يكثر الفساد و يقل الصلاح بل يجب ذلك عند ضعف سلطانهم و اختلال أمره و نهيه مع وجود عينه، و العلم بما قدمناه ضروريّ لا يمكن أحدا دفعه».

قال السّدآبادي و هو من أعلام القرن الخامس في كتابه «المقنع في الإمامة» ص ٤٧:

«إنّ وجود الإمام لطف من اللّه تعالى لعبيده، لأنّه بكونه بينهم، يجتمع شملهم و يتّصل حبلهم، و ينتصف الضعيف من القويّ، و الفقير من الغنيّ، و يرتدع الجاهل و يتيقّظ الغافل.

فإذا عدم بطل الشرع و أحكام الدين، كالحجّ، و الجهاد، و الأمر بالمعروف، و النّهي عن المنكر، و جميع أركان الإسلام، إلاّ أن يكون الإمام خائفا على نفسه فقد ظهر عذره».

قال ابن ميثم البحراني في «قواعد المرام» ص ١٧٥:

«أنّ نصب الإمام لطف من فعل اللّه تعالى في أداء الواجبات الشرعيّة التكليفية، و كلّ لطف بالصفة المذكورة فواجب في حكمة اللّه تعالى أن يفعله ما دام التكليف بالمطلوب فيه قائما، فنصب الإمام المذكور واجب من اللّه في كلّ زمان التكليف.

أمّا الصغرى: فإنّ مجموعها مركّب من كون نصب الإمام لطفا في الواجبات الشرعيّة، و من كونه من فعل اللّه. امّا الأوّل فلان المكلّفين إذا كان لهم رئيس تامّ الرّئاسة عادل ممكن كانوا أقرب إلى القيام بالواجبات و اجتناب المقبّحات، و إذا لم يكن كذلك كان الأمر بالعكس، و العلم بهذا الحكم ضروري لكلّ عاقل بالتجربة لا يمكنه دفعه عن نفسه بشبهة، و لا معنى للطف إلاّ ما كان مقرّبا إلى الطاعة و مبعّدا عن المعصية، فثبت أن نصب الإمام لطف في أداء الواجبات.

و أمّا كونه من فعل اللّه فلما أنّ هذا الإمام لا يجوز عليه الإخلال بالواجب و لا فعل

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۶۰

القبيح، فحينئذ لا يمكن أن يكون نصبه إلاّ من فعل اللّه، لأنّه القادر على تمييز من يجوز وقوع المعصية منه عن غيره لاطّلاعه على السرائر دون غيره.

و أمّا الكبرى، فلأنّه لو لم يجب منه تعالى وجود ذلك اللطف في مدّة زمان التكليف بالملطوف فيه لقبح التكليف به و انتقض الغرض منه، و أمّا تمكين هذا الإمام فهو من أفعال المكلّفين، إذ المدح عليه و الذم على عدمه راجعان إليهم.

قال العلاّمة الحلّي في «كشف المراد» في المقصد الخامس في الامامة في شرح قول الخواجة الطوسي: «الإمام لطف فيجب نصبه على اللّه تعالى تحصيلا للغرض»:

و استدلّ المصنّف- رحمهم اللّه- على وجوب نصب الإمام على اللّه تعالى: بأنّ الإمام لطف و اللطف واجب.

امّا الصغرى فمعلومة للعقلاء إذا العلم الضروريّ حاصل بأنّ العقلاء متى كان لهم رئيس يمنعهم عن التغالب و التهاوش و يصدهم عن المعاصي و يعدّهم على فعل الطاعات و يبعثهم على التناصف و التعادل كانوا إلى الصلاح أقرب و من الفساد أبعد، و هذا أمر ضروريّ لا يشكّ فيه العاقل.

و أمّا الكبرى فقد تقدّم بيانها. (كما نقلناه أيضا نحن ذيل قول السيّد المؤلف: و اللطف واجب عليه تعالى، الرقم ١٢٦) قال العلاّمة أيضا: إن وجود الإمام نفسه لطف لوجوه:

أحدها: أنّه يحفظ الشرائع و يحرسها عن الزيادة و النقصان.

و ثانيها: أنّ اعتقاد المكلّفين لوجود الإمام و تجويز إنفاد حكمه عليهم في كلّ وقت سبب لردعهم عن الفساد و لقربهم إلى الصلاح، و هذا معلوم بالضرورة.

و ثالثها: أنّ تصرّفه لا شك أنّه لطف و لا يتمّ إلا بوجوده، فيكون وجوده نفسه لطفا و تصرّفه لطفا آخر.

و التحقيق أن نقول: لطف الإمامة يتمّ بأمور:

منها، ما يجب على اللّه تعالى و هو خلق الإمام و تمكينه بالقدرة و العلم و النصّ عليه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۶۱

اللطف هو ما عنده يختار المكلّف الطاعة، أو يكون إلى اختيارها أقرب، و لولاه لما كان ذلك مع تمكّنه في الحالين و لا يكون فيه وجه قبح.

و لا شك أنّ عند وجود الرئيس المهيب النافذ الأمر، الآخذ على يد السفيه الضعيف، المنتصف للمظلوم «۱۳۳» من الظالم، يرتفع الفساد كلّه أو أكثر، فوجب أن يكون وجوده لطفا كسائر الألطاف.

و إنّما قلنا: إنّ اللطف واجب على الله تعالى، لأنّ كلما كان كذلك يجب أن يفعله الحكيم لأنّه لو لم يفعله مع بقاء التكليف لكان المكلّف غير

باسمه و نسبه و هذا قد فعله اللّه تعالى.

و منها، ما يجب عل الإمام و هو تحمّله للإمامة و قبولها و هذا قد فعله الإمام.

و منها، ما يجب على الرعية و هو مساعدته و النصرة له و قبول أوامره و امتثال قوله، و هذا لم تفعله الرعيّة، فكان منع اللطف الكامل منهم لا من اللّه تعالى و لا من الإمام عليه السّلام.

راجع في هذا أيضا: «الرسالة الماتعيّة» للمحقق الحلّي رحمهم اللّه ص ٣٠٦، و «حقائق الايمان» للشهيد الثاني رحمهم اللّه ص ١٥٣، و «تقريب المعارف» لأبي الصلاح الحلبي ص ١١٦، و «إرشاد الطالبين» للسيوري الحلّي رحمهم اللّه ص ٣٢٦، و «علم اليقين» للفيض رحمهم اللّه ج ١ ص ٣٧٦.

(١٣٣) قوله: المنتصف للمظلوم لسان العرب: النّصف و النّصفة و الإنصاف: إعطاء الحقّ، و قد انتصف منه، و أنصف الرجل صاحبه إنصافا و قد أعطاه النّصفة.

أنصف إذا أخذ الحقّ و أعطى الحقّ. و النصفة: اسم الإنصاف و تفسيره أن تعطيه من نفسك النصف أي تعطيه من الحقّ كالّذي تستحق لنفسك. و يقال: انتصفت من فلان أخذت حقي كملا حتّى صرت أنا و هو على النّصف سواء.

المنجد: انتصف من فلان: طلب منه الإنصاف، أخذ حقّه منه حتّى صار و إيّاه على النصف، انتقم منه. استنصف: طلب الإنصاف، و من فلان: استوفى حقّه منه كاملا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٦٢

مزاح العلّة «١٣٤» فيكون الحقّ تعالى ناقضا لغرضه و هو عليه تعالى محال، و إذا ثبت المقدّمتان ثبت أنّ نصب الإمام واجب عليه تعالى، هذا من حيث العقل و الدلائل العقليّة.

فإمّا من حيث النقل و شواهد النقليّة فقوله تعالى:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النّساء: ٥٩].

و وجه الاستدلال به و هو أنّه تعالى أمر المكلّفين بطاعة أولي الأمر كما أمر بطاعته و طاعة رسوله، و إذا كان طاعته و طاعة رسوله واجبة فوجب أن يكون طاعة أولي الأمر كذلك، لأنّ حكم المعطوف حكم المعطوف عليه في الأغلب.

---

(١٣٤) قوله: غير مزاج العلّة.

في لسان العرب: الزّوح تفريق الإبل، و يقال الزّوح جمعها إذا تفرّقت، و الزّوح: الزّولان.

زاح و زاخ بالحاء و الخاء بمعنى واحد: إذ تنحّى، و منه زاحت علّته و أزحتها. و زاح هو يزوح، و زاح الرجل زوحا: تباعد. و الزّواح: الذهاب.

المصباح المنير: زاح الشّيء عن موضعه يزوح زوحا من باب قال، و يزيح زيحا من باب سار تنحّى.

مجمع البحرين: يقال زاح الشيء يزيح زيحا من باب سار و يزوح زوحا من باب قال: بعد و ذهب.

المنجد: زاح زوحا و زاحا عن المكان: تباعد و زال (ذهب) و ت العلّة: زالت. يقال: أزاح اللّه العلل أي أزالها و الأمر: قضاه، يقال: أزحت علّته في احتاج إليه: إذا قضيت حاجته.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٦٣

(في أن الإمام يجب أن يكون شخصا معيّنا، معصوما)

و إذا ثبت هذا فنقول: لا يخلو إمّا أن يكون معيّنا أو غير معيّن، و الثاني باطل، و إلاّ لزم الإجمال و التعطيل، و الأوّل إمّا أن يكون ذلك المعيّن جميع الأمّة أو بعض الأمّة، و الأوّل باطل بالضرورة، فبقي الثاني، فوجب أن يكون في الأمّة شخص معين معصوم لا يجوز عليه الخطأ يسمّى بأولي الأمر و هذا هو المطلوب، فيجب حينئذ أن يكون الإمامة واجبة في الدين عقلا و شرعا، خلافا لأكثر الأمّة: فإنّ أكثرهم لا يعدون الإمامة من أركان الدين و الإسلام، لقلّة دينهم و إسلامهم، و يجوّزون أن يكون هذا الشخص المسمّى بأولي الأمر سلطان من سلاطين العالم أو ملك من ملوكه موصوف بالظلم و الفسق، و لا يجوّزون أن يكون امام معصوم من أهل البيت عليهم السّلام منصوص من قبل اللّه و قبل رسوله، و لا يعرفون أن أولي الأمر إذا كان من السلاطين أو الملوك، و يكون سلطنتهم و تملّكهم قهرا و غلبة، لا يجوز عليه تعالى أن يأمر الخلق بمطاوعتهم وجوبا، لأنّ الأمر بمطاوعة الظالم أو

الفاسق يكون ظلما و فسقا، تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا.

و الّذي ذهب إليه الطائفة الإماميّة بأنّ النبيّ و الإمام يجب أن يكونا معصومين، هذا علّته، لأنّهما لو لم يكون معصومين لكان يلزم من الأمر بمطاوعتهما فسق و ظلم من اللّه تعالى و جلّ جناب الحقّ ان يكون متّصفا بهما، و قد عرفت من النقل تنزيهه و تقديسه.

و كذلك من العقل، كقولهم: يجب أن يكون الإمام معصوما من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٢٦۴

جميع القبائح و كذلك النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قبل الإمامة و بعدها، لأنّ العلّة في وجوب عصمة النبيّ و الإمام واحد، و إذا كانت عصمة النّبي واجبة يجب أن يكون عصمة الإمام كذلك.

و أمّا قولهم في علّة عصمة النبيّ مطلقا فهو قولهم المتقدّم ذكره، يجب أن يكون النبيّ معصوما من القبائح كلّها صغيرها و كبيرها قبل النبوّة و بعدها، عمدا كان أو نسيانا لأنّ جواز ذلك عليه ينفر العقل عن متابعته و لا يليق بالحكيم إيجاب اتّباع من ينفر العقل عن متابعته، فيجب أن يكون معصوما من جميع القبائح.

و أيضا هذا الشخص المسمّى بأولي الأمر يجب أن يكون في زمان النبي صلّى اللّه عليه و آله معيّنا محقّقا، حتّى لا يلزم الإجمال و التعطيل و العبث من اللّه تعالى، لأنّ هذا لو لم يكن معيّنا لكان اللّه تعالى مخلاّ بالواجب، و كذلك النبيّ و هذا غير جايز باتّفاق العقلاء.

و أيضا قد تقرّر أن نصب الإمام واجب عليه تعالى لأنّ الإمام يجب أن يكون

معصوما و العصمة أمر خفيّ لا يطلع عليه غير الله، لأنّه لا يعلم الغيب إلا الله فيجب عليه نصبه و تعيينه و قد عيّنه في كتابه تعيينا ظاهرا جليّا في قوله:

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاٰةَ وَ هُمْ راٰكِعُونَ [المائدة: ٥٥].

لأنّ الزكاة في الركوع ما أعطى أحد غير أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام باتفاق أكثر المفسّرين، فيكون هو المراد بأولي الأمر، بتعيين الحقّ عليه لا غير، و كذلك بعده لا يكون إلا أولاده المعصومون لأنّ العصمة شرط في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٦٥

الإمامة و الولاية، و ليس هناك أحد غيرهم يوصف بالعصمة بقول الخصم أيضا، و إليهم أشار الحقّ تعالى في قوله:

إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ٣٣].

و كذلك قوله:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكاٰفِرِينَ يُجاٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لاٰ يَخاٰفُونَ لَوْمَةَ لاٰئِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاٰءُ وَ اللهُ واٰسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة: ٥٤].

لأنّ هذا إخبار عن الاستقبال دون غيره من الأزمان، و كذلك قوله:

وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْواٰرِثِينَ [القصص: ٥].

لأنّ الإرث النبوي و العلم الإلهي الّذي هو الإرث لا يستحقّه أحد غيرهم، و

علامة ذلك و صحّته قوله تعالى في الآية: ضعفهم عليهم السّلام في زمن المراونة و العباسيّين، و إلى الآن من كثرة الأعداء و قلة الناصر، لأنّ المهديّ عليه السّلام لو لم يكن خائفا من الأعداء [١٣٥] لوجب عليه الظهور و إلاّ

---

(١٣٥) قوله: لو لم يكن خائفا من الأعداء.

أقول: رويت في علّة الغيبة عدّة أحاديث نذكر بعضها في المقام:

١- روي الصدوق رضي اللّه عنه في كتابه «كمال الدّين»، باب الثامن و الأربعون ج ٢ ص ١٥٦ ح ١، بإسناده عن الصادق عليه السّلام قال:

«صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على هذا الخلق لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۶۶

٢- روى أيضا ح ٤، بإسناده عن الحسن بن فضّال، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السّلام قال:

«كأني بالشيعة عند فقدانهم الثالث من ولدي، يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: و لم ذلك يا ابن رسول اللّه؟ قال: لأنّ إمامهم يغيب عنهم، فقلت: و لم؟

قال: لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف».

۳- روى أيضا ح ٦، بإسناده عن سدير، عن الصادق عليه السّلام قال: «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها»، فقلت له: و لم ذلك يا ابن رسول اللّه؟ قال: «إنّ اللّه عزّ و جلّ أبى إلاّ أن يجري فيه (سير) سنن الأنبياء عليهم السّلام في غيباتهم، و أنّه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم (من انتهاء مدّة غيباتهم) قال اللّه تعالى:

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ [الإنشقاق: ١٥].

أي سنن (سير) من كان قبلكم» راجع في هذا الحديث أيضا «علل الشرائع» باب ١٧٩ ح ٧ ص ٢٤٥.

٤- و روي أيضا الحديث ٩ بإسناده عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «أنّ للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت و لم؟ قال: يخاف و أومأ بيده إلى بطنه»، قال زرارة: يعني القتل.

٥- و في حديث آخر الحديث ١٠ بإسناده عن زرارة عن الصادق عليه السّلام قال: «أن للقائم غيبة قبل قيامه، قلت و لم؟ قال: يخاف على نفسه الذبح» ٦- و روى أيضا الحديث ١١، بإسناده عن عبد اللّه بن الفضل الهاشميّ قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام يقول:

«انّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل، فقلت له: و لم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من

حجج اللّه تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لمّا أتاه الخضر عليه السّلام من خرق السفينة، و قتل الغلام، و إقامة الجدار لموسى عليه السّلام إلاّ وقت افتراقهما.

يا ابن الفضل! إنّ هذا الأمر أمر من أمر اللّه، و سرّ من سرّ اللّه، و غيب من غيب اللّه، و متى علمنا أنّه عزّ و جلّ حكيم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، و إن كان وجهها غير منكشف لنا».

و راجع في هذه الروايات و غيرها «بحار الأنوار» ج ۵۲ ص ۹۰ باب علّة الغيبة. و أيضا في الموضوع «علل الشرائع» الجزء الأوّل ص ۲۴۳، باب ۱۷۹، و أيضا أصول الكافي ج ۱ ص ۳۳۵، باب في الغيبة. و كتاب الغيبة للنعماني ص ۹۲ باب ما روي في غيبة الإمام المنتظر.

و أيضا كتاب «الغيبة» للشيخ الطوسي رضي اللّه عنه ص ۱۹۹ فصل في ذكر العلّة المانعة لصاحب الأمر عليه السّلام من الظهور، قال الشيخ فيه قبل ذكر الروايات:

«لا علّة تمنع من ظهوره عليه السّلام إلاّ خوفه على نفسه من القتل، لأنّه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار و كان يتحمّل المشاقّ و الأذى، فإنّ منازل الأئمّة و كذلك الأنبياء عليهما السّلام إنما تعظم لتحمّلهم المشاقّ العظيمة في ذات اللّه تعالى».

قال المحقّق الحلّي في كتابه «المسلك في اصول الدّين» ص ۲۸۲:

«و أمّا الوجه الّذي لأجله وقعت الغيبة، فقد ذكر جماعة من فضلاء الأصحاب أنّ ذلك هو الخوف على نفسه».

قال ابن ميثم البحراني في كتابه «قواعد المرام» ص ۱۹۰:

«و الكلام في سبب غيبته و استتاره و طول عمره، امّا الأوّل فنقول: إنّه لمّا وجب كون الإمام معصوما علمنا أنّ غيبته طاعة و إلاّ لكان عاصيا، و لم يجب علينا ذكر السبب، غير أنّا نقول: لا يجوز أن يكون ذلك السبب من اللّه تعالى لكونه مناقضا لغرض التكليف، و لا من الإمام نفسه لكونه معصوما، فوجب أن يكون من الأمّة و هو الخوف

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٢٦٨

لكان مخلاّ بالواجب و هذا لا يجوز كما هو مذكور في الكتب الكلاميّة و فيهم ورد أيضا:

إِنَّ اللهَ اشْتَرى‏ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى‏ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي

بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم

التائبون العابدون الحامدون

السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

[التوبة: ١١١- ١١٢].

لأنّ استحقاق هذه الأوصاف ليس إلا لهم عند التحقيق، و أمثال ذلك كثيرة في القرآن و الأخبار فاطلب من مظانّها، و أكثرها ذكرناها عند نسبة العلوم إليهم و نسبة الخرقة إلى تلامذتهم و مريديهم كالحسن البصري و كميل بن زياد النخعي رضي اللّه عنهما، و سيجيء الباقي منها عند بحث التوحيد إن شاء اللّه و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل هذا ما عند أهل الشريعة في الإمامة و ما يتعلّق بها.

الغالب و عدم التمكين، و لا إثم في ذلك و ما يستلزمه من تعطيل الحدود و الأحكام عليهم، و الظهور واجب عند عدم سبب الغيبة».

قال العلامة الحلّي في «نهج المسترشدين»:

و أمّا غيبة الإمام عليه السّلام، فإمّا لخوفه على نفسه من أعدائه أو على أوليائه فلا يظهر عاما و لا خاصا، و إمّا لمصلحة خفيّة استأثره اللّه تعالى بعلمها. «ارشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين» ص ۳۷۷.

راجع أيضا في هذا: «تقريب المعارف» لأبي الصلاح الحلبي ص ۲۰۰، و «منتخب الأنوار المضيّة» للسيد علي بن عبد الكريم النيلي النجفي ص ۷۲.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۶۹

و أمّا عند أهل الطريقة

(تعريف الإمامة عند أهل الطريقة)

(و أنّ الإمام هو القطب) فالإمامة عندهم هي الخلافة من قبل اللّه، و من القطب [١٣٦] الّذي

(١٣٦) قوله: القطب لا بأس في المقام بذكر بعض الكلمات في بيان «القطب» و تعريفه مزيدا للفائدة.

قال السيّد حيد الآملي في جامع الأسرار ص ٣٨٠:

«للنبوّة و الولاية اعتباران: اعتبار الإطلاق و اعتبار التقييد، أي العام و الخاصّ.

و امّا النّبوة المطلقة هي النبوّة الحاصلة في الأزل الباقية إلى الأبد كقول النّبي صلّى اللّه عليه و آله «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين»، و النبوّة الأصليّة بالحقيقة هي عبارة عن اطّلاع النّبيّ المخصوص بها على استعداد جميع الموجودات بحسب ذواتها و ماهيّاتها و حقائقها، و إعطاء كلّ ذي حقّ منها بلسان استعداداتها، من حيث الإنباء الذاتي و التعليم الحقيقي الأزلي المسمّى بالربوبيّة العظمى و السلطنة الكبرى، و صاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفة الأعظم و قطب الأقطاب و الإنسان الكبير و آدم الحقيقي، المعبّر عنه بالقلم الأعلى و العقل الأوّل و الروح الأعظم و أمثال ذلك». إلى أن قال ص ٣٨٢:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٧٠

«و باطن هذه النبوّة هي الولاية المطلقة.

و الولاية المطلقة هي عبارة عن حصول مجموع هذه الكلمات بحسب الباطن في الأزل و إبقائها إلى الأبد، كقول أمير المؤمنين عليه السّلام: «كنت وليّا و آدم بين الماء و الطين». و كقول النبي صلّى اللّه عليه و آله: «أنا و علي من نور واحد». الى آخره فراجع.

نقل القيصري في الفصل الثامن من المقدمة في «شرح الفصوص» عن الشيخ الأكبر أنّه قال في الفتوحات في بيان المقام القطبي:

«إن الكامل الّذي أراد اللّه أن يكون قطب العالم و خليفة للّه فيه إذا وصل إلى العناصر، مثلا متنزلا في السفر الثالث، ينبغي أن يشاهد جميع ما يريد أن يدخل في الوجود من الأفراد الإنسانيّة إلى يوم القيامة، و بذلك الشهود أيضا لا يستحقّ المقام حتّى يعلم مراتبهم أيضا».

و قال في المصدر في الفصل التاسع:

«فالقطب الّذي عليه مدار أحكام العالم، و هو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة و هو الحقيقة المحمّديّة صلّى اللّه عليه و آله.

و باعتبار حكم الكثرة متعدد، و قبل انقطاع النبوّة قد يكون القائم بالمرتبة القطبيّة نبيّا ظاهرا كإبراهيم صلوات اللّه عليه، و قد يكون وليّا خفيّا كالخضر في زمان موسى عليهما السّلام قبل تحقّقه بالمقام القطبي.

و عند انقطاع النبوّة أعني نبوّة التشريع بإتمام دائرتها و ظهور الولاية من الباطن، انتقلت القطبيّة إلى الأولياء مطلقا، فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذا المقام لينحفظ به هذا الترتيب و النظام.

قال سبحانه: **وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ** [الرعد: ٧]، **وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاّٰ خَلاٰ فِيهٰا نَذِيرٌ** [فاطر: ٢٤]، **إلى أن ينختم بظهور خاتم الأولياءِ و هو الخاتم للولاية**

المطلقة، فإذا أكملت هذه الدائرة أيضا وجب قيام الساعة باقـتـضـاءِ الإسم الباطن».

و قال ابن فارض في المقام: مشارق الدراري ص ٤١٢ [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٧١

و مسجون حصر العصر لم يـر ماورا

سـجّـيـنـه فـي جـنـّة الأبـديـّة

فبي دارت الأفلاك، فأعجب لقطبها

المحيط بـها، و القطب مركز نقطة

و لا قطب قبلي، عن ثلاث خلفته

و قـطـبـيـّة الأوتـاد عـن بـدلـيـّة

قال الشيخ الأكبر في الفتوحات ج ١ ص ٣٣٥ «الباب الثاني– الفصل الأوّل، الجزء السابع»:

«فاعلم: أن هذه الحروف لمّا كانت مثل العالم المكلّف الإنساني المشاركة له في الخطاب لا في التكليف، دون غيره من العالم، لقبولها جميع الحقائق كالإنسان، و سائر العالم ليس كذلك، فمنهم القطب كما منّا، و هو الألف.

و مقام القطب منّا، الحياة القيّوميّة، هذا هو المقام الخاصّ به، فإنه (أعني القطب) سار بهمته في جميع العالم، كذلك الألف (سار) من كل وجه من وجه روحانيته الّتي ندركها نحن، و لا يدركها غيرنا، و من حيث سريانه نفسا، من أقصى المخارج، الّذي هو مبعث النفس إلى آخر المنافس، و يمتدّ في الهواء الخارج و أنت ساكت، و هو الّذي يسمّى الصدى. فتلك (هي) قيوميّة الألف».

و قال في ج ٢ ص ٣٦٣:

«و أمّا القطب الواحد فهو روح محمّد صلّى اللّه عليه و آله و هو الممدّ لجميع الأنبياء و الرسل، عليهما السّلام، و الأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة، قيل له صلّى اللّه عليه و آله: متى كنت نبيّا؟

فقال صلّى اللّه عليه و آله: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين». و لهذا الروح المحمّدي صلّى اللّه عليه و آله مظاهر في العالم».

و قال في التجليات الإلهيّة ص ٢٩٨:

إذا استوى ربّ العزّة على عرش اللطائف الإنسانيّة كما قال: «ما وسعني أرضي و لا سمائي و لكن وسعني قلب عبدي» ملك هذا العرش جميع اللطائف فتصرّف فيها و تحلّم في ملكه، ألا فهو القطب.

قال الشارح: الّذي (أي القطب) هو صاحب الوقت، بمعنى أن يكون الوقت له لا هو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٧٢

للوقت، بيد أزمّة التدبير الأعم، يتبع تدبيره علمه، و علمه شهوده، و شهود القدر، فهو قلب الكون.

قال شارح منازل السائرين التلمساني في شرح قول المؤلّف الأنصاري:

«الفناء اضمحلال ما دون الحق علما ثمّ جحدا ثمّ حقا»، في ص ٥٧٠ هكذا بيانه:

«الحقّ تعالى إذا رقّى عبده بالتدريج نوّر باطنه و عقله في العلم، فرأى أن لا فاعل في الحقيقة إلاّ اللّه تعالى، فهذا توحيد العلم، و لا يقدر طول العلم على أكثر من هذا بأدلته و براهينه، ثمّ إذا رقّاه الحقّ تعالى عن هذا المقام أشهده عود أفعاله إلى صفاته، و عود صفاته إلى ذاته فحجب وجود السوى بالكليّة، فهذا هو الاضمحلال جحدا، ثمّ إن رقّاه الحقّ تعالى عن هذا المقام بأن أراه البحر الّذي فيه أغرق الأفعال و الأسمال و الصفات، فذلك هو الاضمحلال حقّا، أي أراه الحقّ المبين، فهذه مراتب الاضمحلال، و ليس

ورائها إلاّ مبدأ السفر الثاني، و هو الأخذ في البقاء حتّى يبلغ القطبيّة الكبرى».

قال السيد المؤلف في «جامع الأسرار» ص ۲۲۳:

«و القطب، و المعصوم، أو القطب و الإمام، لفظان مترادفان، صادقان على شخص واحد، و هو خليفة اللّه في أرضه، كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«اللهم بل لا تخلو الأرض من قائم للّه بحججه، أمّا ظاهرا مشهورا، أو خافيا مغمورا».

و قال أيضا فيه ص ٤٢٠:

«و ينبغي أن يكون الخاتم للولاية أعلم الخلق باللّه و أشرفهم بعد الختم النبوّة المطلقة، كما أشار إليه الشيخ (ابن العربي) في فتوحاته في بيان المقام القطبي: «أن الكامل» (إلى آخر ما ذكرناه آنفا).

قال محي الدين العربي في فصوص الحكم «فصّ شيثي»:

«إنّ الأعطيات إمّا ذاتيّة، أو أسمائيّة، فأمّا المنح و الهبات و العطايا الذاتيّة فلا تكون أبدا إلاّ عن تجلّي إلهي.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۷۳

و التجلّي من الذات لا يكون أبدا إلاّ بصورة استعداد المتجلّى له، غير ذلك لا يكون، فإذا المتجلّى له ما رأى سوى صورته في مرآة الحقّ، و ما رأى الحقّ، و لا يمكن أن، يراه مع علمه أنّه ما رأى صورته إلاّ فيه ...

و هذا أعظم ما قدر عليه من العلم، ... و هذا هو أعلى عالم باللّه، و ليس هذا العلم إلاّ

لخاتم الرسل و خاتم الأولياء، و ما يراه أحد من الأنبياء و الرسل إلاّ من مشكاة الرّسول الخاتم، و لا يراه أحد من الأولياء إلاّ من مشكاة الوليّ الخاتم، حتّى أنّ الرسل لا يرونه متى رأوه إلاّ من مشكاة خاتم الأولياء، فإنّ الرسالة و النبوّة تنقطعان، و الولاية لا تنقطع أبدا ...

فكلّ نبيّ من لدن آدم إلى آخر نبيّ، ما منهم أحد يأخذ إلاّ من مشكاة خاتم النبيين، و إن تأخّر وجود طينته، فإنّه بحقيقته موجود، و هو قوله صلّى اللّه عليه و آله: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين». و غيره من الأنبياء ما كان نبيّا إلاّ حين بعث، و كذلك خاتم الأولياء كان وليا و آدم بين الماء و الطين» انتهى.

أقول: هذا كما قال صلّى اللّه عليه و آله: «أنا أول الأنبياء خلقا، و آخرهم بعثا»، علم اليقين ج ٢ ص ٤٥٧.

و قال صلّى اللّه عليه و آله: «يا علي إنك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى».

و قال علي عليه السّلام: «نحن صنائع اللّه، و الناس صنائع لنا»، [نهج البلاغة: الكتاب ٢٨].

و قال علي عليه السّلام: «لو كشف الغطاء لما ازددت يقينا».

و في الزيارة الجامعة الواردة عن مولانا الإمام الرضا عليه السّلام:

«ذكركم في الذاكرين، و أسماؤكم في الأسماء، و أجسادكم في الأجساد، و أرواحكم في الأرواح، و أنفسكم في النفوس، و آثاركم في الآثار، و قبوركم في القبور».

و قال الشيخ الأكبر أيضا في الفتوحات ج ٣ ص ٣٢٧ الباب السادس و الستّون:

اعلم أيّدنا اللّه أن للّه خليفة يخرج، و قد أملأت الأرض جورا و ظلما، فيملؤها قسطا و عدلا، لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد طوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يلي هذا الخليفة من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۷۴

يكون في زمانه، و الإمام عبارة عن صاحب هذه الخلافة المعبّر عنه بالوليّ، و الوليّ يكون على قسمين: قسم منهما هو الّذي يكون ولايته أزليّة ذاتيّة حقيقيّة: قسم منهما هو الّذي يكون ولايته أزليّة حقيقيّة يسمّى بالولي المطلق و هو القطب الأعظم.

و قسم آخر و هو الّذي يكون ولايته مستفادة من ذلك الوليّ المطلق أعني كسبيّة إرثيّة عارضيّة، و يسمّى بالوليّ المقيّد و هو الإمام أو الخليفة.

و القسمان ترجع إلى حقيقة نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و إلى من يكون ورثة له من أهل بيته كأمير المؤمنين و أولاده عليهم السّلام.

و هذا المقام على هذا التقدير يحتاج إلى تعيين ثلاثة أشياء: الأوّل إلى تعيين الولاية، و الثاني إلى تعيين الوليّ المطلق، و الثالث إلى تعيين الوليّ المقيّد.

عترة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، من ولد فاطمة يواطئ اسمه اسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، جدّه اللّه صلّى اللّه عليه و آله في خلقه، و ينزل عنه في الخلق، لأنّه لا يكون أحد مثل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في أخلاقه، و اللّه يقول فيه: «و أنّك لعلى خلق عظيم».

ينفخ الروح في الإسلام، يعزّ الإسلام به بعد ذلّه، و يحيى بعد موته.

يظهر من الدين ما هو الدين الخالص، ينزل عليه عيسى أبن مريم.

ألا إنّ ختم الأولياء شهيد   و عين إمام العالمين فقيد

هو السيّد (القائم) المهدي من آل أحمد

هو الصارم الهندي حين يبيد

هو الشمس يجلو كلّ غمّ و ظلمة

هو الوابل الوسمي حين يجود

قال سبحانه و تعالى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهٰا

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كلِّ أَمْرٍ سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطلعِ الفَجْرِ

.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۷۵

(الولاية هي باطن النبوّة و هي التصرّف في الخلق)

أمّا الأوّل فالولاية عندهم هي التصرّف في الخلق بعد فنائهم في الحقّ و بقائهم به، و ليست في الحقيقة إلاّ باطن النبوّة الّتي ظاهرها الإنباء و باطنها التصرّف في النفوس بإجراء أحكام عليها، و حيث إنّ النبوّة مختومة من حيث الإنباء، إذ لا نبيّ بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله، فلم يبق إلاّ الولاية من حيث التصرّف في النفوس أبد الآباد، لأنّ نفوس الأولياء من أمّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله حملة تصرّف ولايته يتصرّف بهم في الخلق بالحق إلى يوم القيامة بل إلى غير النهاية فباب الولاية مفتوح و باب النبوّة مسدود.

و علامة صحة الولي متابعة النبيّ في الظاهر، لأنّهما يأخذان التصرّف من مأخذ واحد إذ الوليّ هو مظهر تصرّف النبيّ فلا يتصرّف إلاّ واحدا، و من هذا تكلّم بعض الأتباع عن نفسه بخصائص النبيّ صلّى اللّه عليه و آله على سبيل الحكاية فنزل نفسه من النبيّ بمنزلة الآلة من التصرّف نحو قول ابن الفارض رحمة اللّه عليه: [١٣٧]

(١٣٧) قوله: نحو قول ابن الفارض: إليّ رسولا كنت ... إلخ البيتان من قصيدته التائيّة، سمّاها: «لوائح الجنان و روائح الجنان» فظهر له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أوجب عليه أن يسميها نظم السلوك، هذا قد نقل عن ولده محمّد ابن الفارض، قال: سمعت الشيخ رضي اللّه عنه يقول: رأيت رسول اللّه في المنام و قال لي: «يا عمر! ما سمّيت قصيدتك؟» فقلت: يا رسول اللّه سميتها: لوائح الجنان و روائح الجنان، فقال: «لا بل سمّها: نظم السلوك»، فسمّيتها بذلك. (ديوان ابن الفارض ص ١٧). و راجع في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٧٦

إليّ رسولا كنت منّي مرسلا   و ذاتي بآياتي عليّ استدلّت

الى قوله:

و كلّهم عن سبق معناي دائر   بدائرتى أو وارد من شريعتي

(المهدي عليه السّلام هو الخاتم الولاية و قطب الأقطاب)

فكما أنّ النبوّة دائرة متألفة في الخارج من نقط وجودات الأنبياء، و كاملة بوجود النقطة المحمّديّة لأنّه مثل النبوّة بحائط كمل إلاّ موضع لبنة واحدة و هي وجوده، فالولاية أيضا دائرة متألفة في الخارج من نقط وجودات الأولياء كاملة بوجود النقطة الّتي سيختم بها الولاية، و هو محمّد بن الحسن صاحب الزمان المعبّر عنه بالمهدي عليه السّلام، كما أشار إليه بعض

العارفين «١٣٨» بعد قيام العقل و النقل و الكشف بصحته و هو قوله:
«القطبيّة الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب و هي باطن نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله فلا تكون إلاّ لورثته لاختصاصه صلّى اللّه عليه و آله بالأكمليّة، فلا يكون خاتم الولاية و قطب الأقطاب إلاّ على باطن خاتم النبوّة، و قال أيضا: فخاتم النبوّة هو الّذي ختم اللّه به النبوّة، و لا يكون إلاّ واحدا، و هو نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله،

الشّعر المذكور في المتن ديوان ابن الفارض، (تحقيق فوزي عطوي). و راجع أيضا «مشارق الدراري» للفرغاني ص ٣٧٨ و ص ٥٣٧ و هو شرح لهذه القصيدة التائيّة لابن الفارض، و الفرغاني من تلامذة الشيخ الكبير القونوي و الشرح تقرير لدرس أستاذه.

(١٣٨) قوله: بعض العارفين.

المراد من بعض العارفين: كمال الدين عبد الرزاق القاساني، ذكره في كتابه: اصطلاحات الصوفيّة في باب القاف و باب الخاء، و راجع أيضا «جامع الأسرار» ص ٤٤٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٧٧

و كذا خاتم الولاية و هو الّذي يبلغ به صلاح الدنيا و الآخرة نهاية الكمال، و يختلّ بموته نظام العالم و هو المهدي عليه السّلام الموعود في آخر الزمان».

(في معنى آخر للولاية)

(الوليّ المطلق هو عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و الولاية المطلقة تختصّ

له عليه السّلام) أنّ الولاية هي قيام العبد بالحقّ بعد (عند) الفناء عن نفسه، و ذلك بتولّي الحقّ إيّاه حتّى بلغه غاية مقام القرب و التمكين، و الواليّ من تولّي الحقّ أمره و حفظه عن العصيان و لم يخله و نفسه بالخذلان حتّى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال قال اللّه تعالى:

وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّالِحِينَ [الأعراف: ١٩٦].

و قال:

أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصّالِحِينَ [يوسف: ١٠١].

و الشيخ الأعظم قدّس سرّه قد فصّل الولاية تفصيلا، و قد قسّم لها تقسيما، و أوضح من ذلك كلّه، و ذلك قوله:

«اعلم أن الولاية تنقسم بالمطلقة و المقيّدة [١٣٩]، أي العامّة

---

(١٣٩) قوله: اعلم ان الولاية تنقسم.

هذا كلام للقيصري ذكره في «شرح فصوص الحكم» الفصّ الشيء ص ١١٣، و في

طبعة الآشتياني ص ٤٦٨.

و أمّا الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي فقال:

«اعلم أيّدنا اللّه، أنّ للّه خليفة يخرج، و قد امتلأت الأرض جورا و ظلما، فيملؤها قسطا و عدلا.

لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد طوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يلي هذا الخليفة من عترة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، من ولد فاطمة، يواطئ اسمه اسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، جدّه الحسين بن عليّ بن أبي طالب، يبايع بين الركن و المقام، يشبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في خلقه (بفتح الخاء) و ينزل عنه في الخلق (بضمّ الخاء) لأنّه لا يكون أحد مثل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في أخلاقه و اللّه يقول فيه:

وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: ٤].

ينفخ الروح في الإسلام، يعزّ الإسلام به بعد ذلّه، و يحيى بعد موته.

يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لحكم به، يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلاّ الدين الخالص.

أعداؤه مقلّدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمّتهم، فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه و سطوته، و رغبة فيما لديه، يفرح به عامّة المسلمين أكثر من خواصّهم. يبايعه العارفون باللّه من أهل الحقائق عن شهود و كشف بتعريف إلهيّ.

له رجال إلهيّون يقيمون دعوته و ينصرونه، هم الوزراء يحملون أثقال المملكة و يعينونه على ما قلّده اللّه.

ينزل عليه عيسى بن مريم عليها السّلام.

ألا إنّ ختم الأولياء شهيد و عين إمام العالمين فقيد

هو السيّد المهديّ من آل أحمد هو الصارم الهنديّ حين يبيد

هو الشمس يجلو كلّ غمّ و ظلمة

هو الوابل الوشميّ حين يجود

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٧٩

و الخاصّة، لأنّها من حيث هي هي صفة إلهيّة مطلقة، و من حيث استنادها إلى الأنبياء و الأولياء مقيّدة، و المقيّد متقوّم بالمطلق، و المطلق ظاهر في المقيّد، فولاية الأنبياء و الأولياء كلّهم جزئيّات الولاية المطلقة، كما أنّ نبوّة الأنبياء جزئيّات النبوّة المطلقة».

و النبوّة المطلقة ليست إلاّ للحقيقة المحمديّة من حيث الظاهر، و الولاية المطلقة إلاّ لباطنها من حيث الباطن، لكن ظهور ولايته المطلقة مخصوصة

بورثته المقيّدة من أولاده و أهل بيته من الأئمة المعصومين عليهم السّلام كما بيّناه عند بحث انتساب العلم إليهم.

فالنبوّة المطلقة كما هي مخصوصة به و بحقيقته بالأصالة، و بعده بالأنبياء و الرسل الّذين كانوا من مظاهره من آدم إلى عيسى عليه السّلام بالإضافة.

فالولاية المطلقة يكون مخصوصة بعلي بن أبي طالب عليه السّلام و بحقيقته بالوراثة الحقيقيّة الأزليّة الذاتيّة، و بعده بأولاده المعصومين عليهم السّلام بالإضافة إلى أن يختمها اللّه بالمهديّ عليه السّلام.

«الفتوحات المكيّة، الباب السادس و الستّون و ثلاثمائة، في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان الذي بشّر به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو من أهل البيت عليه السّلام. ج ٣ ص ٣٢٧.

و قال في موضع آخر:

الختم ختمان: ختم يختم اللّه به الولاية، و ختم يختم اللّه به الولاية المحمّدية.

فأمّا ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السّلام.

و أمّا ختم الولاية المحمّديّة فهي لرجل من الغرب من أكرمها أصلا و يدا، و هو في زماننا اليوم موجود». (الفتوحات المكيّة، الباب الثالث و السبعون، الجزء الحادي و الثمانون، السؤال الثالث عشر).

و عند الشيخ الولاية المطلقة مخصوصة بعيسى عليه السّلام، و الولاية المقيّدة بنفسه هو، كما ذكره في الفتوحات و الفصوص، و ليس الأمر كذلك كما أثبتناه و بيّناه في المقدّمات و سنبيّنه في تأويل البقرة و غيرها.

و علّة تخصيص الولاية المطلقة بعلي عليه السّلام بعد قيام العقل و النقل و الكشف بصحته كما هو مذكور في مواطنه: قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، ثمّ قول الشيخ الأعظم في مواضع شتّى.

و أمّا قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فالذيّ ورد عنه بإسناد صحيح عند الأخطب و الحنبل و كثير الصحابة أنّه قال:

«خلق اللّه تعالى روحي و روح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق آدم بألفي ألفي عام» [۱٤۰].

---

(۱٤۰) قوله: خلق اللّه روحي و روح عليّ عليه السّلام.

رواه عوالي اللئالي ج ۲ ص ۱۲٤، الحديث ۲۱۰.

و راجع أمالي الطوسي ص ۷۷، و أصول الكافي ج ۱ ص ٤٤۲ الحديث ۳ و ٥ و ۹ و ۱۰، و كمال الدين للصدوق ج ۱ ص ۳٦٦، الباب الثالث و العشرون الحديث ٦، و عيون أخبار الرضا ج ۱ الباب ۲٦، الحديث ۲۲ ص ۲٦۲.

و راجع إحقاق الحق و ملحقات الإحقاق ج ٥ ص ۲٦٦، و ج ۱٦ ص ۱۳٥، و ج ۲۱ ص ٤۳۳.

و راجع في تفصيل ما ذكرنا و الأخبار الّتي أشرنا إليها، تفسير المحيط الأعظم الجزء الأوّل

ص ۵۱۰ التعليق ۱۵۹ و ۵٤۸۳ التعليق ۱٦٧.

أخرج الأخطب (هو: الحافظ أبو موئيّد و أبو محمّد) الموفّق بن أحمد بن أبي سعيد إسحاق بن المؤيّد المكّي الحنفي المعروف بأخطب خوارزم، المتوفّى سنة ٥٦٨ هـ ق) في كتابه المعروف «المناقب» الفصل الرابع عشر ص ١٤٤ الحديث ١٦٨، بإسناده عن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٨١

(في قول الشيخ الأكبر بأنّ علي بن أبي طالب عليه السّلام سرّ الأنبياء)

و أمّا قول الشيخ فالّذي ذكره في فتوحاته بعد بحث طويل فيه و هو قوله مشيرا إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«و كان سيّد العالم بأسره، و أوّل ظاهر في الوجود، و كان وجوده من ذلك النور الإلهي، و من الهباء، من الحقيقة الكلّيّة، و في الهباء وجد عينه، و عين العالم تجليه (من تجلّيه)، و أقرب الناس إليه علي بن أبي طالب و أسرار الأنبياء أجمعين» [١٤١].

جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«مكتوب على باب الجنّة: لا إله إلاّ اللّه، محمّد بن عبد اللّه رسول اللّه، عليّ بن أبي طالب أخو رسول اللّه، قبل أن يخلق اللّه السماوات و الأرض بألفي عام».

و أخرج أيضا في الحديث ١٦٩ بإسناده عن سلمان قال: سمعت حبيبي المصطفى محمّدا

صلى اللّه عليه و آله يقول:

«كنت أنا و عليّ نورا بين يدي اللّه عزّ و جلّ مطبقا، يسبّح اللّه ذلك النور و يقدّسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام».

و أخرج قريب منه في الحديث ١٧٠ بإسناده عن محمّد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليهما السّلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(١٤١) قوله: و أقرب الناس إليه علي بن أبي طالب.

قاله الشيخ الأكبر في الفتوحات المكيّة ج ١ ص ١١٩، في الباب السادس في معرفة بدء الروحاني و من هو أوّل موجود.

و في بعض نسخ الفتوحات هكذا: «أقرب الناس إليه عليّ ابن أبي طالب رضي اللّه عنه إمام العالم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٨٢

و سرّ الأنبياء أجمعين». ذكره عثمان يحيى ج ١ ص ٢٢٧.

قال العارف المحقق آقا ميرزا محمد رضا قمشهاي رضي اللّه عنه في رسالة له:

أقول: كلامه (الشيخ الأكبر) هذا يدل على أنّ خاتم الولاية المطلقة الإلهيّة عنده، كما هو عندنا، عليّ ابن أبي طالب عليه السّلام دون عيسى عليه السّلام بوجوه ثلاثة:

«الأوّل، أنّه صرّح بأنّه أقرب الناس إليه صلّى اللّه عليه و آله و هو بإطلاقه يشمل قرب المعنوي و الصوري، أي الشهادي و الغيبي.

و صيغة التفضيل إما للزيادة على المفضل عليه، أو لنفي الزيادة عليه، فعلى الأوّل قربه أزيد إليه من الكلّ، و على الثاني أيضا كذلك، لأنّ محتد الولاية المطلقة و هو خاتم الأنبياء، فمن كان أقرب إليه أي من لا أقرب منه إليه هو خاتم تلك الولاية، و الخاتم لا يتعدد، فمن لا أقرب منه إليه لا يتعدد، فقربه أزيد من الكلّ فهو خاتم الولاية، و غيره دونه و تحت لوائه و يأخذ منه.

و من الأولياء جبرئيل، و علي عليه السّلام معلّمه كما هو المشهور، و عيسى عليه السّلام من نفخ جبرئيل و بذلك كان روحا منه فيأخذ عنه عليه السّلام.

الثاني، أنّه صرّح بأنّه إمام العالم، و عيسى عليه السّلام من العالم فهو إمام عيسى عليه السّلام و الأمام مقدّم على المأموم، فعليّ عليه السّلام مقدّم على عيسى، فهو الخاتم دونه.

الوجه الثالث، أنّه صرّح بأنّه عليه السّلام سرّ الأنبياء أجمعين، و عيسى عليه السّلام من الأنبياء فهو سرّه.

و سرّ الأنبياء ولايتهم فهو بولايته سار فيه و في غيره من الأنبياء، فولايته هي الولاية المطلقة السارية في المقيّدات جميعا، و المقيّدات شؤونات و ظهورات و مأخوذات منه، فهو الخاتم و الكلّ يأخذون منه، فعيسى عليه السّلام يأخذ منه.

فإن قلت: قد صرّح الشيخ في غير موضع بأنّ عيسى خاتم الأولياء.

أقول: أراد به ختم الولاية العامّة المقابلة للولاية الخاصّة الشاملة لهما».

راجع شرح فصوص الحكم للقيصري، الطبع الحديث للآشتياني ص ٤٤٩. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٨٣

و هاهنا أبحاث و أسرار يحتاج إلى بسط عظيم حاصلها ما سبق ذكرها و

ستعرفها أكثر من ذلك إن شاء الله.

و أمّا الثاني و الثالث من التقسيم المذكور أعني تعيين خاتم الأولياء مطلقا بالولاية المطلقة، و تعيين خاتم الأولياء مقيّدا بالولاية المقيّدة، فذلك يعرف من الأبحاث المذكورة الآن، و يحتاج إلى بسط و تفصيل مرّة أخرى. فالوليّ و الإمام عند أهل الطريقة هو الوليّ المقيّد و الإمام التابع للوليّ المطلق، كما أنّ النبيّ عندهم هو النبيّ المقيّد و الرسول التابع للنبيّ المطلق، و هذا هو المقصود من هذا البحث ليطابق ترتيب الولاية، و ترتيب المطلق ترتيب المقيّد.

و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، هذا ما عند أهل الطريقة في الإمام و الوليّ.

أقول: مع أنّ في قوله: «و عيسى عليه السّلام من نفخ جبرئيل و بذلك كان روحا منه فيأخذ عنه عليه السّلام» تأمّل، لأنه مع تسليم كلامه في النفخ، فهو لا يدلّ على أفضليّة جبرئيل عليه السّلام، على أنّ الرّسل أفضل من الملائكة كما أشرنا إليه غير مرّة، هذا و لكن يؤيّد كلامه في الولاية المطلقة كلام نفس الشيخ الأكبر و هو قوله: «الختم ختمان: ختم يختم اللّه به الولاية، و ختم يختم اللّه به الولاية المحمّديّة». كما أشرنا إليه في التعليق ۱۳۹.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۸۴

و أمّا عند أهل الحقيقة

(تعريف الإمام عند أهل الحقيقة و أنّ عليه يكون مدار الوجود)

فالإمام و الوليّ عندهم الإمام الأعظم و الوليّ المطلق المعبّر عنه بالقطب و إمام الأئمّة الّذي يكون عليه مدار الوجود و قيام الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و إليه مراتب الكلّ من النبيّ و الرسول و الولي، و إليه أشار الشيخ الأعظم قدّس سرّه في فصوصه (فصّ شيثي) بعد كلام طويل بقوله:

«و ليس هذا العلم إلاّ لخاتم الرسل، و خاتم الأولياء، و ما (لا) يراه أحد من الأنبياء و الرسل إلاّ من مشكاة الرسول الخاتم و لا يراه أحد من الأولياء إلاّ من مشكاة الوليّ الخاتم، حتّى أنّ الرّسل لا يرونه متى رأوه إلاّ من مشكاة خاتم الأولياء، فإنّ الرسالة و النبوّة أعني نبوّة التشريع و رسالته تنقطعان، و الولاية لا تنقطع أبدا، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلاّ من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۸۵

الأولياء؟ و إن كان خاتم الأولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه و لا يناقض ما ذهبنا إليه، فإنّه من وجه يكون انزل، كما أنّه من وجه يكون أعلى».

و قال بعد كلام يسير بعده:

«فكلّ نبيّ من لدن آدم إلى آخر نبيّ، ما منهم أحد يأخذ إلاّ من مشكاة خاتم النبيّين و إن تأخّر وجود طينته، فإنّه بحقيقته موجود، و هو قوله:

«كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين».

و غيره من الأنبياء ما كان نبيّا إلاّ حين بعث، و كذلك خاتم الأولياء كان وليّا

و آدم بين الماء و الطين، و غيره من الأولياء ما كان وليّا إلاّ بعد تحصيله شرايط الولاية من الأخلاق الإلهيّة و الاتّصاف بها، من كون اللّه يسمّى بالولي الحميد، فخاتم الرسل من حيث ولايته، نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء و الرسل معه، فإنّه الوليّ و الرسول النبيّ (فإنّه الولي الرسول النبيّ)، و خاتم الأولياء (الوليّ) الوارث الآخذ عن الأصل الشاهد (المشاهد) للمراتب، و هو حسنة من حسنات خاتم الرّسل محمّد صلّى اللّه عليه و آله مقدّم الجماعة و سيّد ولد آدم في فتح باب الشفاعة».

و هذا الكلام بعد دلالته على وجود خاتم الأولياء و صدق جميع ما قلناه في هذا الباب، دالّ على أنّ خاتم الأولياء مطلقا أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام، لأنّه قيّده بحسنة من حسنات سيّد المرسلين، و ليس حسنة سيّد الرسل على الوجه الّذي ذكروا الشّراح في شروحهم إلاّ هو.

و ستعرف إن شاء اللّه أوضح من ذلك لأنّ هذا أيضا يحتاج إلى بسط

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٨٦

تامّ، و هذا المكان لا يحتمله على ما ينبغي.

و حيث عرفت بحث الإمامة من طريق الطوائف الثلاث فلنشرع في بحث المعاد الّذي هو آخر أصل من الأصول الخمسة على ما شرطناه، و باللّه التوفيق.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٨٧

و أمّا المعاد

(تعريف المعاد على نحو الإطلاق)

فاعلم أنّ المعاد مطلقا عبارة عن رجوع العالم و ما فيه إلى ما صدر منه صورة و معنى في المراتب القيامات الثلاث الّتي هي الصغرى و الوسطى و الكبرى آفاقا و أنفسا.

و قد كتبنا في ذلك رسالة موسومة «برسالة المعاد في رجوع العباد»، و عيّنّا فيها إثنا عشر قيامة صوريّة و معنويّة، محتوية على الصغرى و الوسطى و الكبرى، و ترتيب ذلك و هو أن يعتبر في الآفاق ثلاث قيامات صوريّة، و ثلاث قيامات معنويّة، و كذلك في الأنفس، فيكون إثنا عشر قيامة ضرورة.

و نحن نبيّن لك تفصيل ذلك في هذا المقام اختصارا لأنّ هذا المكان لا يحتمل أكثر منه.

و إذا عرفت هذا فلنشرع فيها أوّلا من حيث الشريعة ثمّ من حيث الطريقة، ثمّ من حيث الحقيقة كما شرعنا في الأصول الأربعة المذكورة كذلك و هو هذا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۸۸

أمّا معاد أهل الشريعة

(تعريف المعاد عند أهل الشريعة) فالمعاد عندهم عبارة عن جمع أجزاء بدن الميّت و تأليفها مثل ما كان و إعادة روحه إليه، و هذا هو المعبّر عنه بحشر الأجساد، و هذا ممكن، و اللّه تعالى قادر على كلّ الممكنات و عالم بها، و الجسم قابل للتأليف، فيكون قادرا و هو المطلوب. و بنوا على هذا

مقدّمات عقليّة:

منها أنّ اللّه تعالى خلق الإنسان و أعطاه العلم و القدرة و الإرادة و الإدراك و القوى المختلفة، و جعل زمام الإختيار بيده و كلّفه بتكليف شاقّ، و خصّصه بألطاف خفيّة و جليّة لغرض عايد إليهم، و ليس ذلك إلاّ نوع كمال لا يحصل إلاّ بالكسب، إذ لو أمكن بلا واسطة لخلقهم عليه ابتداء، و لما كان الدنيا هي دار التكليف فهي دار الكسب يعمر الإنسان فيها مدّة يمكن تحصيل كماله فيها، ثمّ يحول إلى دار الجزاء و يسمّى دار الآخرة.

و منها أنّ الأنبياء بأسرهم أخبروا بحشر الأجساد، و هو موافق

للمصلحة الكليّة، فيكون حقّا، لعصمتهم و استحالة صدور الكذب عنهم، و كذلك الجنّة و النار المحسوستان كما وعدوا به حقّ، لإمكانها و إخبار الصادق بها.

و منها ما قالوا في جواب قوم قالوا: إعادة المعدوم محال، و إلاّ لزم تخلل العدم في وجود واحد، فيكون الواحد الإثنين و هو قولهم: و لمّا كان حشر الأجساد حقّا وجب أن لا يعدم أجزاء أبدان المكلّفين و أرواحهم بل بتبدّل التأليف و المزاج، و الفناء المشار إليه في قوله تعالى:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى‏ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

كناية عنه.

و منها، ما قالوا في جواب قوم قالوا: حقيقة الإنسان عرض، و هو قولهم:

الذي يشير إليه الإنسان حال قوله: أنا، لو كان عرضا لاحتاج إلى محل يتّصف به، لكن لا يتّصف شيء بالإنسان بالضرورة، بل يتّصف هو بأوصاف غيره فيكون جوهرا، و لو كان هو البدن أو شيئا من جوارحه لم يتّصف بالعلم، لكنّه يتّصف به بالضرورة فيكون جوهرا عالما، و البدن و ساير الجوارح آلاته في أفعاله، و ذلك هو المسمّى بالروح في الشرع الإلهي، و مع ذلك كلّه قد أختلف النّاس فيه اختلافا شديدا:

فالدهريّة أنكروه و قالوا الإنسان ينعدم بموته، فلا يكون له عود إلى الوجود.

و القائلون بأن المعدوم شيء قالوا: بانّه ينعدم بموته ثمّ يعود إلى الوجود و حينئذ يثاب أو يعاقب، أمّا انعدامه فلقوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٩٠

كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ [الرحمن: ٢٦].

و أمّا عوده فلوجوب كونه مثابا أو معاقبا في الآخرة كما أخبر به الكتاب الكريم في مواضع كثيرة.

و النّفاة القائلون بكونه جسما قالوا: إفناؤه و هلاكه عبارة عن تلاشي أجزائه و اضمحلال أعضائه كالتركيب و غيره و إعادة جميع أجزائه و إحداث أعراض فيه مثل ما كانت قبل موته، و هذا هو الحقّ من الأقوال المذكورة عندهم.

و القول بالأجزاء الأصليّة و الحكم بالتأليف بعد التبديل، و أنّ النفس جوهر بسيط، أولى و أنسب من غيره بأنّ صاحبه يخلص من جميع الشبهات و الاعتراضات.

و أكثر هذه الدلائل منقولة من كلام خواجه نصير الدين الطوسي رحمة الله عليه من الفصول في الأصول و غيره، و ذكر فيه أيضا شبهة الفلاسفة و قام بجوابهم نذكرها هاهنا و نقطع هذا البحث عليها و هو قوله:

«قالت الفلاسفة: حشر الأجساد محال، لأنّ كلّ جسد اعتدل مزاجه و استعدّ، استحقّ فيضان النفس من العقل الفعّال، فلو اتّصف أجزاء بدن الميّت بالمزاج لاستحقّ نفسا من العقل، و أعيد إليه نفسه الأولى على قولكم فيلزم اجتماع نفسين على بدن واحد و هو محال و نحن لمّا أثبتنا الفاعل المختار و أبطلنا قواعدهم لم نحتاج إلى جواب هذه الهذيانات».

و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، هذا ما عند أهل الشريعة في المعاد.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٩١

و أمّا معاد أهل الطريقة

(المعاد هو عود مظاهر الأسماء بعضها إلى بعض آخر)

فالمعاد عندهم بعد اعتقادهم في المعاد المذكور عبارة عن عود مظاهر بعض الأسماء إلى مظاهر أسماء أخر، لقوله تعالى:

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً [مريم: ٨٥].

و هذا البحث يفتقر إلى بسط تامّ و قد بسطنا الكلام فيه «في رسالة المعاد» بسطا لا مزيد عليه، في وجوه خمسة، لأنّ تلك الرسالة مشتملة على وجوه عشرة، خمسة منها في المعاد الإجمالي، و خمسة في المعاد التفصيلي بعد اشتمالها على التنبيه و التتميم في أوّلها و آخرها، و على الكشف من أسرار

الجنان و الجحيم و ما فيهما من الأوضاع و الأشكال، و اللذّات و الآلام، فحينئذ نذكر هاهنا من تلك الوجوه الخمسة الإجمالية الأسمائيّة وجه واحد، يكون هو كالأسّ لبناء هذه المباحث، و كالركن لتشييد هذه القواعد و هو هذا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۹۲

(في أنّ حقيقة المعاد هي رجوع المظهر إلى الظاهر و المحاط الى المحيط)

اعلم، أنّ القيامة و المعاد إجمالا عبارة عن ظهور الحقّ بصور اسمي الباطن و الآخر مع أسماء أخر، كالعدل و الحقّ و المحيي و المميت، كما أنّ الدنيا و المبدأ عبارة عن ظهوره بصورة: الظاهر و الأوّل مع أسماء أخر كالمبدئ و الموجد و الخالق و الرازق و أمثالها، و ذلك لتوفّيه حقوق كلّ اسم من أسمائه الغير المتناهية لأنّ ظهوره بصور الأسماء مطلقا المسمّى بالخلق و العالم المشار إليه في قوله:

«كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» «۱٤۲».

لم يكن إلاّ لذلك اي عن توفية حقوق كلّ أسم من أسمائه.

(في ظهور الأسماء و عدم تناهيها)

و قد تقرّر عند أهل اللّه و خاصته أنّ أسمائه بحسب الجزئيات و الأشخاص غير متناهية، و إن كان بحسب الكليّات و الأنواع متناهية فيجب أن يكون دائما متجليا بصور أسمائه و صفاته دنيا كان أو آخرة، و لهذا ذهب بعض

العارفين إلى أنّ الدنيا و الآخرة مظهران من مظاهره، فيجب أن يكونان دائما واقعتان غير موقوفتان على زمان و آن، فإنّ

(١٤٢) قوله: كنت كنزا مخفيا.

قد مرّت الإشارة إليه في التعليق ٦٠.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٩٣

المظاهر يستحيل رفعها عن الوجود، و المراد من ذلك ان القيامة عبارة عن تغيير عالم الظاهر و تبديله و رجوعه إلى الباطن دائما، كما أنّ الدنيا عبارة عن ظهور الباطن بصور الظاهر دائما و رجوعه إليه كذلك، لأنّ الأسماء و إن كانت كثيرة لكن لا يخرج حكمها عن هذه الأربع، و هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن.

فإنّ الأوّل و الظاهر و أخواتها من قبيل الدنيا و المرتبة المبدئيّة، و الباطن و الآخر و أخواتها من قبيل الآخرة و المرتبة المنتهائيّة.

و هذا النظر و إن كان جائزا بوجه لكن هو غير جايز بوجه آخر كما ستعرفه إن شاء اللّه.

(لكلّ اسم من الأسماء الحسنى اقتضاء و أحكام)

و الحقّ في ذلك و الّذي نحن بصدده و هو أنّ لكلّ اسم من أسماء اللّه تعالى اقتضاء و أحكام، فالآخرة من اقتضاء الإسم القهّار و الواحد و الأحد و

الصمد و الفرد و المعيد و الماحي و المميت و غير ذلك، كما أنّ الدنيا من اقتضاء الإسم الظاهر و المبدء و الأوّل و الموجد و غير ذلك، و إن كان كلّ واحد منها نفس الآخر عند التحقيق، لأنّ المغايرة في الأحكام و الأثر لا في الذات و الحقيقة.

(المراد بالأمر في القرآن)

و الحقّ تعالى جلّ ذكره عن هذا الإبداء و الإعادة و الظهور و البطون و العروج و النزول و الكثرة و الوحدة و الدنيا و الآخرة عبّر في القرآن الكريم:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۹۴

بالأمر في مواضع، منها قوله:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمٰاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ [السجدة: ۵].

و منها قوله:

تَعْرُجُ الْمَلاٰئِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [المعارج: ٤].

و قد ذكرنا المناسبة بين الألف و الخمسين في رسالة المعاد.

و بعض ذلك و هو: أنّ سير الكواكب السبعة بعضه بالاشتراك، و بعضه بالانفراد، فالّذي بالانفراد خاصّة و هو ألف سنة لكلّ كوكب منها، و الّذي بالاشتراك و هو ستّة آلاف سنة يحصل على الحساب الهندسي، و ضرب السبعة في السبعة تسع و أربعون سنة، تكون تكميلها بإضافة الكبيسات إليه في هذه المدّة الّتي هي الألف، فتخرج خمسين ألف سنة كاملة، و هذه

تسمّى بالقيامة العظمى، و السبعة المخصوصة بكلّ (لكلّ) واحدة من الكواكب القيامة الوسطى، و الألف الخاصّ يشير الخاصّ القيامة الصغرى.

و هاهنا أسرار غير هذا و ليس هذا موضعها و لا هذا البحث له مدخل في هذا الموضع فنرجع و نقول:

اعلم، أنّ الغرض من مجموع هذه الأبحاث أن يتحقّق عندك و عند غيرك أنّ الحقّ تعالى عبّر بالأمر عن مجموع هذا العروج و النزول و الظهور و البطون و الإبداء و الإعادة لقوله أيضا غير ما سبق:

اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماٰواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٢٩٥

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحاٰطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [الطلاق: ١٢].

و لقوله:

اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماٰواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهاٰ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياٰتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاٰءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ [الرعد: ٢].

(في بيان الفرق بين الظهور الكلّي و الظهور الجزئي)

ليعلم أنّ هذا الأمر المعبّر عنه بهذا المجموع راجع إليه دائما على الوجه الّذي قرّرناه، لأنّ الدنيا و الآخرة مظهران من مظاهر الكلّيّة كالمائة و الألف بالنسبة إلى الواحد في مراتب الأعداد و ظهوره بها، فإنّ الألف و المائة من أعظم مظاهر الواحد في مراتب الأعداد، لكن ليس انحصاره في مراتب الأعداد

محصورة فيهما لأنّ ظهوره في الأعداد بحسب الكلي ينحصر في مثل هذا، و إلاّ من حيث الجزئي فغير منقطع أزل الآزال و أبد الآباد، و كذلك الحقّ و مظاهره فإنّ الدنيا و الآخرة و إن كان من أعظم مظاهره لكن ليس ينحصر ظهوره فيهما، لأنّ ظهوره فيهما و في أمثالهما ينحصر من حيث الكلّي.

و أمّا من حيث الجزئي فغير منقطع أزل الآزال و أبد الآباد، و على جميع التقادير لا بدّ من رجوع المظهر إلى الظاهر في موطني الدنيا و الآخرة المشتملان على مواطن غير متناهية.

و هذا هو حقيقة المعاد لا غير، أعني رجوع المظهر إلى الظاهر

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۹۶

و المحاط إلى المحيط و عن هذا عبّر أيضا بالتقدير و الشأن في قوله:

ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [يس: ۳۸].

و في قوله:

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [الرحمن: ۲۹].

و تقديره و هو أنّه كلّ يوم من أيّامه الألوهيّة الّتي هي خمسين ألف سنة، أو من أيّام الدنيا الّتي هي سبعة آلاف سنة في شأن من هذه الشوءون، و أمر من هذه الأمور الّذي هو استيفاء حقوق كلّ اسم من أسمائه في صورة مظهر من مظاهره و مرتبة من مراتبه في مواطن النزول و العروج و الظهور و البطون، و ذلك لأنّ الأكوان مظاهر الأفعال، و الأفعال مظاهر الصفات و الصفات مظاهر الذات (الأسماء) و الأسماء مظاهر الذات و كمالاتها الذاتيّة الغير المتناهية.

و حيث تقرّر أنّ الأفعال و الصفات و الأسماء و الكمالات غير متناهية، تقرّر أن الرجوع و العود لا يكون إلاّ كذلك، لكن من حيث الجزئيّات لا الكليّات، لأنّ الجزئي مثلا إذا عاد إلى الكلّي، أو المركّب إلى البسيط، يجوز عود الجزئي إلى الكلّي و المركّب إلى البسيط مرّة أخرى من غير توهّم قدم في شيء من المحدثات و الممكنات، أو توهّم نقص في الشرعيّات و النقليات، فإن اندراج بعض الأسماء في البعض الآخر أو اندراج بعض المظاهر في البعض الآخر لا يكون سببا لذلك أصلا، «و الباقي باق في الأزل، و الفاني فإن لم يزل»، إنّ في ذلك لمن كان له قلب أو القى السمع و هو شهيد، و قوله تعالى:

ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَ مٰا نُؤَخِّرُهُ إِلاّٰ لِأَجَلٍ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۹۷

مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لاٰ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النّٰارِ لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ خٰالِدِينَ فِيهٰا مٰا دٰامَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خٰالِدِينَ فِيهٰا مٰا دٰامَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّكَ عَطٰاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ [هود: ۱۰۳- ۱۰۸].

برهان قاطع على صدق هذا المعنى و إثبات القيامات الثلاث على الوجه المذكور، و ما يعرف ذلك إلاّ من يعرف معنى قوله:

مٰا دٰامَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّكَ [هود: ۱۰۷].

و هاهنا أيضا أسرار كثيرة لبّها و خلاصتها ما جرى ذكرها من قبل.

و إذا عرفت هذه الضوابط كلها و تحقّقت معنى العود الحقيقي و الرجوع الكلّي الأسمائي.

(في مراتب الأسماء الحسنى و أحكامها)

فاعلم، أنّ للأسماء الإلهيّة أحكاما و آثارا، أولها أيضا دول و دورات، و ابتداء و انتهاء.

و بيان ذلك مفصّلا و هو: أنّ العقل الصحيح يحكم بأنّ حكم الإسم الضّار غير حكم الإسم النافع، و أثر الإسم المحيي غير أثر الإسم المميت، و دولة الإسم الهادي غير دولة الإسم المضلّ، و كذلك.

الظاهر و الباطن و الأوّل و الآخر إلى غير ما لا يتناهى من الأسماء المتقابلة، فكما أنّ الدّنيا من اقتضاء الإسم الأوّل و الظاهر و أخواتها، فالآخرة من اقتضاء الإسم الآخر و الباطن، فكما أنّ وجود الدنيا و ظهور

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۲۹۸

أحكامها كان واجبا في الحكمة الإلهيّة بمقتضى الأسماء المتعلّقة بها فكذلك وجود الآخرة و ظهور أحكامها فإنها يكون واجبة أيضا في الحكمة الإلهيّة بمقتضى الأسماء المتعلّقة بها كما مرّ ذكرها، و هذا ضابط كلّيّ يعرف منه ضوابط كثيرة، و مع ذلك كلّه نمثّل لك مثالا في هذا المعنى يسهل عليك إدراك هذا السرّ سريعا هو:

أنّ الوجود و سلطنته الحقيقيّة المعنويّة، واقعة على ترتيب السلطنة الصوريّة المجازيّة أعني كما أنّ السلطنة الصوريّة مترتبة على السلطان و الوزير و الأمير و الجنود و الرعايا و غير ذلك من التوابع، فكذلك السلطنة الحقيقيّة

فإنّها أيضا مترتبة على ذلك كله، فالأسماء الذاتيّة كالوزير، و الصفاتيّة كالأمير، و الفعليّة كالجنود، و ما يحصل من تركيب كلّ واحد منها كالرعايا، فكما أنّ كلّ شخص من أعوان السلطنة الصوريّة فهو مخصوص بأمر لا يشاركه غيره، فكذلك كلّ اسم من أسماء السلطان الحقيقي و سلطنته الحقيقيّة فإنّه مخصوص بأمر لا يشاركه غيره.

(كلّ اسم ربّ لمظاهره)

و على هذا التقدير كلّ موجود من الموجودات الخارجيّة يكون مظهرا لاسم من أسمائه تعالى و محلاّ لأثره و حكمه، لا يكون رجوعه إلاّ إليه، لأنّ ذلك الإسم هو ربّه و هو مربوب له كما سبق ذكره، و يشهد بذلك أيضا قوله تعالى:

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً [مريم: ٨٥].

و قوله:

وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ [النجم: ٤٢].

و إن كان في الحقيقة لا يكون رجوع الكلّ إلاّ إلى اللّه، كرجوع كلّ الرعيّة إلى السلطان المجازي عند التحقيق مع وجود الوزير و الأمير و الحاجب و النائب، و تعلّق كلّ واحد منهم بهؤلاء.

و بيان ذلك مرّة أخرى: (كلّ محتاج إلى اللّه سبحانه لا بدّ أن يدعو من أسمائه الحسنى، الاسم الخاصّ المناسب بحاجته)

و هو أنّه إذا جاء شخص مثلا إلى السلطان المجازي و طلب منه إنعاما

فإنعامه لا بدّ و أن يكون على يد خازن من خزّانه، و كذلك الّذي يجيء إليه و يطلب حكم مدينة فإنّه لا يكون رجوعه إلاّ إلى الوزير، و كذلك الّذي يطلب منه النصرة و الغلبة على عدّوه أو ظالم من الظلمة، فإنّ رجوعه لا يكون إلاّ إلى أمير من أمرائه، و كذلك إلى مالا نهاية له من الأعوان و الأجناد و الرعايا، لأنّ أمور السلطنة و انتظامها ما يجري بدون هؤلاء، فإنّ الكلّ من حيث الكلّ لا ينتظم إلاّ بالكلّ، فكذلك السلطان الحقيقي فإنّ الفقير إذا توجّه إليه أو إلى حضرته و قال: يا اللّه! و طلب المال لا بدّ و أن يكون رجوعه إلى الإسم الغني، و كذلك المريض إذا توجّه و قال: يا للّه! و طلب الصحّة فانّه لا بدّ و أن يكون رجوعه إلى الإسم الشافي، و كذلك الضالّ إذا توجّه و قال: يا للّه! و طلب الهداية لا بدّ و أن يكون رجوعه إلى الإسم الهادي، و كذلك إلى ما لا يتناهي من الأسماء، فإنّ الأمر السلطنة الحقيقيّة من حيث السلطنة لا ينتظم إلاّ بهذا كما قيل:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۰۰

فالكلّ مفتقر ما الكل مستغن هذا هو الحقّ قد قلناه لا نكني

فالكلّ بالكلّ مربوط و ليس له

عنه انفصال (انفكاك) خذوا ما قلته عنّي

«۱٤۳» و إن حقّق عرف أنّ قولهم:

«أنّ للربوبيّة سرّا لو ظهر لبطلت الربوبيّة».

هذا معناه لأنّ الربوبيّة أمر لا ينتظم إلاّ بالمنتسبين، و أحد المنتسبين أسماء و الآخر أعيان، و الأعيان معدومة في نفس الأمر، موجودة بالاعتبار، و كلّ أمر ينتظم بالمعدوم فهو يكون غير منتظم في الحقيقة، و ذلك لأنّ الربوبيّة موقوفة على المربوب، و المربوب على الربّ، فلو فرض عدم المربوب لم يطلق الربوبيّة مع أن يكون الربّ موجودا، و كذلك بالعكس و إن كان هذا الفرض محال.

و في بيان هذا السرّ قال بعض العلماء:

سرّ الربوبيّة هو توقّفها على المربوب، لكونها نسبة لا بدّ لها من المنتسبين، واحد المنتسبين هو المربوب و ليس إلاّ الأعيان الثابتة في العدم «١٤٤» و الموقوف على المعدوم معدوم، و ذلك لبطلان ما يتوقّف عليه،

---

(١٤٣) قوله: فالكلّ مفتقر الشعر لمحي الدين ابن العربي، في الفصوص فصّ آدمي ص ٩٣.

(١٤٤) قوله: الأعيان الثابتة في العدم.

قوله: في العدم يعني في الحضرة العلميّة، العدم هنا بمعنى المقابل الخارج الاصطلاحي.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٠١

و قيل أيضا بعكس ذلك و هو قولهم:

سرّ الربوبيّة هو ظهور الربّ بصور الأعيان، فهو من حيث مظهريّتها للربّ القائم بذاته الظاهر بتعيّناته قائمة به، موجودة بوجوده، فهي عبيد مربون (مربوبون) من هذه الحيثيّة و الحق ربّ لها، فما حصلت الربوبيّة في الحقيقة إلاّ بالحقّ، و الأعيان معدومة بحالها في الأزل، فلسرّ الربوبيّة سرّ به ظهرت و لم تبطل، و هاهنا أسرار دقيقة و الكلّ راجع إلى ما قلناه:

أنّ المعاد عبارة عن رجوع كلّ مظهر إلى اسمه الّذي ظهر فيه بالحكم و الأثر، و إذا عرفت هذا في صورة المثال مرّة غير أخرى فنرجع إلى الغرض و نقول:

(في غلبة بعض الأسماء على البعض)

مع أنّه كذلك أي مع أنّ الأمر على هذه الصورة في الأسماء و مظاهرها، لكن للأسماء دول و دوران و آثار و أحكام يجوز أن يكون مظهر بعض الأسماء مغلوبا بالنسبة إلى البعض الآخر، و كذلك أحكامه و دورانه فظهور القيامة من مغلوبيّة الأسماء المتعلّقة بالدنيا و غلبة الأسماء المتعلّقة بالآخرة، و قس على هذا جميع الأسماء في جميع الأوقات، و قد أشار إلى هذا بعض العلماء العارفين بعبارة موجزة نذكرها و نرجع إلى غيرها و هي هذه:

«أعلم أنّ أسماء الأفعال بحسب أحكامها ينقسم أقساما:

منها أسماء لا ينقطع حكمها و لا ينتهي أثرها أزل الآزال و أبد الآباد كالأسماء الحاكمة على الأرواح القدسيّة و النفوس الملكوتيّة و على ما لا

يدخل تحت الزمان من المبدعات و ان كانت داخلة تحت الدهر.

و منها ما لا ينقطع حكمه أبد الآباد و إن كان منقطع الحكم أزل الآزال، كالأسماء الحاكمة على الآخرة فإنّها أبديّة كما دلّت الآيات على خلودها و خلود أحكامها، و غير أزليّة بحسب الظهور إذ ابتداء ظهورها من انقطاع النشأة الدنياويّة.

و منها ما هو مقطوع الحكم أزلا و متناه الأثر أبدا كالأسماء الحاكمة على كلّ ما لا يدخل تحت الزمان و على النشأة الدنياويّة، فإنّها غير أزليّة و لا أبديّة بحسب الظهور و إن كانت نتائجها بحسب الآخرة أبديّة، و ما ينقطع أحكامه: إما ان ينقطع مطلقا و يدخل الحاكم عليه في الغيب المطلق الإلهي كالحاكم على النشأة الدنياويّة، و إمّا أن يستتر و يختفي تحت حكم الإسم الّذي يكون أتمّ حيطة منه عند ظهور دولته، إذ للأسماء دول بحسب ظهوراتها و ظهور أحكامها و إليها يستند أدوار الكواكب السبعة الّتي مدّة كلّ دورة منها ألف سنة، و الشرائع إذ لكلّ شريعة اسم من الأسماء يبقى ببقائه و دولته و يدوم بدوام سلطنته و ينسخ بعد زوالها، و كذلك التجليات الصفاتيّة إذ عند ظهور صفة ما منها يختفي أحكام غيرها تحتها، و كلّ واحد من الأقسام الأسمائيّة يستدعي مظهرا به يظهر أحكامها و هي الأعيان، فان كانت قابلة لظهور الأحكام الأسمائيّة كلّها كالأعيان الإنسانيّة كانت في كلّ آن مظهرا لشأن من شؤونها، و إن لم يكن قابلة لظهور أحكامها كلّها، كانت مختصّة ببعض الأسماء دون البعض كأعيان الملائكة و دوام الأعيان في الخارج و عدم دوامها فيه دنيا و آخرة راجع إلى دوام الدول الأسمائية و عدم دوامها، فافهم و باللّه التوفيق».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۰۴

أمّا القيامة الصغرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الطريقة (الموت الإرادي الاختياري)

فهي عبارة عن الانتباه و القيام بعد الموت الإرادي الاختياري بحكم قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«موتوا قبل أن تموتوا» «۱۴۵».

و حكم قول الحكيم:

«مت بالإرادة تحيي بالطبيعة» [۱۴۶].

---

(۱۴۵) قوله: «موتوا قبل أن تموتوا».

راجع تفسير المحيط الأعظم الجزء الأول ص ۴۳۰ و ۴۲۹ التعليق ۲۲۷ و ۲۲۶.

و ذكره أيضا القيصري في المقدمة لشرح الفصوص، آخر فصل التاسع.

و قد مرّت الإشارة إليه في التعليق ۵۸ أيضا.

(۱۴۶) قوله مت بالإرادة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۰۵

و قوله عليه السّلام:

«من مات فقد قامت قيامته» «۱۴۷».

يعضد الكلّ صوريّا كان الموت أو معنويّا.

و هذا الموت عندهم على أربعة أقسام: و هي الأحمر و الأبيض و الأخضر و الأسود.

و أمّا مطلق الموت فهو عبارة عن قمع هوى النفس، فإنّ حياتها به، و لا تميل إلى لذّاتها و شهواتها و مقتضيات الطبيعة البدنيّة إلاّ به، و إذا مالت إلى الجهة السفليّة جذبت القلب الّذي هو النفس الناطقة إلى مركزها

قائل الكلام هو الحكيم الأفلاطوني.

قال صدر المتألهين في مفاتيح الغيب ص ٧:

«قال بعض الحكماء: «من أراد الحكمة الإلهيّة، فليستحدث لنفسه فطرة أخرى»، و قال أفلاطون: «مت بالإرادة تحي بالطبيعة»، و قال المسيح النوراني على نبيّنا و عليه السّلام: «لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرّتين»، و قال نبيّنا الخاتم صلّى اللّه عليه و آله: «موتوا قبل أن تموتوا»، و قال إمامنا الأتمّ الأكرم عليه سلام اللّه الملك الأعظم: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»».

(١٤٧) قوله: من مات فقد قامت قيامته.

ذكر أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج ٦ ص ٢٦٨ بإسناده نقلا عن زياد بن عبد اللّه النميري. و نقله أيضا الغزالي في «أحياء علوم الدين» ج ٤ ص ٧١٨، عن أنس عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال: «الموت القيامة»، الحديث، و قال المحشي العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن أنس.

و راجع أيضا: «مفاتيح الغيب» لصدر المتألهين الشيرازي ص ٦٢٩.

و قد مرّ ذكره أيضا في الجزء الأوّل ص ٤٦٠ التعليق ١٢٤.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٠٦

فيموت عن الحياة الحقيقيّة العلميّة الّتي له بالجهل، فإذا ماتت النفس عن هواها بقمعه، انصرف القلب بالطبع و المحبّة الأصليّة إلى عالمه عالم القدس و النور و الحياة الذاتيّة التي لا تقبل الموت أصلا، و إلى هذا الموت و الحياة أشار الحقّ تعالى في قوله:

أَ وَ مَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّٰاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمٰاتِ لَيْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا [الأنعام: ١٢٢].

و معناه أو من كان ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم و جعلنا له نورا فيه يمشي في الناس عالما كاملا حيّا بالحياة الأبديّة، كمن هو في ظلمات الجهل بعد و ما خرج منها، و بل لا يمكن إخراجه منها مادام هو موصوفا بالصفة المذكورة، و قال جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام:

«الموت هو التّوبة [١٤٨]، قال تعالى:

---

(١٤٨) قوله: الموت هو التوبة لم أعثر بهذه العبارة في الأحاديث، و لكن المضمون، ثابت من جهة و مشهور في كلمات المحققين من العلماء من جهة أخرى و ذلك لأنّ الموت في الحقيقة حياة جديدة و تولّد آخر للإنسان كما أن التوبة الحقيقيّة تكون كذلك،

لأنّ بها يحصل للتائب حياة جديدة معنوية و تولّدا آخر، و هذا يؤثر في أعماله و حركاته و إعراضه عن المعاصي و الشهوات و عن متاع الدنيا القليل و يتوجّه الى اللّه سبحانه بالمراقبة و الإخلاص، نعم للتوبة مراتب و لكل مرتبة أحكام و آثار، كما أنّ الموت كذلك.

كما ورد: «الإسلام يجبّ ما قبله» و ورد أيضا: «التوبة يجبّ ما قبلها»، العوالي ج ٢ ص ٥٤ و ج ١ ص ٢٣٧.

هذا بمعنى كما أنّ الإسلام حياة للكافر، التوبة أيضا حياة للمؤمن و المسلم.

و روي عن النبيّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله: «الموت كفّارة لكلّ مسلم»، أخرجه الغزالي في أحياء

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٠٧

العلوم ج ٤ ص ٦٥٦ و أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٣ ص ١٢١ و البحار ج ٨٢ ص ١٧١ ح ٦.

و ورد عن الصادق عليه السّلام قال: قال رسول اللّه عليه السّلام:

«الموت كفّارة لذنوب المؤمنين»، بحار الأنوار ج ٦ ص ١٥١ ح ٣ و ج ٨٢ ص ١٧٨ ح ٢١.

و كما أنّ الموت نزع، التوبة أيضا نزع، قيل لعلي بن الحسين:

ما الموت؟ قال: «للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، و فكّ قيود و أغلال ثقيلة».

الحديث، بحار الأنوار ج ٦ ص ١٥٥، و ورد عن جابر، قال: قال الباقر عليه السّلام: «و عليكم بالتوبة و النزوع عمّا أنتم عليه»، بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٧٨.

قال صدر المتألهين في تفسيره ج ٣ ص ٣٩٩:

قوله: **فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [البقرة: ٥٤]، تتميما لتوبتكم، بترك الشهوات و اللذات و إماتة القوى الحيوانيّة بمنعها عن دواعيها، كما قيل: «من لم يعذّب نفسه لم يمنعها، و لم يقتلها لم يحيها».**

قد مرّت الإشارة إلى الموت الإرادي و ذكرنا كلمات بعض الحكماء في التعليق ٥٨ فراجع.

تبصرة: لا يتحقق الموت إلاّ بانقطاع التعلّق عن الدنيا و ما فيها، هذا هو الموت الصغير و به تقوم القيامة الصغرى.

و أمّا الموت الكبير و الذي به تقوم القيامة الكبرى للميّت هو الّذي لا يتحقق إلاّ بالانقطاع عن ما سوى اللّه سبحانه و تعالى.

فهذان الموتان لا يستلزمان دائما خروج الروح عن البدن أي الموت الطبيعي المتعارف الذي لا بدّ لكل انسان أن يذوقه، بل يمكن أن يتحقّقا أحيانا بدون ذلك الخروج و قبله، و بل يمكن أن لا يتحقّقا بعد حتّى بعد الخروج إلاّ بعد العبور عن عقباته اللازمة.

فقولهم عليهم السّلام في المناجاة الشعبانية: «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٠٨

فَتُوبُوا إِلىٰ بٰارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [البقرة: ٥٤].

فمن تاب فقد قتل نفسه»، و إلى هذا أشار جلّ جلاله بقوله:

وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اَلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوٰاتاً بَلْ أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمٰا آتٰاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ [آل عمران: ١٧٠ و ١٦٩].

و لهذا لمّا رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من جهاد الكفّار قال:

«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر «١٤٩»، قالوا: يا رسول اللّه و ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس الّذي هو مخالفتها في هواها و مقتضياتها».

و ورد عنه عليه السّلام:

«المجاهد من جاهد نفسه» «١٥٠».

إشارة إلى الموت الأكبر، أي: إلهي هب لي الموت عن ما سواك في هذه النشأة و قبل الموت الطبيعي.

(١٤٩) قوله: رجعنا من الجهاد الأصغر روى الكليني في الفروع من الكافي ج ٥ ص ١٢ الحديث ٣، باب وجوه الجهاد، بإسناده عن السكوني عن الصادق عليه السّلام:

«أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بعث بسريّة، فلمّا رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر و بقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول اللّه و ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس».

و روى مثله الصدوق في «أماليه» المجلس الحادي و السبعون الحديث ٨ ص ٣٧٧، بإسناده عن موسى بن إسماعيل عن أبيه، عن الكاظم عليه السّلام عن آبائه عن علي أمير المؤمنين، الحديث و في ذيله، قال: ثم قال صلّى اللّه عليه و آله:

«أفضل الجهاد من جاهد نفسه الّتي بين جنبيه». عنه البحار ج ٧٠ ص ٦٥ الحديث ٧.

(١٥٠) قوله: المجاهد من جاهد نفسه.

رواه صاحب وسائل الشيعة في الكتاب باب ١ من أبواب جهاد النفس الحديث ١٠ ج ١٥ ص ١٦٣ الطبع الجديد و ج ١١، ص ١٢٤ الطبع القديم، عن محمّد بن الحسين الرضي في «المجازات النّبوية».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٠٩

(في بيان الموتات الأربعة: الأحمر و الأبيض و الأخضر و الأسود)

لأنّ من مات عن هواه فقد حيي بهداه أي حيي بهدايته عن الضلالة و بمعرفته عن الجهالة، و هذا هو الموت المسمّى عند القوم بالموت الأحمر من الموتات الأربعة و قد سمّوه أيضا بالموت الجامع لجميع الموتات لأنّه إذا حصل حصل الموتات بأقسامها و فيه قيل:

اقتلوني يا ثقاتي إنّ في قتلي حياتي

و مماتي في حياتي و حياتي في مماتي

«١٥١» و نسبته إلى الأحمر لوجهين: الأوّل أنّ القتل يلازمه الدم فنسبوه إليه، و الثاني لاحمرار الوجه بالنور الإلهي بعده.

و أمّا الموت الأبيض فهو عبارة عن الجوع لأنّه ينوّر الباطن و يبيّض وجه القلب، فإذا لم يشبع السالك بل لا يزال جائعا مات الموت الأبيض فحينئذ تحيي فطنته، لأنّ البطنة تميت الفطنة، فمن مات بطنته حييت فطنته.

و أمّا الموت الأخضر فهو عبارة عن لبس المرقع الملقاة الّتي لا

(١٥١) قوله: اقتلوني يا ثقاتي.

الشعر من أشعار الحلاج، راجع «جامع الأسرار» ص ٢٠٥ و ص ١٠٥. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٣١٠

قيمة لها، فإذا قنع من لباس الجميل بذاك و اقتصر على ما يستر العورة و تصح فيه الصلاة، فقد مات الأخضر، لاخضرار عيشه بالقناعة و نضارة وجهه بنضرة الجمال الذاتي الّذي حيي به و استغنى عن التجمل العارضي كما قيل:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه

فكلّ رداء يرتديه جميل

و أمّا الموت الأسود فهو عبارة عن احتمال أذى الخلق، لأنّه إذا لم يحتمل أذى الخلق لم يكن محبّ حقّ و لا يتألّم و لا يشتكي، (لأنّه إذا لم يجد في

نفسه حرجا عن أذاهم و لم يتألّم به لم يكن محبّا حقّا) بل يلتذّ به لكونه يراه من محبوبه كما قيل:

أجد الملامة في هواك لذيذة حبّا لذكرك فليلمني اللوم

أشبهت أعدائي فصرت أحبّهم إذ كان حظي منك حظي منهم

و أهنتني فاهنت نفسي عامدا ما من يهون عليك ممن يكرم

فقد ما مت موت الأسود، و هو الفناء في اللّه لشهوده الأذى منه برؤية فناء الأفعال في فعل محبوبه بل برؤية نفسه، و أنفسهم فانين في المحبوب، و حينئذ يحيي بوجود الحق من إمداد حضرة الوجود المطلق و الجنّة الحاصلة من هذه القيامة بعد الموت المذكور تسمّى جنّة نفسانيّة لقوله تعالى: وَ أَمَّا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ [النازعات: ٤١ و ٤٠].

و وصفها بأنّ فيها ما تشتهي الأنفس و تلذّ الأعين، لأنّها محسوسة و فيها المآكل و المشارب المحسوستان من غير انقطاع، و لهذا قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣١١

خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً [البيّنة: ٨].

رزقك اللّه الوصول إليها، و من هذا لا يقبل الحصر و العدّ لقوله:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاٰ تُحْصُوهٰا [ابراهيم: ٣٤].

و ستعرف شرحها أكثر من ذلك في الأبحاث الآتية عند تعداد الجنات المعبّر فيها بالثمانية و اللّه أعلم و أحكم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣١٢

و أمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنّسبة إلى أهل الطريقة (موت الإنسان من الأخلاق الذميمة الّذي هو المقصود من بعثة الرسل)

فهي عبارة عن موت الإنسان من الأخلاق الذميمة و الملكات الرديّة و الأوصاف الغير الجميلة، و حياته بالأخلاق الحميدة، و الملكات الفاضلة الكريمة و الأوصاف (الاتّصاف) بالصفات الجميلة الّتي هي المقصود بالذات من بعثة الرسل لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«أوتيت جوامع الكلم» «١٥٢».

و: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق» «١٥٣».

---

(١٥٢) قوله: أوتيت جوامع الكلم.

راجع التعليق الرقم ۲۱ و ٦١ و في الجزء الثاني التعليق ۲۲.

(۱٥۳) قوله: بعث لأتمم.

قد مرّت الإشارة إليه في التعليق الرقم ۲۲.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۱۳

و لقوله: «تخلّقوا بأخلاق اللّه» «۱٥٤».

و قد سبق تقسيم الأخلاق حسنها و قبيحها و لست أنت محتاجا إلى ذكرها مرّة أخرى.

ثمّ بعد ذلك لو كان نعمة أعظم من نعمة الأخلاق و الاتّصاف بها لمنّ اللّه بها على نبيّه كما منّ عليه بالأخلاق لقوله:

وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: ٤].

و سبب ذلك أنّ التخلق بأخلاق اللّه و الاتصاف بصفاته موجب للسعادة الأبديّة و الوصول إلى الحضرة الصمديّة، و ليس يمكن تحصيلهما بدون الوسيلة إليها، و لهذا أمرنا بأن نتّصف بصفات اللّه و نتخلّق بأخلاقه، و الدليل على ذلك أيضا قوله:

«لا يسعني أرضي و لا سمائي و لكن يسعني قلب عبدي المؤمن» «۱٥٥».

لأنّه إخبار بأنّه لا يمكن الوصول إليه إلاّ من جهة القلب إذا اتّصف بصفاته و تخلّق بأخلاقه، و من هذا ورد أيضا:

«قلب المؤمن عرش اللّه» [۱٥٦].

(١٥٤) قوله: تخلّقوا بأخلاق اللّه.

مرّ ذكره في التعليق ٣٢.

(١٥٥) قوله: لا يسعني أرضي و لا سمائي ذكرناه في تعليقنا الرقم ٣٨ ص ٢٥٦ في الجزء الأوّل من التفسير المحيط الأعظم و أيضا في التعليق ٣٥٤ ص ٥٥٣ في الجزء الثاني، فراجع.

(١٥٦) قوله: قلب المؤمن عرش اللّه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣١٤

و: «قلب المؤمن و كر اللّه» «١٥٧».

و: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن» «١٥٨».

لأن الكلّ إشارة إليه، أي إلى الاتّصاف بصفات اللّه، و التخلّق بأخلاقه،

راجع الجزء الثاني، ص ٥٥٤ التعليق ٣٥٥.

نقل العارف الهمداني في «بحر المعارف» ج ٢ ص ٩٦، عن «من مزامير العاشقين» عن السيد الداماد، رحمهم اللّه قال: ورد عن طريق الخاصّة و العامّة: «إنّ قلب المؤمن بيت اللّه الحرام، و قلب العارف عرش اللّه الأعظم».

و أخرج خواجه عبد اللّه الأنصاري في تفسيره «كشف الأسرار» ج ٦ ص ٥٣٥، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال: «إنّ للّه في الأرض أواني و هي القلوب، فأحب أوانيه أليه

أصفاها و أصلبها و أرقّها، فأصفاها من العيوب و أصلبها في الدين و أرقّها على الاخوان».

و نقل قريب منه «الجامع الصغير» ج ١ ص ٣٦٤ الحديث ٢٣٧٥، و كنز العمال ج ١ ص ٢٤١ الحديث ١٢٠٧، و بحر المعارف ج ١ ص ٩٨.

(١٥٧) قوله: قلب المؤمن وكر اللّه.

روى فرات الكوفي في تفسير سورة الدهر الآية ٣٠، ص ٥٢٩، بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد اللّه الصادق عليه السّلام:

«إنّ اللّه جعل قلب وليّه وكر الإرادة (وكرا لإرادته) فإذا شاء اللّه شئنا».

عنه البحار ج ٢٦ ص ٢٥٦ الحديث ٣١.

و روي المجلسي في البحار ج ٢٥ ص ٣٨٥ الحديث ٤١، عن كتاب «المختصر» للحسن بن سليمان عن المفضل عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام قال:

«لو أذن لنا أن نعلم الناس حالنا عند اللّه و منزلتنا منه لما احتملتم، فقال له: في العلم؟ فقال: العلم أيسر من ذلك، إنّ الإمام وكر لإرادة اللّه عزّ و جلّ لا يشاء إلاّ من يشاء اللّه».

(١٥٨) قوله: قلب المؤمن بين إصبعين.

أنظر الجزء الثاني من التفسير المحيط الأعظم ص ٥٥٤، التعليق ٣٥٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣١٥

لأنّ استعداد ذلك كما انّه ليس في الوجود إلاّ للإنسان الّذي هو بمثابة القلب في العالم، ليس في الإنسان إلا القلب الّذي هو بمثابة الإنسان في العالم.

كما يشهد بصحة الأوّل قوله:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمٰانَةَ عَلَى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ [الأحزاب: ٧٢].

و بالثاني قوله:

لا يسعني أرضي و لا سمائي. الحديث.

(في بيان الجنّة الصوريّة و النفسانيّة و الروحانيّة)

و الجنّة الحاصلة من هذه القيامة بعد الموت المذكور يسمّى جنّة روحانيّة مخصوصة بالوارثين من عباده، المشار إليهم في قوله:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. (إلى قوله): أُولٰئِكَ هُمُ الْوٰارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ [المؤمنون: ١- ١١].

لأنّ الإنسان إذا تبدّلت أخلاقه الذميمة بالأخلاق الحميدة، و خرجت نفسه عن دركات الظلمات الطبيعة، و خلصت عن مرديات الأخلاق الرديّة، و تهذّبت بالأوصاف الجميلة الملكيّة، و صارت موصوفة بالتسوية و التحلية المعبّر عنها بالاعتدال الحقيقي، و استعدّت للاتّصاف بالصفات الربانيّة و الأخلاق الإلهيّة، و قامت بعد ذلك كلّه بالأعمال الشرعيّة و الوظائف الدينيّة، دخلت الجنّة المعنويّة قبل دخولها الجنّة الصوريّة، و صارت هذه الجنّة مضافة إلى الجنّة المذكورة المسمّاة بالجنّة النفسانيّة،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣١٦

و صارت صاحب الجنّتين و مالك المرتبتين لقوله تعالى:

وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ [الرحمن: ٤٦].

أي الجنّة النفسانيّة و الجنّة الروحانيّة، و بيان ذلك مفصّلا بوجه آخر و هو:

(في أصول محاسن الأخلاق و رذائله السبعة)

أنّ النفس إذا ارتاضت بالرياضة الحقيقية المبتنية على العلم الحقيقي و العمل المطابق له و صفت عن الرذائل كلّها، سيّما عن السبعة الّتي هي رئيسها و أصولها كالعجب و الكبر و البخل و الحسد و الحرص و الشهوة و الغضب، صار متّصفة بمحاسن الأخلاق كلّها، خصوصا بالسبعة الّتي هي رئيسها و أصولها كالعلم و الحكمة و الحلم و التواضع و الجود و العفة و الشجاعة، و حصلت لها بواسطتها مرتبة العدالة الّتي هي نهاية مراتب الكمال في السلوك إلى اللّه بالنسبة إلى الإنسان.

(أبواب جهنّم السبعة)

و نظرا إلى هذا الترتيب و التقسيم أشار الكتاب الكريم إلى أبواب الجحيم و مراتبها بالسبعة لقوله:

لَهٰا سَبْعَةُ أَبْوٰابٍ لِكُلِّ بٰابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ [الحجر: ٤٤].

المسماة في التنزيل [١٥٩]: بجهنم و لظى و الحطمة و سقر و الجحيم

---

(١٥٩) قوله: المسمّاة في التنزيل.

أمّا جهنم ففي قوله تعالى:

إِنَّ اللهَ جٰامِعُ الْمُنٰافِقِينَ وَ الْكٰافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً [النساء: ١٤٠].

و أمّا لظى ففي قوله تعالى:

كَلاّٰ إِنَّهٰا لَظىٰ نَزّٰاعَةً لِلشَّوىٰ [المعارج: ١٥- ١٦].

و في قوله تعالى:

فَأَنْذَرْتُكُمْ نٰاراً تَلَظّٰى لاٰ يَصْلاٰهٰا إِلاَّ الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى [الليل: ١٤- ١٦].

و أمّا الحطمة ففي قوله تعالى:

كَلاّٰ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا الْحُطَمَةُ نٰارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهٰا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ [الهمزة: ٤- ٩].

و أمّا سقر ففي قوله تعالى:

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاٰلٍ وَ سُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النّٰارِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ [القمر: ٤٧ و ٤٨].

و في قوله تعالى:

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا سَقَرُ لاٰ تُبْقِي وَ لاٰ تَذَرُ لَوّٰاحَةٌ لِلْبَشَرِ [المدّثّر: ٢٦- ٢٩].

و أمّا الجحيم ففي قوله تعالى:

إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعٰامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلىٰ سَوٰاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذٰابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ [الدخان: ٤٣- ٤٩]. و في غيرهما أيضا.

و أمّا السعير ففي قوله تعالى:

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجٰادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطٰانٍ مَرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاّٰهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلىٰ عَذٰابِ السَّعِيرِ [الحج: ٣- ٤].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣١٨

و السعير و الهاوية، و ورد في الخبر أنّ عليا عليه السّلام: [١٦٠].

و في قوله تعالى:

إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكٰافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً لاٰ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لاٰ نَصِيراً [الأحزاب: ٦٤- ٦٥].

و في غيرهما من الآيات القرآنيّة.

و أمّا الهاوية ففي قوله تعالى:

وَ أَمّٰا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ فَأُمُّهُ هٰاوِيَةٌ وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا هِيَهْ نٰارٌ حٰامِيَةٌ [القارعة: ٨- ١١].

(١٦٠) قوله: و ورد في الخبر.

روى الطبرسي في تفسير «مجمع البيان» في سورة الحجر الآية ٤٤، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال:

«انّ جهنم لها سبعة أبواب، أطباق بعضها فوق بعض، و وضع إحدى يديه على الأخرى، فقال: هكذا، و أنّ اللّه وضع الجنان على العرض، و وضع النيران بعضها فوق بعض،

فأسفلها جهنم، و فوقها لظى، و فوقها الحطمة، و فوقها سقر، و فوقها الجحيم، و فوقها السعير، و فوقها الهاوية».

و روى أيضا في نفس المصدر عن الضحاك قال:

«للنار سبعة أبواب، و هي سبعة أدراك بعضها فوق بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذّبون على قدر أعمالهم و أعمالهم في الدنيا ثمّ يخرجون، و الثاني فيه اليهود، و الثالث فيه النصارى، و الرابع فيه الصابئون، و الخامس فيه المجوس، و السادس فيه مشركوا العرب، و السابع فيه المنافقون، و ذلك قوله:

إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّٰارِ.

و أخرج قريب منه أيضا السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٥ ص ٨٢.

و أخرج السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» عن عدّة من أصحاب الحديث و منهم البيهقي، عن عليّ عليه السّلام قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣١٩

سئل عن معنى قوله تعالى: لَهٰا سَبْعَةُ أَبْوٰابٍ لِكُلِّ بٰابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ، فقال لأصحابه:

«أ تدرون كيف أبواب النار؟ قالوا: كنحو هذه الأبواب، قال: لا و لكنّها هكذي، و وضع إحدى يديه فوق الأخرى، و أنّ اللّه تعالى وضع الجنان على العرض، لقوله: وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ [آل عمران: ١٣٣] و وضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم للمنافقين، و فوقها لظى للمشركين من العرب، و فوقها الحطمة للمجوس، و فوقها سقر للصابئين، و

فوقها الجحيم للنصارى، و فوقها السعير لليهود و فوقها الهاوية لعصاة المؤمنين».

(في مراتب الجنة الثمانية و أبوابها)

و كذلك إلى مراتب الجنة [١٦١] و منازلها بالثمانية المسمّاة بجنّة النعيم،

«أبواب جهنم سبعة، بعضها فوق بعض».

و أيضا نقل عن أحمد و عن خطاب بن عبد اللّه، عن عليّ عليه السّلام قال:

«أ تدرون كيف أبواب جهنم؟ قلنا: كنحو هذه الأبواب، قال: لا، و لكنّها هكذا، و وضع يده فوق و بسط يده على يده».

و راجع أيضا في أبواب جهنم و أدراكها «الخصال» للصدوق رضي اللّه عنه باب السبعة الحديث ٥١ ص ٣٦١ و تفسير القمي سورة الحجر الآية ٤٤، ج ١ ص ٣٧٦.

(١٦١) قوله: و كذلك إلى مراتب الجنّة.

أمّا جنة النعيم ففي قوله تعالى:

فَأَمَّا إِنْ كٰانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحٰانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ [الواقعة: ٨٨-٨٩]. [.....]

و في قوله تعالى: (في دعاء إبراهيم عليه السّلام) **رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَ اجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَ اجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ [الشعراء: ٨٣- ٨٦].**

و أمّا جنة الفردوس ففي قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً [الكهف: ١٠٧- ١٠٨].

و أمّا جنّة الخلد ففي قوله تعالى:

قُلْ أَ ذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ [الفرقان: ١٥].

و أمّا الجنّة المأوى ففي قوله تعالى:

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوىٰ [النجم: ١٤- ١٥].

و امّا جنّة عدن ففي قوله تعالى:

وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ [ص: ٤٩- ٥٠].

و في قوله تعالى:

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا [مريم: ٦١- ٦٢].

و أمّا دار السلام ففي قوله تعالى:

وَ اللّٰهُ يَدْعُوا إِلىٰ دارِ السَّلاٰمِ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ [يونس: ٢٥].

و أمّا دار القرار ففي قوله تعالى:

يٰا قَوْمِ إِنَّمٰا هٰذِهِ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا مَتٰاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دٰارُ الْقَرٰارِ [غافر: ۳۹].

روي الصدوق في كتاب الخصال، باب الثمانية الحديث ٦ ص ٤٠٧، بإسناده عن محمّد بن الفضيل عن أبي عبد اللّه الصادق عن آبائه، عن عليّ عليهم السّلام قال:

إنّ للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيّون و الصدّيقون، و باب يدخل منه الشهداء و الصالحون، و خمسة أبواب يدخل منها شيعتنا و محبّونا، فلا أزال

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۲۱

و جنّة الفردوس، و جنّة الخلد، و جنّة المأوى، و جنّة عدن، و دار السلام، و دار القرار.

و ذلك لأنّ السبعة من الأخلاق المذمومة إذا تبدّلت بالسبعة من الأخلاق المحمودة صارت كلّها جنّات معنويّة روحانيّة، و زاد عليها مرتبة العدالة الّتي هي جامعة للكلّ، فصارت الجنّات ثمانية، و إلى هذه الجنات المعنويّات و نعيمها و لذّاتها أشار الحقّ تعالى بعد الإشارات القرآنيّة في قوله:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر» «۱٦۲».

و كذلك النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في قوله:

«إنّ للّه تعالى جنّة ليس فيها حور و لا قصور و لا عسل و لا لبن بل يتجلّى

فيها ربّنا ضاحكا» [١٦٣].

واقفا على الصراط أدعو و أقول: ربّ سلّم شيعتي و محبّي و أنصاري و من تولاّني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش قد أجيبت دعوتك و شفّعت في شيعتك و يشفع كل رجل من شيعتي و من تولاّني و نصرني و حارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه و أقربائه، و باب يدخل منه سائر المسلمين ممّن شهد أن لا إله إلاّ اللّه و لم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت.

و راجع أيضا تعليقنا ٩٣ ص ٢٢٤ الجزء الثاني من تفسير المحيط الأعظم.

(١٦٢) قوله: أعددت لعبادي.

قد مرّت الإشارة إلى مصادره في الجزء الأوّل ص ٣٠٧ تعليقنا ٦٥، فراجع.

(١٦٣) قوله: إنّ للّه تعالى جنّة ليس فيها حور.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٢٢

لأنّ هذه كلّها جسمانيّة و تلك روحانيّة، و الفرق بينهما ظاهر، و قوله أيضا: «و الّذي نفس محمّد بيده إنّ الجنّة و النّار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله». يدلّ على الجنّة المعنويّة دون الصوريّة، و على العاجل دون الآجل، و قد أشار إلى هذا مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام بعبارة يفهم منها جميع ذلك و هو قوله:

«قد أحياء عقله، و أمات نفسه، حتّى دقّ جليله، و لطف غليظه، و برق له

لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، و سلك به السبيل، و تدافعته الأبواب إلى باب السّلامة، و دار الإقامة، ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و الراحة بما استعمل قلبه و أرضى ربّه» [نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٠].

و هذا الكلام و إن كان بأسره مطلوب، لكن قوله:

ذكره أيضا العارف الهمداني في بحر المعارف ج ١ ص ٦٣٣ و قال: «و المراد به الإشراقات النوريّة الفائضة من قبل الحقّ تعالى الظاهرة على أهل الجنّة المعنويّة الساكنين في أرض قدسه، فإذا أفيض عليهم تلك الإشراقات حصل لهم بها من المسرّات المبهّجة لهم المطربة لخواطرهم ما يوجب إشراق نفوسهم و تنوّرها بنور الحقّ تعالى».

و في حديث رواه المجلسي في البحار ج ٣٦ ص ٢٩٦ الحديث ١٢٥ عن «الفضائل» و «الروضة» عن علي أمير المؤمنين عليه السّلام عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال: «من أحبّ أن يلقى اللّه عزّ و جل و هو مقبل عليه غير معرض عنه فليتولّ عليّا»، ... إلى أن قال صلّى اللّه عليه و آله:

«و من أحبّ أن يلقى اللّه تعالى ضاحكا مستبشرا فليتولّ علي بن موسى الرضا عليه السّلام».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٢٣

«و تدافعته الأبواب إلى باب السلامة و دار الإقامة»، هو المقصود بالذات، لأنّه إشارة إلى ما سبق من قولنا: إنّ أبواب الجحيم المعنويّة بعد تبديل

الأخلاق الذميمة تصير أبواب الجنان، و ترجع الكلّ إلى الباب الأعظم المسمّى بباب الرضا المشار إليه في قوله عليه السّلام:

«الرضا باب اللّه الأعظم» «(١٦٤)».

المنزل في كتاب اللّه وصفه و وصف أهله، في قوله:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزٰاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ [البينة: ٧- ٨].

و قوله تعالى:

وَ إِذٰا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً عٰالِيَهُمْ ثِيٰابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَسٰاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً إِنَّ هٰذٰا كٰانَ لَكُمْ جَزٰاءً وَ كٰانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً [الإنسان: ٢٢].

إشارة إلى هذه الجنّة و هذه المشاهدة و لذّاتها و نعيمها، و النقليّات الواردة في هذا الباب كثيرة نختصر على ذلك و نرجع إلى غيره، و باللّه التوفيق و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

---

(١٦٤) قوله: الرضا باب اللّه الأعظم نقله أبو نعيم الإصفهاني في «حلية الأولياء» ج ٦ ص ١٥٦ بإسناده عن عبد الواحد بن زيد قال:

«الرضا باب اللّه الأعظم، و جنّة الدنيا، و مستراح العابدين».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٢۴

و أمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الطريقة (موت الإنسان من غير الحق سبحانه و تعالى)

فهي عبارة عن فنائهم في الحقّ و بقائهم به، المعبّر عنه بالفناء في التوحيد المسمّى بقرب النوافل، لقوله تعالى:

«لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله، فبي يسمع و بي يبصر و بي ينطق و بي يبطش و بي يمشي» «١٦٥».

(في مراتب الجنّة و أصناف أهلها)

و قد سبق بيان هذا الفناء و القرب و الموت و الحياة مرارا، و حاصل هذه

---

(١٦٥) قوله: لا يزال العبد يتقرّب.

راجع التعليق ٦٦ فقد أشرنا إليه فيه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٢٥

القيامة بعد الفناء المذكور الّذي هو الموت الحقيقي الجنّة الشهوديّة الّتي هي فوق جنّة الوراثة، و جنّة النفس، و إلى هذه الجنان الثلاث المعنويّة الحاصلة من هذه القيامات الثلاث أشار الشيخ الأعظم «١٦٦» في فتوحاته و قال:

«اعلم أن الجنّات ثلاث جنّات:

جنّة اختصاص إلهي و هي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حدّ العمل، و حدّهم من أوّل ما يولد إلى أن يستهل صارخا إلى انقضاء ستة أعوام، و يعطي اللّه من شاء من عباده من جنّات الإختصاص ما شاء، و من أهلها المجانين الّذين ما عقلوا، و من أهلها أهل التوحيد العلمي، و من أهلها أهل الفترات، و من لم يصل إليهم دعوة رسول.

و الجنّة الثانية، جنّة ميراث، ينالها كلّ من دخل الجنّة ممّن ذكرنا و من المؤمنين، و هي الأماكن الّتي كانت من أهل النار (كانت معيّنة لأهل النّار) لو دخلوها.

و الجنة الثالثة، جنّة الأعمال و هي الّتي ينزل الناس فيها بأعمالهم، فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل، كان له من الجنّة أكثر، و سواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن، غير أنّه فضله في هذا المقام بهذه لحالة، فما من عمل إلاّ و له جنّة، و يقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم».

ثم قال:

---

(١٦٦) قوله: أشار الشيخ الأعظم في فتوحاته.

راجع الفتوحات المكيّة، الباب الخامس و الستون: «في معرفة الجنّة و منازلها و درجاتها»، ج ٥ ص ٦٣ و ص ٧٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۲۶

«اعلم، أنّ أهل الجنّة أربع أصناف: الرسل و هم الأنبياء، و الأولياء و هم أتباع الرسل على بصيرة و بيّنة من ربهم و المؤمنون و هم المصدّقون بهم عليهم السّلام، و العلماء بتوحيد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو من حيث الأدلّة العقليّة، قال اللّه تعالى:

شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلاٰئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ [آل عمران: ۱۸].

و هؤلاء هم الّذين أريده بالعلماء، و فيهم يقول اللّه تعالى:

يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [المجادلة: ۱۱].

و الطريق الموصلة إلى العلم باللّه طريقان لا ثالث لهما، و من وحّد اللّه بغير هذين الطريقين فهو مقلّد في توحيده:

الطريق الواحدة منهما طريق الكشف و هو علم ضروري يحصل عند الكشف، يجده الإنسان في نفسه لا يقبل معه شبهة و لا يقدر على دفعه، و لا يعرف لذلك دليلا يستند إليه سوى ما يجده في نفسه.

و الطريق طريق الفكر و الاستدلال بالبرهان العقلي، و هذا الطريق دون الطريق الأوّل، فإنّ صاحب النظر و الدليل قد يدخل عليه الشبهة القادحة في دليله، فيتكلّف الكشف عنها، و البحث على وجه الحقّ من الأمر المطلوب.

و ما ثمّ طريق ثالث، فهؤلاء هم أولوا العلم الّذين شهدوا بتوحيد اللّه، و لفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد اللّه دلالة و نظرا زيادة علم على التوحيد، بتوحيد في الذات بأدلّة قطعيّة لا يعطيها كلّ أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها، و هؤلاء الأربع الطوائف متميّزون في جنات عدن عند

مشاهدة الحقّ في الكثيب الأبيض، و هم فيه على أربع مقامات:

طائفة منهم أصحاب المنابر و هي الطبقة العليا: الرسل و الأنبياء.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۲۷

و الطائفة الثانية هم الأولياء ورثة الأنبياء قولا و عملا و حالا، و هم على بيّنة من ربّهم، و هم أصحاب الأسرة و العرش.

و الطبقة الثالثة العلماء باللّه من طريق النظر البرهاني العقلي، و هم أصحاب الكراسي.

و الطبقة الرابعة و هم المؤمنون المقلدون في توحيدهم، و لهم المراتب (و هم) في الحشر مقدّمون على أصحاب النظر العقلي».

و غير هؤلاء الأربع و اللّه أعلم بحالهم» هذا آخر كلامه.

(في أصناف أهل الإسلام و أهل الكفر)

فنقول: هذا التقسيم حسن لطيف لا مزيد عليه في الحسن، إلاّ في رسالتنا المذكورة، الموسومة برسالة المعاد، قد قسّمنا تقسيما غير هذا التقسيم و ذلك على سبيل الإجمال:

أنّ الناس بأجمعهم إمّا كفّار أو مسلمون، أمّا الكفّار فهم على ثلاثة أقسام: المشركون و الكفّار الأصليّة كعبدة الأصنام و الأوثان و أمثالهم، و إمّا أهل الكتاب القائلين باللّه تعالى و أسمائه و صفاته المنكرون للنبيّ و ما جاء به، كالمجوس و اليهود و النصارى، و إمّا أهل النحل و لهم شبهة كتاب كالزند للزرادشت و أمثاله و هؤلاء ينحصرون في العام و الخاص و خاص الخاص، فيكون مقامهم في الجحيم بحسب مراتبهم في الطبقات الجحيميّة،

فتلك ثلاثة، إما علو، أو سفل، أو ما بينهما، فكلّ واحدة من الطبقات يختصّ بطائفة منهم، و اللّه أعلم و أحكم.

و أمّا المسلمون فهم أيضا على ثلاثة أقسام الأنبياء و الرسل و الأوصياء المخصوصين بهم، الموسومون بالأولياء، من شيث إلى

المهدي عليهم السّلام كما سبق ذكرهم في الدائرة الموضوعة في المقدمات.

و إمّا أهل العلم باللّه كشفا و برهانا على حسب طبقاتهم كالمشايخ الصوفيّة، و العلماء العالمين بالشرائع الإلهيّة.

و إمّا أهل الإيمان و التقليد بالاعتقاد الجازم كسائر الناس منهم، و هؤلاء أيضا ينحصرون في العام و الخاصّ و خاصّ الخاص، فيكون مقامهم في الجنّة بحسب مراتبهم في المدارج و الغرف الجنانيّة، و تلك ثلاثة: إمّا علو، أو سفل، أو بينهما، فكلّ واحدة من المراتب و المدارج يختصّ بطائفة منهم، و اللّه أعلم و أحكم.

و هذا المكان لا يحتمل أكثر من هذا، و حسن هذا التقسيم و لطفه لا يخفى على أحد من أرباب العلم و أصحاب الذوق.

و الحمد للّه الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا اللّه و كلّ من أراد البسط في هذا فالرجوع إلى الرسالة المذكورة أولى.

هذا آخر القيامات الثلاث المعنويّات بالنسبة إلى أهل الطريقة على سبيل الاختصار، و باللّه التوفيق.

و أمّا بالنسبة إلى أهل الحقيقة

فالقيامة عندهم بعد القيام بالقيامات الثلاث عبارة عن فنائهم في التوحيد الفعلي و الوصفي و الذاتي، و بقائهم بالحقّ بحسب مراتبهم فيه، و تلك أيضا ترجع إلى القيامات الثلاث من الصغرى و الوسطى و الكبرى، مطابقا للتوحيدات الثلاث و الفناء فيها كما ستعرفه إن شاء اللّه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٢٩

أمّا القيامة الصغرى المعنويّة بالنسبة الى أهل الحقيقة (حياة الإنسان بالتوحيد الأفعالي)

فهي عبارة عن فنائهم في التوحيد الفعلي و وصولهم إلى مشاهدة فاعل واحد متصرّف في الكلّ. و بيان ذلك: و هو أنّ من انكشف له حجب الأفعال بانفتاح عين البصيرة، و ارتفع عنه تلك الحجب بالكلّيّة بحيث لا يشاهد الأفعال مطلقا إلاّ من فاعل واحد و متصرّف واحد، راعيا جانبي الجبر و التفويض، حافظا طرفي الإلجاء و الإختيار فقد خلص من درك رؤية الغير و رؤية أفعاله، و وصل إلى درجة مشاهدة الأفعال من فاعل واحد الّذي هو الحقّ تعالى جلّ ذكره، و ثبتت قدماه في مقام التوحيد الفعلي و قام بذلك في عرصة القيامة الصغرى بين يديه، كالميت بين يدي الغاسل، و علامة ذلك التوكّل و التسليم و التفويض و الإقرار بالفعل دون القول: بأن لا فاعل إلاّ اللّه، و قد سبق ذكر هذا في بحث أهل الطريقة لكن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٣٠

ليس هذا ذاك بعينه بل بينهما تفاوت، لأنّ الصلاة و إن كانت صورتها واحدة لكن ليس كلّ مصلّ في مرتبة واحدة، لأنّه فرق كثير بين الصّلاة الصادرة من العلم و اليقين و الحضور، و الصلاة الصادرة من الجهل و الشك و الغفلة، لقوله تعالى بالنسبة إلى الطائفة الأولى:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ إلى قوله: الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَوٰاتِهِمْ يُحٰافِظُونَ أُولٰئِكَ هُمُ الْوٰارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ [المؤمنون: ١- ١١].

و لقوله بالنسبة إلى الطائفة الثانية:

وَ مٰا كٰانَ صَلاٰتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّٰ مُكٰاءً وَ تَصْدِيَةً ... [الأنفال: ٣٥].

و بالجملة قد مرّ بحث توحيد الأفعال مرارا و سيجيء أكثر من ذلك، و له في كلّ مكان خصوصيّة و ليس ذلك من التكرار و العبث، بل من التأكيد و التحقيق و أداء حقّ كلّ مقام و مرتبة.

و المراد منه تحقيق القيامة الصغرى المعنويّة المخصوصة به، أي بتوحيد الأفعال.

(في بيان الجنات الثلاث: الأفعال و الصفات و الذات)

و حاصل هذه القيامة بعد الفناء بالصورة المذكورة: جنّة الأفعال و لذّاتها و نعيمها الّتي هي مشاهدة الفاعل الحقيقي في كلّ واحد واحد من أفعاله الروحانيّة و الجسمانيّة المتقدّم ذكرها غير مرّة، لأنّ الجنّة المعنويّة الحقيقيّة المخصوصة بهذه الطائفة أيضا ثلاثة: جنة الأفعال، و جنّة

الصفات، و جنّة الذّات، فجنّة، الأفعال بالنسبة إليهم أوّل الجنّات في الدرجات الجنانيّة، و قد ورد في اصطلاحهم تعريف هذه الجنّات مفصّلا، نذكرها بعبارتهم و نرجع إلى غيرها و هي هذه:

جنّة الأفعال هي الجنّة الصوريّة من جنس المطاعم اللذيذة و المشارب الهنيئة و المناكح البهيّة ثوابا للأعمال الصالحة و تسمى جنّة الأعمال و جنّة النفس، هذا من حيث الصورة.

(نسبة الحق سبحانه إلى العالم نسبة روح الإنسان إلى جسده)

و أمّا من حيث المعنى الّذي نحن في صدده، و هو أن يكون له مثل هذه المطاعم و الملذّات من مشاهدة الأفعال في مظاهره الفعلي صادرة من فاعل واحد محبوب بالذات، الّذي هو كالرّوح بالنّسبة إلى جسد هذا العالم، لأنّ مشاهدة الفاعل في التوحيد الفعلي بعينه مشاهدة حقيقة الإنسان بالنسبة إلى جسده، و تحريك أعضائه كلّها بها، و باتفاق الأنبياء و الأولياء و العارفين من أمّتهم نسبة الحقّ تعالى إلى العالم نسبة روح الإنسان إلى جسده و صورته، و يعضد ذلك قوله:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه» «(١٦٧)».

و قوله تعالى:

---

(١٦٧) قوله: من عرف نفسه.

راجع الجزء الأوّل ص ٢٤٣ التعليق ٣٠، و الجزء الثاني ص ٥٢٤ التعليق ٣٣٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۳۲

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصّلت: ٥٣].

و فيه قيل: «١٦٨»

و كل الذي شاهدته فعل واحد

بمفرده لكن بحجب الأكنة

إذا ما أزال السّتر لم تر غيره

و لم يبق بالأشكال إشكال ريبة

و قد سبقت هذه الأبيات مرّة أخرى و ليس ذكرها من التكرار بل من التذكار، هو المسك ما كررته يتفوح، و الحمد للّه وحده.

و جنّة الصفات هي الجنّة المعنويّة من تجلّيات الأسماء و الصفات الالهيّة و هي جنّة القلب، و قد مرّ ذكرها بأنّها حاصلة من تهذيب الأخلاق و اتّصاف القلب بالأخلاق الإلهيّة و الأوصاف الربانيّة.

و جنّة الذّات و هي مشاهدة الجمال الأحدي في المظاهر الكلّي إجمالا و تفصيلا، و هذه جنّة الروح و قد سبق أيضا ذكرها بأنّها حاصلة من التوحيد الذاتي و تكحيل عين الروح بكحل الوحدة الحقيقية بحيث لا يشاهد غير

المحبوب أصلا و أبدا، و سيجيء بيانها أيضا، و الغرض أنّ حاصل فناء العبد في التوحيد الفعلي، و القيامة الصغرى المعنويّة جنّة الأفعال على حسب طبقاتها و درجاتها صورة كان أو معنى و اللّه أعلم و أحكم.

---

(١٦٨) قوله: و كلّ الذي شاهدته. (شعر) الشاعر هو ابن الفارض، راجع ديوان ابن الفارض ص ١٠١ و «مشارق الدراري» شرح تائيّة ابن الفارض لسعيد الدين سعيد الفرغاني ص ٥٩٠.

ذكره السيد المؤلّف أيضا في «نصّ النصوص» ص ٣٦٨ و في الجزء الأوّل من «تفسير المحيط الأعظم» ص ٣٦٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٣٣

و أمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الحقيقة (حياة الإنسان بالتوحيد الصفاتي)

فهي عبارة عن فنائهم في التوحيد الصفاتي و وصولهم إلى مشاهدة صفة واحدة سارية في الكلّ، و بيان ذلك و هو أنّ من انكشف له حجب الصفات كلّها و ارتفع عنه حجب مشاهدة الغير مطلقا بحيث ما شاهد في الوجود كلّه إلاّ صفة واحدة حقيقيّة سارية في الكلّ سريان الحياة في البدن الإنسان، أو سريان صفة القدرة على الفعل في الإنسان و الحيوان، أعني مشاهدة صفة واحدة مضافة إلى ذات واحدة متصرّفة في الكلّ، و الكلّ متّصفة بها

كاتصاف كلّ عضو بصفة الحياة أو القدرة، فقد وصل إلى التوحيد الصفاتي و حضر في عرصة القيامة الوسطى المعنويّة، و خلص من ضيق رؤية أفعال الغير الّذي هو الموت حقيقة، و صدق عليه قوله تعالى:

فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ[ق: ٢٢].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٣٤

و فيه قيل:

العين واحدة و الشكل مختلف و ذاك سرّ لأهل العلم ينكشف

«١٦٩» و قيل: سئل أبا يزيد: كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال:

«لا صباح عندي و لا مساء، إنّما الصباح و المساء لمن يتقيّد بالصفة، و أنا لا صفة لي» «١٧٠».

و هذا دليل واضح على رسوخ قدمه في التوحيد الصفاتي بعد الفعلي كشفا و ذوقا، و هذا معنى قولهم:

«حجب الذات بالصفات، و الصفات بالأفعال».

(في حقيقة الإنسان و ماهيّة الإيمان)

لأنّ كلّ من لم يرتفع عنه حجب الأفعال لم يصل إلى التوحيد الفعلي، و كلّ من لم يرتفع عنه حجب الصفات لم يصل إلى التوحيد الوصفي، و كلّ من لم يرتفع عنه حجب الذات لم يصل إلى التوحيد الذاتي، و كلّ من لم يصل إلى هذه التوحيدات لم يحكم بإسلامه و إيمانه و لا بأنّه إنسان أو في حكم

الإنسان، لقوله تعالى:

(١٦٩) قوله: العين واحدة- (شعر) ذكره محي الدين ابن عربي في الفتوحات المكيّة ج ٣ ص ٤٣٠، الباب الأحد و السبعون و ثلاث مائة، بعد الجداول و الدوائر.

(١٧٠) قوله: سئل أبا يزيد.

ذكره محي الدين ابن عربي في «الفتوحات» راجع تابع الفصل الأوّل من الباب الثاني، الطبع الجديد لعثمان يحيى، ج ١ ص ٣٥٨ و الطبع القديم، ج ١ ص ٨٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٣٥

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ [الأنفال: ٢٢].

و لقوله:

أُولٰئِكَ كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ [الأعراف: ١٧٩].

و حاصل هذه المشاهدة في القيامة الصغرى جنّة الصفات المتقدّم ذكرها، و الوصول إلى لذّاتها و نعيمها التّي هي مشاهدة المتقدّم ذكرها، و الوصول إلى لذّاتها و نعيمها التّي هي مشاهدة صفة المحبوب في صورة كلّ واحد من المحبّين روحانيّة كانت أو جسمانيّة، كما أخبر عنه الواصل إلى هذا المقام بقوله:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة
فشاهدته في كلّ معنى و صورة

«١٧١» و كذلك الآخر في قوله:

و كلّ مليح حسنه من جماله معار له بل حسن كلّ مليحة

«١٧٢» رزقنا اللّه و إيّاكم الوصول إلى هذه المشاهدة في مدارج هذه الجنّة ذوقا و كشفا، لأنّه المستعان و عليه التكلان، و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

(١٧١) قوله: تجلّى لي المحبوب (شعر) راجع الجزء الثاني ص ٣٥٨ التعليق ١٥٩.

(١٧٢) قوله: و كلّ مليح (شعر) الشاعر هو أبن الفارض في قصيدته (التائيّة الكبرى) راجع ديوان ابن الفارض ص ٥٦، و «مشارق الدراي» ص ٢٦٢، و تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٣٦٤. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٣٦

و أمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الحقيقة

(حياة الإنسان بالتوحيد الذاتي)

فهي عبارة عن مشاهدة بقاء الذوات كلّها بذات الحقّ تعالى بعد فنائها فيه فناء عرفان لا فناء عيان، لقوله تعالى:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ و يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ و الْإِكْرامِ [الرحمن: ۲٦-۲۷].

و لقوله:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ و إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [القصص: ۸۸].

و بيان ذلك مفصّلا، و هو أنّ من انكشف له ذات الحقّ تعالى و وجوده من بين الحجب الجماليّة و الجلاليّة، و رفع عنه حجب رؤية الغير مطلقا، بحيث ما شاهد غيره أصلا و أبدا، بل شاهد ذاتا واحدة متجلّية في مظاهر الأسمائيّة الغير المتناهية المتقدّم ذكرها في قولهم:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۳۷

جمالك في كلّ الحقائق سائر و ليس له إلاّ جلالك ساتر

«۱۷۳» و في قولهم: «ليس في الوجود سوى اللّه و أسمائه و صفاته و أفعاله، فالكلّ هو و به و منه و إليه» «۱۷٤».

فقد وصل إلى التوحيد الذاتي، و حضر في عرصة القيامة الكبرى، و شاهد معنى قوله:

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ [غافر: ١٦].

لأنّه قهر بنظره التوحيدي كلّ الذوات بحكم: ليس في الوجود سوى اللّه تعالى، و بمصداق:

قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ [الأنعام: ٩١].

و بمقتضى إشارته:

و لا تجعل مع اللّه أحدا «١٧٥».

و هذا هو التوحيد المسمّى بالتوحيد الذاتي الّذي هو توحيد خاصّ الّذي لا توحيد فوقه كما قيل:

---

(١٧٣) قوله: المتقدّم ذكرها.

راجع الجزء الأوّل ص ٤٢٦ و الجزء الثاني ص ٣٦١.

(١٧٤) قوله: ليس في الوجود سوى اللّه.

راجع الجزء الأوّل ص ٢٤٢ التعليق ٢٩، و الجزء الثاني ص ٣٦٠.

(١٧٥) قوله: و لا تجعل مع اللّه.

سورة الإسراء، الآية ٢٢ هكذا:

وَ لاٰ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلٰهاً آخَرَ.

و في قوله تعالى المناسب للمقام:

فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً [الجن: ١٨].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۳۸

«ليس وراء عبّادان قرية».

و قوله تعالى:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد: ۳].

إشارة إلى هذه المشاهدة، لأنّه إذا ثبت أنّه ليس في الوجود غيره لا بدّ و أن يكون هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن من غير تصوّر مغايرة في ذاته و صفاته، لأنّه الأوّل في عين الآخر، و الآخر في عين الأوّل، و كذلك الظاهر و الباطن كما بيّناه مرارا لوجوه مختلفة، و كذلك:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلاٰ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقٰاءِ رَبِّهِمْ أَلاٰ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [فصّلت: ۵۳].

فإنّه أيضا إشارة إلى هذه المشاهدة، و قد سبق تفسيره و تأويله على ما ينبغي غير مرّة، و علامة هذه المشاهدة و إمارة هذا التوحيد، الثبات في مقام الاستقامة و التمكين المشار إليه في قوله:

فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ [هود: ۱۱۲].

لأنّ الاستقامة على التوحيد الحقيقي الموصوف بأحدّ من السيف، و أدقّ من الشعر، صعب في غاية الصعوبة، حتى قال عليه السّلام:

«شيّبتني سورة هود» «۱۷۶».

و معناه الحقيقي أي فاستقم على التوحيد الحقيقي المعبّر عنه بالصراط المستقيم الّذي هو عبارة عن النقطة الاعتداليّة بين طرفي الإفراط

(١٧٦) قوله: شيبتني سورة هود.

ذكرناه في الجزء الثاني ص ٤٦٢، التعليق ٢٤٩، فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٣٩

و التفريط من غير انحراف و ميل إلى طرفيهما المشار إليهما عند البعض بالتفرقة و الجمع، و عند البعض بالشرك الجليّ و الخفيّ، و عن هذا (هذه) الاستقامة أشار ليلة المعراج بقوله:

مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ وَ مٰا طَغىٰ [النجم: ١٧].

لأنّ من زاغ بصره عن نقطة التوحيد الجمعي الاعتدالي اللازم للعدالة الحقيقيّة فقد طغى عن الحدّ الحقيقي الّذي يجب الوقوف عليه، و قد ضلّ عن الطريق المستقيم و دخل في زمرة المشركين الضالين عن الحقّ و طريقه، جليّا كان الشرك أو خفيا، و «قاب قوسين أو أدنى»، إشارة إلى تلك النقطة و الإقامة عليها، و قوله تعالى:

وَ لاٰ تَجْهَرْ بِصَلاٰتِكَ وَ لاٰ تُخٰافِتْ بِهٰا وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً [الإسراء: ١١٠].

إشارة إلى هذا، و معناه و لا تلتفت في توجّهك إلينا، إلى يمينك و شمالك، المعبّرتان بالدنيا و الآخرة تارة، و بالجمع و التفرقة أخرى، و أبتغ بين ذلك سبيلا، أي و أسلك بين هذين السبيلين سبيل التوحيد الحقيقي الجمعي الّذي كان عليه آباؤك و أجدادك من الأنبياء و الرسل و الأولياء و الأوصياء خصوصا إبراهيم و أولاده عليهم السّلام، و قول بعض عبيدنا من العارفين:

«و إيّاكم و الجمع و التفرقة، فإن الأوّل يورث الزندقة و الإلحاد، و الثاني تعطيل الفاعل المطلق و عليكم بهما، فإن جامعهما موحّد حقيقي و هو المسمّى بجمع و جامع الجميع، و له المرتبة العليا و الغاية القصوى»، إشارة إلى هذه الاستقامة و الفرار من الإقامة على طرفيها، و النقل الدال على هذا كثير سيّما من القرآن و الأخبار، و الحرّ تكفيه الإشارة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۴۰

(في معنى التقوى و المتّقين)

و حاصل هذا القيام في هذه القيامة المعنوية جنّة الذات الّتي هي أعلى الجنّات المخصوصة بالموحّدين الّذين ارتقوا في طريق توحيده عن مشاهدة الغير مطلقا بمقتضى قوله:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر: ۵۵ و ۵۴].

لأنّ من شاهد غيره في الوجود فهو ليس بموحّد و لا متّقي، و لهذا قال:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ وَ لاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: ۱۰۲].

و حقّ تقاته ليس إلاّ الاتّقاء من مشاهدة الغير في طريق توحيده، و أكّده بقوله:

وَ لاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: ۱۰۲].

أي و لا تموتن الموت المعنوي الحقيقي الإرادي المعبّر عنه في هذا المقام

بالفناء إلّا و أنتم مسلمون بهذا الإسلام، أي بالتوحيد الذاتي دون الوصفي و الفعلي، و سلطان الأولياء و الوصيّين أمير المؤمنين علي عليه السّلام حيث كان عالما بهذا السرّ و مراتب الإسلام و التوحيد أشار إلى هذا المعنى مفصّلا في غاية الإيجاز و هو قوله:

«إني لأنسبنّ الإسلام نسبة لن ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، (و التسليم هو اليقين، و اليقين هو التصديق و التصديق هو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٤١

الإقرار)، و التسليم هو التصديق، و التصديق هو اليقين، و اليقين هو الإقرار، و الإقرار هو الأداء، و الأداء هو العمل الصالح» [نهج البلاغة: (صبحي) الحكمة ١٢٥ و الفيض ١٢٠].

و قد سبق هذا الكلام مع معناه غير مرّة، و المراد واحد، و قوله تعالى:

شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلاٰئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلاٰمُ [آل عمران: ١٨- ١٩].

وَ أَنَا عَلىٰ ذٰلِكُمْ مِنَ الشّٰاهِدِينَ [الأنبياء: ٥٦].

يقوم بجواب الكلّ، و يكفي في هذا شهادة اللّه و شهادة ملائكته و أولوا العلم من عباده، كما قال:

قُلْ كَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ [الرعد: ٤٣].

هذا آخر القيامات الثلاث المخصوصة بالحقيقة من حيث المعنى بعد الثلاث المخصوصة بأهل الطريقة.

(في بيان القيامات الصوريّة و المعنويّة)

و إذا تحقّق هذا فلا بدّ و أن نشرع في القيامات السّتّة الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق حتّى يصير المجموع اثنا عشر قيامة صوريّة و معنويّة، لكن من حيث إنّ التقسيم المذكور كان على غير هذا الوجه يجب الشروع في ذلك، لئلاّ يلزم التناقض في الكلام، و ذلك لأنّا قلنا: القيامات تنقسم إلى اثني عشر قيامة، ستّة في الآفاق بحيث يكون ثلاثة منها صوريّة، و ثلاثة معنويّة، و كذلك في الأنفس.

و الآن قد خرج التقسيم على السّتّة المعنويّة في الأنفس، و السّتّة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٣۴٢

الصوريّة في الآفاق، و هذا غير صحيح، فنقول هذا سهل، و الرجوع إلى التقسيم الأوّل في غاية السهولة يسقط هذا الكلام، و هو انّك إذا جعلت السّتّة المعنويّة المتقدّمة من قبيل الأنفس و عددتها بالثلاث، لأنّ الكلّ يرجع إلى شخص واحد في مراتب ثلاث، و أضفت إليها الثلاث الصوريّة المتعلّقة بالأنفس، و عيّنت للآفاق أيضا ثلاثة صوريّة، و ثلاثة معنويّة، خرج الحساب صحيحا و سقط الاعتراض صريحا.

فالثلاثة الأنفسيّة الصوريّة:

الصغرى منها عبارة عن خلاص الشخص من حجاب البدن و النشأة الدنياويّة بالموت الطبيعي دون الإرادي، لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله «من مات فقد قامت قيامته» «۱۷۷».

و الوسطى منها عبارة عن خروجه من الدنيا و مكثه في البرزخ المسمّى بالقبر لقوله تعالى:

وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: ۱۰۰].

و لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«القبر إما روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران» [۱۷۸].

---

(۱۷۷) قوله: من مات فقد قامت قيامته.

قد سبق منّا البحث عن مصادره في التعليق ۱٤۷ فراجع.

(۱۷۸) قوله: القبر إما روضة.

أخرجه الترمذي «في الجامع الصحيح» ج ٤ كتاب صفة القيامة باب ٢٦ ص ٦٣٩ الحديث ٢٤٦٠ بإسناده عن أبي سعيد، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و روى قريب منه المجلسي في البحار ج ٦ ص ٢١٨ الحديث ٣١ عن أمالي الطوسي

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۴۳

و الكبرى منها، عبارة عن يوم القيامة الكبرى المعبّر عنها بـ «الطامّة الكبرى» [النازعات: ٣٤]، و حضوره بأرض الساهرة لقوله تعالى:

وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً [الكهف: ٤٧].

ليصل إلى مقامه المعيّن له إمّا في الجنّة أو في النار، و اللّه أعلم و أحكم.

و إذا تحقّق هذا و خرج التقسيم صحيحا و بل التقسيمين، فلنشرع في الستة الآفاق أيضا، و نعيّن منها صوريّة و معنويّة و هو هذا:

عن أمير المؤمنين عليه السّلام فيما كتبه لمحمّد بن أبي بكر.

و أخرجه أيضا «كنز العمّال» ج ١٥ ص ٦٠٣ الحديث ٤٢٣٩٧.

و رواه أيضا الصدوق في «الخصال» باب الثلاثة ص ١١٩ الحديث ١٠٨.

و روى الكليني في الفروع من الكافي ج ٣ ص ٢٤٢ باب ما ينطق به موضع القبر الحديث ٢، بإسناده عن بشير الدهان، عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام قال:

«إنّ للقبر كلاما في كل يوم يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٤٤

أمّا القيامة الصغرى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن خراب عالم المحسوس و المركبات و رجوعه إلى البسايط العنصريّة الجسمانيّة، لقوله:

وَ إِذَا الْجِبٰالُ سُيِّرَتْ و َإِذَا الْعِشٰارُ عُطِّلَتْ و َإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ و َإِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ و َإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ [التكوير: ٣- ٧].

(في أنّ القيامة الصغرى الصوريّة هي ظهور المهديّ عليه السّلام)

و أمّا عند البعض فهي عبارة عن ظهور المهديّ عليه السّلام في آخر الزمان لفصل القضاء بين حاضري زمانه، لأنّه خليفة اللّه الأعظم و القطب الّذي يدور عليه العالم، و به يختم الولاية و يرتفع التكليف و الشرائع و الملل و الأديان، و يرجع العالم كلّه إلى ما كان عليه قبل الإيجاد، لمناسبة المبدأ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۴۵

و المعاد و نهاية الدائرة بما بدئ منها إليها، و الدليل عليه قوله تعالى:

يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً [النمل: ۸۳].

لأنّ المراد بهذا الحشر لو كان الحشر الكلّي ما قال فوجا من كلّ أمّة، بل قال كما قال فيه:

وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً [الكهف: ٤٧].

و قال:

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلىٰ مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الواقعة: ۵۰ و ٤۹].

و معلوم إنّه ما قال كذلك، فعرفنا أنّه الحشر الجزئي الصغرى، لا الكلّي الجامع الكبرى، و قد بسطنا الكلام في ذلك في رسالتنا الموسومة بـ«رسالة المعاد»، و كتابنا الموسوم بـ«جامع الأسرار و منبع الأنوار» و غير ذلك من تصانيفنا، و سيجيء البحث عنها أبسط من ذلك في موضعه إن شاء اللّه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۴۶

و أمّا القيامة الوسطى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق

و أمّا القيامة الوسطى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق فهي عبارة عن رجوع البسائط إلى الهيولى الكليّة الأوّلية القابلة لصور عالم الأجسام كلّها من الأفلاك و الأجرام و المواليد و غير ذلك لقوله تعالى:

يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا

إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ [الأنبياء: ١٠٤].

و لقوله مفصّلا:

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ إلى قوله: وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَ إِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ [التكوير: ١- ١٣].

و عند البعض فهي عبارة عن تبدّل العالم الصوري الحسّي بصورة العالم البرزخي المعادي دون المبدئي، و المكث التامّ فيه، و استيفاء الآلام و اللذّات

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٤٧

بقدر الاستحقاق، المسمّى بعذاب القبر و نعيم الآخرة لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران» «١» و لقوله تعالى:

وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ [السجدة: ٢١].

و قوله:

مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: ١٠٠].

لأنّ في هذا العالم يحشرون إلى أرض الساهرة و عرصة القيامة الكبرى، و الوجهان موجّهان و هو لا يخفى على الفطن المحقّق المنصف.

(١) المصدر السابق.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣۴٨

و أمّا القيامة الكبرى الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن رجوع صور العالم الروحانيّة من العقول و النفوس إلى الجوهر الأوّل الّذي خلق اللّه تعالى منه تلك الحقائق و الصور، لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«أوّل ما خلق اللّه تعالى جوهرة فنظر إليها فذابت من هيبته و صارت نصفها ماء و نصفها نارا، فخلق اللّه تعالى من الماء، الأرواح و من النّار الأجساد»، الحديث [١٧٩].

---

(١٧٩) قوله: أنّا ما خلق اللّه جوهرة.

روي المجلسي رحمهم اللّه في بحار الأنوار ج ١۵ ص ٢٧ عن البكري في كتابه «الأنوار» عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال في حديث طويل:

«ثمّ خلق من نور محمّد صلّى اللّه عليه و آله جوهرة، و قسّمها قسمين: فنظر إلى القسم الأوّل

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣۴٩

و أمّا بلسان الكشف و طريق أهل الذوق فهي عبارة عن المادة الّتي فتح اللّه

فيها صور العالم كلها، و يسمّونها: الهباء تارة، و العنصر الأعظم أخرى المشار إليها في المقدّمات، و الحكمة في ذلك صدق قوله:

كَمٰا بَدَأْنٰا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنٰا إِنّٰا كُنّٰا فٰاعِلِينَ [الأنبياء: ١٠٤].

ثمّ إيجاد الصور الأخرويّة من تلك الجوهرة و المادّة صورا غير منقطعة و لا قابلة للزوال و التغيير أبدا، لقوله تعالى:

خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً [النساء: ٥٧ و الآيات الأخرى].

و مثال ذلك، مثال قطعة من الشمع تظهر بصور مختلفة متنوّعة أمّا في نفسها كالنّواة و غيرها، و أمّا من غيرها كالحقّ تعالى أو الملائكة أو القوّة المصوّرة الطبيعيّة الكلّيّة، ثمّ إزالة تلك الصّور منها كلها، و رجوعها إلى ما كانت من القابليّة، ثمّ ظهورها بالصّور المناسبة بالعوالم الأخرويّة و المواطن الجنانيّة و الجحيميّة، و يعرف صدق هذا من حشر الإنسان بصورته و أعضائه الّتي كانت قبل الموت لقوله:

بَلىٰ قٰادِرِينَ عَلىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنٰانَهُ [القيامة: ٤].

و غير ذلك من الآيات.

بعين الهيبة فصار ماء عذبا، و نظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منها العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسيّ من نور العرش، و خلق من نور الكرسيّ اللوح، و خلق من نور اللوح القلم ... إلى ان قال: ثمّ نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت، فخلق من دخانها السماوات، و من زبدها الأرضين». الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۵۰

(في أنّ الموجود المطلق لا يصير معدوما و المعدوم المطلق لا يصير موجودا)

و قول أهل الشّرع بالأجزاء الأصليّة، و استحالة فناء شيء في الوجود مطلقا المتقدّم ذكره، و بيان الفناء بأنّه عبارة عن تبديل الصّور و تغيّرها إلى صورة أخرى لا غير، و البرهان العقلي قد قام على أنّ الموجود المطلق قطّ لا يصير معدوما، و أنّ المعدوم المطلق قطّ لا يصير موجودا، و الإعدام و الإيجاد يصدق على الممكنات لا غير باعتبار تغيّر الصّورة و تبديلها فقط، و رجوع كلّ الموجودات ضروريّ في الآخرة إلى صورة كانوا عليها بحسب العلوم و الأعمال و بقائهم عليها في الجنّة و النّار، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السّبيل.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۵۱

و أمّا القيامة الصّغرى المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق

(في تزويج النفوس)

فهي عبارة عن رجوع النّفوس الجزئيّة إلى النفس الكلّيّة من حيث التوجّه و العروج إليها لقوله تعالى:

يٰا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبٰادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي [الفجر: ۳۰].

و لقوله:
وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ [التكوير: ٧].
و تزويج النفوس هو اتّصال النفوس الجزئيّة بالنّفس الكلّيّة الّتي صدرت منها، كحوّاء من آدم عليهما السّلام، و قوله تعالى:
يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهٰا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٥٢

زَوْجَهٰا وَ بَثَّ مِنْهُمٰا رِجٰالاً كَثِيراً وَ نِسٰاءً [النساء: ١].
إشارة إلى هذا المعنى، لأنّ آدم و حوّاء معتبران بحسب الصّورة، و هما الّذين كانا أبونا و أمّنا، و معتبران بحسب المعنى و هما الذين كانا أبونا الحقيقي و أمّنا الحقيقيّة، و قد يعرف صدق هذا من اطلاق اسم الآباء على الأفلاك و العلويّات، و اسم الأمهات على العناصر و السفليّات، و هذه النفوس أوّلا عبارة عن نفوس فلكيّة، ثمّ ملكيّة، ثمّ جنية، ثمّ عنصريّة، ثمّ معدنيّة، ثمّ نباتيّة، ثمّ حيوانيّة، ثمّ إنسانية باعتبار، لأنّ باعتبار آخر نفوس الإنسان أوّل النّفوس و أشرفها.
و كلّ واحدة منها أيضا ينقسم أقساما يطول ذكرها، و مثالها مثال النفس الإنسانيّة فإنّها تنقسم: إلى الأمّارة، و اللوّامة، و الملهمة، و المطمئنّة و غير ذلك من الاعتبارات.
و أمّا أنّ نفوس العالم و أهله مكلّف، فذلك بحث آخر و له بسط ليس هذا موضعه، يكفي فيه قوله:
وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [الإسراء: ٤٤].

و المأمور بالتّسبيح لا يكون إلاّ مكلفا، فافهم.

فإنّ الكلام في الحجر و المدر لا في النفوس و الأرواح، و اللّه أعلم و أحكم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۵۳

و أمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن عود الأرواح الجزئيّة إلى الرّوح الأعظم الكلّي بحسب التوجّه و العروج معنى دون الصّورة، مع تعلّقه بالبدن تعلّق التدبير و التصرّف.

و الرّوح الأعظم هو الّذي ورد في الخبر:

أوّل ما خلق اللّه تعالى الرّوح «۱۸۰».

---

(۱۸۰) قوله: أوّل ما خلق اللّه الروح.

قال المجلسي رحمهم اللّه في بحار الأنوار ج ۵۷ ص ۳۰۹: في بعض الأخبار العاميّة، عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال:

«أوّل ما خلق اللّه روحي» و روى الصدوق رحمهم اللّه في «عيون أخبار الرضا عليه السّلام»، ج ۱ باب ۲٦، ما جاء عن الرضا عليه السّلام من الأخبار النادرة، ص ۲٦۲، الحديث ۲۲، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السّلام، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال (في حديث طويل): قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أوّل ما خلق اللّه عزّ و جلّ أرواحنا» الحديث.

أنظر الجزء الأوّل ص ٣١٥، التعليق ٧٥ و ٧٤ و ٧٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٥٤

و قوله:

فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر: ٢٩].

إشارة إلى ذلك الروح، و هو مضاف إليه بحسب التمليك لقوله أيضا:

«عبدي»، و «داري»، و «أرضي»، و «سمائي».

و من هذه الإضافات لا يلزم تصوّر الانفعال و لا الاتّصال، جلّ جنابه عن أمثال ذلك، و قد ورد أيضا:

«خلق اللّه تعالى الأرواح قبل الأجساد بكذا عام» «١٨١».

و على الخصوص:

«خلق اللّه تعالى روحي و روح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي ألفي عام» «١٨٢».

و ورد:

«الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها أختلف» «١٨٣».

(١٨١) قوله: خلق اللّه تعالى الأرواح.

قد أشرنا إليه في الجزء الأوّل ص ٣١٦ التعليق ٧٤.

(١٨٢) قوله: خلق اللّه روحي و روح عليّ عليه السّلام.

راجع الجزء الأوّل ص ٥١٠ التعليق ١٥٩ و ١٦٧.

(١٨٣) قوله: الأرواح جنود أخرجه مسلم في صحيحه، ج ٤، كتاب البرّ و الصلة باب ٤٩ الحديث ١٦٠ و ١٥٩، ص ٢٠٣١ بإسناده عن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

و رواه أيضا المجلسي في البحار ج ٢ ص ٢٦٥ الحديث ١٨ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام.

و أيضا ج ٦١ ص ١٣٥ الحديث ٩، رواه عن كتاب محمّد بن المثنّى الحضرميّ، بإسناده عن جابر بن يزيد، عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام.

رواجع الجزء الأوّل ص ٣١٥ التعليق ٧٣، و ص ٣١٧ التعليق ٧٥. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٣٥٥

و بحث الأرواح أيضا مطوّل و فيه أبحاث فقد سبق الحقيقة في المقدّمة الأولى و الثانية فارجع إليها.

(في أنّ العالم كشخص واحد و هو مكلّف)

و حيث إنّ مجموع العالم كشخص واحد لقولهم: العالم إنسان كبير، و جميع الموجودات بالنسبة إليه كجوارح الإنسان و قواه إليه، لقولهم:

الإنسان عالم صغير، و هو أيضا مكلّف و جميع أعضاءه و قواه مكلف، و إليه الإشارة بقوله:

مٰا خَلْقُكُمْ وَ لاٰ بَعْثُكُمْ إِلاّٰ كَنَفْسٍ وٰاحِدَةٍ [لقمان: ٢٨].

و قوله:

لَخَلْقُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّٰاسِ [غافر: ٥٧].

و قوله للسموات و الأرض:

اِئْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [فصّلت: ١٧].

لو لا هناك تكليف قطّ ما كانوا مستحقّين للأمر و النهي و الخطاب و العتاب، و يقوم بجواب الكلّ قوله:

وَ مٰا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ مٰا فَرَّطْنٰا فِي الْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام: ٣٨].

و اللّه أعلم و أحكم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٥٦

و أمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن عود العقول كلّها من حيث العروج إلى العقل الأوّل المشار إليه في قوله عليه السّلام:

«أوّل ما خلق اللّه العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، فقال: و عزّتي و جلالي ما خلقت خلقا أكرم عليّ منك، بك أعطي و بك آخذ، و بك أثيب و بك أعاقب»، الحديث «١٨٤».

و هذا العود و العروج جعلنا عرفانيّا لا عيانا، لأنّ ذلك يكون في القيامة الصوريّة الآفاقيّة لا المعنويّة، و بالجملة لا بدّ من الرجوع قهقرا صورة كان أو معنى، و المراد هاهنا بالمعنى، و معلوم أنّ العقول متعدّدة و مع

(١٨٤) قوله: أوّل ما خلق اللّه العقل.

رواه الصدوق في «الفقيه» ج ٤، باب نوادر الحديث ١ و الحديث طويل و فيه (ص ٢٦٧):

«يا علي إنّ أوّل خلق خلقه اللّه عزّ و جلّ العقل» الحديث.

و قد أشرنا إليه أيضا تفصيلا في الجزء الأوّل ص ٣١٧ التعليق ٧٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۵۷

أنّها متعدّدة متفاوتة.

أمّا التعدّد فالعلماء من الفلاسفة أكثرهم ذهبوا إلى: أنّ اللّه تعالى واحد من جميع الوجوه و صدر من هذا الواحد واحد آخر و هو العقل الأوّل، و صدر من هذا العقل عقل آخر و نفس أخرى، و فلك مركّب من الصورة و الهيولى، و كذلك إلى آخر الأفلاك، أعني أثبتوا لكلّ فلك عقل و نفس و صورة و هيولى، و كذلك الملائكة فإنّهم أيضا أرباب العقول، و كذلك الجنّ و النّاس على رأي بعضهم.

و الأعلى رأي المحققين، فكلّ موجود له تعقّل بقدره، إن شئت سمّه بالإلهام، أو بالفراسة، أو بالفطرة، أو بالوحي، أو بالعلم، أو بأيّ شيء أردت، فإنّه عبارة عن تعقّل ذلك الشيء الأشياء، و من هذا جعلوا أيضا أقسام العقل أربعة: عقل هيولاني، و عقل بالملكة، و عقل بالفعل، و عقل مستفاد، و له بالعربيّة أسماء: لبّ، حجى، و حجر، و النهى و أمثال ذلك.

(في تطابق الآفاق و الأنفس)

و بيان ذلك هو أنّ المطابقة شرط بين الآفاق و الأنفس، و كلّ هذا قد سبق في معنى الأنفس صورة و معنى، فيجب أن يثبت أيضا للآفاق صورة و معنى، و بناء على هذا، فكلّ ما يتصوّر في حقّ الإنسان الصغير في هذا الباب ينبغي أن يتصوّر في حقّ الإنسان الكبير بعينه.

و كلّ نظرنا في هذا الكتاب من حيث التأويل، و في هذه القيامات الثلاث من حيث التطبيق على هذا لا غير، فكما أنّه يصدق عليه الموت، و الحياة، و البعث، و النشور، صورة و معنى، فكذلك يصدق على الإنسان الكبير الموت، و الحياة، و البعث، و النشور.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۵۸

أمّا الموت فهو عبارة عن خرابه، و أمّا الحياة فهي عبارة عن عمارته في الآخرة بعد خرابه كما عرفته، و أمّا البعث و النشور فحساب كلّ واحد من أجزائه و أركانه يوم القيامة على قدره، لقوله عليه السّلام:

«كلّكم راع و كلّكم مسؤول عن رعيّته» «۱۸۵».

و على هذا التقدير كما أنّ الموت الصوري أو المعنوي موجب لسعادة الإنسان الصغير دنيا و آخرة لقوله:

وَجِيهاً فِي الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَةِ [آل عمران: ٤٥].

و لقوله:

«فعند اللّه ثواب الدنيا و الآخرة» [النساء: ١٣٤].

فكذلك للإنسان الكبير، فإنّ موته و خرابه يكون سببا لسعادته و عمارته و خلوده على صورته الّتي تحصل في تلك العوالم و يبقى عليها دائما، لأنّ

هذا الموت خروج من دار الفناء إلى دار البقاء، و من دار الظلمة و الكدورة إلى دار النور و الضياء، و من هذا قال:

إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هٰذٰا فَلْيَعْمَلِ الْعٰامِلُونَ

---

(۱۸۵) قوله، كلّكم راع.

حديث معروف، أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ۲ ص ۵، بإسناده عن أبن عمران بن عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«كلكم راع و كلّكم مسؤول، فالأمير الّذي على الناس، راع و هو مسؤول عن رعيّته، و الرجل راع على أهل بيته و هو مسؤول، و المرأة راعية على بيت زوجها و هي مسؤولة، و العبد راع على مال سيّده و هو مسؤول، ألا فكلّكم راع و كلّكم مسؤول».

و ذكره أيضا المجلسي في البحار ج ۷۵ ص ۳۸.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۳۵۹

[الصافات: ۶۰- ۶۱].

و من هذا قال العالم الربّاني عليه السّلام: إذا ضرب له ابن ملجم:

«فزت و ربّ الكعبة» «۱۸۶».

و من هذا قال:

«و اللّه لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه» [نهج البلاغة: الخطبة ۵].

و من هذا خاطب الحقّ تعالى عبيده بقوله:

فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ [البقرة: ٩٤].

لأنّه عالم بان الموت موجب لسعادتهم و سبب لوصولهم إلى كمالهم، و إن أردت اعتبرت القيامات الثلاث المعنوية للآفاق برجوع عالم الأفعال الّتي هي عالم الربوبيّة إلى عالم الأسماء و الصفات الّتي هي عالم الألوهيّة، و رجوع عالم الألوهيّة إلى عالم الذّات و الحضرة الأحديّة، فإنّه مطابق للأمر موافق للتّرتيب المذكور، و لا يخرج شيئا من المقصود المطلوب أصلا و رأسا، و (كما قيل):

عباراتنا شتى و حسنك واحد و كلّ إلى ذاك الجمال يشير

و في هذا المقام بحث كثير و سرّ لطيف قد أشرنا إلى أكثرها في

---

(١٨٦) قوله: فزت و ربّ الكعبة.

رواه ابن شهراشوب في «المناقب»، فصل في مقتله عليه السّلام، عن محمّد بن عبد اللّه الأزدي، ج ٣ ص ٣١٢، قال: قال محمّد بن عبد اللّه الأزدي: أقبل أمير المؤمنين ينادي: الصلاة الصلاة، فإذا هو مضروب، و سمعت قائلا يقول: الحكم للّه يا علي لا لك و لا لأصحابك، و سمعت عليّا يقول:

«فزت و ربّ الكعبة»، ثمّ يقول: «لا يفوتنّكم الرّجل».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۶۰

رسالتنا الموسومة «برسالة المعاد في رجوع العباد»، كما تقرّر ذكرها في الفهرس.

و قليل قد اتّفق لأحد من المتقدّمين و المتأخرين مثل هذا الترتيب في الأصول الخمسة، و كذلك في الفروع الخمسة كما ستعرفها بعد هذه الأبحاث، لأنّ عند أكثرهم القيامات بحسب الصورة و المعنى لا تتعدّى عن ثلاث: من الصغرى و الوسطى و الكبرى، و ما وقع نظرهم على هذا، أي أنّ للآفاق قيامة صوريّة و معنويّة، و للأنفس كذلك، و أنّ هذا كلّه يصير أثني عشر قيامة صوريّة و معنويّة.

و الحمد للّه الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا اللّه ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

و حيث فرغنا من هذا بقدر هذا المقام، و اجتهدنا في توضيحه و تحقيقه و اختصاره و إيجازه، و نظرنا فيه و في غيره، على إفادة الغير و إيصال المعنى إلى الأذهان المستعدّة.

فنريد أن نضيف إلى هذا البحث أبحاث أخر في باب المعاد من كلام الشيخ الأعظم محي الدين الأعرابي قدّس اللّه سرّه، منقول عن الفتوحات المكيّة، و قد فعلنا ذلك في بحث المبدأ، و نقلنا منه بقدر ذلك المقام أبوابا و فصولا متعدّدة على سبيل الانتخاب، و إن شاء اللّه نفعل مثل هذا في هذا المقام بقدره، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

هذا ما انتخبنا من الفتوحات المكيّة في بحث المعاد و الجنّة و النّار على سبيل النقل و الاستشهاد في أبواب و فصول متعدّدة، و أوّله من المجلد الأوّل [ج ١ ص ٣١٤ إلى ٣٠٧]:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٦١

[ما انتخبنا من الفتوحات المكيّة في بحث المعاد و الجنّة و النّار]

«الباب الرابع و الستّون»

في معرفة القيامة و منازلها و كيفيّة البعث و النشور

(وجه تسمية يوم البعث بيوم القيامة)

اعلم أنّه إنّما سمّي هذا اليوم يوم القيامة، لقيام النّاس فيه من قبورهم لربّ العالمين في النشأة الآخرة، و لقيامهم أيضا، إذا جاء الحقّ للفصل و القضاء و «الملك صفا صفا»، قال اللّه تعالى:

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ [المطففين: ٦].

أي من أجل ربّ العالمين حين يأتي، و جاء بالاسم الربّ، إذ كان الربّ، المالك، فله صفة القهر، و له صفة الرّحمة، و لم يأت بالاسم، الّرحمان، لأنه لا بدّ من الغضب في ذلك اليوم كما سنرد في هذا الباب، و لا بدّ من الحساب، و الإتيان بجهنم، و الموازين، و هذه كلّها ليست من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٦٢

صفات الرحمة المطلقة الّتي يطلبها الإسم الرّحمان، غير أنّه سبحانه أتى باسم إلهيّ تكون الرحمة فيه أغلب، و هو الإسم الربّ، فإنّه من الإصلاح و

التربية، فيتقوّى ما في المالك و السيّد من فضل الرحمة على ما فيه من صفة القهر، فتسبق رحمته غضبه، و يكثر التجاوز عن سيّئات أكثر الناس.

(في مظاهر القيامة و الحوادث الّتي توجد فيها)

فأوّل ما أبيّن و أقول، ما قال اللّه في ذلك اليوم: من امتداد الأرض، و قبض السماء و سقوطها على الأرض، مجيء الملائكة، و مجيء الربّ في ذلك اليوم.

و أين يكون الخلق حين تمدّ الأرض، و تبدّل صورتها و تجيء جهنم، و ما يكون من شأنها؟

ثمّ أسوق حديث مواقف القيامة في خمسين ألف سنة، و حديث الشفاعة.

اعلم يا أخي! أنّ الناس إذا قاموا من قبورهم على ما سنورده إن شاء اللّه و أراد اللّه أن «يبدّل الأرض غير الأرض»، و تمدّ الأرض بإذن اللّه، و يكون الجسر دون الظلمة، فيكون الخلق عليه عند ما يبدّل اللّه الأرض كيف يشاء، إمّا بالصورة و إمّا بأرض أخرى ما نيم عليها يسمّى الساهرة، فيّمدها سبحانه مدّ الأديم، يقول اللّه تعالى:

وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ [الإنشقاق: ٣].

و يزيد في سعتها ما شاء أضعاف ما كانت: من إحدى و عشرين جزءا إلى تسعة و تسعين جزءا حتى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۶۳

لاٰ تَرىٰ فِيهٰا عِوَجاً وَ لاٰ أَمْتاً [طه: ١٠٧].

ثمّ إنّه سبحانه يقبض السماء إليه فيطويها بيمينه.

كطيِّ السِّجِلِّ لِلكُتُبِ [الأنبياء: ١٠٤].
ثمّ يرميها على الأرض الّذي مدّها هاوية، و هو قوله:
وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ [الحاقة: ١٦].
و يردّ الخلق إلى الأرض الّتي مدّها فيقفون منتظرين ما يصنع اللّه بهم، فإذا وهت السّماء، نزلت ملائكتها «على أرجائها»، فيردون (فيرى) أهل الأرض خلقا عظيما، أضعاف ما هم عليه عددا، فيتخيّلون أنّ اللّه نزل فيهم لما يرون من عظيم (عظم) المملكة، ممّا لم يشاهدوه من قبل فيقولون:
أ فيكم ربّنا؟ فيقول الملائكة: سبحان ربّنا ليس فينا، و هو آت، فتصطفّ الملائكة صفا مستديرا على نواحي الأرض محيطين بالعالم الإنس و الجنّ، و هؤلاء عمّار السّماء الدنيا.
ثمّ نزل أهل السماء الثانية بعد ما يقبضها اللّه أيضا و يرمي بكوكبها في النّار، و هو المسمّى كا تبا، و هم أكثر عددا من السّماء الأولى، فيقول الخلائق: أ فيكم ربّنا؟ فتفزع الملائكة من قولهم، فيقولون: سبحان ربّنا ليس هو فينا و هو آت، فيفعلون فعل الأوّلين من الملائكة يصطفّون خلفهم صفّا ثانيا مستديرا.
ثمّ ينزل أهل السماء الثالثة و يرمي بكوكبها المسمّى زهرة في النّار، و يقبضها اللّه بيمينه، فيقول الخلائق:
أ فيكم ربّنا؟ فيقول الملائكة: سبحان ربّنا ليس هو فينا و هو آت.
فلا يزال الأمر هكذا، سماء بعد سماء، حتّى ينزل أهل السّماء

السابعة، فيرون خلقا أكثر من جميع من نزل، فتقول الخلائق: أ فيكم ربّنا؟ فتقول الملائكة: سبحان ربّنا قد جاء ربّنا، «و إن كان وعد ربّنا لمفعولا»، فيأتي في ظلل من الغمام و الملائكة، و على الجنبة (المجنّبة) اليسرى جهنّم، و يكون إتيانه إتيان الملك، فإنّه يقول: «ملك يوم الدّين»، و هو ذلك اليوم فسمّى بالملك، و تصطف الملائكة سبعة صفوف محيطة بالخلائق، فإذا أبصر النّاس جهنّم، لها فوران و تغيّظ على الجبابرة المتكبّرين، فيفرّون الخلق بأجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا و فزعا و هو الفزع الأكبر، إلاّ الطائفة التي:

لاٰ يَحزُنهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَ تَتَلَقّاهُمُ المَلاٰئِكَةُ هٰذٰا يَومُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ [الأنبياء: ۱۰۳].

فهم الآمنون مع النبيّين على أنفسهم، غير أنّ النبيّين تفزع على أممها للشفقة الّتي جبلهم اللّه عليها للخلق فيقولون في ذلك اليوم: سلّم سلّم.

(في بيان نصب المنابر في القيامة و نداءات الحق سبحانه)

و كان اللّه قد أمر أن تنصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة، بحسب منازلهم في الموقف، فيجلسون عليها آمنين مبشّرين، و ذلك قبل مجيء الربّ تعالى، فإذا فرّ الناس خوفا من جهنّم و فرقا لعظيم ما يرون من الهول في ذلك اليوم يجدون الملائكة صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحقّ سبحانه و تعالى إلى المحشر و تناديهم أنبياؤهم: ارجعوا ارجعوا، فينادي بعضهم بعضا قول اللّه تعالى فيما يقول

رسول الله صلى الله عليه و آله:

إِنِّي أَخاٰفُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنٰادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ماٰ لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاٰصِمٍ [غافر: ۳۲- ۳۳].

و الرسل تقول: «اللّهم سلّم سلّم، و يخافون أشد الخوف على أممهم، و الأمم يخافون على أنفسهم، و المطهّرون المحفوظون الّذين ما تدنست بواطنهم بالشّبه المضلّة، و لا ظواهرهم أيضا بالمخالفات الشرعيّة آمنون «يغبطهم النبيّون» في الّذي هم عليه من الأمن لما هم النبيّون عليه من الخوف على أممهم.

فينادي مناد من قبل اللّه يسمعه أهل الموقف لا يدرون فلا أدرى (أو لا أدري) هل ذلك (هو) نداء الحقّ سبحانه بنفسه، أو نداء عن أمره سبحانه؟، يقول في ذلك النداء: يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، فإنّه قال لنا:

يٰا أَيُّهَا الْإِنْسٰانُ ماٰ غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ [الإنفطار: ٦].

تعليما له و تنبيها ليقول: كرمك.

و لقد سمعت شيخنا الشنختة يقول يوما و هو يبكي: يا قوم لا تفعلوا بكرمه، أخرجنا و لم نكن شيئا، و علّمنا ما لم نكن نعلم، و امتنّ علينا ابتداء بالإيمان به و بكتبه و رسله و نحن لا نعقل، أ فتراه يعذّبنا بعد أن عقلنا و آمنّا، حاشى كرمه سبحانه من ذلك، فأبكاني بكاء فرح و بكى الحاضرون.

ثمّ نرجع و نقول فيقول الحقّ في ذلك النداء: أين الّذين كانت:

تَتَجاٰفىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاٰجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمّاٰ رَزَقْناٰهُمْ

يُنفِقُونَ [السجدة: ١٦]؟

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣۶۶

فيؤتى بهم (إلى) الجنّة، ثمّ يسمعون من قبل الحق نداء ثانيا، لا أدرى هل ذلك نداء الحقّ بنفسه أو نداء عن أمر الحقّ؟: أين الّذين كانوا:

لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجاٰرَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقاٰمِ الصَّلاٰةِ وَ إِيتاٰءِ الزَّكاٰةِ يَخاٰفُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصاٰرُ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ ماٰ عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ [النور: ٣٧- ٣٨].

و تلك الزيادة كما قلنا من جنّات الإختصاص، فيؤمر بهم إلى الجنّة.

ثمّ يسمعون نداء ثالثا، لا أدرى هل هو نداء الحقّ بنفسه، أو نداء عن أمر الحقّ؟: يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الّذين:

صَدَقُوا ماٰ عاٰهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ لِيَجْزِيَ اللهُ الصّاٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ [الأحزاب: ٢٣- ٢٤].

فيؤمر بهم إلى الجنّة.

فبعد هذا النداء يخرج عنق من النار «١٨٧»، فإذا أشرف على الخلائق، له عينان و لسان فصيح يقول: يا أهل الموقف! إنّي وكّلت منكم بثلاث- كما كان النداء الأوّل ثلاث مرّات لثلاث طوائف من أهل السعادة-، و هذا كلّه قبل الحساب، و النّاس وقوف قد ألجمهم العرق، و اشتدّ الخوف،

(١٨٧) قوله: يخرج عنق.

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٣٣٦ بإسناده عن أبي هريرة عن رسول اللّه صلّى الله عليه و آله قال:

«يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصر بهما، و آذان (أذنان) يسمع بهما و لسان ينطق به، فيقول: إني وكّلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، و بكل من ادّعى مع اللّه إلها آخر، و المصوّرين».

و أخرجه أيضا الترمذي في سننه ج ٤ كتاب صفة جهنم باب ١ الحديث ٢٥٧٤- ٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٦٧

و تصدّعت القلوب لهول المطّلع، فيقول ذلك العنق المستشرف من النار عليهم: إنّي وكّلت بكلّ جبّار عنيد فليلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطير (الطائر) حبّ السّمسم، فإذا لم يترك أحدا منهم في الموقف نادى نداء ثانيا: يا أهل الموقف: إنّي وكّلت بمن آذى اللّه و رسوله، فيلقطهم كما يلقط الطير (الطائر) حبّ السّمسم من بين الخلائق، فإذا لم يترك منهم أحدا نادى ثالثة: يا أهل الموقف إنّي وكّلت بمن ذهب يخلق لخلق اللّه فيلقط أهل التصاوير و هم الّذين يصوّرون الكنائس لتعبد تلك الصور، و الّذين يصوّرون الأصنام و هو قوله تعالى:

أَ تَعْبُدُونَ مٰا تَنْحِتُونَ؟ [الصافات: ٩٥].

فكانوا ينحتون لهم الأخشاب و الأحجار ليعبدوها من دون اللّه، فهؤلاء هم المصوّرون فيلقطهم هذا العنق المستشرف من بين الصفوف كما يلقط الطير حب السّمسم، فإذا أخذهم اللّه عن آخرهم بقي الناس و فيهم المصوّرون،

الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصد هؤلاء من عباداتها (عبادتها) حتّى يسألوا عنها لينفخوا فيها أرواحا تحيى بها و ليسوا بنافخين كما ورد في الخبر في المصوّرين فيقفون ما شاء اللّه ينتظرون ما يفعل اللّه بهم و العرق قد ألجمهم [۱۸۸].

---

(۱۸۸) قوله: كما ورد في الخبر المصوّرين.

في المقام روايات كثيرة وردت عن طريقين، نشير الى بعضها هنا:

أخرج البخاري ج ۷ كتاب اللباس باب ۵۰۸ الحديث ۸۳۶، ص ۳۰۷، بإسناده عن عبد اللّه بن عمر، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۶۸

(في بيان مواقف و سرادقات و جسور المحشر و القيامة)

فحدثنا شيخنا القصّار بمكّة، سنة تسع و تسعين و خمس مائة تجاه «الركن اليماني» من الكعبة المعظّمة و هو يونس بن يحيى بن الحسين بن

«إنّ الذين يضعون هذه الصور يعذّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم».

و أيضا فيه الحديث ۸۴۱ و ۸۴۵، بإسناده عن عائشة، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إنّ أصحاب هذه الصّور يعذّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، و إنّ الملائكة لا

تدخل بيتا فيه الصورة».

و أخرجه أيضا مسلم في «الصحيح» ج ٣ كتاب اللباس ص ١٦٦٩ الحديث ٩٦ و ٩٧ و فيه أيضا الحديث ٨٤٧، بإسناده عن ابن عباس، عن رسول اللّه عليه السّلام قال:

«من صوّر صورة في الدنيا، كلّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح و ليس بنافخ».

و روي البرقي في «المحاسن» كتاب المرافق، باب تزويق البيوت و التصاوير، الحديث ٤٣، ص ٦١٦، بإسناده عن سعد بن طريف عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال:

«إنّ الذين يؤذون اللّه و رسوله»، هم المصوّرون يكلّفون يوم القيامة أن ينفخوا فيها الروح».

و روي فيه الحديث ٤٤، بإسناده عن الحسين بن منذر، عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام قال:

«ثلاث معذّبون يوم القيامة ... و رجل صوّر تماثيل، يكلّف أن ينفخ فيها و ليس بنافخ».

و رواه قريب منه أيضا في «الخصال» باب الثلاثة الحديث ٧٧ و ٧٦ ص ١٠٨. بسندين آخرين، عن الصادق عليه السّلام و الآخر عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و رواه أيضا بسند آخر في ثواب الأعمال و عقاب الأعمال» ص ٢٦٦ الحديث ١.

و رواه أيضا في حديث المناهي بسندين عن أمير المؤمنين عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في «الفقيه» ج ٤ ص ٣، باب ذكر جمل من مناهي النبي صلّى اللّه عليه و آله الحديث ١، و في «الأمالي ٩ المجلس ٦٦ ص ٣٤٤، الحديث ١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٦٩

أبي البركات الهاشمي العبّاسي من لفظه و أنا أسمع قال: حدثنا أبو الفضل

محمّد بن عمر بن يوسف الأرموي، قال: حدّثنا أبو بكر محمّد بن موسى جعفر «محمّد بن علي بن محمّد بن موسى بن جعفر» المعروف بابن الخياط المغربي (المقرّئ)، قال قرأ عليّ (قرئ على) أبي سهل محمود بن عمر بن إسحاق العكبري، و أنا أسمع قيل له: حدّثكم، رضي اللّه عنكم، أبو بكر محمّد بن الحسن النّقاس؟ فقال: نعم، حدّثنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطبري البزوري، قال حدّثنا محمّد بن حميد الرازي أبو عبد اللّه، قال: حدّثنا سلمة بن صالح، قال: أخبرنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل، عن غياث بن المسيّب، عن عبد الرحمان بن غنم و زيد بن وهب، عن عبد اللّه بن مسعود، قال: كنت جالسا عند علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، و عنده عبد اللّه بن عبّاس رضي اللّه عنه، و حوله عدّة من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقال علي عليه السّلام: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إنّ في القيامة لخمسين موقفا، كلّ موقف منها ألف سنة، فأوّل موقف إذا خرج النّاس من قبورهم يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة، عراة، حفاة، جياعا، عطاشا، فمن خرج من قبره مؤمنا بربّه، مؤمنا بنبيّه، مؤمنا بجنّته و ناره، مؤمنا بالبعث و القيامة، مؤمنا بالقضاء و القدر خيره و شرّه، مصدّقا بما جاء به (محمّد) صلّى اللّه عليه و آله من عند ربّه، نجى و فاز و غنم و سعد، و من شك في شيء من هذا بقي في جوعه و عطشه و غمّه و كربه ألف سنة حتّى يقضي اللّه فيه بما يشاء».

ثمّ يساقون من ذلك المقام إلى المحشر، فيقفون على أرجلهم ألف عام في

سرادقات النيران في حرّ الشمس، و النّار عن أيمانهم، و النار عن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٧٠

شمائلهم، و النار من بين أيديهم، و النار من خلفهم، و الشمس من فوق رؤوسهم، و لا ظلّ إلاّ ظلّ العرش، فمن لقى اللّه تبارك و تعالى، شاهدا له بالإخلاص، مقرّا بنبيّه صلّى اللّه عليه و آله بريئا من الشرك و من السحر، و بريئا من إهراق دماء المسلمين، ناصحا للّه و لرسوله، محبّا لمن أطاع اللّه و رسوله، مبغضا لمن عصى اللّه، استظلّ تحت ظلّ عرش الرحمن، و نجى من غمّه، و من حادّ عن ذلك، و وقع في شي‏ء من هذه الذنوب بكلمة واحدة، أو تغيّر قلبه، أو شكّ في شي‏ء من دينه بقي ألف سنة في الحرّ و الهمّ و العذاب حتّى يقضي اللّه فيه بما يشاء.

ثمّ يساق الخلق إلى النور و الظلمة فيقيمون في تلك الظلمة ألف عام، فمن لقي اللّه تبارك و تعالى و لم يشرك به شيئا، و لم يدخل في قلبه شي‏ء من النفاق، و لم يشك في شي‏ء من أمر دينه، و أعطى الحق من نفسه، و قال الحقّ و أنصف الناس من نفسه و أطاع اللّه في السرّ و العلانية، و رضي بقضاء اللّه و قنع بما أعطاه خرج من الظلمة إلى النور في مقدار طرفة العين مبيضا وجهه قد نجى من الغموم كلّها و من خالف في شي‏ء منها بقي في الغم و الهمّ ألف سنة، ثمّ خرج منها مسودّا وجهه و هو في مشيئة اللّه يفعل به ما يشاء.

ثمّ يساق الخلق إلى سرادقات الحساب و هي عشر سرادقات يقفون في كلّ سرادق منها ألف سنة، فيسأل ابن آدم عند أول سرادق منها عن المحارم، فإن

لم يكن وقع في شيء منها جاز إلى السّرادق الثّاني فيسأل عن الأهواء، فإن كان نجى منها جاز إلى السرادق الثالث فيسأل عن عقوق الوالدين، فإن لم يكن عاقا جاز إلى السّرادق الرّابع فيسأل عن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۷۱

حقوق من فوّض اللّه إليه أمورهم، و عن تعليمهم القرآن، و عن أمر دينهم و تأديبهم، فإن كان قد فعل جاز إلى السّرادق الخامس فيسأل عمّا ملكت يمينه فإن كان محسنا إليهم جاز إلى السّرادق السّادس فيسأل عن حقّ قرابته، فإن كان قد أدّى حقوقهم جاز إلى السّرادق السّابع، فيسأل عن صلة الرحمن فإن كان وصولا لرحمه جاز إلى السّرادق الثامن فيسأل عن الحسد، و إن كان لم يكن حاسدا جاز إلى السرادق التاسع فيسأل عن المكر، فإن لم يكن مكر بأحد جاز إلى السّرادق العاشر فيسأل عن الخديعة، فإن لم يكن خدع أحدا، نجى و نزل في ظلّ عرش اللّه تعالى فائزة مقرّة عينه فرحا قلبه ضاحكا فوه، و إن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال بقي في كلّ موقف منها ألف عام جائعا، عطشانا، حزنا، مغموما، مهموما لا ينفعه شفاعة شافع.

ثمّ يحشرون إلى أخذ كتبهم بأيمانهم و شمائلهم فيحبسون عند ذلك في خمسة عشر موقفا كلّ موقف منها ألف سنة فيسألون في أوّل موقف منها عن الصدقات و ما فرض اللّه عليهم في أموالهم، فمن أدّاها كاملة جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن قول الحقّ، و العفو عن النّاس، فمن عفى، عفى اللّه عنه و جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الأمر بالمعروف، فإن كان آمرا

بالمعروف جاز إلى الموقف الرّابع فيسأل عن النهي عن المنكر، فإن كان ناهيا عن المنكر جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن حسن الخلق، فان كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السّادس فيسأل عن الحبّ في اللّه و البغض في اللّه، فإن كان محبّا في اللّه، مبغضا في اللّه جاز إلى الموقف السابع، فيسأل عن مال الحرام فإن لم يكن أخذ شيئا جاز إلى

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۷۲

الموقف الثامن، فيسأل عن شرب الخمر فإن لم يكن شرب من الخمر شيئا جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن الفروج الحرام، فإن لم يكن أتاها جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن قول الزور، فإن لم يكن قالها جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأيمان الكاذبة، فإن لم يكن حلفها جاز الى الموقف الثاني عشر فيسأل عن أكل الرباء فإن لم يكن أكله جاز الى الموقف الثالث عشر فيسأل عن قذف المحصنات فإن لم يكن قذف المحصنات أو افترى على أحد جاز إلى الموقف الرابع عشر فيسأل عن شهادة الزور، فإن لم يكن شهدها جاز إلى الموقف الخامس عشر فيسأل عن البهتان فإن لم يكن بهت مسلما مرّ فنزل تحت لواء الحمد و أعطى كتابه بيمينه و نجى من غمّ الكتاب و هو له، و حوسب حسابا يسيرا، و إن كان قدم في شيء من هذه الذنوب ثمّ خرج من الدنيا غير تائب من ذلك بقي في كلّ موقف من هذه الخمسة عشر موقفا ألف سنة في الغمّ و الهول و الهمّ و الحزن و الجوع و العطش حتّى يقضي اللّه عزّ و جلّ (فيه) بما يشاء.

ثمّ يقام النّاس في قراءة كتبهم ألف عام فمن كان سخيّا قد قدّم ماله ليوم

فقره و فاقته و حاجته، قرأ كتابه و هوّن عليه قراءته، و كسي من ثياب الجنّة، و توّج من تيجان الجنّة، و أقعد تحت ظلّ عرش الرحمن، آمنا مطمئنّا، و إن كان بخيلا لم يقدم ماله ليوم فقره وفاقته أعطى كتابه بشماله، و يقطّع له من مقطّعات النيران، و يقام على رؤوس الخلائق ألف عام في الجوع و العطش و العرى و الهمّ و الغمّ و الحزن و الفضيحة حتّى يقضي اللّه عزّ و جلّ فيه بما يشاء.

ثمّ يحشر النّاس إلى الميزان فيقومون عند الميزان ألف عام فمن رجح

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۷۳

ميزانه بحسناته فاز و نجى في طرفة عين، و من خفّ ميزانه من حسناته و ثقلت سيّئاته حبس عند الميزان ألف عام في الغمّ و الهمّ و الحزن و العذاب و الجوع و العطش حتّى يقضي اللّه فيه بما يشاء.

ثمّ يدعى بالخلق إلى الموقف بين يدي اللّه في اثني عشر موقفا كلّ موقف منها مقدار ألف سنة (عام) فيسأل في أوّل موقف عن عتق الرقاب فإن كان أعتق اللّه تعالى رقبته من النّار، و جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن القرآن و حفظه و قراءته، فإن جاء بذلك تامّا جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الجهاد، فان كان جاهد في سبيل اللّه محتسبا جاز إلى الموقف الرابع فيسأل عن الغيبة، فإن لم يكن اغتاب جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن النميمة، فإن لم يكن نمّاما جاز إلى الموقف السادس فيسأل عن الكذب فإن لم يكن كذّابا جاز إلى الموقف السابع فيسأل عن طلب العلم، فإن كان طلب العلم و عمل به جاز إلى الموقف الثامن فيسأل عن العجب، فان لم يكن معجبا

بنفسه في دينه و دنياه أو في شيء من جملته (عمله) جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن التكبّر، فإن لم يكن تكبّر على أحد جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن القنوط من رحمة اللّه، فإن لم يكن قنط من رحمة اللّه جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأمن من مكر اللّه، فإن لم يكن أمن من مكر اللّه جاز الى الموقف الثاني عشر فيسأل عن حقّ جاره فإن كان أدّى حقّ جاره أقيم بين يدي اللّه تعالى قريرا عينه، فرحا قلبه مبيضّا وجهه ضاحكا مستبشرا فيرحب به ربّه و يبشّره برضاه عنه فيفرح عند ذلك فرحا لا يعلمه أحد إلاّ اللّه، فإن لم يأت بواحدة منهنّ تامّة و مات غير تائب حبس عند كلّ موقف ألف عام

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۷۴

حتّى يقضي اللّه عزّ و جلّ فيه بما يشاء.

ثمّ يؤمر بالخلائق إلى الصراط فينتهون إلى الصراط، و قد ضربت عليه الجسور على جهنّم أدقّ من الشعر و أحدّ من السيف، و قد غابت الجسور في جهنم مقدار أربعين ألف عام، و لهيب جهنّم بجانبها يلتهب و عليها حسك و كلاليب و خطاطيف و هي سبعة جسور، يحشر العباد كلّهم عليها و على كلّ جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام: ألف عام صعود، و ألف عام استواء، و ألف عام هبوط، و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ:

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصٰادِ [الفجر: ١٤].

يعني على تلك الجسور و ملائكة يرصدون الخلق عليها ليسأل العبد عن الإيمان باللّه، فإن جاء به مؤمنا مخلصا لا شك فيه و لا زيغ جاز إلى الجسر

الثاني فيسأل عن الصّلوة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الثالث فيسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الرّابع فيسأل عن الصيام، فإن جاء به تامّة جاز إلى الجسر الخامس فيسأل عن حجّة الإسلام، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر السادس فيسأل عن الطهر، فإن جاء به تامّا جاز إلى الجسر السابع فيسأل عن المظالم، فإن كان لم يظلم أحدا جاز إلى الجنّة و إن كان قصر في واحدة منهن حبس على كلّ جسر منها ألف سنة حتّى يقضي اللّه عزّ و جلّ فيه بما يشاء». و ذكر الحديث إلى آخره.

و سيأتي بقيّة الحديث إن شاء اللّه في باب الجنّة، فإنّه يختصّ بالجنّة و لم يذكر (نذكر) النشأة الأخرى التّي يحشر فيها الإنسان، في باب البرزخ لأنّها نشأة محسوسة غير خياليّة، و القيامة أمر محقّق موجود حسّي مثل ما هو الإنسان في الدنيا فلذلك أخّرنا ذكرها إلى هذا الباب.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٧٥

«وصل»

(في بيان الحشر و كيفيّة الإعادة في يوم النشر)

اعلم أنّ النّاس اختلفوا في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام، و لم نتعرّض لمذهب من يحمل الإعادة و النشأة و الآخرة على أمور عقليّة غير محسوسة فإن ذلك على خلاف ما هو الأمر عليه لأنّه حمل (جهل).

أنّ ثمّ نشأتين: نشأة الأجسام، و نشأة الأرواح، و هي النشأة المعنوية فأثبتوا المعنويّة و لم يثبتوا المحسوسة و نحن نقول بما قاله هذا المخالف من

إثبات النشأة الروحانيّة و المعنويّة لا بما خالف فيه و إن عين موت الإنسان هو قيامته لكن القيامة الصغرى، فإنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله يقول:

«من مات فقد قامت قيامته» «۱۸۹».

و إن الحشر جمع النفوس الجزئيّة إلى النفس الكلّيّة هذا كلّه، أقول به

---

(۱۸۹) قوله: من مات فقد قامت قيامته.

راجع التعليق ۱٤٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۷۶

كما يقول المخالف، و إلى هنا ينتهي حديثه في القيامة.

و يختلف في ذلك بعينه من يقول بالتناسخ، و من لا يقوم (يقول) به و كلّهم عقلاء أصحاب نظر و يحتجون في ذلك كلّه بظواهر آيات من الكتاب، و أخبار من السنّة، إن أوردناها و تكلّمنا عليها طال الباب في الخوض معهم في تحقيق ما قالوه.

و ما منهم من نحل نحلة في ذلك إلاّ و له وجه حقّ صحيح، و أن القائل به فهم بعض مراد الشارع و بعضه (نقصه) علم ما فهمه غيره من اثبات الحشر المحسوس في الأجسام المحسوسة، و الميزان المحسوس، و الصراط المحسوس، و النار و الجنّة المحسوستين، كان (كلّ) ذلك حقّ و أعظم في القدرة.

(بقاء الأجسام في علم الطبيعة)

و في الطبيعة بقاء الأجسام الطبيعة في الدارين إلى غير مدّة متناهية، بل مستمرة الوجود، و إن النّاس ما عرفوا من أمر الطبيعة إلاّ قدر ما أطلعهم الحقّ عليه من ذلك ممّا ظهر لهم في مدد حركات الأفلاك و الكواكب السبعة و لهذا جعلوا العمر الطبيعي مائة و عشرين سنة الّذي اقتضاه هذا الحكم، فإذا أراد (زاد) الإنسان على هذه المدّة وقع في العمر المجهول و إن كان من الطبيعة و لم يخرج عنها، و لكن ليس في قوّة علمه أن يقطع عليه بوقت مخصوص، فكما أراد (زاد) على العمر الطبيعي سنة و أكثر جاز أن يريد (يزيد) على ذلك آلافا من السنين و جاز أن يمتدّ عمره دائما.

و لو لا أنّ الشرع عرّف بانقضاء مدّة هذه الدار و أنّ كلّ نفس ذائقة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۷۷

الموت و عرّف بالإعادة، و عرّف بالدار الآخرة، و عرّف بأنّ الإقامة فيها في النشأة الآخرة إلى غير نهاية، ما عرفنا ذلك، و ما خرجنا في كلّ حال: من موت، و إقامة، و بعث أخراويّ، و نشأة أخر (اخرى) و جنان و نعيم، و نار و عذاب، بأكل محسوس و شرب محسوس، و نكاح محسوس، و لباس على المجري الطبيعي، فعلم اللّه أوسع و أتمّ، و الجمع بين العقل و الحسّ، و المعقول و المحسوس، أعظم في القدرة و أتمّ في الكمال الإلهي ليستمرّ له سبحانه في كلّ صنف من الممكنات حكم عالم الغيب و الشهادة، و يثبت حكم الإسم الظاهر و الباطن في كلّ صنف.

(عدم إدراك العقل ما جاء به الوحي أحيانا)

فإن فهمت فقد وفّقت، و تعلم أنّ العلم الّذي اطلع عليه النبيون و المؤمنون من قبل الحق أعمّ تعلّقا من علم المنفردين بما تقتضيه العقول مجرّدة عن الفيض الإلهي، فالأولى بكلّ ناصح نفسه، الرجوع إلى ما قالته الأنبياء و الرسل على الوجهين: المعقول و المحسوس، إذ لا دليل للعقل يحيل ما جاءت به الشرائع على تأويل مثبتي المحسوس من ذلك و المعقول، فالإمكان يأبى (باق) حكمه، و المرجّح موجود فبما ذا يحيل؟

و ما أحسن قول القائل:

زعم المنجّم و الطبيب كلاهما لا تبعث الأجسام قلت إليكما

إن صحّ قولكما فلست بخاسر أو صحّ قولي فالخسار عليكما

فقوله: فالخسار عليكما، يريد حيث لم يؤمنوا بظاهر ما جاءتهم به الرسل عليهم السّلام، و قوله: فلست بخاسر، فإنّي مؤمن أيضا بالأمور المعنويّة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۳۷۸

المعقولة مثلكم و زدنا عليكم بأمر آخر لم تؤمنوا أنتم به، و لم يرد القائل به

انه يشكّ بقوله: إن صحّ، و إنّما ذلك على مذهبك أيّها المخاطب، و هذا يستعمل مثله كثيرا فتدبّر كلامي هذا و الزم الإيمان نفسك تربح و تسعد إن شاء اللّه تعالى.

(في بيان الأقوال في كيفيّة الإعادة)

و بعد أن تقرّر هذا، فاعلم أن الخلاف الّذي وقع بين المؤمنين القائلين في ذلك بالحسّ و المحسوس، إنّما هو راجع إلى كيفيّة الإعادة، فمنهم من ذهب إلى أن الإعادة تكون في النّاس مثل ما بداهم: بنكاح، و تناسل، و ابتداء خلق من طين و نفخ، كما جرى من خلق آدم و حوّاء و سائر البنين من نكاح و اجتماع إلى آخر مولود في العالم البشرى الإنساني، و كلّ ذلك في زمان صغير و مدّة قصيرة على حسب ما يقدره الحقّ تعالى، هكذا زعم الشيخ ابو القاسم قسىّ في خلع النعلين له في قوله تعالى:

كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [الأعراف: ٢٩].

فلا أدري هل هو مذهبه؟ أو هل هو قصد شرح المتكلّم به و هو خلف اللّه الّذي جاء بذلك الكلام و كان من الأمّيّين.

و منهم من قال بالخبر المرويّ: [١٩٠].

---

(١٩٠) قوله: قال بالخبر المرويّ في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السّلام ص ٢٨٢ في تفسير الآية: **كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّهُ الْمَوْتىٰ [البقرة: ٧٣]، قال:**

ان (السّماء) تمطر مطرا شبه المني، تمخض به الأرض فتنشأ منه النشأة

الآخرة.

و أمّا قوله تعالى عندنا:

كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [الأعراف: ٢٩].

هو قوله:

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولىٰ فَلَوْ لاٰ تَذَكَّرُونَ [الواقعة: ٦٢].

و قوله:

كَمٰا بَدَأْنٰا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنٰا [الأنبياء: ١٠٤].

و قد علمنا أنّ النشأة الأولى أوجدها اللّه تعالى على غير مثال سبق، فكذا النشأة الآخرة يوجدها اللّه تعالى على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شكّ، و قد ذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من صفة نشأة أهل الجنة و النار، ما يخالف ما هي عليه هذه النشأة الدنيا فعلمنا أنّ ذلك راجع إلى عدم مثال سابق ينشئها (ينشئوها) عليها و هو أعظم في القدرة، و أمّا قوله:

وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ٢٧].

«في الدنيا و الآخرة كما أحيى الميّت بملاقاة ميّت آخر، أمّا في الدنيا فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحي اللّه الّذي كان في الأصلاب و الأرحام حيّا.

و أمّا في الآخرة فإنّ اللّه تعالى ينزل بين نفختي الصور- بعد ما ينفخ الأولى من دوين السماء الدنيا- من البحر المسجور الّذي قال اللّه تعالى: **وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ [الطور: ٦]، و هي منيّ كمنيّ الرجال، فيمطر ذلك على الأرض فيلقى الماء**

المنيّ مع الأموات البالية فينبتون من الأرض و يحيون».

و عنه البحار ج ٦ ص ٣٢٩ الحديث ١٣.

و راجع مسند ابن حنبل ج ٢ ص ٢٦٢ و ج ٣ ص ٢٨٦، و ص ٣٦٨، و ج ٤ ص ١٨٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٨٠

(علمه تعالى علم تفصيلي في عين الإجمالي)

فلا يقدح فيما قلنا، فإنّه لو كانت النشأة الأولى عن اختراع، فكر و تدبّر و نظر إلى أن خلق أمرا، فكانت إعادته إلى أن يخلق خلقا آخر ممّا يقارب ذلك و يزيد عليه، أقرب للاختراع و الاستحضار في حقّ من يستفيد الأمور بفكره، و اللّه منزّه عن ذلك و متعال عنه علوّا كبيرا، فهو الّذي يفيد العالم و لا يستفيد، و لا يتجدّد له علم بشيء، بل هو عالم بتفصيل ما لا يتناهي بعلم كلّيّ، فعلم التفصيل في عين الإجمال، و هكذا ينبغي لجلاله أن يكون.

فينشئ اللّه النشأة الآخرة على عجب الذّنب الّذي يبقى من هذه النشأة الدّنيا، و هو أصلها فعليه تركّب النشأة الآخرة.

فأمّا أبو حامد فرأى أن العجب المذكور في الخبر [١٩١]، أنّه النّفس

---

(١٩١) قوله: العجب المذكور في الخبر.

أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة عمّ يتساءلون، باب ٥٤٣، ج ٦ ص ٥٥٣ الحديث ١٣٦٠ بإسناده عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوما، قال: أبيت قال أربعون شهرا قال: أبيت، قال: أربعون سنة، قال أبيت.

قال: ثمّ ينزل اللّه من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلاّ يبلى عظما واحدا و هو عجب الذنب، و منه يركّب الخلق يوم القيامة».

و أخرج قريب منه في المصدر ص ٤٩٨ الحديث ١٢٤٠ سورة الزمر باب ٤٦٣.

و أخرجه أيضا ابن ماجة في سننه ج ٢ كتاب الزهد باب ٣٢، ذكر القبر و البلى، الحديث

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٨١

و عليها تنشأ النشأة الآخرة، و قال غيره مثل أبي زيد الرّقراقي: هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة الدنيا لا يتغيّر، عليه تنشأ النشأة الأخرى (و كلّ) ذلك محتمل، و لا يقدح في شيء من الأصول، بل كلّها توجيهات معقولة، يحتمل كلّ توجيه منها أن يكون مقصودا، و الّذي وقع لي به الكشف الّذي لا أشكّ فيه: أنّ المراد بعجب الذّنب هو ما تقوم عليه النشأة و هو لا يبلى أي لا يقبل البلى.

فإذا أنشأ اللّه النشأة الآخرة و سوّاها و عدّلها، و إن كانت هي الجواهر بأعيانها، فإنّ الذوات الخارجة إلى الوجود من العدم، لا تنعدم أعيانها بعد وجودها، و لكن تختلف فيها الصور بالامتزاجات، و الامتزاجات الّتي تعطي هذه الصور أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم.

فإذا تهيأة هذه الصور كانت كالحشيش المحرق، و هو الاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالناريّة الّتي فيه لقبول الاشتعال و الصّور

٤٢٦٦، ص ١٤٢٥.

و أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٢٨ بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«يأكل كل التراب كلّ شيء من الإنسان إلاّ عجب ذنبه، قيل: و مثل ما هو، يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: مثل حبة خردل منه تنبتون».

و أخرج قريب منه أيضا في المصدر ج ٢ ص ٣٢٢، فراجع.

و في تفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السّلام، سورة البقرة الآية ٧٣ ص ٢٧٨، «قصّة ذبح بقرة بني إسرائيل»، قال:

ثمّ ذبحوها، و أخذوا قطعة و هي عجب الذنب، الّذي منه خلق أبن آدم، و عليه يركّب إذ أعيد خلقا جديدا فضربوه بها». فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٣٨٢

البرزخيّة كالسّرج مشتعلة بالأرواح الّتي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة، فتمرّ تلك النفخة على تلك الصور البرزخيّة فتطفئها، و تمرّ النفخة الّتي تليها و هي الأخرى إلى الصورة المستعدة للاشتعال و هي النشأة الأخرى فتشتعل بأرواحها، فَإِذٰا هُمْ قِيٰامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر: ٦٨].

فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة بما ينطقها اللّه به فمن ناطق بالحمد للّه، و من ناطق يقول:

مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا؟ [يس: ٥٢].

و من ناطق يقول:

سبحان من أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور.

و كلّ ناطق ينطق بحسب علمه و ما كان عليه و نسي حاله في البرزخ و يتخيّل أن ذلك الّذي كان فيه منام كما تخيّله المستيقظ، و قد كان حين مات و انتقل إلى البرزخ، كان كالمستيقظ هناك و أن الحياة الدنيا كانت له كالمنام.

(أمر الدنيا منام في منام و أمر البرزخ منام و الآخرة هي اليقظة)

و في الآخرة يعتقد في الدنيا و البرزخ أنّه منام في منام، و أنّ اليقظة الصحيحة هي الّتي هو عليها في الدار الآخرة، و هو في ذلك الحال يقول:

إنّ الإنسان في الدنيا كان في منام ثمّ انتقل بالموت إلى البرزخ و كان في ذلك بمنزلة من يرى في المنام أنّه استيقظ من النوم، ثمّ بعد ذلك في النشأة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٨٣

الآخرة هي اليقظة الّتي لا نوم فيها و لا نوم بعدها لأهل السّعادة، لكن لأهل النار و فيها راحتهم كما قدمنا (قلنا)، و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

النّاس نيام فإذا ماتوا انتبهوا «١٩٢».

فالدّنيا بالنّسبة إلى البرزخ نوم و منام، فإنّ البرزخ أقرب إلى الأمر الحقّ فهو أولى باليقظة، و البرزخ بالنظر إلى النشأة الأخرى يوم القيامة منام، فاعلم ذلك.

(شفاعة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في الحشر)

فإذا قام الناس، و مدّت الأرض، و انشقت السّماء، و انكدرت النجوم، و

كوّرت الشمس، و خسف القمر، و حشر الوحوش، و سجّرت البحار، و زوّجت النفوس بأبدانها، و نزلت الملائكة على أرجائها يعني أرجاء السموات، و يأتي ربّنا في ظلل من الغمام و نادى المنادى: يا أهل السعادة، فأخذ منهم الثلاث الطوائف الّذين ذكرناهم، و خرج العنق من النار فقبض الثلاث الطوائف الّذين ذكرناهم، و ماج الناس و اشتدّ البحر، و ألجم الناس العرق، و عظم الخطب، و جلّ الأمر، و كان البهت، فلا تسمع إلاّ همسا،

---

(۱۹۲) قوله: الناس نيام.

ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» ج ٤ ص ٣٥ باب كيفيّة توزع الدرجات ص ٣٥ نقلا عن الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله.

كما نقله المجلسي في البحار ج ٥٠ ص ١٣٤ عنه صلّى اللّه عليه و آله أيضا. و ذكره أيضا ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ٧٣ الحديث ٤٨ نقلا عن أمير المؤمنين علي عليه السّلام، كما أنّ المجلسي أيضا نقله عنه عليه السّلام في البحار ج ٧٣ ص ٣٩.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۸۴

و جيء بجهنّم و طال الوقوف بالناس، و لم يعلموا ما يريد الحقّ بهم، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله [۱۹۳]:

---

(۱۹۳) قوله: فقال رسول اللّه عليه السّلام.

أخرج البخاري في «الصحيح» ج ۹ ص ۷۸۸، كتاب التوحيد باب (۱۲۱۳) قول اللّه تعالى:

لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ الحديث ۲۲۱۲، بإسناده عن أنس، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«يجمع اللّه المؤمنين يوم القيامة كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا حتّى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون: يا آدم! أما ترى الناس خلقك اللّه بيده، و أسجد لك ملائكته، و علّمك أسماء كلّ شيء، شفّع لنا إلى ربّنا حتّى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك و يذكر لهم خطيئته الّتي أصاب، و لكن ائتوا نوحا، فإنّه أوّل رسول بعثه اللّه إلى أهل الأرض، فيأتون نوحا فيقول: لست هناكم، و يذكر خطيئته الّتي أصاب، و لكن ائتوا إبراهيم الخليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم، و يذكر لهم خطايا، الّتي أصابها، و لكن ائتوا موسى عبدا أتاه اللّه التوراة و كلّمه تكليما، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم و يذكر لهم خطيئته الّتي أصاب، و لكن ائتوا عيسى عبد اللّه و رسوله و كلمته و روحه، فيأتون عيسى، فيقول: لست هناكم و لكن ائتوا محمّدا صلّى اللّه عليه و آله عبدا غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، فيأتوني فأنطلق فأستأذن على ربّي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربّي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء اللّه أن يدعني، ثمّ يقال لي: ارفع محمّد و قل يسمع و سل تعطه و أشفع تشفّع، فأحمد ربّي بمحامد علّمنيها، ثمّ أشفع فيحدّ لي حدا فأدخلهم الجنّة، ثمّ أرجع فإذا رأيت ربّي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء اللّه أن يدعني، ثمّ يقال: ارفع محمّد و قل يسمع و سل تعطه و اشفع تشفّع، فأحمد ربّي بمحامد علّمنيها ربّي، ثمّ أشفع فيحدّ لي حدّا فأدخلهم الجنّة، ثمّ أرجع فإذا رأيت ربّي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء اللّه أن يدعني، ثمّ يقال:

ارفع محمّد قل يسمع و سل تعطه و اشفع تشفّع، فأحمد ربّي بمحامد علّمنيها،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۸۵

«فيقول النّاس بعضهم لبعض: تعالوا ننطق إلى أبينا آدم، فنسأله أن يسأل اللّه لنا أن يريحنا ممّا نحن فيه، فقد طال وقوفنا، فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك فيقول آدم: إنّ اللّه غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، و لن يغضب بعده مثله، و ذكر خطيئته فيستحي من ربّه أن يسأله، فيأتون إلى نوح بمثل ذلك، فيقول لهم مثل ما قال آدم و يذكر دعوته على قومه، و قوله: و لا يلدوا إلاّ فاجرا كفّارا، لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاءا، ثمّ يأتون إلى إبراهيم عليه السّلام بمثل ذلك فيقولون له مثل مقالتهم لمن تقدّم، فيقول كما قال من تقدّم و يذكر كذباته الثلاثة، ثمّ يأتون إلى موسى و عيسى، و يقولون لكلّ واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم فيجيبونهم مثل جواب آدم، فيأتون إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و هو سيّد النّاس يوم القيامة، فيقولون له مثل ما قالوا للأنبياء فيقول محمّد صلّى اللّه عليه و آله: أنالها، و هو المقام المحمود الّذي وعده اللّه به يوم القيامة فيأتي و يسجد و يحمد اللّه بمحامد يلهمها اللّه تعالى إيّاها في ذلك الوقت، لم يكن يعلمها قبل ذلك، ثمّ يشفع إلى

ثمّ اشفع فيحدّ لي حدا فأدخلهم الجنّة، ثمّ أرجع فأقول: يا ربّ ما بقي في النار إلاّ من

حبسه القرآن و وجب عليه الخلود، قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله يخرج من النار من قال: لا إله إلاّ اللّه، و كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثمّ يخرج من النار من قال: لا إله اللّه و كان في قلبه من الخير ما يزن برّة، ثمّ يخرج من النار من قال: لا إله إلاّ اللّه و كان في قلبه ما يزن من الخير ذرّة».

و أخرج قريب منه أيضا في المصدر نفسه، باب ۱۲۳۱. الحديث ۲۳۰۹ ص ۸۲۱، و أيضا الحديث ۲۲۳۹ ص ۷۹۸، و في آخره:

ثمّ تلا هذه الآية: **عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقٰاماً مَحْمُوداً [الإسراء: ۷۹]، قال: و هذا المقام المحمود الّذي وعده نبيّكم صلّى اللّه عليه و آله.** [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۸۶

ربّه أن يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح اللّه ذلك الباب، فيأذن في الشفاعة للملائكة و الرسل و الأنبياء و المؤمنين فبهذا يكون سيّد النّاس يوم القيامة، و أنّه شفع عند اللّه أن تشفع الملائكة و الرسل».

و مع هذا تأدب صلّى اللّه عليه و آله و قال: أنا سيّد الناس، و لم يقل: سيّد الخلائق، فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع، و ذلك أنّه صلّى اللّه عليه و آله جمع له بين مقامات الأنبياء عليهم السّلام كلّهم و لم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السّلام من اختصاصه بعلم الأسماء كلّها، فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة و النّاس، من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة و إظهار ماله من الجاه عند اللّه إذ كان القهر الإلهي، و الجبروت الأعظم قد أخرس الجميع، و

كان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السّلام في يوم اشتدّت الحاجة فيه مع ما ذكر من الغضب الإلهي الّذي تجلّى فيه الحقّ في ذلك اليوم و لم تظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قصّة آدم فدلّ بالمجموع على عظيم قدره صلّى اللّه عليه و آله حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبيّة الإلهيّة على مناجاة الحقّ فيما سئل فيه، فأجابه الحقّ سبحانه فعلّقت الموازين و نشرت الصحف و نصب الصراط و بدئ بالشفاعة، فأوّل ما شفعت الملائكة ثمّ النبيّون ثمّ المؤمنون، و بقي أرحم الراحمين [١٩٤]، و هنا تفصيل عظيم

---

(١٩٤) قوله: و بقي أرحم الراحمين.

أخرج البخاري في الصحيح ج ٩ ص ٧٩٨، باب ١٢١٨ قوله اللّه تعالى:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ، الحديث ٢٢٣٩، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في حديث طويل في بيان نجاة من كان يعبد اللّه من برّ أو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٣٨٧

يطول الكلام فيه، فإنّه مقام عظيم.

غير أنّ الحقّ يتجلّى في ذلك اليوم فيقول:

«لتتبع كلّ أمّة ما كانت تعبد».

حتّى تبقى هذه الأمّة، و فيها منافقوها، فيتجلّى لهم الحقّ في أدنى صورة من

الصورة التي كان تجلى لهم فيها قبل ذلك، فيقول:

«أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ باللّه منك، هذا نحن منتظرون حتّى يأتينا ربّنا، فيقول لهم جلّ و تعالى: هل بينكم و بينه علامة تعرفونه بها؟،

فاجر في يوم القيامة، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«و إذا رأوا أنّهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربّنا إخواننا الذين كانوا يصلّون معنا، و يصومون معنا، فيقول اللّه تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، و يحرّم اللّه صورهم على النار، فيأتونهم و بعضهم قد غاب في النار إلى قدمه و إلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثمّ يعودون، فيقول: أذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا، ثمّ يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا.

قال أبو سعيد: فإن لم تصدّقوني فاقرؤا:

إِنَّ اللّهَ لاٰ يَظْلِمُ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ وَ إِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضٰاعِفْهٰا [النساء: ۴۰].

فيشفع النبيّون و الملائكة و المؤمنون، فيقول الجبّار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له:

ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبّة في حميل السيل ... فيخرجون كأنّهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنّة، فيقول أهل الجنّة هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنّة بغير عمل عملوه و لا خير قدّموه، فيقال لهم:

لكم ما رأيتم و مثله معه».



تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۸۸

فيقولون: نعم، فيتحول لهم في الصورة الّتي عرفوه فيها بتلك العلامة، فيقولون: أنت ربّنا، فيأمرهم اللّه بالسجود فلا يبقى من كان يسجد للّه إلّا سجد، و من كان يسجد اتقاء، أو رياء، جعل اللّه ظهره طبقة نحاس كلّما أراد أن يسجد خرّ (على) قفاه، و ذلك قوله تعالى:

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سٰاقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاٰ يَسْتَطِيعُونَ وَ قَدْ كٰانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سٰالِمُونَ [القلم: ۳– ٤٢].

يعني في الدنيا، و الساق الّتي كشفت لهم، عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة، تقول العرب: «كشفت الحرب عن ساقها»، إذا اشتدّت الحرب و عظم أمرها، و كذلك: التفّت الساق بالساق: أي دخلت الأهوال و الأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة.

(شفاعة أرحم الراحمين في يوم الحشر)

فإذا وقعت الشفاعة و لم يبق في النّار مؤمن شرعي أصلا و لا من عمل عملا مشروعا من حيث ما هو مشروع بلسان نبيّ و لو كان مثقال حبّة من خردل فما فوق ذلك في الصغير إلّا خرج بشفاعة النبيين و المؤمنين، و بقي أهل التوحيد الّذين عملوا التوحيد بالأدلّة العقليّة و لم يشركوا باللّه شيئا و لا آمنوا إيمانا شرعيّا، و لم يعملوا خيرا قطّ من حيث ما اتّبعوا فيه نبيّا من الأنبياء، فلم يكن عندهم ذرّة من الإيمان فما دونها، فيخرجهم أرحم الراحمين، و ما عملوا خيرا قطّ يعني مشروعا من حيث ما هو مشروع، و لا

خير أعظم من الإيمان و ما عملوه».

و هذا حديث عثمان بن عفّان في الصحيح لمسلم بن الحجّاج.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۸۹

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«من مات و هو يعلم»: (و لم يقل: يؤمن) «أنّه لا إله إلاّ اللّه دخل الجنّة» «۱۹۵».

و لا قال: يقول، بل أفرد العلم، ففي هؤلاء تسبق عناية اللّه في النار، فإنّ النار بذاتها لا تقبل تخليد موحّد للّه بأيّ وجه كان، و أتمّ وجوهه:

الإيمان عن علم فجمع بين العلم و الإيمان.

فان قلت: فإنّ إبليس يعلم أنّ اللّه واحد، قلنا: صدقت و لكنّه أوّل من سنّ الشرك، فعليه إثم المشركين، و إثمهم أنّهم لا يخرجون من النّار، هذا إذا ثبت أنّه كان (مات) موحّدا و ما يدريك؟ لعلّه مات مشركا، لشبهة طرأت عليه في نظره، و قد تقدّم الكلام على هذه المسألة فيما مضى من الأبواب، فإبليس ليس بخارج من النّار، فاللّه يعلم أيّ ذلك كان.

و هنا علوم كثيرة، و فيها طول يخرجنا عن المقصود من الاختصار، إيرادها «۱۹۶»، و اللّه يقول الحق و هو يهدي السبيل.

هذا من المجلد الأوّل من الباب المذكور، لكن في هذا المعنى في المجلد الخامس من أصل المجلدّات السّت في الفصل الخامس من الفصول الّتي و هي في ضمن الباب الأحد و السبعون و ثلاثمائة، المتقدّم ذكره مرّة، بحثا لطيفا و بسطا دقيقا في كيفيّة الحشر و النشر و ما يتعلّق بهذا

(١٩٥) قوله: من مات و هو يعلم.

صحيح مسلم ج ١ ص ٥٥ كتاب الإيمان، الباب ١٠، الحديث ٤٣.

(١٩٦) الفتوحات المكيّة، الباب الرابع و الستون، وصل في الحشر و النشر، طبع عثمان يحيى ج ٤ ص ٤٦٤ الى ٤٢٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٩٠

البحث، و ذلك مناسب بهذا المقام نذكره و نشرع بعده في بحث الجنّات و بعده في بحث الجحيم و ما يتعلّق بهما كما شرطناه، و الفصل هذا و باللّه التوفيق.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٩١

«الفصل الخامس»

في أرض الحشر و ما تحوي عليه من العالم «١٩٧» و المراتب، و عرش الفصل و القضاء و حملته، و صفوف الملائكة عليها بين يدي الحكم العدل

(في بيان كيفيّة الحشر و النشر و ما يتعلّق بهما)

اعلم أنّ اللّه تعالى إذا نفخ في الصور، و بعث ما في القبور، و حشر الناس و الوحوش، وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها [الزلزلة: ٢]، و لم يبق في بطنها سوى

عينها، إخراجا لا نباتا، و هو الفرق بين نشأة الدّنيا الظاهرة و بين نشأة الآخرة الظاهرة، فإنّ الأولى أنبتنا (أنبتنا) فيها من الأرض فينبتا (فنبتنا) نباتا كما ينبت النبات على التدريج و قبول الزيادة في الجرم طولا و عرضا، و نشأة الآخرة إخراج من الأرض على الصورة الّتي شاء (يشاء)

(١٩٧) الفتوحات المكيّة ج ٣ ص ٤٣٨ (طبع كشميري).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٣٩٢

الحقّ أن يخرجنا عليها، و لذلك علّق المشيئة بنشر الصورة الّتي أعادها في الأرض الموصوفة بأنّها تنبت، فنبت (فتنبت) على غير مثال، لأنّه ليس في الصورة صورة تشبهها، فكذلك نشأة الآخرة يظهرها اللّه على غير مثال صورة تقدّمت تشبهها، و ذلك قوله (تعالى):

كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [الأعراف: ٢٩].

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولىٰ فَلَوْ لاٰ تَذَكَّرُونَ [الواقعة: ٦٢].

وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ [الواقعة: ٦١].

فإذا أخرجت الأرض أثقالها و حدثت أنّها ما بقي فيها ممّا اختزنته شيء جيء بالعالم إلى الظلمة دون الحشر (الجسر) فألقوا فيها حتّى لا يرى بعضهم بعضا، و لا يبصرون كيفيّة (كيف) التبديل في السماء و الأرض حتّى تقع فتمدّ الأرض أوّلا مدّ الأديم و تبسط فلا ترى فيها عوجا و لا أمتا، و هي

الساهرة فلا نوم فيها، فإنّه لا نوم لأحد بعد الدّنيا و يرجع ما تحت مقعر فلك الكواكب (الفلك المكوكب) جهنم، و بهذا سمّيت بهذا الإسم لبعد قعرها فأين المقعر من الأرض؟ و يوضع الصراط من الأرض علوا على استقامة إلى سطح فلك المكوكب، فيكون (منتهاه) الى المزج الّذي خارج سور الجنّة.

(أوّل جنّة يدخلها النّاس)

و أوّل جنّة يدخلها النّاس هي جنّة النّعيم، و في ذلك المرج هي المأدبة و هو درمكة بيضاء (نقيّة)، منها ياكل أهل المأدبة، و هو قوله تعالى في المؤمنين إذا أقاموا التّوراة و الإنجيل من بني إسرائيل:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۹۳

وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقٰامُوا التَّوْرٰاةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [المائدة: ٦٦].

فنحن أمّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله نقيم كلّ ما أنزل إلينا من ربّنا بالإيمان به و نعمل من ذلك بما أمرنا من العمل به، و غيرنا من الأمم منهم من آمن كما آمنّا، و منهم من آمن ببعض و كفر ببعض.

فمن نجى منهم قيل فيه: «لأكلوا من فوقهم» و هو ما خرج من فروع أشجار الجنان على السور فظلل على هذا المرج فقطفه السعداء «و من تحت أرجلهم» هو ما أكلوه من الدّرمكة البيضاء الّتي هم عليها.

و وضع الموازين في أرض الحشر، لكلّ مكلّف ميزان يخصّه، و ضرب بسور يسمّى الأعراف بين الجنّة و النّار، و جعله مكانا لمن اعتدلت كفتّا

میزانه، فلم ترجّح إحداهما على الأخرى.

و وقفت الحفظة بأيديهم الكتب الّتي كتبوها في الدّنيا من أعمال المكلّفين و أقوالهم، ليس فيها شيء من اعتقادات قلوبهم إلاّ ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفّظوا به من ذلك، فعلقوها في أعناقهم بأيديهم.

فمنهم من أخذ كتابه بيمينه، و منهم من أخذه بشماله، و منهم من أخذه من وراء ظهره و هم الّذين نبذوا الكتاب في الدّنيا وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا، و ليس أولئك إلاّ الأئمّة الضلال المضلّون الّذين ضلّوا و أضلّوا، و جيء بالحوض يتدفق ماء عليه من الأواني على عدد الشاربين عنه (منه) لا تزيد و لا تنقص، ترمي فيه أنبوبان:

أنبوب ذهب، و أنبوب فضّة و هو لزيق بالسور، و من السور تنبعث هذان الأنبوبان فيشرب منه المؤمنون (و يؤتى) و تولى بمنابر من نور

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۹۴

مختلفة في الإضاءة و اللون فتنصب في تلك الأرض، و يؤتى بقوم فيقعدون عليها قد غشيتهم الأنوار، لا يعرفهم أحد في رحمة الأبد، عليهم من الخلع الإلهيّة ما تقرّ به أعينهم، و يأتي مع كلّ انسان قرينه من الشياطين و الملائكة.

و تنشر الألوية في ذلك اليوم للسعداء و الأشقياء بأيدي أئمّتهم الّذين كانوا يدعونهم إليه من حقّ و باطل، و تجتمع كلّ أمّة إلى رسولها من آمن منهم به و من كفر.

و تحشر الأفراد و الأنبياء بمعزل من الناس بخلاف الرّسل فإنّهم أصحاب

العساكر فلهم مقام يخصّهم.

و قد عيّن اللّه في هذه الأرض بين يدي عرش الفصل و القضاء مرتبة عظمى امتدّت من الوسيلة الّتي في الجنّة، يسمّى ذلك: المقام المحمود، و هو لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله خاصّة.

و تأتي الملائكة، ملائكة السماوات، ملائكة كلّ سماء على حدة متميّزة عن غيرها فيكونون سبعة صفوف، أهل كلّ سماء صفّ، و الرّوح قائم مقدّم الجماعة و هو الملك الّذي نزل بالشرائع على الرّسل، ثمّ جاء بالكتب المنزلة و الصحف.

و كلّ طائفة ممّن نزلت من أجلها خلقها (خلفها) فيمتازون عن أصحاب الفرات (الفترات) و عمّن تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله و إنّما دخل فيه و ترك ناموسه لكونه من عند اللّه و كان ناموسه عن نظر عقليّ من عاقل مهديّ.

ثمّ يأتي اللّه عزّ و جلّ على عرشه، و الملائكة الثمانية تحمل ذلك

العرش فيضعونه في تلك الأرض، و الجنّة عن يمين العرش، و النّار من الجانب الآخر، و قد علت الهيبة الإلهيّة، و غلبت على قلوب أهل الموقف من إنسان و ملك و جان و وحش، فلا يتكلّمون إلاّ همسا بإشارة عين، و خفي صوت، و ترفع الحجب بين اللّه و بين عباده، و هو كشف الساق و يأمرهم داعي الحق عن أمر اللّه بالسجود للّه فلا يبقى أحد سجد للّه خالصا على أيّ دين كان إلاّ سجد السجود المعهود، و من سجد اتّقاء أو (و) رياء

خرّ على قفاه، و بهذه السجدة يرجّح ميزان أصحاب الأعراف لأنّها سجدة تكليف فيسعدون و يدخلون الجنّة، و يشرع الحقّ في الفصل و الحكم بين عباده فيما كان بينهم، و أمّا ما كان بينهم و بين اللّه فإنّ الكرم الإلهي قد أسقطه فلا يؤاخذ اللّه أحدا من عباد اللّه فيما لم يتعلّق به حقّ للغير. و قد ورد من أخبار الأنبياء عليهم السّلام في ذلك اليوم ما قد ورد على ألسنة الرسل و دوّن النّاس فيه ما دوّنوا، فمن أراد تفاصيل الأمور فلينظرها هنالك.

(في شفاعة الخاتم صلّى اللّه عليه و آله يوم القيامة)

ثمّ تقع الشفاعة الأولى من محمد صلّى اللّه عليه و آله في كلّ شافع أن يشفع، فيشفع الشافعون، و يقبل اللّه من شفاعتهم ما شاء، و يردّ من شفاعتهم ما شاء، لأنّ الرحمة في ذلك اليوم يبسطها اللّه في قلوب الشفعاء، فمن ردّ اللّه شفاعته من الشافعين لم يردّها انتقاصا بهم، و لا عدم رحمة بالمشفوع فيه، و إنّما أراد بذلك إظهار المنّة الإلهيّة على بعض عباده فيتولّى اللّه سعادتهم و رفع الشقاوة عنهم، فمنهم من يرفع ذلك عنه بإخراجه (بإخراجهم) من النّار إلى

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٣٩۶

الجنان، و قد ورد: «و شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين عند المنتقم الجبار»، فهي مراتب أسماء إلهيّة لا شفاعة محققة، فإنّ اللّه يقول في ذلك اليوم «شفعت (شفت) الملائكة و النبيّون و المؤمنون، و بقي أرحم الراحمين»، فدلّ بالمفهوم أنّه لم يشفع، فيتولى بنفسه إخراج من يشاء من النار، و نقل حال من هو أهل النّار من شقاء آلام إلى سعادة أزالتها فذلك قدر نعمه

(نعيمه)، و قد يشاء المشوب و قضائه و يملأ اللّه جهنم بغضبه (و قد يشاء و يملأ اللّه جهنم بغضبه المشوب و قضائه)، و الجنّة برضاه، فتعمّ الرحمة و يبسط النعمة.

فيكون الخلق كما هم في الدنيا على صورة الحقّ، فيتحولّون لتحوله، و آخر صورة يتحوّل إليها في الحكم في عباده صورة الرضا فيتحوّل الحقّ في صورة النعيم، فإنّ الرحيم و المعافي أوّل من يرحم و يعفوا و ينعم على نفسه بإزالة ما كان فيه من الحرج و الغضب على من أغضبه، ثمّ سرى ذلك في المغضوب عليه، فمن فهم فقد أمناه و من لم يفهم فإنّ المآل إليه، و اللّه من حيث يعلم نفسه و من هويّته و غناه فهو على ما هو عليه.

و إنّما هذا الّذي وردت به الأخبار و أعطاه الكشف، و إنّما ذلك أحوال تظهر، و مقامات تشخّص و معان تجسّد و ليعلم الحقّ عباده معنى الإسم الإلهي الظاهر و هو ما بدأ من هذا كلّه، و الإسم الإلهي الباطن و هو هويّته، و قد تسمّى لنا بهما، و كلّ ما هو العالم فيه من تصرّف و انقلاب و تحوّل في صورة في حق و خلق، فذلك من حكم الإسم الظاهر و هو منتهى علم العالم و العلماء باللّه.

و أمّا الإسم الباطن فهو إليه لا إلينا و ما بأيدينا منه سوى «ليس

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۳۹۷

كمثله شي» [الشورى: ١١] على بعض وجوه محتملاته، إلاّ أنّ أوصاف التنزيه لها تعلّق بالاسم الباطن، و إن كان فيه تحديد، و لكن ليس في الإمكان أكثر من هذا فإنّه غاية الفهم عندنا الّذي يعطيه استعدادنا، و أمّا قوله

تعالى:

وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وٰارِدُهٰا [مريم: ۷۱].

فإنّ الطريق إلى الجنّة عليها، فلا بدّ من الورود، فإذا لم يبق في أرض الحشر من أهل الجنّة أحد عاد كلّه نارا أي دار النار و إن كان فيها زمهرير فجهنم من مقعّر فلك الكواكب إلى أسفل سافلين».

هذا آخر الفصل المذكور، و إذا فرغنا من هذا فلنشرع في بحث الجنّة و مراتبها و مراتب أهلها على حسب طبقاتها في الكتاب المذكور بقوله قدّس اللّه سرّه و هو هذا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۳۹۹

«الباب الخامس و الستّون» «۱۹۸»

في معرفة الجنّة و منازلها و درجاتها و ما يتعلّق بهذا الباب

(في أنّ لكلّ من العالم و الجنّة و ما يلتذّ به الروح مرتبتان، الحسيّة و المعنويّة)

اعلم أيّدنا اللّه و إيّاك، أنّ الجنّة جنّتان: جنّة محسوسة، و جنّة معنويّة، و العقل يعقلهما معا كما أنّ العالم عالمان:

عالم لطيف و عالم كثيف، و عالم غيب و عالم شهادة، و النفس الناطقة المخاطبة المكلّفة، لها نعيم بما تحمله من العلوم و المعارف من طريق نظرها و فكرها و ما وصلت إليه من ذلك بالأدلّة العقليّة، و نعيم بما

(۱۹۸) قوله: الباب الخامس و الستّون.

الفتوحات المكيّة ج ۱ ص ۳۱۷، و «عثمان» يحيى ج ۵ ص ۵۹.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۰۰

تحمله اللّذات و الشهوات مما تناله بالنّفس الحيوانيّة من طريق قواها الحسيّة: من أكل و شرب و نكاح و لباس و روائح و نغمات طيّبة تتعلّق بها الأسماع، و جمال حسّيّ في صورة حسنة معشوقة يعطيها البصر في نساء كاعبات، و وجوه حسان و ألوان متنوعة و أشجار و أنهار.

(النفس الناطقة هي الّتي تلتذّ بالمناظر الجميلة)

كلّ ذلك تنقله الحواسّ إلى النفس الناطقة فتلتذّ به من جهة طبيعتها، و لو لم يلتذّ به إلاّ الرّوح الحسّاس الحيوانيّ لا النّفس الناطقة لكان الحيوان يلتذّ بالوجه الحسان الجميل من المرأة المستحسنة و الغلام الحسن الوجه و الألوان و المصاغ، فلمّا لم نر شيئا من الحيوان يلتذّ بشيء من ذلك علمنا قطعنا أنّ النّفس الناطقة هي الّتي تلتذّ بجميع ما تعطيه القوّة الحسيّة ممّا تشاركها في إدراكه الحيوانات و ممّا لا تشاركها فيه.

(الجنّة المحسوسة و الجنّة المعنويّة)

و اعلم أنّ اللّه خلق هذه الجنّة المحسوسة بطالع الأسد الّذي هو الإقليد، و برجه هو الأسد، و خلق الجنّة المعنويّة الّتي هي روح هذه الجنة المحسوسة من الفرح الإلهيّ من صفة الكمال و الابتهاج و السرور، فكانت الجنّة

المحسوسة كالجسم، و الجنّة المعقولة كالروح و قواه، و لهذا سمّاها الحقّ تعالى: الدار الحيوان، لحياتها فأهلها يتنعّمون فيها حسّا و معنى، و المعنى الّذي هو اللطيفة الإنسانيّة.

و الجنّة أيضا أشدّ تنعّما بأهلها الداخلين فيها، و لهذا تطلب ملأها من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۰۱

الساكنين، و قد ورد خبر عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«أنّ الجنّة اشتاقت إلى بلال و عليّ و عمّار و سلمان» «۱۹۹».

فوصفها بالشوق إلى هؤلاء، و ما أحسن موافقة هذه الأسماء لما في الشوق من المعاني، فإنّ الشوق من المشتاق، فيه ضرب ألم لطلب اللقاء، و بلال من: «أبلّ الرجل من مرضه و استبلّ»، و يقال: «بل الرجل من دائه». و بلال معناه.

و سلمان من السلامة من الآلام و الأمراض، و عمّار أي بعمارتها بأهلها يزول منها ألمها، فانّ اللّه سبحانه يتجلّى لعباده، فعليّ يعلو بذلك التجلّي شأنها على النار الّتي هي أختها حيث فازت بدرجة التجلّي و الرؤية، إذا كانت النار دار حجاب، فانظر في موافقة هذه الأسماء الأربعة لصورة حال الجنّة حين وصفها بالشوق إلى هؤلاء الأصحاب من المؤمنين.

(مراتب الناس بالنسبة إلى الجنّة)

و النّاس على أربع مراتب في هذه المسألة، فمنهم من يشتهي و يشتهى، و هم الأكابر من رجال اللّه، من رسول و نبيّ و وليّ و كامل.

(۱۹۹) قوله: إنّ الجنة اشتاقت.

روي السيد الحجّة العلاّمة المرعشيّ النجفي في «ملحقات احقاق الحق» ج ١٦ ص ٥٣٧ نقلا عن العلاّمة الشيخ طه بن مهنا الجبريتي في «شرح رسالة الحلبي» ص ٦٥ ط بولاق، عن أنس أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«اشتاقت الجنّة إلى عليّ و عمّار سلمان و بلال».

و راجع أيضا ج ٦ ص ١٩٠ و قد مرّ قريب منه في التعليق ١١٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۰۲

و منهم من يشتهى و لا يشتهي، و هم أصحاب الأحوال من رجال اللّه المهيّمون في جلال اللّه الّذين غلب معناهم على حسّهم و هم دون الطبقة الأولى فإنّهم أصحاب أحول.

و منهم من يشتهي و لا يشتهى و هم عصاة المؤمنين. و منهم من لا يشتهي و لا يشتهى و هم المكذّبون بيوم الدّين و القائلون بنفي الجنّة المحسوسة، و لا خامس لهؤلاء الأربعة الأصناف.

(مراتب الجنّة و الأعمال)

و اعلم أنّ الجنّات ثلاث جنّات:

جنّة اختصاص إلهي و هي الّتي يدخلها الأطفال الّذين لم يبلغوا حدّ العمل، و حدّهم من أوّل ما يولد إلى يستهل صارخا إلى انقضاء ستّة أعوام، و يعطي اللّه من شاء من عباده من جنّات الإختصاص ما شاء، و من أهلها المجانين

الذين ما عقلوا، و من أهلها أهل التوحيد العلمي، و من أهلها أهل الفترات و من لم تصل إليه دعوة رسول.
و الجنّة الثانية، جنّة ميراث ينالها كلّ من دخل الجنّة ممن ذكرنا و من المؤمنين، و هي الأماكن الّتي كانت معيّنة لأهل النار لو دخلوها.
و الجنّة الثالثة، جنة الأعمال، و الّتي ينزل النّاس فيها بأعمالهم، فمن كان أفضل من غيره، في وجوه التفاضل كان له من الجنّة أكثر، و سواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أنّه فضله في هذا المقام بهذه الحالة، فما من عمل من الأعمال إلاّ و له جنّة و يقع التفاضل بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۰۳

(من يدوم على الطهارة له الجنّة المخصوصة)

و ورد في الحديث الصحيح عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال لبلال «۲۰۰»:

«يا بلال بم سبقتني إلى الجنّة، فما وطئت منها موضعا (ما دخلت الجنة قطّ) إلاّ سمعت خشخشتك أمامي»؟

فقال: يا رسول اللّه! ما أحدثت قطّ إلاّ توضأت، و لا توضّأت إلاّ صلّيت ركعتين، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«بهما (بهذا)».

فعلمنا أنّها كانت جنّة مخصوصة بهذا العمل.

فكأنّ رسول صلّى اللّه عليه و آله يقول لبلال: بم نلت أن تكون مطرّقا بين يدي تحجبني، من أين لك هذه المسابقة إلى هذه المرتبة، فلمّا ذكر له ذلك قال له صلّى اللّه عليه و آله: بهما.

فما من فريضة و لا نافلة، و لا فعل خير، و و لا ترك محرّم و مكروه إلاّ و له جنّة مخصوصة و نعيم خاص يناله من دخلها.

---

(۲۰۰) قوله: قال لبلال: يا بلال بم سبقتني.

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٣٥٤ و ص ٣٦٠، عن عبد اللّه بن بريد، عن أبيه، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

و روي المجلسي في البحار ج ٨٠ ص ٣٠٨ الحديث ١٨، نقلا عن «إرشاد القلوب» للدّيلمّي، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، قال:

«يقول اللّه تعالى: من أحدث و لم يتوضّأ فقد جفاني، و من أحدث و توضّأ و لم يصلّ ركعتين فقد جفاني، و من أحدث و توضّأ و صلّى ركعتين و دعاني و لم أجبه فيما سألني من أمور دينه و دنياه، فقد جفوته، و لست بربّ جاف».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ۴۰۴

(مراتب الأعمال في الفضيلة بالأمكنة و الأزمنة و الأحوال و غيرها)

و التفاضل على مراتب: فمنها بالسنّ، و لكن في الطاعة و الإسلام، فيفضل

الكبير السنّ على الصغير السنّ إذا كانا في مرتبة واحدة من العمل بالسنّ، فإنّه أقدم منه فيه، و يفضل أيضا بالزمان فإنّ العمل في رمضان، و في يوم الجمعة، و في ليلة القدر، و في عشر ذي الحجّة، و عاشورا، أعظم من ساير الأزمان، و كلّ زمان عيّنه الشارع.

و تقع المفاضلة بالمكان كالمصلّي في المسجد الحرام أفضل من صلاة المصلّي في مسجد المدينة، و كذلك الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى، و هكذا فضل الصلاة في المسجد الأقصى على ساير المساجد.

و يتفاضلون أيضا بالأحوال: فإنّ الصّلاة في الجماعة في الفريضة أفضل من صلاة الشّخص وحده، و أشباه هذا.

و يتفاضلون بالأعمال: فإنّ الصّلاة أفضل من إماطة الأذى، و قد فضّل اللّه الأعمال بعضها على بعض.

و يتفاضلون أيضا في نفس العمل الواحد: كالمتصدّق على رحمه، فيكون صاحب صلة رحم و صدقة، و المتصدّق على غير رحمه دونه في الأجر، و كذلك من أهدى هديّة لشريف من أهل البيت أفضل ممّن أهدى لغير شريف، أو برّه أو أحسن إليه.

و وجوه المفاضلة كثيرة في الشرع و إن كانت محصورة، و لكن أريتك

منها أنموذجا تعرف به ما قصدناه بالمفاضلة.

و الرّسل عليهم السّلام إنّما ظهر فضلها في الجنّة على غيرها بجنّة

الإختصاص، و أمّا بالعمل فهم في جنّات الأعمال بحسب الأحوال كما ذكرنا، فكلّ من فضل غيره ممّن ليس في مقامه فمن جنّات الإختصاص لا من جنّات الأعمال.

(جمع الأعمال و الأجور في زمان واحد)

و من الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالا كثيرة، فيصرّف سمعه فيما ينبغي، في زمان تصريفه بصره، في زمان يده، في زمان صومه، في زمان صدقته، في زمان صلاته، في زمان ذكره، في زمان نيّته من فعل و ترك، فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممّن ليس له ذلك.

و لذلك لمّا ذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله [۲۰۱] الثمانية الأبواب من الجنّة أن

---

(۲۰۱) قوله: لمّا ذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الثمانية الأبواب من الجنّة.

أخرج البخاري في صحيحه ج ۳ كتاب الصوم باب ۹۱ الريّان للصائمين، ص ٦٤، الحديث ٦٤ و أيضا ج ٥ كتاب فضائل الصحابة، باب ۳٥ الحديث ۱۸۹، ص ٦٥، بإسناده عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«من أنفق زوجين في سبيل اللّه نودي من أبواب الجنّة يا عبد اللّه هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، و من كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، و من كان من أهل الصيام دعي من باب الريّان، و من كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، فقال أبو بكر: ما على من دعي من تلك الأبواب

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۰۶

يدخل من أيّها شاء، قال بعض الصّحابة: يا رسول اللّه و ما على الإنسان أن يدخل من الأبواب كلّها، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أرجو أن تكون منهم يا فلان».

فأراد بذلك الصّحابي ما ذكرنا أن يكون الإنسان في زمان واحد في أعمال كثيرة تعمّ أبواب الجنّة.

و من هنا أيضا يعرف النشأة الآخرة، فكما لا تشبه الجنّة الدنيا في أحوالها كلّها و إن اجتمعت في الأسماء، كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا و إن اجتمعتا في الأسماء و الصورة الشخصيّة، فإنّ الروحانيّة على نشأة الآخرة أغلب من الحسيّة، و قد ذقناه في هذه الدار الدنيا مع كثافة هذه النشأة، فيكون الإنسان بعينه في أماكن كثيرة، و أمّا عامّة النّاس فيدركون ذلك في المنام.

(ابن عربي و رؤياه بناء الكعبة على الفضّة و الذهب)

و لقد رأيت رؤيا لنفسي في هذا النوع و أخذتها بشرى من اللّه، فإنّها مطابقة لحديث نبويّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السّلام: «۲۰۲»

من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلّها؟ فقال نعم، و أرجوا أن تكون منهم».

(٢٠٢) قوله: حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السّلام.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي، ج ٤ ص ١٢٢، الحديث ٢٠٣. و أخرجه مسلم في صحيحه، ج ٤، كتاب الفضائل باب ٧ ذكر كونه صلّى اللّه عليه و آله خاتم النبيين، خلال أحاديث متعددة، بألفاظ مختلفة. و أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٤١٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴٠٧

«مثلي في الأنبياء عليهم السّلام مثل رجل بنى حائطا فأكمله إلاّ لبنة واحدة، فكنت أنا تلك اللّبنة، فلا رسول بعدي و لا نبيّ».

فشبّه النبوّة بالحائط، و الأنبياء باللّبن الّتي قام بها هذا الحائط، (و هو تشبيه في غاية الحسن) فإنّ مسمّى الحائط هذا، المشار إليه لم يصحّ ظهوره إلاّ باللّبن، فكان صلّى اللّه عليه و آله خاتم النبيين.

فكنت بمكّة سنّة تسع و تسعين و خمس مائة، أرى فيها- فيما يرى النائم- الكعبة مبنيّة بلبن فضّة و ذهب لبنة فضّة، و لبنة ذهب، و قد كملت بالبناء و ما بقي فيها شيء و أنا أنظر إليها و إلى حسنها، فالتفّت إلى الوجه الّذي بين الركن اليمانيّ و الركن الشاميّ، هو الى الركن الشاميّ أقرب موضع لبنتين: لبنة فضّة و لبنة ذهب، ينقص في الحائط في الصفين: في الصّف الأعلى ينقص لبنة ذهب، و في الصّف الّذي يليه ينقص لبنة فضّة، فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللّبنتين، فكنت أنا عين تينك اللبنتين، و كمل الحائط، و لم يبق في الكعبة شيء ينقص و أنا واقف أنظر، و أعلم أنّي واقف، و أعلم أنّي تينك اللبنتين لا أشكّ في ذلك و أنّهما عين ذاتي، و

استيقظت فشكرت اللّه تعالى، و قلت متأوّلا: إنّي في الأتباع في صنفي كرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في الأنبياء عليهم السّلام، و عسى أن أكون ممن ختم اللّه الولاية بي، و ما ذلك على اللّه بعزيز.

و ذكرت حديث النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في ضربه المثل بالحائط و أنّه كان تلك

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۴۰۸

اللّبنة، فقصصت روءياي على بعض علماء هذا الشأن بمكّة من أهل توزر، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، و ما سمّيت له الرّائي من هو؟ فاللّه أسأل أن يتمّها عليّ بكرمه، فإن الإختصاص الإلهي لا يقبل التحجير و لا الموازنة و لا العمل، و أنّ ذلك من فضل اللّه «يختصّ برحمته من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم».

(في بيان درجات جنة الأعمال)

و اعلم أن جنّة الأعمال مائة درجة لا غير، كما أنّ النار مائة درك، غير أنّ كلّ درجة تنقسم إلى منازل، فلنذكر من منازلها ما يكون لهذه الأمّة المحمّدية و ما تفضل به ساير الأمم فإنّها:

خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [آل عمران: ۱۱۰].

بشهادة الحقّ في القرآن و تعريفه، و هذه المائة درجة في كلّ جنّة من الثمان الجنّات و صورتها جنّة في جنّة، و أعلاها جنّة عدن و هي قصبة الجنّة فيها الكثيب الّذي يكون اجتماع النّاس فيه لروءية الحقّ تعالى، و هي أعلى جنّة في الجنّات، هي في الجنّات بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار، بين

كلّ سورين جنّة، فالتي تلي جنّة عدن إنّما هي جنّة الفردوس و هي أوسط الجنّات الّتي دون جنّة عدن و أفضلها ثمّ جنة الخلد، ثمّ جنّة النعيم، ثمّ جنّة المأوى، ثمّ دار السّلام، ثمّ دار المقامة.

(كرامة الخاتم صلّى اللّه عليه و آله و أمّته)

و أمّا الوسيلة فهي أعلى درجة في جنة عدن، و هي لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۰۹

حصلت له بدعاء أمّته، فعل ذلك الحقّ سبحانه حكمة أخفاها، فإنّا بسببه نلنا السعادة من اللّه، و به كنّا «خير أمّة أخرجت للنّاس»، و به ختم اللّه بنا الأمم كما ختم به النبيّين و هو صلّى اللّه عليه و آله بشر كما أمر أن يقول، و لنا وجه خاص إلى اللّه عزّ و جلّ نناجيه منه و يناجينا، و هكذا كلّ مخلوق له وجه خاصّ إلى ربّه فأمرنا عن أمر اللّه أن ندعوا بالوسيلة حتّى ينزل فيها، و ينالها بدعاء أمّته، فافهم هذا الفضل العظيم، و هذا من باب الغيرة الإلهيّة إن فهمت، فلقد كرّم اللّه هذا النبيّ و هذه الأمّة.

فتحوي درجات الجنّة من الدّرج فيها على خمسة آلاف درج و مائة درج و خمسة أدراج لا غير، و قد تزيد على هذا العدد بلا شكّ و لكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف، ممّا يجري مجرى الأنواع من الأجناس.

(مختصّات الأمّة المحمّدية من درجات الجنّة)

و الّذي اختصّت به هذه الأمّة المحمديّة على سائر الأمم، من هذه الأدراج اثنا عشر درجا لا غير، لا يشاركها فيها أحد من الأمم، كما فضل صلّى اللّه

عليه و آله غيره من الرسل في الآخرة بالوسيلة و فتح باب الشفاعة، و في الدنيا بستّ لم يعطها نبيّ قبله، كما ورد في الحديث [۲۰۳] من حديث

---

(۲۰۳) قوله: كما ورد في الحديث (فضّلت على الأنبياء بستّ).

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ۲ ص ٤١٢ بإسناده عن أبي هريرة، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«فضّلت على الأنبياء بست، قيل ما هنّ أي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: أعطيت جوامع الكلم، و نصرت بالرعب، و أحلّت لي الغنائم، و جعلت لي الأرض مسجدا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۱۰

و طهورا، و أرسلت إلى الخلق كافّة، و ختم بي النبيّون، مثلي و مثل الأنبياء عليهم الصلاة و السلام كمثل رجل بنى قصرا فأكمل بناءه و أحسن بنيانه إلاّ موضع لبنة، فنظر الناس إلى القصر فقالوا: ما أحسن بنيان هذا القصر لو تمّت هذه اللبنة، ألا فكنت أنا اللّبنة، ألا فكنت أنا اللبنة».

و أخرجه أيضا إلى قوله صلّى اللّه عليه و آله: «و ختم بي النبيّون»، مسلم في صحيحه ج ۱ كتاب المساجد الحديث ٥ ص ۳۷۱.

و روي الصدوق في «معاني الأخبار» ص ٥٠ باب معاني أسماء النبيّ صلّى اللّه عليه و آله

الحديث ۱ بإسناده عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«منّ عليّ ربّي، و قال لي: يا محمّد صلّى اللّه عليك، فقد أرسلت كلّ رسول إلى أمّته بلسانها و أرسلتك إلى كل أحمر و أسود من خلقي، و نصرتك بالرعب الّذي لم أنصر به أحدا، و أحللت لك الغنيمة و لم تحلّ لأحد قبلك، و أعطيت لك و لأمّتك الأرض كلّها مسجدا و ترابها طهورا، و أعطيت لك و لأمتك التكبير، و قرنت ذكرك بذكري حتّى لا يذكرني أحد من أمّتك إلاّ ذكرك مع ذكري، فطوبى لك و لأمّتك».

و روى الشيخ الطوسي في أماليه في الجزء الثاني ص ۵۶، بإسناده عن أبي بصير، عن الباقر عليه السّلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إنّ اللّه بعث كلّ نبي كان قبلي إلى أمّته بلسان قومه و بعثني إلى كلّ أسود و أحمر بالعربيّة، و أعطان في أمتي خمس خصال لم يعطها نبيّا كان قبلي:

نصرني بالرعب ليسمع بي القوم بيني و بينهم مسيرة شهر فيؤمنون بي، و أحلّ لي المغنم، و جعل لي الأرض مسجدا و طهورا أينما كنت أتيمم من ترابها و أصليّ عليها، و جعل لكل نبيّ مسألة فسألوه إيّاه فأعطاهم ذلك و أعطاني مسألة فأخرت مسألتي لشفاعة المؤمنين من أمّتي إلى يوم القيامة ففعل ذلك، و أعطاني جوامع العلم و مفاتيح الكلام و لم يعط ما أعطاني نبيّا قبلي، فمسألتي

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۴۱۱

مسلم بن الحجاج فذكر منها عموم رسالته و تحليل الغنائم، و النصر بالرعب، و جعلت له الأرض كلّها مسجدا، و جعلت تربتها له طهورا، و

أعطي مفاتيح خزائن الأرض.

(في مراتب أهل الجنّة و أصنافها)

و اعلم، أن أهل الجنّة أربعة أصناف: الرسل، و هم الأنبياء، و الأولياء و هم أتباع الرسل على بصيرة و بيّنة من ربهم، و المؤمنون و هم المصدّقون بهم عليهم السلاح، و العلماء بتوحيد اللّه انه لا إله إلاّ هو من حيث الأدلّة العقليّة، قال اللّه تعالى:

شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلاٰئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ [آل عمران: ١٨].

و هؤلاء هم الّذين أريد (أريده) بالعلماء، و فيهم يقول اللّه تعالى:

يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ [المجادلة: ١١].

بالغة إلى يوم القيامة لمن لقى اللّه لا يشرك به شيئا مؤمنا بي مواليا لوصيّيي محبّا لأهل بيتي».

و روي الصدوق في أماليه، في المجلس الثامن و الثلاثون، الحديث ٦ ص ١٧٩، بإسناده عن إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أعطيت خمسا لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا، و أحلّ لي المغنم، و نصرت بالرعب، و أعطيت جوامع الكلام، و أعطيت الشفاعة».

و أخرج مثلها و قريب منها، مسلم في صحيحه ج ١، كتاب المساجد الحديث ٢، ص ٣٧٠.

و أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٣٠١، و ج ٥ ص ١٦١، و ج ٤ ص ٤١٦، و ج ٣ ص ٣٠٤. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۱۲

(الطريق الموصل إلى العلم باللّه سبحانه هو الكشف و العقل)

و الطريق الموصلة إلى العلم باللّه طريقان لا ثالث لهما، و من وحّد اللّه من غير هذين الطريقين فهو مقلّد في توحيده:

الطريق الواحدة: طريق الكشف، و هو علم ضروريّ يحصل عند الكشف يجده الإنسان في نفسه، لا يقبل معه شبهة و لا يقدر على دفعه و لا يعرف لذلك دليلا يستند إليه ما يجده في نفسه إلّا بعضهم، فإنّه قال: يعطي الدليل و المدلول في كشفه، فإنّه ما (لا) يعرف إلّا بالدليل فلا بدّ أن يكشف له عن الدليل، و كان يقول بهذه المقالة صاحبنا أبو عبد اللّه بن الكتاني بمدينة فاس، سمعت ذلك منه و أخبر عن حاله و صدق، و أخطأ في أن الأمر لا يكون إلّا كذلك، فإنّ غيره يجد ذلك في نفسه ذوقا من غير أن يكشف له عن الدليل، و إمّا أن يحصل له عن تجلّ إلهيّ يحصل له، و هم الرسل و الأنبياء و بعض الأولياء.

و الطريق الثاني طريق الفكر و الاستدلال بالبرهان العقلي، و هذا الطريق دون الطريق الأوّل، فإنّ صاحب النظر في الدليل قد تدخل عليه الشبه القادحة في دليله، فيتكلّف الكشف عنها و البحث على وجه الحقّ في الأمر المطلوب، و ما ثمّ طريق ثالث.

فهؤلاء هم أولوا العلم الّذين شهدوا بتوحيد الله، و لفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد اللّه دلالة و نظر (نظرا) زيادة علم على التوحيد، بتوحيد في الذات بأدلّة قطعيّة لا يعطاها كلّ أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۱۳

(طوائف أهل الجنّة و مقاماتهم)

و هؤلاء الأربع الطوائف يتميّزون في جنّات عدن عند رؤية الحقّ في الكثيب الأبيض، و هم فيه على أربعة مقامات:

طائفة منهم أصحاب منابر و هي الطبقة العليا: الرسل و الأنبياء.

و الطائفة الثانية، هم الأولياء، ورثة الأنبياء قولا و عملا و حالا، و هم على بيّنة من ربهم و هم أصحاب الأسرّة و العرش.

و الطبقة الثالثة، العلماء باللّه من طريق النظر البرهاني العقليّ و هم أصحاب الكراسي.

و الطبقة الرابعة، و هم المؤمنون المقلّدون في توحيدهم و لهم المراتب، و هم في الحشر مقدّمون على أصحاب النظر العقلي و هم في الكثيب عند النظر يتقدّمون على المقلّدين.

(زيارة أهل الجنان الحق سبّحانه و تجلّيه تعالى لهم)

فإذا أراد اللّه أن يتجلّى لعباده في الزّور العام نادى منادي الحقّ في الجنّات كلّها: يا أهل الجنان حيّ على المنّة العظمى و المكانة الزلفى و المنظر الأعلى، هلمّوا إلى زيارة ربّكم في جنّة عدن، فيبادرون إلى جنّة عدن

فيدخلونها، و كلّ طائفة قد عرفت مرتبتها و منزلتها فيجلسون.

ثمّ يؤمر بالموائد فتصبّ، (فتنصب) بين أيديهم موائد اختصاص ما رأوا مثلها، و لا تخيّلوه في حياتهم و لا جنّاتهم جنّات الأعمال.

و كذلك الطعام، ما ذاقوا مثله في منازلهم، و كذلك ما تنالوه من الشراب،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۱۴

فإذا فرغوا من ذلك خلعت عليهم من الخلع ما لم يلبسوا مثلها فيما تقدّم، و مصداق ذلك قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«فيها مالا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر» «۲۰۴».

فإذا فرغوا من ذلك قاموا إلى كثيب من المسك الأبيض فأخذوا منازلهم فيه على قدر علمهم باللّه لا على قدر عملهم، فإن العمل مخصوص بنعيم الجنان لا بمشاهدة الرحمن، فبيناهم على ذلك إذا بنور قد بهرهم فيخرون سجّدا فيسري ذلك النور في أبصارهم ظاهرا، و في بصائرهم باطنا، و في أجزاء أبدانهم كلّها، و في لطائف نفوسهم، فيرجع و يسمع بذاته كلّها، (كما سمع موسى كلام ربّه من جميع الجهات و جميع أعضائه) فهذا يعطيهم ذلك النور فيه يطيقون المشاهدة و الرؤية، و هي أتمّ

---

(۲۰۴) قوله: فيها مالا عين رأت.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤، كتاب الجنّة، باب ٥١ الحديث ٤ و ٣ و ٢، و أخرجه أيضا ابن ماجة في سننه ج ٢ كتاب الزهد باب ٣٩ (صفة الجنة الحديث ٤٣٢٨، ص ١٤٤٧.

و رواه أيضا ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٠١ الحديث ١٤٨.

تبصرة: لا بدّ من التأمل في قوله صلّى اللّه عليه و آله «بشر» في هذا الحديث، بأن البشر يكون هكذا، أي أنّ في الجنة كذا و كذا و لكن لا يراها عين البشر، و لا يسمعها أذن البشر و لا يخطر على قلب بشر، معناه أنّه إذا توقّف الإنسان على بشريّته التي هي قشر له، مع أنّ للإنسان درجات و مراتب أخرى لا بدّ من وصوله إليها.

فإذن من لم يصل إلى تلك المراتب فهو بشر بعد و لم يستطيع أن يدرك حقيقة الجنّة و ما فيها و ليس له حظ منها، و أمّا من جاوز عن البشريّة و وصل إلى طهارة النفس على مراتبها، يفهم و يدرك و يذوق و يرى و يشهد، و هكذا إلى أقصى المراتب.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٤١٥

من المشاهدة، فيأتيهم رسول (من) اللّه يقول لهم: «تأهبوا لرؤية ربّكم جلّ جلاله فها هو يتجلّى لكم»، فيتأهبون فيتجلّى الحقّ جلّ جلاله، (و) بينه و بين خلقه ثلاثة حجب: حجاب العزّة، و حجاب الكبرياء، و حجاب العظمة، فلا يستطيعون نظرا إلى تلك الحجب فيقول اللّه جلّ جلاله لأعظم الحجبة عنده: ارفعوا الحجب بيني و بين عبادي حتّى يروني، فترفع الحجب، فتجلّى لهم الحقّ جلّ جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجليل (الجميل) اللطيف إلى أبصارهم، و كلّهم بصر واحد، فينفهق عليهم نور يسري في ذواتهم، فيكونون به سمعا كلّهم، و قد أبهتهم جمال الربّ فأشرقت ذواتهم بنور ذلك الجمال الأقدس».

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من حديث النقاش في مواقف القيامة، و

هذا تمامه، فيقول الله جلّ جلاله:

«سلام عليكم عبادي و مرحبا بكم حيّاكم اللّه، سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحيّ القيوم، طِبْتُمْ فَادْخُلُوهٰا خٰالِدِينَ [الزمر: ۷۳].

طابت لكم الجنّة، فطيّبوا أنفسكم بالنعيم المقيم، و الثواب من الكريم، و الخلود الدائم، أنتم المؤمنون الآمنون، و أنا اللّه المؤمن المهيمن، شققت لكم اسما من أسمائي لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون.

أنتم أوليائي و جيراني و أصفيائي و خاصّتي و أهل محبّتي، و في داري سلام عليكم، يا معشر عبادي المسلمين! أنتم المسلمون، و أنا السّلام و داري دار السلام، سأريكم وجهي، كما سمعتم كلامي، فإذا تجليت لكم، و كشفت عن وجهي الحجب فاحمدوني، و أدخلوا إلى داري غير

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۱۶

محجوبين عنّي بسلام آمنين، فردّوا عليّ و أجلسوا حولي، حتّى تنظروا إليّ و تروني من قريب، فأتحفكم بتحفي، و أجيزكم بجوائزي، و أخصّكم بنوري، و أغشيكم بجمالي، و أهب لكم من ملكي، و أفاكهكم بضحكي، و أغلّفكم بيديّ و أشمّكم روحي و أنا ربّكم الّذي كنتم تعبدوني و لم تروني، تحبّوني و تخافوني، و عزّتي و جلالي و علوّي و كبريائي و بهائي و سنائي، إنّي عنكم راض، و أحبّكم و أحبّ ما تحبّون، و لكم عندي ما تشتهي أنفسكم، و تلذّ أعينكم، و لكم عندي ما تدّعون، و ما شئتم و كلّ ما شئتم أشاء، فاسألوني و لا تحتشموا و لا تستحيوا و لا تستوحشوا، و إنّي أنا اللّه الجواد الغنيّ الملّي الوفيّ الصادق.

و هذه داري قد أسكنتكموها، و جنّتي و قد أبحتكموها، و نفسي قد أريتكموها، و هذه يدي ذات الندى و الظل مبسوطة ممتدة عليكم لا أقبضها عنكم، أنا أنظر إليكم لا أصرف بصري عنكم، فاسألوني ما شئتم و اشتهيتم، فقد آنستكم بنفسي و أنا لكم أنيس و جليس.

فلا حاجة و لا فاقة بعد هذا، و لا بؤس و لا مسكنة، و لا ضعف و لا هرم و لا سخط و لا حرج و لا تحويل أبدا سرمدا.

نعيمكم نعيم الأبد و أنتم الآمنون المقيمون الماكثون المكرمون المنعمون، و أنتم السّادة الأشراف الّذين أطعتموني، و اجتنبتم محارمي فارفعوا إليّ حوائجكم أقضيها لكم، و كرامة و نعمة».

قال: فيقولون: «ربّنا ما كان هذا أملنا و لا أمنيّتنا، و لكن حاجتنا إليك: النّظر إلى وجهك الكريم أبدا، و رضى نفسك عنا»، فيقول لهم العليّ الأعلى مالك الملك السخيّ الكريم تبارك و تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۱۷

«فهذا وجهي بارز لكم أبدا سرمدا، فانظروا إليه و أبشروا، فإنّ نفسي عنكم راضية فتمتعوا و قوموا إلى أزواجكم فعانقوا و انكحوا، و إلى ولائدكم ففاكهوا، و إلى غرفكم فادخلوا، و إلى بساتينكم فتنزهوا، و إلى دوابّكم فاركبوا، و إلى فرشكم فاتكئوا، و إلى جواريكم و سراريكم في الجنان فاستأنسوا، و إلى هداياكم من ربّكم فاقبلوا، و إلى كسوتكم فالبسوا، و إلى مجالسكم فتحدثوا، ثم قيلوا قائلة لا نوم فيها و لا غائلة في ظل ظليل، و أمن مقيل و مجاورة الجليل، ثمّ روحوا إلى نهر الكوثر، و الكافور، و الماء

المطهّر، و السلسبيل، الزنجبيل، فاغتسلوا، و تنعّموا، طوبى لكم و حسن مآب، ثمّ روحوا فانكثوا على الرفارف الخضر، و العبقريّ الحسان، و الفرش المرفوعة في ظلّ ممدود، و الماء المسكوب، و الفاكهة الكثيرة، لا مقطوعة و لا ممنوعة».

ثم تلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

إِنَّ أَصْحٰابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فٰاكِهُونَ هُمْ وَ أَزْوٰاجُهُمْ فِي ظِلاٰلٍ عَلَى الْأَرٰائِكِ مُتَّكِؤُنَ لَهُمْ فِيهٰا فٰاكِهَةٌ وَ لَهُمْ مٰا يَدَّعُونَ سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ [يس: ٩- ٥٦].

ثمّ تلا هذه الآية:

أَصْحٰابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً [الفرقان: ٢٥].

إلى هاهنا (هنا) انتهى ما حدّثنا أبو بكر (حديث أبي بكر) النّقاش الّذي أسندناه في باب القيامة قبل هذا في حديث المواقف [٢٠٥].

---

(٢٠٥) قوله: أسندناه في باب القيامة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ۴١٨

(تجلّي الحقّ سبحانه بدون الحجاب)

ثمّ إنّ الحقّ تعالى بعد هذا الخطاب يرفع الحجاب و يتجلّى لعباده فيخرون سجّدا، فيقول لهم: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا موطن سجود، يا عبادي ما

دعوتكم إلاّ لتنعموا بمشاهدتي، فيمسكهم في ذلك ما شاء اللّه.

فيقول لهم: «هل بقي لكم شيء بعد هذا»؟ فيقولون: «يا ربّنا، و أيّ شيء بقي، و قد نجيتنا من النار و أدخلتنا دار رضوانك و أنزلتنا بجوارك

ذكره في الجزء الثامن و العشرون من الفتوحات، الباب الرابع و الستون في معرفة القيامة و منازلها، الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٣٠٩، و في الفتوحات المكيّة (عثمان يحيى) ج ٤ ص ٤٣٧، قال فيه:

فحدثنا شيخنا القصّار بمكّة سنة تسع و تسعين و خمس مائة، تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة، و هو يونس بن يحيى بن الحسين ابن أبي البركات الهاشمي العباسيّ، من لفظه و أنا أسمع، قال: حدثنا أبو الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الأرموي، قال:

حدثنا أبو بكر محمّد بن علي بن محمّد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الخياط (المغربي) المقرئ، قال قرئ على أبي سهل محمود بن عمر بن إسحاق العكبري و أنا أسمع، قيل له: حدّثكم رضي اللّه عنكم أبو بكر محمّد بن الحسن النقاس؟ قال: نعم، حدّثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو بكر أحمد ابن الحسين بن علي الطبري البزوري قال:

حدثنا محمّد بن حميد الرازي أبو عبد اللّه قال: حدّثنا سلمة بن صالح قال: أخبرنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل، عن غياث بن المسيّب، عن عبد الرحمن بن غنم و زيد بن وهب، عن عبد اللّه ابن مسعود، قال:

كنت جالسا عند علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، و عنده عبد اللّه بن عباس، و حوله عدّة من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال علي رضي اللّه عنه: قال رسول

اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إنّ في القيامة لخمسين موقفا ...» و ذكر الحديث إلى أن قال: و ستأتي بقيّة الحديث إن شاء اللّه في باب الجنّة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۱۹

و خلعت علينا ملابس كرمك و أريتنا وجهك»؟.

فيقول الحقّ جلّ جلاله: «بقي لكم، فيقولون: يا ربّنا و ما ذاك الّذي بقي؟ فيقول: دوام رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا».

فما أحلاها من كلمة، و ما ألذّها من بشرى، فبدأ سبحانه بالكلام خلقنا فقال: «كن، فأوّل شيء كان لنا منه السماع، فختم بما به بدأ، فقال هذه المقالة فختم بالسماع و هو هذه البشرى، و يتفاضل الناس في رؤيته سبحانه، و يتفاوتون فيها تفاوتا عظيما على قدر علمهم، فمنهم من يقول سبحانه لملائكته: ردّوهم إلى قصورهم فلا يهتدون لأمرين: لما طرأ عليهم من سكر الرؤية، و لما زادهم من الخير في طريقهم فلم يعرفوها، فلو لا أن الملائكة تدلّ بهم ما عرفوا منازلهم، فإذا وصلوا إلى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور و الولدان، فيرون جميع ملكهم قد اكتسى بهاء و جمالا و نورا من وجوههم، أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم: لقد زدتم نورا و بهاء و جمالا ما تركناكم عليه، فيقول لهم أهلهم:

و كذا كم أنتم قد زدتم من البهاء و الجمال ما لم يكن فيكم عند مفارقتكم إيّانا فينعم بعضهم ببعض».

(الجنّة فيها الرحمة المطلقة)

و اعلم، أنّ الرّاحة و الرحمة مطلقة في الجنّة كلّها، و إن كانت الرّاحة (الرحمة) ليست بأمر وجوديّ، و إنّما هي عبارة عن الأمر الّذي يلتذّ به و يتنعم (به) المرحوم، و ذلك هو الأمر الوجودي فكلّ من في الجنّة متنعّم، و كلّ ما فيها نعيم، فحركتهم ما فيها نصب و أعمالهم ما فيها لغوب إلاّ راحة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۲۰

النّوم ما عندهم، لأنّهم ما ينامون، فما عندهم من نعيم النوم شيء.

(خمود النار رحمة لأهل الجحيم)

و نعيم النوم هو الّذي يتنعم به أهل النار خاصّة، فراحة النوم محلّها جهنّم، و من رحمة اللّه بأهل النّار في أيّام عذابهم خمود النار عنهم، ثمّ تسعر بعد ذلك عليهم فيخفف (فيخف) عنهم بذلك من آلام العذاب على قدر ما خبت النّار، قال تعالى:

كُلَّمٰا خَبَتْ زِدْنٰاهُمْ سَعِيراً [الإسراء: ۹۷].

و هذا يدلّك أن النار محسوسة بلا شك فإنّ النّار ما تتّصف بهذا الوصف إلاّ من كون قيامها بالأجسام، لأنّ حقيقة النّار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها و لا الزّيادة و لا النقص، و إنّما هو الجسم المحرق بالنار، هو الّذي يسجر بالناريّة.

و إن حملنا هذه الآية على الوجه الآخر قلنا: قوله تعالى: «كلّما خبت»، يعني النّار المسلّطة على أجسامهم، «زدنا»، يعني: المعذّبين سعيرا، فإنّه لم يقل: زدناها، و معنى ذلك أنّ العذاب ينقلب إلى بواطنهم فهو (و هو) أشدّ

العذاب الحسّي يشغلهم عن العذاب المعنوي، فإذا خبت النّار في ظواهرهم، و وجدوا الرّاحة من حيث حسّهم سلّط اللّه عليهم في بواطنهم التفكّر فيما كانوا فرّطوا فيه من الأمور التّي لو عملوا بها لنالوا السعادة، و تسلّط عليهم الوهم بسلطانه فيتوهّمون عذابا أشدّ ممّا كانوا فيه، فيكون عذابهم بذلك التوهّم في نفوسهم أشدّ من حلول العذاب المقرون بتسلّط النار المحسوسة على أجسامهم، و تلك النار التّي أعطاها الوهم هي

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۲۱

النار التّي:

تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ [الهمزة: ۷].

و هي التّي قلنا فيها:

النار ناران: نار كلّها لهب   و نار معنى على الأرواح تطلّع

و هي التّي مالها سفع و لا لهب   لكن لها ألم في القلب ينطبع

(تحقّق التمنّي في الجنّة)

و كذلك أهل الجنّة يعطيهم اللّه من الأمانيّ و النعيم المتوهّم فوق ما هم عليه، فما هو إلاّ أنّ الشخص منهم يتوهم ذلك أو يتمناه، فيكون فيه بحسب ما يتّوهمه أو يتمنّاه إن تمنّاه معنى كان معنى، أو توهّمه حسّا كان محسوسا أيّ ذلك كان.

أمانيّ إن تحصل تكن أحسن المنى

و إلاّ فـقـد عـشـنـا بـهـا زمـنـا رغـدا

و ذلك النعيم من جنّات الإختصاص و نعيمها و هو جزاء لما كان يتوهّم هنا و يتمنّى أن لو قدر و تمكّن أن يكون ممّن لا يعصي اللّه طرفة عين، و أن يكون من أهل طاعته، و أن يلحق بالصالحين من عباده، و لكن قصرت به العناية في الدنيا فيعطى هذا التمنّي في الجنّة فيكون له ما تمنّاه و توهّمه، و أراحه اللّه في الدنيا من تلك الأعمال الشاقّة و لحق في الآخرة بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات العلى.

و قد ثبت عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، في الرّجل الّذي لا قوّة له و لا مال، فيرى ربّ المال الموفّق يتصدق و يعطي و يفكّ الرقاب (في فكّ الرقاب) و يوسّع على الناس و يصل الرحم و يبني المساجد و يعمل أعمالا لا يمكن أن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۲۲

يصل إليها إلاّ ربّ المال، و يرى أيضا من هو أجلد منه على العبادات الّتي

ليس في قوّة جسمه أن يقوم بها، و يتمنّى أنّه لو كان له مثل صاحبه من القوّة و المال لعمل مثل عمله، قال صلّى اللّه عليه و آله:

«فهما في الآخرة (الأجر) سواء» «(٢٠٦)».

و معنى ذلك أنّه يعطى في الجنّة مثل ذلك التمني من النعيم الّذي أنتجته تلك الأعمال، فيكون له ما تمنّى و هو أقوى في اللذّة و النعيم ممّا لو وجدوه في الجنّة قبل هذا التمنّي فلمّا انفعل عن تمنّيه كان النعيم به أعلى.

ممن جنّات الإختصاص ما يخلق اللّه له من همّته و تمنّيه، فهو اختصاص عن عمل معقول متوهّم و تمنّ لم يكن له وجود ثمرة في الدنيا

---

(٢٠٦) قوله: فهما في الأجر سواء أخرج ابن ماجة في سننه ج ٢ كتاب الزهد باب ٢١ (النيّة) الحديث ٤٢٢٨، ص ١٤١٣، بإسناده عن أبي كبشة الأنماريّ، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«مثل هذه الأمّة كمثل أربعة نفر: رجل آتاه اللّه مالا و علما فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقّه، و رجل آتاه اللّه علما و لم يؤته مالا فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الّذي يعمل، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: فهما في الأجر سواء.

و رجل آتاه اللّه مالا و لم يؤته علما فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقّه، و رجل لم يؤته اللّه علما و لا مالا فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الّذي يعمل، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: فهما في الوزر سواء».

و روي الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٨٥ الحديث ٣ بإسناده عن أبي بصير، عن

أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام قال:

«إنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: يا ربّ ارزقني حتّى أفعل كذا و كذا من البرّ و وجوه الخير، فإذا علم اللّه عزّ و جلّ ذلك منه بصدق نيّة كتب اللّه له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنّ اللّه واسع كريم».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۲۳

و هو الّذي عنينا بالاختصاص في قولنا:

مراتب الجنّة مقسومة
ما بين أعمال و بين اختصاص

فيا أولي الألباب سبقا على
نجب من أعمالكم لا مناص

إن بلى لم تعط أطفالنا
من أثر الأعمال غير الخلاص

لأنّه لم يك شرعا لهم
فهو اختصاص ما لديه انتقاص

فأردنا بالاختصاص الثاني، ما لا يكون عن تمنّ و لا توهّم و أردنا بالاختصاص الأوّل ما يكون عن تمنّ و توهّم الّذي هو جزاء عن تمنّ و توهم في الدنيا.

و أما الأمانيّ المذمومة فهي التي لا تكون لها ثمرة و لكن صاحبها بتنعّم بها في الحال كما قيل:

أمانيّ أن تحصل تكن أحسن المنى

و إلاّ فقد عشنا بها زمنا رغدا

و لكن تكون حسرة في المآل، و فيها قال اللّه تعالى:

وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمٰانِيُّ حَتّٰى جٰاءَ أَمْرُ اللّٰهِ [الحديد: ١٤].

و فيها يقال:

أَصْحٰابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً [الفرقان: ٢٤].

لأنّه لا مفاضلة بين الخير و الشرّ، فما كان خير أصحاب الجنّة أفضل و أحسن إلاّ من كونه واقعا وجوديّا محسوسا، فهو أفضل من الخير الّذي كان الكافر يتوهمه في الدنيا و يظنّ أنّه يصل إليه بكفره لجهله فلهذا قال فيه:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۲۴

«خير و أحسن» «(٢٠٧)».

فأتى ببينة المفاضلة و هي، «أفعل»، من كذا، فافهم هذا المعنى، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

(۲۰۷) قوله: خير و أحسن.

روى الكليني في الأصول ج ۲ ص ۸٤ الحديث ۲، بإسناده عن السكوني، عن الصادق عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«نيّة المؤمن خير من عمله، و نيّة الكافر شرّ من عمله، و كلّ عامل يعمل على نيّته».

و في حديث عنه صلّى اللّه عليه و آله، قال: «نيّة المؤمن أبلغ من عمله، و في حديث آخر عن الباقر عليه السّلام قال: نيّة المؤمن أفضل من عمله».

راجع البحار ج ۷۰ ص ۲۰٦ الحديث ۲۳ و ۱۹، نقلهما عن علل الشرائع للصدوق و عن آمالي الطوسي.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۲۵

«الباب الحادي و الستّون» «۲۰۸»

في معرفة جهنم و أعظم المخلوقات فيها عذابا و معرفة بعض العالم العلوي

(في أنّ جهنّم سجن اللّه سبحانه في الآخرة)

اعلم عصمنا اللّه و إيّاك أنّ جهنّم من أعظم المخلوقات و هي سجن اللّه في الآخرة يسجن فيه المعطّلة و المشركون و هي لهاتين الطائفتين دار مقامة، و الكافرون و المنافقون و أهل الكبائر من المؤمنين قال تعالى:

وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً [الإسراء: ٨].

ثمّ يخرج بالشفاعة ممّن ذكرنا، و بالامتنان الإلهي من جاء النصّ الإلهي فيه.

(۲۰۸) قوله: الباب الحادي و الستّون.

راجع الفتوحات المكيّة ج ۱ ص ۲۹۷ و الفتوحات ط (عثمان يحيى) ج ٤ ص ۳٦٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۲۶

(وجه تسمية جهنّم بجهنّم)

و سمّيت جهنّم جهنّم لبعد قعرها، يقال: بئر جهنّم إذا كانت بعيدة القعر، و هي تحوي على حرور و زمهرير، ففيها البرد على أقصى درجاته و الحرور على أقصى درجاته، و بين أعلاها و قعرها خمس و سبعون مائة من السنين.

(في أن جهنم هل هي موجودة الآن)

و أختلف الناس في خلقها، هل خلقت بعد أو (أم) لم تخلق؟ و الخلاف مشهور فيها، و كلّ واحد من الطائفتين يحتج فيما ذهب إليه بما يراه حجّة عنده، و كذلك اختلفوا في الجنّة.

و أمّا عندنا، و عند أصحابنا أهل الكشف و التعريف فهما مخلوقتان، غير مخلوقتين.

فأمّا قولنا: مخلوقة، فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلّها الحاوية عليها خاصّة فقال (فيقال): قد بنى دارا فإذا دخلها لم ير إلاّ سورا دائرا (على) فضاء و ساحة، ثمّ بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها

من بيوت و غرف و سراديب و مهالك و مخازن، و ما ينبغي أن يكون فيها ممّا يريده الساكن أن يجعل فيها من الآلات الّتي تستعمل في عذاب الداخل فيها.

و هي دار حرورها محترق، لا جمر لها سوى بني آدم و الأحجار المتّخذة آلهة، و الجنّ لهبها، قال تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۲۷

وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجٰارَةُ [البقرة: ٢٤].

و قال:

إِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ [الأنبياء: ٩٨].

و قال تعالى:

فَكُبْكِبُوا فِيهٰا هُمْ وَ الْغٰاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ [الشعراء: ٦- ٩٥].

و تحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجنّ و الإنس الّذين يدخلونها.

و أوجدها اللّه بطالع الثور، و لذلك كان خلقها في الصّورة، صورة الجاموس سواء، هذا الّذي يعوّل عليه عندنا.

و بهذه الصورة رآها أبو الحكم بن برجان في كشفه، و قد تمثّل لبعض الناس من أهل الكشف في صورة حيّة فيتخيّل أنّ تلك الصورة هي الّتي جعلها اللّه عليها كأبي القاسم بن قسّي و أمثاله.

و لمّا خلقها اللّه تعالى، كان زحل في الثّور، و كانت الشّمس و الأحمر في القوس، و كان سائر الدراري في الجدي، و خلقها اللّه تعالى من تجلّى قوله في حديث مسلم: [٢٠٩]

---

(۲۰۹) قوله: في حديث مسلم: فلم تطعمني.

أخرجه المسلم في صحيحه ج ٤ كتاب البرّ باب ۱۳ الحديث ٤٣ ص ۱۹۹۰، بإسناده عن أبي هريرة عن رسول صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني، قال: يا ربّ! كيف أعودك؟ و أنت ربّ العالمين، قال: أما علمت أنّ عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنّك لوعدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب و كيف أطعمك؟ و أنت ربّ العالمين. قال: أما علمت أنّه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۲۸

«جعت فلم تطعمني، و ظمئت فلم تسقني، و مرضت فلم تعدني».

و هذا أعظم نزول نزله الحقّ الى عباده في اللطف بهم، فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم أعاذنا اللّه و إيّاكم منها، فلذلك تجبّرت على الجبابرة و قصمت المتكبرين.

(النار و الآلام التي فيها من الغضب الإلهي)

و جميع ما يخلق فيها من الآلام الّتي يجدونها الداخلون فيها من صفة الغضب الإلهّي، و لا يكون ذلك إلاّ عند دخول الخلق فيها من الجنّ و الإنس متى دخلوها، و أمّا إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها و لا في نفس ملائكتها بل هي و من فيها من زبانيتها في رحمة اللّه منغمسون

ملتذّون يسبّحون لا يفترون، يقول تعالى:

وَ لاٰ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ [طه: ٨١].

أي ينزل بكم غضبي، فأضاف الغضب إليه، و إذا نزل بهم كانوا محلاّ له، و جهنم إنّما هي مكان لهم و هم النازلون فيها و هم محلّ الغضب، و هو النازل بهم فإنّ الغضب هنا هو عين الألم.

استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم! استسقيتك فلم تسقني، قال: يا ربّ! كيف أسقيك؟ و أنت ربّ العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنّك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

و أخرج قريب منه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٤٤.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۲۹

فمن لا معرفة له ممّن يدّعى طريقتنا، و يريد أن يأخذ الأمر بالتمثيل و القوّة و المناسبة في الصفات فيقول: إن جهنم مخلوقة من القهر الإلهي و أنّ الإسم القاهر هو ربّها و المتجلّي لها، و لو كان الأمر كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عمّا وجدت له من التسلط على الجبابرة، و لم يتمكن لها أن تقول: «هل من مزيد»؟ و لا أن تقول: أكل بعضي بعضا فنزول الحقّ برحمته إليها الّتي وسعت كلّ شيء، و حنانه وسّع لها المجال في الدعوى و التسلّط على من

تجبّر على من أحسن إليها هذا الإحسان و جميع ما تفعله بالكفار من باب شكر المنعم حيث أنعم عليها فما تعرف منه سبحانه إلاّ النّعمة المطلقة الّتي لا يشوبها ما يقابلها فالناس غالطون في شأن خلقها.

و من أعجب ما روينا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان قاعدا مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أ تعرفون ما هذه الهدّة؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم، قال: حجر ألقي من أعلى جهنّم منذ سبعين سنة، الآن وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها و سقوطه فيها هذه الهدّة» «۲۱۰».

---

(۲۱۰) قوله: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أ تعرفون ما هذه الهدّة؟ ص ٣٤٤ أخرج مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنة باب ١٢ الحديث ٣١ ص ٢١٨٤ بإسناده عن أبي هريرة قال: كنّا مع رسول صلّى اللّه عليه و آله إذ سمع وجبة فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله: «تدرون ما هذا؟» قال: قلنا: اللّه و رسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن، حتّى انتهى إلى قعرها».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۳۰

فلما فرغ من كلامه صلّى اللّه عليه و آله إلاّ و الصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات و كان عمره سبعين سنة، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه

و آله: «اللّه أكبر» فعلم علماء الصحابة أنّ هذا الحجر هو ذاك المنافق، و أنّه منذ خلقه اللّه يهوى في نار جهنّم و بلغ عمره سبعين سنة فلمّا مات حصل في قعرها.

قال اللّه تعالى:

إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّٰارِ [النساء: ١٤٥].

فكان سماعهم تلك الهدّة الّتي أسمعهم اللّه، ليعتبروا، فانظر ما أعجب كلام النّبوّة و ما ألطف تعريفه، و ما أحسن إشارته، و ما أعذب كلامه صلّى اللّه عليه و آله.

(تخاصم أهل النار في النار)

و لقد سألت اللّه أن يمثل لي من شأنها ما شاء، فمثّل لي حالة خصامهم فيها و هو قوله تعالى:

إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخٰاصُمُ أَهْلِ النّٰارِ [ص: ٦٤].

و قوله تعالى:

قٰالُوا وَ هُمْ فِيهٰا يَخْتَصِمُونَ تَاللّٰهِ إِنْ كُنّٰا لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ [الشعراء: ٩٦].

لضلالهم و آلهتهم، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعٰالَمِينَ وَ مٰا أَضَلَّنٰا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ [الشعراء: ٩٨- ٩٩].

يريد بالجرمين أهل النار الّذين يعمرونها و لا يخرجون منها، يمتازون عن الّذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين و سابق العناية الإلهيّة في الموحّدين.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۳۱

(منع التنازع و رفع الصوت عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله)

فهذا مثّل لي في وقت منها، فما شبّهت خصامهم فيها إلاّ لخصام أصحاب الخلاف في مناظرتهم، إذا استدل أحدهم، فإذا رأيت ذلك تذكرت الحالة الّتي أطّلعني اللّه عليها، و رأيت الرحمة كلّها في التسليم و التلقي من النبوّة، و الوقوف عند الكتاب و السنّة، و لقد عمى النّاس عن قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«عند نبيّ لا ينبغي تنازع» «(٢١١)».

و حضور حديثه صلّى اللّه عليه و آله كحضوره، لا ينبغي أن يكون عند إيراده تنازع و لا يرفع السامع صوته عند سرد الحديث النبّوي، فإنّ اللّه يقول:

لاٰ تَرْفَعُوا أَصْوٰاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ اَلنَّبِيِّ [الحجرات: ٢].

و لا فرق عند أهل اللّه بين صوت النبيّ أو حكاية قوله.

فما لنا إلاّ التهيّؤ لقبول ما يرد به المحدّث من كلام النبوّة من غير جدال سواء كان ذلك الحديث جوابا عن سؤال أو أبتداء كلام، فالوقوف عند كلامه صلّى اللّه عليه و آله في المسألة أو النّازلة واجب فمتى ما قيل: قال اللّه، أو قال

---

(٢١١) قوله: عند نبي لا ينبغي تنازع.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٣ كتاب الوصيّة الحديث ٢٠ ص ١٢٥٧ بإسناده عن سعيد

بن جبير قال: قال ابن عبّاس: يوم الخميس و ما يوم الخميس! ثمّ بكى حتّى بلّ دمعه الحصى، فقلت، يا ابن عباس! و ما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وجعه، فقال:

«أتوني أكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعدي» فتنازعوا و ما (لا) ينبغي عند نبيّ تنازع. الحديث.

و أخرجه أيضا ابن حنبل في مسنده ج ١ ص ٢٢٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۳۲

رسول اللّه، ينبغي أن يقبل و يتأدب السّامع و لا يرفع صوته على صوت المحدّث إذا قال: ما قال اللّه أو سرد الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، يقول اللّه تعالى:

فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاٰمَ اللّٰهِ [التوبة: ٦].

و ما تلاه إلاّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و ما سمعه السامع إلاّ منه، ثمّ إذا شاركه السامع في حال كلامه فهو ليس بسامع فإنّه من الآداب التي أدّب اللّه بنبيّه صلّى اللّه عليه و آله:

وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ [طه: ١١٤].

و اللّه يقول:

لاٰ تَرْفَعُوا أَصْوٰاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لاٰ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ [الحجرات: ٢].

و توعّد على ذلك بحبط العمل من حيث لا يشعر الإنسان، فإنّه يتخيّل في

ردّه و خصامه انّه يذبّ عن دين اللّه و هذا من مكر اللّه الّذي قال فيه:
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ [الأعراف: ۱۸۲].
و قال:
وَ مَكَرْنٰا مَكْراً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ [النمل: ۵۰].
فالعاقل المؤمن الناصح نفسه إذا سمع من يقول: قال اللّه، أو قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلينصت و يصغي و يتأدّب و يتفهم ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يقول اللّه:
وَ إِذٰا قُرِئَ اَلْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الأعراف: ۲۰٤].
فأوقع الترجي مع هذه الصفة و ما قطع بالرحمة فكيف حال من خاصم و رفع صوته، و داخل التالي و سارد الحديث النبويّ في الكلام و أرجوا أن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۳۳

يكون الترجي الإلهي واجبا كما يراه العلماء.
و لمّا عاينت هذا المحلّ، رأيت عجبا و في هذه الرّؤية رأيت اعتماد الماء على الهواء، و هو من أعجب الأشياء في عمارة الأحياز و أن جوهرين لا يكونان في حيّز واحد، و أنّ الحيّز لمن شغله، و في هذه الرؤية علمت إبطال التوالد، و أنّ المحرّك للأشياء هو اللّه تعالى، و أنّ السبب لا أثر له في الفعل جملة واحدة، و في هذه الرؤية علمت أن الألطف أقوى من الأكثف، فإنّ الهواء ألطف من الماء بلا شكّ، و قد منعه و لم يقاومه الماء في القوّة و منعه من النزول، فإنّي رأيت نفسي في الهواء و الماء فوقي و يمنعه الهواء من النزول إلى الأرض، و في هذه الرؤية علمت علوما جمّة كثيرة.

(الخصومات ما بين أهل النار نفس عذابهم)

و في هذه الرؤية رأيت من دركات أهل النّار من كونها جهنم لا من كونها نارا، ما شاء اللّه أن يطلعني منها، و رأيت فيها موضعا يسمّى المظلمة، نزلت في درجة نحو خمسة أدراج، و رأيت مهالكها، ثمّ زجّ بي في الماء غلوا (علوا) فاحترقته، و قد رأيت عجبا و علمت في أحوال مخاصمتهم حيث يختصمون من الجحيم، و أن ذلك الخصام هو نفس عذابهم في تلك الحال، و أن عذابهم في جهنّم ما هو، من جهنّم، و إنّما جهنم دار سكناهم و سجنهم، و اللّه يخلق الآلام فيهم متى شاء، فعذابهم من اللّه و هم محلّ له.

(باب الحجاب عن رؤية اللّه سبحانه باب من أبواب جهنم)

و خلق اللّه لجهنّم سبعة أبواب لكلّ باب جزء من العالم و من العذاب

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۴۳۴

مقسوم، و هذه الأبواب السبعة مفتّحة، و فيها باب ثامن مغلق لا يفتح و هو باب الحجاب عن رؤية اللّه تعالى، و على كلّ باب ملك من الملائكة، ملائكة السماوات السبع عرفت أسمائهم هنالك و ذهبت عن حفظي إلاّ إسماعيل فهو بقي على ذكري.

(الكواكب في جهنم مظلمة)

و أمّا الكواكب كلّها فهي في جهنّم مظلمة الأجرام عظيمة الخلق، و كذلك الشمس و القمر و الطلوع و الغروب لهما في جهنّم دائما، فشمسها شارقة لا مشرقة، و التكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار من الكائنات، و ما تغيّر فيها من الصور في التبديل و الانتشار، و لهذا قال تعالى:

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهٰا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا [غافر: ٤٦].

و الحالة مستمرة، ففي البرزخ يكون العرض و في الدار الآخرة يكون الدخول.

فذوات الكواكب فيها صورتها، صورة الكسوف عندنا سواء، غير أنّ وزن تلك الحركات في تلك الدار خلاف ميزانها اليوم، فإنّ كسوفها ما ينجلي، و هو كسوف في ذاتها لا في أعيننا و الهواء فيها (فيه) تطفيف، فيحول بين الأبصار و بين الإدراك الأنوار كلّها، فتبصر الأعين الكواكب المنتثرة غير نيّرة الأجرام كما نعلم قطعا أنّ الشّمس هنا في ذاتها نيّرة، و أنّ الحجاب القمري هو الّذي منع البصر أن يدركها أو يدرك نور القمر أو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٣٥

ما كان مكسوفا (و) لهذا في زمان كسوف لشيء (شيء) منها في موضع يكون في موضع آخر أكثر من ذلك، و في موضع آخر لا يكون منه شيء.

فلمّا اختلفت الأبصار في إدراك ذلك لاختلاف الأماكن علمنا قطعا أنّ ثمّ أمرا عارضا عرض في الطريق حال بين البصر و بينها أو بين نورها، كالقمر يحول بينك و بين إدراك جرم الشمس، و ظلّ الأرض يحول بينك و بين القمر لا بينك و بين جرمه مثل ما حال القمر بينك و بين جرم الشّمس، و ذلك بحسب ما يكون منك و تكون منه، و هكذا سائر الكواكب و لكن أكثر الناس لا يعلمون، كما أنّ أكثر الناس لا يؤمنون، فإنّ ذلك الكسوف كلّه على اختلاف أنواعه خشوع من المكسوف عن (تجلّ) تجلّي إلهي حصل له.

و حدّ جهنّم بعد الفراغ من الحساب و دخول أهل الجنّة الجنّة من مقعّر فلك

الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين، فهذا كله يزيد في جهنّم ممّا هو الآن ليس مخلوقا فيها، و لكن معدّ حتّى يظهر (إلاّ) الأماكن الّتي قد عيّنها اللّه من الأرض، فإنّها ترجع إلى الجنّة يوم القيامة مثل الروضة الّتي بين منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بين قبره، و كلّ مكان عيّنه الشارع و كلّ نهر، فإن ذلك كلّه يصير إلى الجنّة و ما بقي فيعود نارا كلّه و هو من جهنم، و لهذا كان يقول عبد اللّه بن عمر إذا رأى البحر يقول: يا بحرا! متى تعود نارا؟ و قال تعالى:

وَ إِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ [التكوير: ٦].

أي أجّجت نارا من «سجرت التنوّر» إذا أوقدته، و كان ابن عمر يكره الوضوء بماء البحر و يقول: «التيمّم أعجب إليّ منه».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٣٦

(كشف باطن الأشياء و الأعمال و حسن الأعمال و قبحها الذاتيّان)

و لو كشف اللّه عن أبصار الخلق لرأوه يتأجّج نارا و لكن اللّه يظهر ما يشاء و يخفي، ما يشاء ليعلم أنّ اللّه على كلّ شيء قدير، و أنّ اللّه قد أحاط بكلّ شيء علما، و أكثر ما يجري هذا الأهل الورع فيرى الطعام الحرام صاحب الورع المحفوظ خنزيرا أو عذرة، و الشراب خمرا لا يشك فيما يراه و يراه جليسه قرصة خبز طيّبة، و يرى الشراب ماءا عذبا، فيا ليت شعري! من هو صاحب الحسّ الصحيح من صاحب الخيال؟ هل الّذي أدرك الحكم الشرعيّ صورة أو هل الّذي أدرك المحسوس في العادة على حاله؟

(رؤية حقيقة الأشياء و الأعمال القبيحة و المحرّمة توجب تركها)

و هذا ممّا يقوي مذهب المعتزلة في أن القبيح قبيح لنفسه و الحسن حسن لنفسه، و أن الإدراك الصحيح إنّما هو لمن أدرك الشراب الحرام خمرا، فلو لا أنّه قبيح لنفسه ما صحّ هذا الكشف لصاحبه و لو كان فعله عين تعلّق الخطاب بالحرمة و القبح ما ظهر ذلك الطعام خنزيرا، فإنّ الفعل ما وقع من المكلّف، فإنّ اللّه أظهر له صورته و أنّه قبيح، حتى لا يقدم على أكله، و هذا بعينه يتصوّر فيمن يدركه على حاله في العادة و لكن هذا أحقّ في الشرع، فيعلم قطعا أنّ الّذي يراه طعاما على عادته قد حمل (حيل)

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۳۷

بينه و بين حقيقة حكم الشرع فيه بالقبح و لو كان الشيء قبيحا بالتقبيح الوضعيّ لم يصدق قول الشارع في الإخبار عنه: إنّه قبيح أو حسن، فإنّه خبرّ بالشيء على خلاف ما هو عليه فإنّ الأحكام أخبار بلا شك عند كلّ عاقل عارف بالكلام فإنّ اللّه أخبرنا أنّ هذا حرام و هذا حلال و لذا قال تعالى في ذمّ من قال عن اللّه ما لم يقل:

وَ لاٰ تَقُولُوا لِمٰا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هٰذٰا حَلاٰلٌ وَ هٰذٰا حَرٰامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ [النحل: ۱۱۶].

فإنّه ألحق الحكم بالخبر لأنّه خبر بلا شكّ، إلاّ أنّه ليس في قوّة البشر في أكثر الأشياء إدراك قبح الأشياء و لا حسنها، فإذا عرّفنا الحقّ بها عرفناها، و منها ما يدرك قبحه عقلا في عرفنا مثل الكذب و كفر المنعم، و حسنه عقلا مثل الصدق و شكر المنعم، و كون الإثم يتعلّق ببعض أنواع الصدق، و الأجر

يتعلق ببعض أنواع الكذب، فذلك لله يعطي الأجر على ما شاءه من قبح و حسن، لا يدل ذلك على حسن الشيء، و لا قبحه، الكذب في نجاة مؤمن من هلاك يؤجر عليه الإنسان و إن كان الكذب قبيحا في ذاته، و الصدق كالغيبة يأثم بها الإنسان و إن كان الصدق حسنا في ذاته، فذاك أمر شرعي يعطي فضله من شاء و يمنعه من شاء كما قال:

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [آل عمران: ٧٤].

(أشد الخلق عذابا في النار إبليس)

و اعلم أن أشد الخلق عذابا في النار إبليس الّذي تبيّن (سنّ) الشرك و كان (كلّ) مخالفة، و سبب ذلك أنّه مخلوق من النار فعذابه بما خلق منه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٣٨

(تأثير النفس و الهواء البارد في بقاء حياة الإنسان)

ألا ترى أنّ النّفس به يكون حياة الجسم الحسّاس، فإذا منع بالشنق و الخنق خروج ذلك النفس، انعكس راجعا إلى القلب فأحرقه (من) في ساعته فهلك لحينه، فبالنفس كانت حياته و به كان هلاكه، و هلاكه على الحقيقة بالنفس من كونه متنفّسا لا من كونه ذا نفس، و لا من كونه متنفّسا فقط بل من كونه يجذب بالقوّة الجاذبة نفس الهواء البارد إلى قلبه، و يخرج بالقوّة الدافعة النفس الحارّ المحرق من قلبه، فسبب هذه الأحوال، بها يكون حياته.

فإنّ الّذي يرمى في النار متنفس و لكن لا يخلو من أحد الوجهين: إمّا أنّه لا يتنفّس في النار فيكون حالته حالة المشنوق الّذي يخنق بالحبل، فيقتله

نفسه، و إمّا أن يتنفّس فيجذب بالقوّة الجاذبة هواء ناريّا محرقا إذا وصل الى قلبه أحرقه، فلهذا قلنا في سبب الحياة هذه الأمور كلّها.

فعذاب إبليس في جهنّم بما فيها من الزمهرير، فإنّه يقابل النّار الّذي هو أصل نشأة إبليس فيكون عذابه بالزمهرير، و بما هو نار مركبة، ففيه من ركن الهواء و الماء و التّراب، فلا بدّ أن يعذّب بالنّار على قدر مخصوص، و عامّة عذابه بما يناقض ما هو الغالب عليه في أصل خلقه.

(الجهل عذاب بما أن الحسرة أيضا عذاب)

و النار ناران: نار حسيّة، و هي المسلّطة على إحساسه و حيوانيته و ظاهر جسمه و باطنه، و نار معنويّة، و هي «الّتي تطّلع على الأفئدة»،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۳۹

و بها يتعذّب روح (روحه) المدبّر لهيكله الّذي أمر فعصى، فمخالفته عذّبته و هي عين جهله بمن استكبر عليه، فلا عذاب على الأرواح أشدّ من الجهل فإنّه غبن كلّه، و لهذا سمّي: «يوم التغابن»، يريد يوم عذاب النفوس، فيقول: يٰا حَسْرَتىٰ عَلىٰ مٰا فَرَّطْتُ [الزمر: ٥٦].

و هو «يوم الحسرة»، يقول يوم الكشف من حسرت عن الشّيء، إذا كشفت عنه، فكأنّه يقول: يا ليتني حسرت عن هذا الأمر في الدنيا فأكون على بصيرة من أمري فيغتبن في نفسه، و التغابن يدرك في ذلك اليوم، الكلّ، الطائع و العاصي، فالطائع يقول:

«يا ليتني بذلت جهدي، و وفّيت حقّ استطاعتي، و تدبّرت كلام ربّي فعملت بمقتضاه»، مع كونه سعيدا.

و المخالف يقول: «يا ليتني لم أخالف ربّي فيما أمرني به و نهاني»، فذلك «يوم التغابن».

و لمّا أعلمناك بمرتبة النّفس و التنفّس، إنما جئنا به لتعلم أنّ جهنّم لمّا اختصّ بآلام أهلها صفة الغضب الإلهي، و اختصّ بوجودها التنزل الرحماني الإلهي، و جاء في الخبر الصحيح:

«نفس الرحماني» [۲۱۲].

(۲۱۲) قوله: نفس الرحماني.

حديث معروف و لكن لم أجد لفظه في جوامع الحديث إلاّ انّه رواه ابن ابي جمهور في عوالي اللئالي ج ۱ ص ۵۱ الحديث ۷۴.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۴۰

مشعرا بصفة الغضب فكان التنفّس ملحقا صفة الغضب بمن حلّ به و لهذا لمّا أتى نفس الرحمن من قبل اليمن حلّ الغضب الإلهي بالكفّار بالقتل و السيف الّذي أوقعت بهم الأنصار (الكفّار)، فنفّس اللّه بذلك عن دينه و نبيّه صلّى اللّه عليه و آله، فإنّ ذا الغضب إذا وجد على من يرسل غضبه تنفّس عنه ما يجده من ألم الغضب.

و أكمل الصورة في محمّد صلّى اللّه عليه و آله فقام به على الكفار لأجل ردّهم كلمة اللّه صفة الغضب، فنفّس الرحمن عنه بما أمره من السيف، و

نفس عنه بأصحابه و أنصاره فوجد الراحة فإنّه وجد حيث يرسل غضبه.

فافهم من هذا آلام أهل النّار، و الصورة المحمّديّة الحجابيّة على الغضب الإلهي على أعداء اللّه، و أنّ الآلام أرسلت على الأعداء فقامت بهم

و أخرج أبن حنبل في سنده. ج ۲ ص ٥٤١ بإسناده عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بلفظ آخر هكذا:

«ألا أنّ الإيمان يمان، و الحكمة يمانية، و أجد نفس ربّكم من قبل اليمن».

و روى أيضا ابن أبي جمهور في نفس المصدر الحديث ٧٤ عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«لا تسبّوا الريح، فإنّها من نفس الرحمان» و أخرج ابن الأثير الخرزي في جامع الأصول ج ٤ ص ٣٢٢ الحديث ٢٣٣٢.

عن أبن أبي هريرة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«الريح من روح اللّه، و روح اللّه تأتي بالرحمة و تأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبّوها، و اسألوا اللّه من خيرها، و استيعذوا باللّه من شرّها».

و روي المجلسي في البحار ج ٦٠ ص ١٢ الحديث ١٤، عن تفسير العياشي و هو بسنده المرسل عن أمير المؤمنين قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«لا تسبّوا الريح، فإنها بشر، و إنها نذر، و إنها لوقح، فاسألوا اللّه من خيرها و تعوّذوا به من شرّها».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۴۱

و نفّس اللّه عن دينه و هو أمره و كلامه و هو عين علمه في خلقه، و علمه ذاته جلّ و تعالى، و قد بيّنا لك أمر جهنّم من حيث ما هي دار، فلنبين إن شاء اللّه في الباب الّذي يلي هذا الباب مراتب أهل النّار.

(مراتب الجنّة و النار و ولاتهما)

ثمّ اعلم أنّ اللّه قد جعل فيها مائة درك في مقابلة مائة درج الجنّة، و لكلّ درك قوم مخصوص لهم من الغضب الإلهي الحالّ بهم آلام مخصوصة، و إنّ المتولي عذابهم من الولاة الّذين ذكرناهم في الباب قبل هذا من هذا الكتاب، القائم، و الإقليد، و الحامد، و الثابت، و السادن، و الجابر، فهؤلاء الأملاك من الولاة الذين يرسلون عليهم العذاب بإذن اللّه تعالى، و مالك هو الخازن، و أمّا بقيّة الولاة مع هؤلاء الّذين ذكرناهم و هم: الجابر (الحائر)، و السابق، (السائق) و الماتح، و العادل، و الدائم، و الحافظ.

(نشأة أهل النّار تخالف نشأه أهل الجنّة)

فإنّ جميعهم يكونون مع أهل الجنان، و خازن الجنّة، رضوان، و موادّهم (و إمدادهم) إلى أهل النّار مثل إمدادهم إلى أهل الجنّة، فإنّهم يمدّونهم بحقائقهم، و حقائقهم لا تختلف، فتقبل كلّ طائفة من أهل الدارين منهم بحسب ما تعطيه نشأتهم، فيقع العذاب بما به يقع النعيم من أجل المحلّ، كما قلنا في المبرود: إنه يتنعّم بحر الشّمس، و المحرور يتعذّب بحر الشّمس، فنفس ما وقع به النعيم به عينه وقع به الألم عند الآخر.

فاللّه ينشئنا نشأة النعماء كما قال تعالى في حقّ الأبرار:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۴۲

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ [المطففين: ٢٤].

أي هم في خلقهم على هذه الصفة، و نشأة أهل النّار مخالف (تخالف) نشأة أهل الجنان، فإنّ نشأة الجنّة إنّما هو من الحقّ سبحان على أيدي الولاة خاصّة، و نشأة أهل النّار على أيدي الولاة و الحجّاب و النقباء و السدنة على كثرتهم، فإنّه لا يحصى عددهم إلاّ اللّه، و لكلّ (ملك) منهم في هذه النشأة الدنياويّة، (و نشأة الآخر) و (نشأ النار) و نشأة أهلها، حكم سخره اللّه في ذلك، فهم كالفعلة في المملكة، و إنشاء الدار المبنية.

و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۴۳

«الباب الثاني و الستّون» «٢١٣»

في مراتب أهل النار

يقول اللّه تعالى من كلامه لإبليس، و عموم رحمته حين قال له:

أَ رَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً قٰالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزٰاؤُكُمْ جَزٰاءً مَوْفُوراً وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شٰارِكْهُمْ فِي الْأَمْوٰالِ وَ الْأَوْلاٰدِ وَ عِدْهُمْ [الإسراء: ٦٣- ٦٤].

فما جاء إبليس إلاّ بأمر اللّه تعالى فهو أمر إلهيّ يتضمّن وعيدا و تهديدا، و كان ابتلاء شديدا في حقّنا ليريه تعالى أنّ في ذرّيته من ليس لإبليس عليه

سلطان و لا قوة.

ثمّ إنّ الّذين خذلهم اللّه من العباد جعلهم طائفتين لا يضرّهم الذنوب

(٢١٣) قوله: الباب الثاني و الستون.

راجع الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٣٠١ و الفتوحات المكية (عثمان يحيى) ج ٤ ص ٣٩١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٤٤

الّتي وقعت منهم و هو قوله:

وَ اللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً [البقرة: ٢٦٨].

فلا تمسّهم النار بما تاب اللّه عليهم، و استغفار الملأ الأعلى لهم و دعائه لهذه الطائفة، و طائفة أخرى أخذهم اللّه بذنوبهم، قسّمهم بقسمين:

قسم أخرجهم اللّه من النّار بشفاعة الشافعين و هم أهل الكبار من المؤمنين، و بالعناية الإلهيّة و هم أهل التوحيد بالنظر العقلي.

و قسم آخر أبقاهم اللّه في النّار الّذين هم أهلها و هم المجرمون خاصّة الّذين يقول اللّه فيهم:

وَ امْتٰازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ [يس: ٥٩].

أي المستحقون بأن يكونوا أهلا لسكنى هذه الدار الّتي هي جهنّم يعمرونها ممّن يخرج منها إلى الدار الآخرة الّتي هي الجنّة.

(المخلّدون في النّار)

و هؤلاء المجرمون أربع طوائف كلها في النار لا يخرجون منها و هم: المتكبرون على اللّه كفرعون و أمثاله ممّن ادّعى الرّبوبيّة لنفسه، و نفاها عن اللّه فقال:

يٰا أَيُّهَا الْمَلَأُ مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي [القصص: ٣٨].

و قال:

أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ [النازعات: ٢٤].

يريد أنّه ما في السماء إله غيري و كذلك نمرود و غيره.

و الطائفة الثانية المشركون و هم الّذين يجعلون مع اللّه آلها آخر

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۴۵

فقالوا:

مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللّٰهِ زُلْفىٰ [الزمر: ٣].

و قالوا:

أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً وٰاحِداً إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ عُجٰابٌ [ص: ٥].

و الطائفة الثالثة المعطّلة و هم الّذين نفوا الإله جملة واحدة، فلم يثبتوا إلها للعالم و لا من العالم.

و الطائفة الرابعة، المنافقون، و هم الّذين أظهروا الإسلام من إحدى هؤلاء الطوائف للقهر الّذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم و أموالهم و ذراريهم، و هم في نفوسهم على ما هم عليه من اعتقاد هؤلاء الطوائف الثلاث.

فهؤلاء أربعة أصناف، هم الّذين هم أهل النار لا يخرجون منها من جنّ و إنس، و إنّما كانوا أربعة، لأنّ اللّه تعالى ذكر عن إبليس أنّه «يأتينا من بين

أيدينا، و من خلفنا، و عن أيماننا، و عن شمائلنا»، و يأتي للمشركين من «بين يديه»، و يأتي للمعطّل «من خلفه»، و يأتي إلى المتكبّر «عن يمينه»، و يأتي إلى المنافق من «عن شماله»، و هو الجانب الأضعف، فإنّه أضعف الطوائف، كما أنّ الشمال أضعف من اليمين، و جعل المتكبّر من اليمين لأنّه محلّ القوة، فكبّر (فتكبّر) لقوّته الّتي أحسّها من نفسه، و جاء للمشرك من بين يديه، فإنّه رأى إذ كان بين يديه (جهة) عينيّة فأثبت وجود اللّه و لم يقدر على إنكاره، فجعله إبليس يشرك مع اللّه في ألوهيّته، و جاء للمعطّل من خلفه، فإنّ الخلف ما هو محلّ النظر فقال له: ما ثمّ شيء أي ما في الوجود إله.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٤٦

(منازل عذاب أهل النار)

ثم قال اللّه تعالى في جهنم:

لَهٰا سَبْعَةُ أَبْوٰابٍ لِكُلِّ بٰابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ [الحجر: ٤٤].

فهذه أربع مراتب لهم من كلّ باب من أبواب جهنّم جزء مقسوم، و هي منازل عذابهم، فإذا ضربت الأربعة الّتي هي المراتب الّتي دخل عليهم منها إبليس في السّبعة الأبواب كان الخارج ثمانيّة و عشرين منزلا، و كذلك جعل اللّه المنازل الّتي قدّرها اللّه المفرد للإنسان (المفرد) و هو القمر و غيره من السيّارة الخنّس الكنّس تشير (تسير) فيها و تنزلها لإيجاد الكائنات، فيكون عند هذا السّير ما يكون من الأفعال في العالم العنصري، فإنّ هذه

السيّارة قد انحصرت في أربع طبائع مضروبة في ذواتها و هنّ سبعة، فخرج منها منازلها الثمانية و العشرون و ذلك تقدير العزيز العليم كما قال:

كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [الأنبياء: ۳۳].

و كان ممّا ظهر عن هذا التسيّر (التسيير) الإلهي في هذه الثمانية و العشرون وجود ثمانية و عشرين حرفا ألّف اللّه الكلمات منها، و ظهر الكفر في العالم و الإيمان بأن تكلّم كلّ شخص بما في نفس من إيمان و كفر و كذب و صدق لتقوى (لتقوم) الحجّة على عباده ظاهرا بما تلفظوا به و وكّل بهم يكتبون بما تلفظوا به، قال تعالى:

كِراماً كاتِبِينَ [الانفطار: ۱۱].

و قال:

ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: ۱۸].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۴۷

فجعل منازل النار ثمانية و عشرين منزلا، و جهنم كلّها مائة درك من أعلاها إلى أسفلها، نظائر درج الجنّة فيها السعداء، و في كلّ درك من هذه الدركات ثمانية و عشرين منزلا، فإذا ضربت ثمانية و عشرين في مائة كان الخارج من ذلك ألفي و ثمان مائة منزل، فهي الثمانية و العشرون مائة، فما برحت الثمانية و العشرون تصحبنا، و هذه منازل النار.

فلكلّ طائفة من الأربع، سبع مائة نوع من العذاب، و هم أربع طوائف فالمجموع ثمان و عشرون مائة نوع من العذاب، كما لأهل الجنّة سواء من الثواب يبين ذلك في صدقاتهم:

كمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَة حَبَّةٍ [البقرة: ٢٦١].

فالمجموع سبع مائة، و هم أربع طوائف: رسل، و أنبياء، و أولياء، و مؤمنون، فلكلّ متصدّق من هؤلاء الأربعة سبع مائة ضعف من النعيم في عملهم.

فانظر ما أعجب القرآن في بيانه الشافي، و موازنته في خلفه في الدارين: الجنّة و النار، لإقامة العدل على السواء في باب جزاء النعيم و جزاء العذاب، فبهذا القدر يقع الاشتراك بين أهل الجنّة و أهل النّار للتساوي في عدد الدّرج و الدّرك، و يقع الامتياز بأمر آخر، و ذلك أنّ النار امتازت عن الجنّة بأنّه ليس في النار دركات اختصاص إلهي، و لا عذاب اختصاصيّ إلهيّ من اللّه، فإنّ اللّه ما عرّفنا قطّ أنّه اختصّ بنقمته من يشاء، كما أخبرنا أنّه يختصّ برحمته من يشاء و بفضله، فالجنّة في نعيمها مخالف لميزان عذاب أهل النار، فأهل النار معذّبون بأعمالهم لا غير، و أهل الجنّة ينعّمون بأعمالهم في جنات الأعمال و بغير أعمالهم في جنات الإختصاص.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۴۸

(جنات أهل السعادة)

فلأهل السعادة ثلاث جنات: جنّة أعمال، و جنّة اختصاص و جنّة ميراث، و ذلك أنّه ما من شخص من الجنّ و الإنس، إلاّ و له في الجنّة موضع، و في النار موضع، و ذلك لإمكانه الأصلي، فإنّه قبل كونه يمكن أن يكون له البقاء في العدم، أو يوجد، فمن هذه الحقيقة له قبول النعيم و قبول العذاب، فالجنّة تطلب الجميع و الجميع يطلبها، و النار تطلب الجميع و الجميع يطلبها، فإنّ

الله يقول:

وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ [النحل: ٩].

أي أنتم قابلون لذلك، و لكن حقّت الكلمة، و سبق العلم، و نفذت المشيئة، فلا رادّ لأمره، و لا معقب لحكمه.

فينزل أهل الجنّة في الجنّة على أعمالهم، و لهم جنات الميراث و هي الّتي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنّة، و لهم جنات الإختصاص، يقول اللّه تعالى:

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا [مريم: ٦٣].

فهذه الجنّة الّتي حصلت لهم بطريق الورث من أهل النار الّذين هم أهلها، إذ لم يكن في علم اللّه أن يدخلوها، و لم يقل في أهل النار أنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنّة لو دخلوا النار، و هذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه، فما نزل من نزل في النار من أهلها إلاّ بأعمالهم، و لهذا يبقى فيها أماكن خالية، و هي الأماكن الّتي لو دخلها أهل الجنّة عمروها فيخلق اللّه خلقا يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنّة تعذّبوا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۴۹

و هو قوله صلّى اللّه عليه و آله:

فيضع الجبار [٢١٤] فيها قدمه، فتقول قط قط، أي حسبي حسبي. فإنّه

(٢١٤) قوله: قوله صلّى اللّه عليه و آله: فيضع الجبار.

أخرج البخاري في صحيحه ج ٦ ص كتاب التفسير، سورة ق، ص ٥١٤ الحديث ١٢٧٣

باسناد عن أنس عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«يلقى في النار و تقول: هل من مزيد حتّى يضع قدمه فتقول: قط قط» و عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال:

«يقال لجهنّم: هل امتلأت و تقول: هل من مزيد، فيضع الربّ تبارك و تعالى قدمه عليها، فتقول: قط قط».

و عن أبي هريرة، عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال:

«تحاجّت الجنّة و النار، فقالت النار أوثرت بالمتكبّرين و المتجبّرين، و قالت الجنّة مالي لا يدخلني إلاّ ضعفاء الناس و سقطهم، قال اللّه تبارك و تعالى للجنّة:

أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، و قال للنّار: إنّما أنت عذاب أعذّب بك من أشاء من عبادي و لكلّ واحدة منهما ملؤها، فأمّا النّار فلا تمتلئ حتّى يضع رجله، فتقول قط قط قط، فهنالك تمتلي و يزوي بعضها إلى بعض و لا يظلم اللّه عزّ و جلّ من خلقه أحدا، و أمّا الجنّة فإنّ اللّه عزّ و جلّ ينشئ لها خلقا».

و أخرج مثلها مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنة ص ٢١٨٦، الحديث ٣٥ و ٣٧ و ٣٨، و ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٣٦٩، و ج ٣ ص ١٣.

و روي القمي في تفسيره ج ٢ ص ٣٢٦، بإسناده عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام، عن رسول اللّه عليه السّلام في قوله تعالى:

«يوم نقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد» [ق:] قال: «هو استفهام لأنّ اللّه وعد النار أن يملأها فتمتلي النار، فيقول لها: هل امتلأت؟

و تقول: هل من مزيد؟ على حدّ الاستفهام، أي ليس فيّ مزيد، قال: فتقول الجنّة: يا ربّ وعدت النار أن تملأها و وعدتني أن تملأني فلم لم تملأني و قد ملأت، قال: فيخلق اللّه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۵۰

تعالى يقول لها: «هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد»؟.

فإنّه قال للجنّة و النار: لكلّ واحدة منكما ملؤها، فما اشترط لهما إلاّ أن يملأهما خلقا، و ما اشترط عذاب من يملؤها بهم و لا نعيمهم، و إنّ الجنّة أوسع من النار بلا شك، فإنّ عرضها السماوات و الأرض فما ظنك بطولها؟ فهي النّار (للنّار) كمحيط الدائرة ممّا يحوي عليه و في التنزلات الموصلة رسمناها و بيّناها على ما هي في نفسها في باب: يوم الإثنين، و النار عرضها قدر الحظّ الّذي يميّز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة، فأين هذا الضيق من تلك السعة؟

و سبب هذا الاتّصال (الاتساع) جنّات الإختصاص الإلهي، فورد في الخبر: «إنّه يبقى أيضا في الجنّة أماكن ما فيها أحد، فيخلق اللّه خلقا للنعيم يعمرها لهم (بهم) و هو أن يضع الرحمن فيها قدمه» «۲۱۵».

و ليس ذلك إلاّ في جنّات الإختصاص، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ [غافر: ۱۲].

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [آل عمران: ۷٤].

فمن كرمه أنّه تعالى ما أنزل أهل النّار إلاّ على أعمالهم خاصة.

و أمّا قوله تعالى:

خلقا يومئذ يملأ بهم الجنّة، قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

«طوبى لهم إنّهم لم يروا غموم الدنيا و همومها».

(٢١٥) قوله: يضع الرحمن فيها قدمه:

راجع التعليق ٢١٤ و التعليق ١٩٤ و ١٩٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٥١

زِدْنٰاهُمْ عَذٰاباً فَوْقَ الْعَذٰابِ [النحل: ٨٨].

فذلك لطائفة مخصوصة، و هم: الأئمّة المضلّون، يقول تعالى:

وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ [العنكبوت: ١٣].

و هم الّذين أضلّوا العباد، و أدخلوا عليهم الشبه المضلّة، فحادوا بها عن سواء السبيل، فضلّوا و أضلّوا، و قالوا لهم:

اتَّبِعُوا سَبِيلَنٰا وَ لْنَحْمِلْ خَطٰايٰاكُمْ [العنكبوت: ١٢].

يقول (اللّه):

وَ مٰا هُمْ بِحٰامِلِينَ مِنْ خَطٰايٰاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ [العنكبوت: ١٢].

في هذا القول، بل هم حاملون خطاياهم، و الذين أضلّوهم يحملون أيضا خطاياهم و خطايا هؤلاء مع خطاياهم، و لا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء.

يقول صلّى اللّه عليه و آله:

«من سنّ سنّة سيّئة فله وزرها و وزر من عمل بها، دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا» [٢١٦].

(٢١٦) قوله: من سنّ سنّة.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤، كتاب العلم، باب ٦ ص ٢٠٥ الحديث ١٥.

و أيضا في ج ٢ كتاب الزكاة باب ٢٠ ص ٧٠٥ الحديث ٦٩.

و روى الصدوق في «ثواب الأعمال» ص ١٦١ الحديث بإسناده عن الباقر عليه السّلام قال:

«أيّما عبد من عباد اللّه سنّ سنّة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، و أيّما عبد من عباد اللّه سنّ سنّة ضلالة كان عليه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٥٢

فهو قوله تعالى:

ثُمَّ ازْدٰادُوا كُفْراً [آل عمران: ٩٠- و النساء: ١٣٥].

فهؤلاء قيل فيهم:

زِدْنٰاهُمْ عَذٰاباً فَوْقَ الْعَذٰابِ [النحل: ٨٨].

فما أنزلوا من النار إلاّ منازل استحقاق، بخلاف الجنّة، فإنّ أهل الجنّة أنزلوا فيها منازل استحقاق مثل الكفّار في النار بأعمالهم، و أنزلوا أيضا منازل وراثة و منازل اختصاص، و ليس ذلك في أهل النار.

و لا بدّ لأهل النّار من فضل اللّه و رحمته في نفس النار، بعد انقضاء مدّة موازنة أزمان العمل، فيفقدون الإحساس «١» فالآلام (بالآلام) في نفس

مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

و روي مثله البرقي في «المحاسن» كتاب ثواب الأعمال باب ٧ و ٦، ص ٢٧، الحديث ٩ و ٨.

و عنهما البحار ج ٧١ ص ٢۵٨ الحديث ٦ و ۵.

(١) قوله: فيفقدون الإحساس.

« (رسالة في الخلود)» من جملة الموضوعات القرآنيّة: موضوع «الخلود في النّار» و العمدة في البحث هو خلود بعض النّاس في النّار، بمعنى: «بقاء الأبدي في العذاب».

و ما ذكر في المقام: بأنّ معنى الخلود هو المكث الطويل، ليس بصحيح، لأنّ «الخلود» كما استعمل في اللغة بمعنى الزمان الطويل كذلك استعمل أيضا بمعنى الدّوام و الأبد.

قال في الصحاح: الخلد: «دوام البقاء».

و قال في لسان العرب: الخلد: «دوام البقاء في دار لا يخرج منها، و أهل الجنّة خالدون، مخلّدون آخر الأبد».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۵٣

أقول: الظاهر أنّ الأصل في معنى الخلود هو البقاء الدائميّ الأبدي، و لكن حيث إنّ الدنيا دار فناء و دوامه يكون بزمان طويل، استعمل لفظ الخلود في أمور الدنيا و النشأة الطبيعة،

بمعنى المكث الطويل و المدّة الطويلة.

قال الراغب: «الخلود تبرّي الشيء من اعتراض الفساد و بقاؤه على الحالة الّتي هو عليها، و كلّ ما يتباطأ عنه التغيير و الفساد تصفه العرب بالخلود.

و الخلد اسم للجزء الّذي يبقى من الإنسان على حالته فلا يستحيل مادام الإنسان حيّا استحالة سائر أجزائه، و أصل المخلّد الّذي يبقى مدّة طويلة.

و أمّا معنى الخلود في القرآن فهو أيضا جاء بمعنى الأبد غالبا، إمّا حقيقة، و إمّا كناية مع القرنية المتّصلة تصريحا، كما في قوله تعالى:

وَ يُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً [التغابن: ٩].

و في قوله تعالى:

إِنَّ اللّٰهَ لَعَنَ الْكٰافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً لاٰ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لاٰ نَصِيراً [الأحزاب: ٦٥ و ٦٤].

و في قوله تعالى:

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النّٰارِ لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ خٰالِدِينَ فِيهٰا مٰا دٰامَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ [هود: ١٠٧ و ١٠٦].

و حيث إنّ الدار الآخرة دار حيوان و دار بقاء، السّماوات و الأرض المختصّة لدار الآخرة أيضا باقية و أبديّة.

لقوله تعالى:

مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ [النحل: ٩٦].

و معلوم أنّ السّماوات و الأرض في دار الآخرة تكون من سنخها فهي غير السماوات و الأرض في هذه النشأة الدنياويّة، لقوله تعالى:

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمٰاوٰاتُ [إبراهيم: ٤٨].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۵۴

فنقول: لا خلاف و لا شكّ في أنّ النّار دائميّ أبديّ بالنسبة إلى بعض النّاس، كما تدلّ عليه الآيات و الأحاديث مثل قوله تعالى:

كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اللّٰهُ أَعْمٰالَهُمْ حَسَرٰاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مٰا هُمْ بِخٰارِجِينَ مِنَ النّٰارِ [البقرة: ١٦٧].

و أمّا العذاب، فهل هو أيضا مستمر و أبديّ بالنسبة إلى البعض كما هو محقّق ابتداء، أم لا بل يتبدّل العذب مع بقاء النّار على حالها؟.

المشهور عند المحققين من علماء المسلمين: أنّ العذاب أبديّ كما أنّ النّار أبديّة، كما يستفاد من الآيات القرآنيّة و سيأتي بيانه.

و لكن يرى بعض المحققين في بعض أحوالهم و قال في بعض أقوالهم: بأنّ العذاب سوف ينقطع و ينتهي و لو أنّ النّار تبقى أبدا.

قال الشيخ الأكبر محيي الدين العربي.

«يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل اللّه و أهل النّار بعدل اللّه، و ينزلون فيهما بالأعمال و يخلدون فيهما بالنيّات، فيأخذ الألم جزاء العقوبة موازيا لمدّة العمر في الشرك في الدنيا، فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيم في الدار الّتي يخلدون فيها بحيث إنّهم لو

دخلوا الجنّة تألّموا لعدم موافقة الطبع الّذي جبلوا عليه، فهم يتلذذون بما هم فيه من نار و زمهرير و ما فيها من لدغ الحيّات و العقارب كما يلتذّ أهل الجنّة بالظلال و النور و لثم الحسان من الحور، لأنّ طبائعهم يقتضي ذلك». (راجع الأسفار ج ۹، ص ۳۴۹).

و قال أيضا: «و قد وجدنا في نفوسنا ممّن جبل على رحمة لو حكمه اللّه في خلقه لأزال صفة العذاب عن العالم، و اللّه قد أعطاه هذه الصفة و معطي الكمال أحقّ به، و صاحب هذه أنا و أمثالي، و نحن عباد مخلوقون أصحاب أهواء و أغراض.

و لا شكّ أنّه- سبحانه- أرحم بخلقه، و قد قال عن نفسه- جلّ علاؤه-: إنّه أرحم الراحمين، فلا شكّ أنّه أرحم منّا بخلقه، و نحن عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۵۵

في الرّحمة» انتهى. (علم اليقين للفيض الكاشاني، ج ۲ ص ۱۰۸۶).

و قال القيصري:

«و اعلم أنّ كلّ من اكتحلت عينه بنور الحقّ، يعلم أنّ العالم بأسره عباد اللّه، و ليس لهم وجود و صفة و فعل إلاّ باللّه و حوله و قوّته، و كلّهم محتاجون إلى رحمته و هو الرحمان الرحيم، و من شأن من هو موصوف بهذه الصفات أن لا يعذّب أحدا عذابا أبدا، و ليس ذلك المقدار من العذاب أيضا إلاّ لأجل إيصالهم يكدّره و ينقص عياره، فهو متضمّن لعين اللطف و الرحمة». (شرح القيصري للفصوص الفصّ الهودىّ، ص ۷۳۶).

قال محيي الدين ابن عربي في فصوص الحكم (آخر فصّ حكمة عليّة في كلمة

اسماعيليّة):

«و إن دخلوا دار الشقاء فإنّهم على لذّة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد و بينهما عند التجلّي تباين

يسمّى عذابا من عذوبة طعمه

و ذاك له كالقشر و القشر صائن»

قال كما الدين عبد الرزّاق في شرحه للفصوص:

«قال: «و إن دخلوا دار الشفاء» و هي جهنّم لاستحقاق العقاب فلا بدّ أن يئول أمرهم إلى الرحمة لقوله: «سبقت رحمتي غضبي» فينقلب العذاب في العاقبة عذبا.

و ذلك أنّ أهل النّار إذا دخلوها و تسلّط عليهم العذاب بظواهرهم و بواطنهم هلكهم الجزع و الاضطرار، فيكفر بعضهم ببعض، و يلعن بعضهم بعضا

متخاصمين متقاولين، كما نطق به كلام اللّه في مواضع، و قد أحاط بهم سرادقها، فطلبوا أنّ يخفّف عنهم العذاب أو أن يقضي عليهم، كما حكى اللّه عنهم بقوله:

يٰا مٰالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنٰا رَبُّكَ [الزخرف: ۷۷].

أو أن يرجعوا إلى الدنيا، فلم يجابوا إلى طلباتهم بل أخبروا بقوله:

«لا يخفّف عنهم العذاب و لا هم ينظرون»

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۵۶

و خوطبوا بمثل قوله:

إِنَّكُمْ مٰاكِثُونَ [الزخرف: ۷۷].

اخْسَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تُكَلِّمُونِ [المؤمنون: ۱۰۷].

فلمّا يئسوا و وطّنوا أنفسهم على العذاب و المكث على مرّ السنين و الأحقاب، و تعلّلوا با الأعذار، (و تغللوا بالأغلال) و مالوا إلى الاضطراب (و مالوا إلى الاصطبار) و قالوا:

سَوٰاءٌ عَلَيْنٰا أَ جَزِعْنٰا أَمْ صَبَرْنٰا مٰا لَنٰا مِنْ مَحِيصٍ [إبراهيم: ۲۱].

فعند ذلك دفع اللّه العذاب عن بواطنهم، و خبت نار اللّه الموقدة الّتي تطّلع على الأفئدة. ثمّ إذا تعوّدوا بالعذاب بعد مضي الأحقاب ألفوه و لم يتعذّبوا بشدّته بعد طول مدّته و لم يتألّموا به و إن عظم، ثمّ آل أمرهم إلى أن يتلذّذوا به و يستعذبوه حتّى لو هبّ عليهم نسيم من الجنّة استكرهوه و تعذّبوا به كالجعل و تأذّيه برائحة الورد لتألّفه بنتن الأوراث

و القاذورات.

فذلك نعيمهم الّذي تباين نعيم أهل الجنان، و الأمر واحد أي أمر الالتذاذ و التنعم بينهم و بين أهل الجنان واحد، و اشمئزازهم عن نعيم الجنان كاشمئزاز أهل الجنّة عن عذاب النيران، و بينهما أي بين نعيم أهل الجنّة و نعيم أهل النّار عند تجلّي الحقّ في صورة الرحمن بون بعيد.»

و راجع أيضا شرح الفصوص للقيصري، و «علم اليقين» للفيض الكاشاني ج ۲ ص ۱۰۸۵.

قال صدر المتألّهين الشيرازي:

«الجوهر النفساني من الإنسان لا يقبل الفساد، فإمّا أن يزول الهيئات الردية بزوال أسبابها فيعود إلى الفطرة و يدخل الجنّة إن لم تكن الهيئات من باب الإعتقادات كالشرك، و إلاّ فتنقلب إلى فطرة أخرى و يخلص من الألم و العذاب». (الأسفار الاربعة ج ۹ ص ۳۵۱).

و قال أيضا:

«و عندنا أيضا أصول دالّة على أنّ الجحيم و آلامها و شرورها داتمة بأهلها، كما إنّ الجنّة و نعيمها و خيراتها دائمة بأهلها إلاّ أنّ لكلّ منهما على معنى آخر» (الأسفار الأربعة ج ۹ ص ۳٤۸).

قال السبزواري في التعليق:

«أي الدوام للنعيم شخصيّ و للألم نوعيّ، فنوع المعذّب المتألّم محفوظ بتعاقب

الأشخاص». (المصدر السابق) أقول: كأنّ صدر المتألهين أيّد كلام محيي الدين، و مقصوده: أنّ المراد بدوام النّار هو أنّ أهل النّار يبقون فيها دائما، أي دوام النّار بدوام أهلها فيها مطلقا لا بدوام الأشخاص بعينهم فيها، يعني أنّ النّار دائميّ و فيها يوجد من المجرمين و الكفّار دائما، و أمّا الأشخاص و الأفراد بعينهم فليس كذلك، أي لا يبقى في النّار كل كافر و كل معاند أبدا بل بالتناوب، لكن فيها كافر و معاند دائما.

هذا ما قاله هؤلاء الأجلّة، و لكن لا يمكن المساعدة عليهم في هذه القول، لأنّه يخالف و يختلف لما استفدناه من القرآن الكريم من دوام العذاب كما في الآيات التالية القرآنيّة.

إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكٰافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً لاٰ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لاٰ نَصِيراً [الأحزاب: ٦٥ و ٦٤].

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ كُفّٰارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَ الْمَلاٰئِكَةِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِينَ خٰالِدِينَ فِيهٰا لاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ [البقرة: ١٦٢ و ١٦١].

وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآيٰاتِ رَبِّهِ وَ لَعَذٰابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقىٰ [طه: ١٢٧].

إضافة على هذا، و ليعلم أنّ للعذاب في الجحيم في الآخرة أنواع، و القرآن الكريم ناطق بأنّ العذاب لا ينحصر بعذاب النّار بل هناك عذاب غير عذاب النّار، كما يستفاد من الأحاديث أيضا، قال أمير المؤمنين عليه السّلام في دعا كميل: «و ربّي صبرت على حرّ نارك

فكيف أصبر على فراقك».

قيل: فإنّ نار الفراق نار اللّه الموقدة الّتي تطّلع على الأفئدة، و نار جهنّم لا شغل لها إلا مع الأجسام و ألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد، و لذلك قيل:

ففي فؤاد المحبّ نار جوى أحرّ نار الجحيم أبردها

(علم اليقين ج ۲ ص ۱۰۷۱) قال تعالى:

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتىٰ عَلىٰ ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّٰهِ [الزمر: ۵۶].

و قال:

كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اللّٰهُ أَعْمٰالَهُمْ حَسَرٰاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مٰا هُمْ بِخٰارِجِينَ مِنَ النّٰارِ [البقرة: ۱۶۷].

و قال:

لَبِئْسَ مٰا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَ فِي الْعَذٰابِ هُمْ خٰالِدُونَ [المائدة: ۵].

السخط و الحسرة من أشدّ انواع العذاب، و هما لا ينقطعان، كما أنّ الرضوان

الذّ من الجنّة و نعيمها بمراتب لا يوصف.

و أيضا يقول القرآن الكريم: بأنّ وقود جهنم هو نفس الإنسان، و العذاب ينشأ منه، و كيف يفارق الشيء عن نفسه؟

قال تعالى:

فَاتَّقُوا النّٰارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّٰاسُ وَ الْحِجٰارَةُ [البقرة: ٢٤].

و قال:

إِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ [الأنبياءِ: ٩٨].

و قال:

وَ أَمَّا الْقٰاسِطُونَ فَكٰانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً [الجنّ: ١٥].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٤٥٩

قال سيّدنا الأستاذ السيّد مرتضى بن رضي الدّين بن أحمد الموسوي الشهير ب‍المستنبط الغروي (رحمة اللّه تعالى عليه) في كتابه القيّم «مواهب الرّحمن في تفسير القرآن» ج ٣٠ في تفسير الآية:

لاٰبِثِينَ فِيهٰا أَحْقٰاباً [النبأ: ٢٣].

اللبث على ما صرّح به أرباب اللغة: المكث، فإنّهم قالوا: لبث في المكان أي مكث و أقام، و كذا مكث في المكان أي لبث و أقام.

و يظهر من ذلك أنّهما مترادفان، و الحقّ عدمه، و الفرق بينهما على ما يستنبط من آيات

الكتاب الحكيم: أنّ الإقامة في المكان إن كان مع رجاء الخير و الفلاح يطلق عليها المكث، و إن لم يلاحظ فيها الخير يطلق عليها اللبث.

فمن موارد إتيان المكث قوله تعالى:

وَ أَمَّا مٰا يَنْفَعُ النّٰاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ [الرعد: ١٧].

و قوله تعالى:

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّٰاسِ عَلىٰ مُكْثٍ [الإسراء: ١٠٦].

و قوله تعالى:

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقٰالَ أَحَطْتُ بِمٰا لَمْ تُحِطْ بِهِ [النمل: ٢٢].

و قوله تعالى:

مٰاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً [الكهف: ٣].

و قوله تعالى:

فَقٰالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نٰاراً [طه: ١٠].

و قوله تعالى:

وَ نٰادَوْا يٰا مٰالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنٰا رَبُّكَ قٰالَ إِنَّكُمْ مٰاكِثُونَ [الزخرف: ٧٧].

و موارد استعمال اللبث في الكتاب كثيرة نذكر بعضها في المقام كفاية للمرام، منها قوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤۶٠

فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ [يوسف: ٤٢].

و قوله تعالى:

قٰالَ كَمْ لَبِثْتَ قٰالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ [البقرة: ٢٥٩].

و قوله تعالى:

فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّٰ خَمْسِينَ عٰاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفٰانُ وَ هُمْ ظٰالِمُونَ [العنكبوت: ١٤].

و قوله تعالى:

لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ [الصافات: ١٤٤].

فإنّ توقّف الماء النافع للنّاس في الأرض، و البطوء في قراءة القرآن، و توقّف الهدد في بلدة سبأ، و أهل موسى عليه السّلام في البيداء لم يقع إلاّ برجاء الخير و انتظاره، و كذا إقامة الصالحين في الثواب لم يكن إلاّ برجاء الإزدياد فضلا تعالى، كما أنّ إقامة المجرمين في النّار برجاء الخلاص و النجاة و لذا عبّر عن جميع ذلك بالمكث.

و أمّا إقامة يوسف عليه السّلام في السجن بضع سنين لم يكن برجاء الخلاص لما علم بخطائه من توسّله إلى من دون ربّه بقوله لصاحب السجن: أذكرني عند ربّك فأنساه الشيطان.

كما أنّ إقامة نوح عليه السّلام في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاما لم يكن برجاء تصديقهم لعلمه عليه السّلام بأنّهم ظالمون فلا يؤمنون، و لذا أخذهم الطوفان بل إنّما أقام فيهم بتلك المدّة لقطع العذر و إتمام الحجّة.

و كذا إقامة يونس عليه السّلام في بطن حوت إلى يوم يبعثون لو لم يكن من المسبّحين، و إقامة عزيز عليه السّلام في مائة عام ميّتا ليس فيها رجاء الخير، كما أنّ إقامة الطاغين في

جهنّم ليس برجاء الخلاص و النجاة، و لذا عبرّ عن جميع ذلك باللبث.

و ممّا ذكرنا علم أنّ أهل جهنّم على طائفتين:

الأولى، الّذين يرجون الخلاص و النجاة و ينادون: يا مالك! ليقض علينا ربّك، و يقول المالك إنّكم ماكثون إي منتظرون، و لعلّهم الموحّدون من أهل الكتاب الّذين لم يقبلوا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٦١

رسالة جدّنا سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله، و هم المستثنى بمشيّة الرّبّ من الخالدين في قوله تعالى:

«فأمّا الّذين شقوا ففي النّار لهم فيها زفير و شهيق خالدين فيها مادامت السموات و الأرض إلاّ ما شاء ربّك إنّ ربّك فعال لما يريد. س ١٠٢١١ الثانية: الّذين فيهم رجاء الخلاص و النجاة أصلا فهم لابثون فيها أحقابا و هم المشركون و المنافقون أي منكروا الولاية و غاصبوا الخلافة و إن تظاهروا بالإسلام، و لذا عبّر عنهم بالطاغين و عن الطائفة الأولى بالمجرمين.

و يدلّ على ما ذكرنا ما رواه عليّ بن إبراهيم، عن أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النصر بن سويد، عن درست بن أبي منصور، عن حمران بن أعين، قال: سئلت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه:

لاٰبِثِينَ فِيهٰا أَحْقٰاباً لاٰ يَذُوقُونَ فِيهٰا بَرْداً وَ لاٰ شَرٰاباً [النبأ: ٢٣ و ٢٢].

قال: هذه في الّذين لا يخرجون من النّار.

و أمّا الأحقاب فقد ذكر فيها أقوال:

أقول: الأحقاب جمع الحقب بضمّتين من حقب المطر، أي احتسب، و المعدن أي انقطع، بحيث لا يوجد فيه شيء.

و من المعلوم أنّ الآخرة بشراشر أحوالها و مراتبها من عالم الملكوت، و وعائها الدهر الّذي بمنزلة الروح لا الزمان الّذي بمنزلة الجسد، إذ ليس فيها فلك و لا شمس و لا قمر حتّى ينتزع من حركتها الزمان و قطعاتها من يوم و شهر و سنة و غيرها.

و كلّ وعاء دهرا كان أو زمانا لا أهميّة فيه و لا يتوجّه إليه إلاّ لأجل ما يقع فيه.

فالمراد من حقب أهل النّار احتباسهم عن الفيض، و انقطاعهم عن الخير بحيث لا يوجد فيهم خير أصلا بسبب ما ظهر في أنفسهم من الكبر و الطغيان و الظلم و العدوان.

و في الإتيان بلفظ الجمع إشعار إلى كثرة أسباب الاحتباس و الانقطاع من العقائد الباطلة، و الملكات الفاسدة، و الأعمال الطالحة. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۶۲

و هذا أقوى سبب و أدلّ دليل على خلودهم في العذاب و عدم رجاء الخلاص و النجاة فيهم من النّار.

و قد انصرح بهذا البيان أنّ جميع ما ذكروا في معنى الأحقاب و تحديدها في جنب الواقع قليل، بل قول بلا دليل» انتهى.

قال صدر المتألّهين في رسالته «الحكمة العرشية»:

« (قال) صاحب الفتوحات المكيّة في الفصوص: «أمّا أهل النّار فمآلهم إلى النعيم، إذ لا بدّ لصورة النّار بعد انتهاء مدّة العقاب أن تكون بردا و سلاما على من فيها».

و أمّا أنا و الّذي لاح لي بما أنا مشتغل به من الرياضات العلميّة و العمليّة أنّ دار الجحيم ليست بدار نعيم و إنّما هي موضع الآلام و المحن، و فيها العذاب الدّائم، لكن آلامها متفتتة متجدّدة على الاستمرار بلا انقطاع و الجلود فيها متبدّلة و ليس هناك موضع راحة و اطمئنان لأنّ منزلتها من ذلك العالم منزلة عالم الكون و الفساد من هذا العالم».

أقول: في المقام: أنّ لكل إعتقاد و ملكة و عمل، باطن و هو حقيقته.

و أنّ النعمة و العذاب في الآخرة ظهور لباطن تلك الأعمال و العقائد و الملكات الراسخة الّتي تتكوّن حقيقة الإنسان روحه و بدنه منها في قوس الصعود اختيارا، البدن الأخروى يتكوّن من الأعمال و الرّوح الأخروى يتكوّن من العقائد و العلوم.

و أنّ ما سوف يظهر في الآخرة من الجنّة و نعيمها، و الجحيم و عذابه، عبارة عن تجسّم نفس تلك الأعمال و الإعتقادات، الّتي كان الإنسان متلبّسا بها في الدنيا.

فإذن حشر الإنسان و ابتلائه بالعذاب و الجزاء في دار الآخرة هو حشره مع نفس أخلاقه و أعماله و عقائده، فلا غيريّة بين النعمة و العذاب في الآخرة و بين الأعمال و الأخلاق و العقائد في الدنيا، أي (هي هي).

فانظر الآيات القرآنية التالية:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۶۳

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهٰا وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً [آل عمران: ٣٠].

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوٰالَ الْيَتٰامىٰ ظُلْماً إِنَّمٰا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نٰاراً [النساء: ١٠].

وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ [البقرة: ٢٨١].

وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً [الكهف: ٤٩].

فَلاٰ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئٰاتِ إِلاّٰ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ [القصص: ٨٤].

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزّلزلة: ٨ و ٧].

اقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً [الإسراء: ١٤].

فيكون حينئذ العلم و العالم و العمل متحدا واحدا.

و حيث إنّ الملكات الراسخة تصير نفس الإنسان و متحدا معها، اذن أنّ العذاب الّذي هو نفس الأعمال و الملكات أيضا سوف يكون في نفس الإنسان و يبقى معه.

نعم هناك ملكات ليست راسخة للنفس و لم تتّحد معه، فهذه قابلة للزوال و لا تكون دائميّة، لأنه مع هذه الملكات، الذات بقيت بعد سعيدة، و إن توجد فيها أخلاق و ملكات سيّئة أحيانا غير راسخة.

قال العلاّمة الطباطبائى في «الميزان»:

«و أنّ ما كانت من هذه الصور صورا غير راسخة للنفس و غير ملائمة لذاتها، فإنّها ستزول، لأنّ القسر لا يكون دائميّا و لا أكثريّا، و هذه النفس هي النفس السعيدة ذاتا و

عليها هيآت شقيّة رديّة ممكنة الزوال عنها كالنفس المجرمة.

و أمّا الهيئات الرديّة الّتي رسخت في النفس حتّى صارت صورا أو كالصور الجديدة تعطي للشيء نوعيّة جديدة، فمن المعلوم أنّ هذا النوع نوع مجرّد في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۶۴

نفسه دائميّ الوجود.

و جميع ما كان يصدر عنه بالقسر حال عدم الرسوخ فيعذّب به و يذوق وبال أمره، فهي تصدر عن هذا النوع بإذن اللّه من غير قسر إلاّ أنّها لمّا كانت صادرة عن نوعيّته من غير قسر فهي دائمة من غير زوال، بخلاف ما لو كانت حاصلة بالقسر.

فقد بان أن العذاب خالد غير منقطع عن الإنسان الشقيّ الّذي لذاته شقوة لازمة.

فإنّ العذاب الخالد أثر و خاصّة لصورة الشّقاء الّذي لزمت الإنسان الشّقيّ فتصوّر ذاته بها بعد تماميّة الاستعداد الشديد الّذي حصل في ذاته القابلة لها بواسطة الأحوال العارضة لها المنتهية إلى إختياره.

و اشتداد الاستعداد التامّ هو الّذي يوجب في جميع الحوادث إفاضة الصورة المناسبة لسنخ الاستعداد.

فكما لا يجوز السئوال عن علّة تحقّق الأفعال الإنسانية بعد ورود الصّورة الإنسانيّة على المادّة، لوجود العلّة الّتي هي الصّورة الإنسانيّة، كذلك لا معنى للسؤال عن لميّة ترتّب آثار الشّقاء اللاّزم، و منها العذاب المخلّد بعد تحقّق صورة الشّقاء اللازم، المنتهية إلى

الإختيار فإنّها آثارها و خواصّها».

بيان آخر لنا:

ألف- حيث إنّ العذاب في القيامة هو نفس باطن الأعمال و حقيقته، و هذا على أساس موضوع تجسّم الأعمال و الأفكار و العقائد في الآخرة.

ب- و حيث إنّ الإنسان متكوّنة ماهيّته صعودا بعمله و عقيدته، و يصر العمل و العقائد متّحدا مع وجود الإنسان بل يصر هو هو باتّحاد العامل بالعمل و العاقل بالمعقول.

ج- و حيث إنّ الإنسان موجود أبديّ و العالم الآخرة أيضا عالم أبديّ.

إذن العذاب يبقى ما بقي الإنسان و بما أنّ الإنسان يبقى إلى الأبد و العذاب هو نفس

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۶۵

النّار، لأنّهم ليسوا «بخارجين من النّار» «فلا يموتون فيها و لا يحيون».

فتتخدّر جوارحهم بإزالة الروح الحسّاس منها، و ثمّ طائفة يعطيهم اللّه بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب و العمل نعيما خياليّا مثل ما يراه النائم و جلده، كما قال تعالى:

كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ [النساء: ٥٦].

هو كما قلنا: خدرها، فزمان النضج و التبديل يفقدون الآلام، لأنّه إذا انقضى زمان الإنضاج خمدت النار في حقّهم، فيكونون في النار كالأمة الّتي دخلتها و ليست من أهلها، فأماتهم اللّه فيها إماتة، فلا يحسّون بما تفعله النّار في أبدانهم، الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحة (صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان ح ٣٠٦)، و هذا من فضل اللّه و رحمته.

عمل الإنسان و عقيدته اللّذان يصران نفس وجود الإنسان الباقي، فالعذاب يبقى مع ببقاء الإنسان الّذي صار الكفر و العناد و النّفاق صورة ثانويّة و فصلا أخيرا له، إلى الأبد.

على أنّ هناك بعض النّاس موجود صار العناد و الكفر و النفاق نفس وجودهم، بحيث لن يريدون ان يتغيّروا و صار الكفر و العناد تمام وجودهم، و لهذا لو يبقون في الدنيا إلى الأبد يبقون كافرا، معاندا، منافقا، و لن يرجعون إلى الإيمان قطّ.

و الشاهد على ذلك من الآيات القرآنيّة ما يلي:

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ [الشعراء: ١٣٦].

وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [الأنعام: ٢٨].

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ [المائدة: ٤١].

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً [النساء: ١٣٧].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۶۶

(أبواب جهنم)

و أمّا أبواب جهنّم، فقد ذكر اللّه من صفات أصحابها بعض ما ذكر، و لكن من هؤلاء الأربع الطوائف الّذين هم أهلها، و من خرج بالشفاعة أو العناية ممّن دخلها، فقد جاء ببعض ما وصف اللّه به من دخلها من الأسباب الموجبة لذلك و هي: باب الجحيم، و باب سقر، و باب السعير، و باب

الحطمة، و باب لظى، و باب الحامية، و باب الهاوية.

و سمّيت الأبواب بصفات ما وراءها ممّا عدّت له، و وصف الداخلون فيها بما ذكر اللّه تعالى في مثل قوله في لظى أنّه:

تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى و جَمَعَ فَأَوْعى [المعارج: ١٧- ١٨].

و قال ما يقول في سقر، إذا قيل لهم:

مٰا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قٰالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَ كُنّٰا نَخُوضُ مَعَ الْخٰائِضِينَ وَ كُنّٰا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ [المدّثّر: ٤٢- ٤٦].

و قال في أهل الجحيم، انّه يكذب بيوم الدين:

وَ مٰا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاّٰ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ [المطففين: ١٢].

فوصفه بالإثم و الاعتداء، ثمّ قال فيهم:

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصٰالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقٰالُ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [المطففين: ١٦].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ۴۶۷

و هكذا في الحطمة، و السعير و غير ذلك ما جاء به القرآن أو السنّة «٢١٧».

فهذا قد ذكرنا الأمّهات و الطبقات، و أمّا مناسبات الأعمال لهذه المنازل فكثيرة جدا يطول الشرح فيها، و لو شرعنا في ذلك طال علينا المدى فإنّ المجال رحب، و لكن الأعمال مذكورة و العذاب عليها مذكور، فمتى وقفت على شي‌ء من ذلك و كنت على نور من ربّك و بيّنة، فإنّ اللّه يطلعك عليه بكرمه.

و الّذي شرطنا في هذا الباب و ترجمنا عليه إنّما كان ذكر المراتب، و قد ذكرناها و بيّناها و نبّهنا على مواضع يحول فيها نظر الناظر من كتابي هذا

من الآيات التي استشهدنا بها في هذا الباب من أوّله، من أمر الله إبليس بما ذكر له، فهل له من امتثال ذلك الأمر الإلهي، أمر يعود عليه منه من حيث ما هو ممتثل أم لا؟، و أشباه (هذه) ذلك التنبهات، إن وفقت لذلك عثرت على علوم جمّة إلهيّة ممّا يختصّ أهل الشقاء و النار، و هذا القدر في هذا الباب كاف، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

---

(۲۱۷) قوله: ممّا جاء به القرآن.

راجع التعليق الرقم ۱۵۹.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۶۹

«الباب الثالث و الستّون»

في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا و البعث «۲۱۸»

(في معنى البرزخ و حقيقته)

اعلم أنّ البرزخ عبارة عن أمر فاصل بين أمرين، لا يكون متطرقا (متطرفا) أبدا كالخطّ الفاصل بين الظل و الشمس، و كقوله تعالى:

مَرَجَ اَلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيٰانِ بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ يَبْغِيٰانِ [الرحمن: ۲۰ و ۱۹].

(و معنى «لا يبغيان») أي لا يختلط أحدهما بالآخر، و إن عجز الحسّ عن الفصل بينهما، و العقل يقضي أن بينهما حاجزا يفصل بينهما، فذلك



(۲۱۸) قوله: الباب الثالث و الستّون راجع الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٣٠٤، و الفتوحات المكيّة (عثمان يحيى) ج ٤ ص ٤٠٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۷۰

الحاجز المعقول هو البرزخ فإن أدرك بالحسّ فهو أحد الأمرين، ما هو البرزخ، و كلّ أمرين يفتقران إذا تجاوزا (تجاورا) إلى برزخ ليس هو عين أحدهما، و فيه قوّة كلّ واحد منهما.

و لمّا كان البرزخ أمرا فاصلا بين معلوم و غير معلوم، و بين معدوم و موجود، و بين منفيّ و مثبت، و بين معقول و غير معقول، سمّي برزخا اصطلاحا و هو معقول في نفسه، و ليس إلاّ الخيال، فإنّك إذا أدركته و كنت عاقلا تعلم أنّك أدركت شيئا وجوديّا، وقع بصرك عليه، و تعلم قطعا بدليل أنّه ما ثمّ شيء رأسا فأصلا (و أصلا)، فما هو هذا الّذي أثبت له شيئيّة وجوديّة و نفيتها عنه في حال إثباتك إيّاها.

(عجز الإنسان عن إدراك حقيقة البرزخ و الخيال و المرآة)

فالخيال لا موجود و لا معدوم، و لا معلوم و لا مجهول، و لا منفي و لا مثبت، كما يدرك الإنسان صورته في المرآة، يعلم قطعا انّه أدرك صورته بوجه، و يعلم قطعا أنّه ما أدرك صورته بوجه، لما يرى فيها من الدّقة إذا كان جرم المرآة صغيرا، و يعلم أن صورته أكبر من الّتي رأى بما لا يتقارب، و إذا كان جرم المرآة كبيرا، فيرى صورته في غاية الكبر، و يقطع أنّ صورته فما

رأى، و لا يقدر أن ينكر أنّه رأى صورته و يعلم أنّه ليس في المرآة صورته، و لا هي بينه و بين المرآة، و لا هو انعكاس شعاع البصر إلى الصورة المرئيّة فيها من خارج سواء كانت صورته أو غيرها، إذ لو كان كذلك لأدرك الصورة على قدرها و ما هي عليه، و في رؤيتها في السيف من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۷۱

الطول أو العرض، يتبيّن لك ما ذكرنا مع علمه أنّه رأى صورته بلا شك فليس بصادق و لا كاذب في قوله: «إنّه رأى صورته، ما رأى صورته».

فما تلك الصورة المرئيّة؟ و أين محلّها؟ و ما شأنها؟ فهي منفيّة ثابتة، موجودة معدومة، معلومة مجهولة، أظهره (اظهر) اللّه سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب مثال ليعلم و يتحقّق أنّه إذا عجز و حار في درك حقيقة هذا، و هو من العالم (و لم يحصل عنده علم حقيقة هذا و هو من العالم) و لم يحصل عنده علم بحقيقته، فهو بخالقها أعجز و أجهل و أشدّ حيرة، و نبّهه بذلك أن تجلّيات الحقّ له أرقّ و ألطف معنى من هذا الّذي قد حارت العقول فيه، و عجزت عن إدراك حقيقته إلى أن بلغ عجزها أن تقول: هل لهذا ماهيّة، أو لا ماهيّة له؟ فإنّها لا تلحقه بالعدم المحض، و قد أدرك البصر شيئا مّا و لا بالوجود المحض، و قد علمت أنّه ما ثمّ شيء و لا بالإمكان المحض.

(الأعراض القائمة بنفسها في النوم و البرزخ و الآخرة)

و إلى مثل هذه الحقيقة يصير الإنسان في نومه و بعد موته، فيرى الأعراض صورا قائمة بنفسها تخاطبه و يخاطبها أجسادا لا يشك فيها، و المكاشف

يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه، و الميّت بعد موته كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضا و يرى الموت كبشا أملح يذبح، و الموت نسبة مفارقة عن اجتماع، فسبحان من يجهل فلا يعلم و يعلم فلا يجهل، لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۷۲

(فيما ترى عين الخيال و الّذي ترى عين الحسّ)

و من الناس من يدرك هذا المتخيّل بعين الحسّ، و من الناس من يدركه بعين الخيال، و أعني في حال اليقظة، و أمّا في النوم فبعين الخيال قطعا، فإذا أراد الإنسان أن يفرّق في حال يقظته حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة، فلينظر إلى المتخيّل و ليقيّده بنظره، فإن اختلفت عليه أكوان المنظور إليه لاختلافه في التكوينات و هو لا ينكر أنّه ذلك بعينه، و لا يقيّده النظر عن اختلاف التكوينات فيه، كالناظر إلى الحرباء في اختلاف الألوان عليها فذلك عين الخيال بلا شك، ما هو عين الحسّ فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحسّ، و قليل من يتفطن إلى هذا ممّن يدّعى كشف الأرواح الناريّة و النوريّة إذا تمثلت لعينه صورا مدركة لا يدري بما (ممّا) أدركها: هل بعين الخيال، أو بعين الحسّ و كلاهما أعني الإدراكين بحاسة العين، فإنّهما تعطى الإدراك بعين الخيال و بعين الحسّ و هو علم دقيق، أعني العلم بالفصل بين العينين، و بين حاسّة العين و عين الحسّ، و إذا أدركت العين المتخيّل و لم تغفل عنه و رأته، لا تختلف عليه التكوينات و لا رأته في مواضع مختلفات

معا في حال واحدة، و الذات واحدة لا شك (يشكّ) فيها و لا انتقلت و لا تحوّلت في أكوان مختلفة، فيعلم أنّها محسوسة لا متخيلة، و أنّه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال.

و من هنا يعرف إدراك الإنسان في المنام ربّه تعالى و هو منزّه عن الصورة و المثال و ضبط الإدراك إيّاه و تقييده، و من هنا يعرف ما ورد في الخبر الصحيح من كون الباري:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٧٣

«يتجلّى في أدنى صورة من الّتي رأوه فيها» «٢١٩».

و في تحوله في صورة يعرفونها و قد كانوا أنكروه و تعوّذوا منه فتعلم بأيّ عين تراه، فقد أعلمتك أن الخيال يدرك بنفسه، نريد بعين الخيال أو يدرك بالبصر، و ما الصحيح في ذلك حتّى نعتمد عليه؟ و لنا في ذلك:

إذا تجلّى حبيبي بأيّ عين تراه؟

بعينه لا بعيني فما يراه سواه

تنزيها لمقامه و تصديقا بكلامه، فإنّه القائل:

لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام: ١٠٣].

و لم يختص دارا من دار بل أرسلها آية مطلقة و مسألة معيّنة محقّقة فلا يدركه سواه فبعينه سبحانه أراه، في الخبر الصحيح:

«كنت بصره الّذي يبصر به» «۲۲۰».

فتيقّظ أيّها الغافل النائم عن مثل هذا و انتبه فلقد فتحت عليك بابا من المعارف لا تصل إليه الأفكار، لكن تصل إلى قبوله العقول إمّا بالعناية الإلهيّة، أو بجلاء القلوب بالذكر و التلاوة، فيقبل العقل ما يعطيه التجلّي، و يعلم أنّ ذلك خارج عن قوّة نفسه من حيث فكره، و أنّ فكره لا يعطيه

---

(٢١٩) قوله: يتجلّى في أدنى صورة.

أخرجه البخاري في صحيحه ج ٦ كتاب التفسير باب ٢٨٣ ص ٣٧٤، الحديث ١٠٠٧.

و أخرجه أيضا مسلم في صحيحه ج ١، كتاب الإيمان، ص ١٦٧، الحديث ٣٠٢، و أنظر التعليق ٣٠.

(٢٢٠) قوله: في الخبر الصحيح: كنت بصره الذي راجع التعليق الرقم ٦٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۷۴

ذلك أبدا، فيشكل اللّه تعالى الّذي أنشأه نشأة يقبل بها مثل هذا، و هي نشأة الرّسل و الأنبياء و أهل العناية من الأولياء، و ذلك ليعلم أن قبوله أشرف من فكره، فتحقّق يا أخي بعد هذا من يتجلّى لك من خلف هذا الباب فهي مسألة عظيمة حارت فيها الألباب.

(الصّور و البرزخ في لسان الشرع)

ثمّ إنّ الشارع و هو الصادق سمّي هذا الباب الّذي هو الحضرة البرزخية الّتي

ننتقل إليها بعد الموت، و نشهد نفوسنا فيها بالصّور و الناقور، و الصور هنا جمع صورة بالصاد ف«ينفخ في الصّور» و «ينقر في الناقور»، و هو هو بعينه، و اختلفت عليه الأسماء لاختلاف الأحوال و الصفات، و اختلفت الصفات، ما اختلفت (فاختلفت) الأسماء، فصارت الأسماء ك«هو» يحار فيها من عادته يفلي الحقائق و لا يرمي منها بشيء، فإنّه لا يتحقق له أنّ النّقر أصل في وجود اسم الناقور، أو الناقور أصل في وجود اسم النّقر، كمسألة النحوي: هل الفعل مشتقّ من المصدر أو المصدر مشتقّ من الفعل؟ ثمّ فارق مسألة النحوي بشيء آخر حتّى لا يشبه مسألة النحوي في الاشتقاق بقول (بقوله تعالى):

نُفِخَ فِي الصُّورِ [الكهف: ٩٩].

و لم يقل: في المنفوخ فيه، فهل كونه (صورا) أصل في وجود النفخ، أو وجود نفخ؟ أو هل النفخ أصل في وجود اسم الصّور؟

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴٧۵

(في تأثير النفخ و الصورة في تكوّن الإنسان و حقيقته)

و لمّا ذكر اللّه تعديل صورة الإنسان قال:

وَ نَفَخْتُ فِيهِ [الحجر: ٢٩].

و قال في عيسى عليه السّلام قبل خلق صورته:

فَنَفَخْنٰا فِيهٰا مِنْ رُوحِنٰا [الأنبياء: ٩١].

فظهرت الصورة، فوقعت الحيرة: ما هو الأصل؟ هل الصورة في وجود النفخ،

أو النفخ في وجود الصورة؟ فهذا من ذلك القبيل؟ و لا سيّما و جبرئيل عليه السّلام في الوقت المذكور، في حال التمثّل بالبشر، و مريم قد تخيّلت أنّه بشر، فهل أدركته بالبصر الحسّي، أو بعين الخيال، فتكون عليه السّلام ممّن أدرك الخيال بالخيال؟

و إذا كان هذا فينفتح عليك ما هو أعظم و هو: هل في قوّة الخيال أن يعطي صورة حسّيّة حقيقيّة؟ فلا يكون للحسّ فضل على الخيال، لأنّ الحسّ يعطي الصور للخيال، فكيف يكون المؤثّر فيه مؤثّرا، فمن (فيمن) هو مؤثّر فيه؟ فما هو مؤثّر فيما هو مؤثّر فيه؟، و هذا محال عقلا، فتفطّن لهذه الكنوز، فإن كنت حصلتها، ما يكون في العالم أغنى منك إلاّ من يساويك في ذلك.

(ما هو الصور و القرن)

و اعلم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لمّا سئل عن الصور ما هو؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۷۶

«هو قرن من نور لقمه (ألقمه) إسرافيل» «۳۲۱».

فأخبر أن شكله شكل القرن، فوصف بالسعة (و الضيق)، فإنّ القرن واسع ضيّق، و هو عندنا على خلاف ما يتخيّله أهل النظر في الفرق بين ما هو أعلى القرن و أسفله، و نذكره إن شاء اللّه بعد هذا الباب.

(في سعة القرن و تصور العدم و المحال)

فاعلم أن سعة هذا القرن في غاية السعة، لا شيء من الأكوان أوسع منه، و ذلك أنه يحكم بحقيقته على كلّ شيء و على ما ليس بشيء و يتصوّر العدم

المحض، و المحال، و الواجب، و الإمكان، و بجعل الوجود عدما، و العدم وجودا، و فيه يقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، أي من حضرة هذا:

«أعبد اللّه كانّك تراه» [٢٢٢].

---

(٢٢١) قوله: هو قرن من نور.

أخرجه الدارمي في سننه ج ٢، كتاب الرقاق، باب ٧٩، ص ٤١٨ الحديث ٢٧٩٨، بإسناده عن عبد اللّه بن عمرو، قال: سئل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عن الصور؟ فقال: «قرن ينفخ فيه».

و أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ١٩٢، و الترمذي في الجامع الصحيح ج ٤ كتاب صفة القيامة باب ٨ (ما جاء في شأن الصور) الحديث ٣١ و ٢٤٣٠.

(٢٢٢) قوله: اعبد اللّه كأنّك تراه حديث معروف روي عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، رواه ابن عباس و أبو هريرة و عمر، و نقل بعبارات مختلفة و ورد في تفسير الإحسان و بدونه، و ألفاظه هكذا:

أ- «الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت». أخرجه كنز العمّال، ج ٣، ص ٢٢ و ٢١ الحديث ٥٢٤٩ و ٥٢٥٤.

ب- «أعبد اللّه كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»، نفس المصدر، الحديث

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ۴٧٧

و:

«الله في قبلة المصلّي» [٢٢٣].

٥٢٥٦ و ٥٢٥١ و ٥٢٥٠.

ج- «كن كأنك ترى اللّه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك». نفس مصدر الحديث ٥٢٥٥.

هـ- «أن تعبد اللّه كأنّك تراه، فإنّك إن لا تراه فإنّه يراك».

أخرجه ابن ماجة في سننه ج ١، المقدمة، باب في الإيمان، ص ٢٥ و ٢٤، الحديث ٦٤ و ٦٣.

و- «الإحسان أن تعمل للّه كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» رواه المجلسي في البحار ج ٥٩ ص ٢٦٠ الحديث ٣٥، عن الدر المنثور.

ز- «خف اللّه كأنّك تراه و إن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، و إن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك (إليك)».

رواه الكليني في الأصول من الكافي بإسناده عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام، ج ٢، ص ٦٧، الحديث ٢.

و راجع أيضا تفسير المحيط الأعظم، ج ١ ص ٢٨٢، التعليق ٥٣.

(٢٢٣) قوله: اللّه في قبلة المصلّي.

لم أجد الحديث بهذا اللفظ و لكن يوجد هناك بعض الأحاديث في مضمونه كما يلي:

أ- أخرج أبن داود في سننه ج ١ كتاب الصلاة ص ١٢٩ الحديث ٤٨٠، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إنّ أحدكم إذا استقبل القبلة فإنّما يستقبل ربّه عزّ و جلّ» الحديث.

و أخرجه أيضا ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٢٤.

ب- أيضا في المصدر، الحديث ٤٨٤، بإسناده عن جابر بن عبد اللّه قال: قال:

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴۷۸

أي تخيّله في قبلتك و أنت تواجهه لتراقبه، و تستحيي منه، و تلزم الأدب معه في صلاتك، فإنّك إن لم تفعل هذا أسأت الأدب.

(في أن الخيال كيف يعمل)

فلو لا أنّ الشارع علم أن عندك حقيقة تسمّى الخيال، لها هذا الحكم، ما قال لك: «كأنّك تراه» ببصرك، فإنّ الدليل العقلي يمنع، من: «كأنّ»، فإنّه تخيّل بدليل (يحيل بدليله) التّشبيه، و البصر فما (ما) أدرك شيئا سوى الجدار، فعلمنا أنّ الشارع خاطبك أن تتخيّل أنّك تواجه الحقّ في قبلتك المشروع لك استقبالها، و اللّه يقول:

فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ [البقرة: ١١٥].

«إنّ أحدكم إذا قام يصلّي فإنّ اللّه قبل وجهه». الحديث.

ج- أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٣٤٤، بإسناده عن البياضي، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إنّ المصلّي يناجي ربّه عزّ و جلّ فلينظر ما يناجيه».

و في ج ۲ ص ۳۲، بإسناده عن ابن عمر، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«إذا قام أحدكم يصلّي فلا يبصق في قبلته فإنّما يناجي ربّه تبارك و تعالى».

و أخرج قريب منهما البخاري في صحيحه ج ۱ ص ۲۸۳، كتاب مواقيت الصلاة با ۳۵۹، الحديث ۵۰۱ و ۵۰۰.

و روي المجلسي في البحار ج ۷۱ ص ۲۱۵ الحديث ۱۷، عن مصباح الشريعة، عن الصادق عليه السّلام: قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«المصلّي يناجي ربّه، فاستحي أن يطلع على سرّك العالم بنجواك و ما يخفى ضميرك، و كن بحيث رآك لما أراد منك و دعاك إليه».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۷۹

(في معنى وجه الشيء)

و وجه الشيء: حقيقته و عينه، فقد صوّر الخيال من تستحيل عليه بالدّليل العقلي الصّورة و التصوّر، فلهذا كان واسعا، و أمّا ما فيه من الضّيق فإنّه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمرا من الأمور الحسيّة، و المعنويّة، و النّسب، و الإضافات، و جلال اللّه و ذاته، إلاّ بالصّورة، و لو رام أن يدرك شيئا من غير صورة لم تعط حقيقته ذلك، لأنّه عين الوهم لا غيره، فمن هنا هو ضيق في غاية الضّيق، فإنّه لا يجرّد المعاني عن الموادّ أصلا، و لهذا كان الحسّ أقرب شيء (إليه)، فإنّه من (الحسّ أخذ الصّور) أحسّ أخذ الصّورة، و في الصّورة (الصور) الحسّيّة يجلّي المعاني، فهذا من ضيقه، و إنّما كان هذا، حتّى لا

يتّصف بعدم التّقييد و بإطلاق الوجود و بالفعّال لما يرد إلاّ اللّه تعالى وحده، ليس كمثله شي.

(في أن الخيال لا يدرك المعاني المجردة)

فالخيال أوسع المعلومات و مع هذه السعة العظيمة الّتي يحكم بها على كلّ شيء قد عجز أن يقبل المعاني مجرّدة عن الموادّ كما هي في ذاتها، فيرى العلم في صورة لبن أو عسل و خمر و لؤلؤ، و يرى الإسلام في صورة قبّة و عمد، و يرى القرآن في صورة سمن و عسل، و يرى الدّين في صورة قيد، و يرى الحقّ في صورة انسان و في صورة نور فهو الواسع الضّيق، و اللّه واسع على الإطلاق، عليم بما أوجد اللّه عليه خلقه كما قال تعالى:

أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ [طه: ۵۰].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۸۰

أي بيّن الأمور على ما هي عليه بإعطاء كلّ شيء خلقه.

(في بيان كون القرن نورا و ان الخيال لا يخطأ)

و أمّا كون القرن من نور، فإن النّور سبب الكشف و الظهور إذ لو لا النور ما أدرك البصر شيئا فجعل اللّه هذا الخيال نورا يدرك به تصوير كلّ شيء أيّ أمر كان، كما ذكرناه، فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوّره وجودا، فالخيال أحقّ باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنّوريّة فنوره لا يشبه الأنوار، و به تدرك التجلّيات و هو نور عين الخيال، لا نور عين الحسّ، فافهم! فإنّه ينفعك معرفة كونه نورا فتعلم الإصابة فيه ممّن لا يعلم ذلك، و هو الّذي يقول: هذا خيال فاسد، و ذلك لعدم معرفة هذا القائل بإدراك النّور

الخيال الّذي أعطاه الله تعالى، كما أنّ هذا القائل يخطئ الحسّ في بعض مدركاته، و إدراكه صحيح و الحكم لغيره لا إليه، فالحاكم أخطأ لا الحسّ، كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك و ماله حكم، و انّما الحكم لغيره و هو العقل فلا ينسب إليه الخطأ، فإنّه ما ثمّ خيال فاسد قطّ بل هو صحيح كلّه.

و أمّا أصحابنا فغلطوا في هذا القرن فأكثر العقلاء جعل أضيقه المركز، و أعلاه الفلك الأعلى الّذي لا فلك فوقه، و أنّ الصّور الّتي يحوي عليها صور العالم، فجعلوا واسع القرن الأعلى، و ضيقه الأسفل من العالم.

و ليس الأمر كما زعموا بل لمّا كان الخيال كما قلنا يصوّر الحقّ فمن دونه من العالم حتّى العدم، كان أعلاه الضّيّق و أسفله الواسع، و هكذا خلقه اللّه فأوّل ما خلق منه الضّيّق، و آخر ما خلق منه ما اتّسع، و هو الّذي يلي

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۴۸۱

رأس الحيوان. و لا شكّ أنّ حضرت الأفعال و الأكوان أوسع و لهذا لا يكون للعارف اتّساع في العلم إلّا بقدر ما يعلمه من العالم، ثمّ إنّه إذا أراد أن ينتقل إلى العلم بأحديّة اللّه تعالى لا يزال يرقى من السّعة الضّيق قليلا (قليلا قليلا) فتقل علومه كما (كلّما) رقى في العلم بذات الحقّ كشفا إلى أن لا يبقى له معلوم إلّا الحقّ وحده (و هو) أضيق ما في القرن فضيّقه هو الأعلى على الحقيقة و فيه شرف التامّ، و هو الأوّل الّذي يظهر منه إذا أنبته اللّه في رأس الحيوان فلا يزال يصعد على صورته من الضّيق و أسفله يتسع و هو لا يتغيّر عن حاله فهو المخلوق الأوّل.

ألا ترى الحقّ سبحانه، أوّل ما خلق القلم، أو قل: العقل كما قال: فما خلق إلّا

واحدا «۲۲٤»، ثمّ أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم، و كذلك العدد منشأه من الواحد ثمّ يقبل الثّاني، لا من الواحد الوجود، ثمّ يقبل التضعيف و التركيب (التّرتيب) في المراتب فيتّسع اتّساعا عظيما إلى ما لا يتناهي، فإذا انتهيت فيه من الاتساع إلى حدّ مّا من الآلاف و غيرها، ثمّ تطلب الواحد الّذي أنشأ (منه نشأ) العدد لا تزال في ذلك يقلل العدد و يزول عند ذلك الاتّساع الّذي كنت فيه حتّى ينتهي إلى الإثنين الّتي

---

(۲۲٤) قوله: فما خلق إلاّ واحدا.

هذا إشارة الى الآية الكريمة:

وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ [القمر: ۵۰].

و هناك قاعدة و هي: الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد و قوله: ثمّ يقبل الثاني الى قوله: في المراتب، لعلّه هذا نفس ما قاله صدر المتألهين: من وحدة الوجود و كثرت المراتب.

[.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۸۲

بوجودها ظهر العدد إذ كان الواحد أولا لها (أولاها) فالواحد أضيق الأشياء و ليس بالنّظر إلى ذاته بعدد في نفسه و لكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة فلا يجمع بين اسمه و عينه أبدا فاعلم ذلك.

و النّاس في وصف الصّور بالقرآن على خلاف ما ذكرناه.

(في بيان إدراك الأرواح في البرزخ)

و بعد ما قرّرناه فلتعلم: أنّ اللّه سبحانه إذا قبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعيّة حيث كانت و العنصريّة، أودعها صورا جسديّة في مجموع هذا القرن النوريّ، فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور، إنّما يدركه بعين الصّورة الّتي هو فيها في القرن، و بنورها و هو إدراك حقيقيّ.

و من الصّور هنالك ما هي مطلقة كأرواح الأنبياء كلّهم و أرواح الشّهداء، و منها ما يكون لها نظر إلى علم (عالم) الدّنيا في هذه الدار، و منها ما يتجلّى للنّائم في حضرة الخيال الّتي هي فيه و هو الّذي تصدق رؤياه أبدا، و كلّ رؤياه (رؤيا) صادقة و لا تخطئ، فإذا أخطأت الرّؤيا، فالرّؤيا ما أخطأت، و لكن العابر الّذي يعبّرها و هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصّورة؟ ألا تراه صلّى اللّه عليه و آله ما قال لأبي بكر حين عبّر رؤيا الشخص المذكور:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۸۳

«أصبت بعضا، و أخطأت بعضا؟» «۲۲۵».

و كذلك قال في الرّجل الّذي رأى في النّوم (قد) ضربت عنقه فوقع رأسه فجعل الرّأس يتدهده و هو يكلمه، فذكر له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أنّ الشّيطان يلعب به» [۲۲٦].

(٢٢٥) قوله: أصبت بعضا.

أخرج مسلم في صحيحه ج ٤، كتاب الرؤيا باب ٣، الحديث ١٧ بإسناده، عن ابن عباس قال: انّ رجلا أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله! إنّي أرى الليلة في المنام ظلّة تنطف السمن و العسل، فأرى الناس يتكفّفون منها بأيديهم، فالمستكثر و المستقلّ. و أرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض، فأراك أخذت به فعلوت.

ثمّ أخذ به رجل من بعدك فعلا. ثمّ أخذ به رجل آخر فعلا، ثم أخذ به رجل آخر، فانقطع به ثمّ وصل له فعلا.

قال أبو بكر: يا رسول اللّه! بأبي أنت، و اللّه لتدعنّي فلأعبرنّها، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «أعبرها»، قال أبو بكر: أمّا الظلّة فظلّة الإسلام، و أمّا الّذي ينطف من السمن و العسل فالقرآن، حلاوته و لينه، و أمّا ما يتكفّف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن و المستقلّ، و أما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحقّ الّذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك اللّه به ثمّ يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثمّ يأخذ به رجل آخر فيعلوا به، ثمّ يأخذ به رجل آخر فينقطع به، ثمّ يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول اللّه! بأبي أنت، أصبت أم أخطأت؟ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أصبت بعضا و أخطأت بعضا».

قال: يا رسول اللّه! لتحدّثني ما الّذي أخطأت؟ قال: «لا تقسم» و أخرجه أيضا ابن ماجة في سننه ج ٢ كتاب تعبير الرؤيا، باب ١٠ ص ١٢٨٩ الحديث ٣٩١٨، و أخرجه أيضا ابن حنبل، راجع الفتح الباري ج ١٧ ص ٢١٥.

(٢٢٦) قوله: انّ الشيطان يلعب به.

أخرج ابن ماجة في سننه ج ٢ ص ١٢٨٧ كتاب تعبير الرؤيا باب ۵ الحديث ٣ و ٢

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴٨۴

فعلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، صورة ما رآه و ما قال له: خيالك فاسد، فإنّه رأى حقّا، و لكن أخطأ في التأويل، فأخبره صلّى اللّه عليه و آله بحقيقة ما رآه ذلك النّائم.

و كذلك قوم فرعون يعرضون على النّار في تلك الصّورة (الصور) غدوة و عشيّة، و لا يدخلونها فإنّهم محبوسون في ذلك القرن و في تلك الصّورة، و يوم القيامة يدخلون أشد العذاب، و هو العذاب المحسوس لا المتخيّل الّذي كان لهم في حال موتهم بالعرض.

فيدرك بعين الخيال الصّور الخياليّة و الصّور المحسوسة معا، فيدرك

و ٣٩١١ بإسناده عن أبي هريرة قال: جاء رجل الى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فقال: إنّي رأيت رأسي ضرب، فرأيته يتدهده، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«يعمد الشيطان إلى أحدكم فيتهوّل له، ثمّ يغدوا يخبر الناس» و عن جابر، قال: أتى النبيّ رجل و هو يخطب، فقال: يا رسول اللّه! رأيت البارحة فيما يرى النائم، كان عنقي ضربت و سقط رأسي، فاتّبعته فأخذته فأعدته، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدّثنّ به الناس» و عن جابر أيضا قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إذا حلم أحدكم، فلا يخبر الناس بتلعّب الشيطان به في المنام».

و أخرج مثلها أيضا مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الرؤيا باب ٢ و ١ الحديث ١۵ و ١٤ و ١٣ ص ١٧٧٦.

و أخرج أيضا مثلها و قريب منها أحمد بن حنبل، راجع الفتح الباري ج ١٧ ص ٢١٨.

و روى المجلسي في البحار ج ٧٦ ص ١٩٧ الحديث ١٢، عن كتاب مكارم الأخلاق عن الصادق عليه السّلام قال:

«إذا خفت الجنابة فقل في فراشك: اللّهم إنّي أعوذ بك من الاحتلام، و من سوء الأحلام، و من أن يتلاعب بي الشيطان في اليقظة و المنام».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۴٨۵

المتخيّل الّذي هو الإنسان بعين خياله وقتا مّا هو متخيّل، كقوله صلّى اللّه عليه و آله:

«مثّلت لي الجنّة في عرض (هذا) الحايط» «٣٢٧».

فأدرك ذلك بعين حسّه، و إنّما قلنا بعين حسّه، لأنّه تقدّم حين رأى الجنّة ليأخذ قطفا منها، و تأخّر حين رأى النّار، و هو في صلاته، و نحن نعرف أنّ عنده من القوّة بحيث أنّه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسّه، ما أثّر في جسمه تقدّما و لا تأخّرا، فإنّا نجد ذلك، و ما نحن في قوّته و لا في طبقته صلّى اللّه عليه و آله.

(۲۲۷) قوله: مثّلث لي الجنّة.

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ۳ ص ۲۵۹ بإسناده عن أنس بن ماللك قال: قال صلّى النبي صلّى اللّه عليه و آله بنا يوما ثمّ رقى المنبر فأشار بيده قبل قبلة المسجد، ثمّ قال:

«قد رأيت أيّها الناس منذ صليت لكم الصلاة: الجنّة و النار ممثّلتين في قبل هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخير و الشرّ، يقولها ثلاث مرّات».

و روي المجلسي في البحار ج ۱۷ باب علمه صلّى اللّه عليه و آله و عرض الأعمال عليه، ص ۱۵۳ الحديث ۵۷ عن بصائر الدرجات، بإسناده عن مقاتل بن مقاتل، عن أبي الحسن الرضا عليه السّلام قال: قال أبو جعفر عليه السّلام:

«إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مثّلت له أمّته في الطين، فعرفهم بأسمائهم و أسماء آبائهم و أخلاقهم و حلاهم».

أيضا في البحار ٦٨ ص ۳۸ الحديث ۸۰ عن مجالس المفيد، بإسناده عن غياث بن ابراهيم، عن الصادق عليه السّلام، عن أبيه، عن جدّه، عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«علّمت سبعا من المثاني و مثّلت لي أمتي في الطين حتّى نظرت إلى صغيرها و كبيرها، و نظرت في السماوات كلّها».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۳، ص ۴۸۶

(كلّ إنسان يحشر يوم القيامة بصور أعماله)

و كلّ انسان في البرزخ مرهون بكسبه، محبوس في صور أعماله، إلى أن يبعث يوم القيامة من تلك الصّور في النشأة الآخرة.

و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۸۷

الفصل الأوّل في ذكر العماء و ما يحوي عليه إلى عرش الاستواء «۲۲۸»

(الوجود هو الحقّ و لا غير، و الحقّ هو الوجود و لا غير)

اعلم أنّ اللّه موصوف بالوجود و لا شيء معه موصوف بالوجود من الممكنات، بل أقول: إنّ الحقّ هو عين الوجود و هو قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«كان اللّه و لا شيء معه» «۲۲۹».

يقول: اللّه موجود و لا شيء من العالم موجود، فذكر عن نفسه بدء

---

(۲۲۸) قوله: الفصل الأوّل في ذكر العماء.

راجع الفتوحات المكيّة ج ۳ ص ٤۲۹.

(۲۲۹) قوله: كان اللّه و لا شيء معه.

ذكرنا مصادره و كلاما حوله سابقا في الجزء الأوّل ص ۳۵۲ التعليق ۸۸ و ۸۷.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۸۸

هذا الأمر أعني ظهور العالم في عينه، و ذلك أنّ اللّه تعالى أحبّ أن يعرف

ليجود على العالم بالعلم به عزّ و جلّ، و علم أنّه تعالى لا يعلم من حيث هويّته، و لا من حيث يعلم نفسه، و أنّه لا يحصل من العلم به تعالى في العالم إلاّ أن يعلم العالم انّه لا يعلم، و هذا القدر يسمّى علما كما قال الصديق: «العجز عن درك الإدراك إدراك»، إذ قد علم أنّ في الوجود أمرا مّا لا يعلم و هو اللّه، و لا سيّما للممكنات من حيث إنّ لها أعيانا ثابتة، لا موجودة مساوقة لواجب الوجود في الأزل، كما أنّ لنا تعلّقا سمعيّا ثبوتيّا لا وجوديّا بخطاب الحقّ إذا خاطبنا و أنّ لها قوّة الامتثال، كذلك لها جمع (جميع) القوى من علم و بصر و غير ذلك، كلّ ذلك أمر ثبوتيّ، و حكم محقّق غير وجوديّ، و على تلك الأعيان و بها تتعلّق رؤية من يراها من الموجودات كما ترى هي نفسها رؤية ثبوتيّة، فلمّا اتّصف لنا بالمحبّة و المحبّة حكم يوجب رحمة الموصوف بها بنفسه، و لهذا يجد المتنفّس راحة في تنفسه فبروز النّفس بها من المتنفّس عين رحمته بنفس (بنفسه)، فما خرج عنه (الاّ) إلى الرّحمة الّتي وسعت كلّ شيء فانسحبت على جميع العالم، ما كان منه و ما لا يكون إلى ما لا يتناهى. فأوّل صورة قبل نفس الرحمن صورة العماء [٢٣٠] فهو بخار رحمانيّ في (فيه) الرّحمة بل

---

(٢٣٠) قوله: فأوّل صورة قبل نفس الرحمن صورة العماء.

أخرج الترمذي في صحيحه ج ٥ كتاب تفسير القرآن باب ١٢ سورة هود الحديث ٣١٠٩ ص ٢٨٨ بإسناده عن أبي زرين، قال قلت: يا رسول اللّه! أين كان ربّنا قبل أن يخلق

خلقه؟ قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٨٩

«كان في عماء ما تحته هواء و ما فوقه هواء، و خلق عرشه على الماء» قال أحمد بن منيع: قال يزيد بن هارون: «العماء أي ليس معه شيء».

و أخرج مثله أحمد بن حنبل و مسنده ج ٤ ص ١٢، و أيضا الطبري في تفسيره «جامع البيان» ج ٤ ص ٤، في تفسير سورة هود، و أيضا أخرج مثله ابن ماجة في سننه ج ١، المقدمة، الحديث ١٨٢ ص ٦٤.

و راجع أيضا الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٣٥٢ التعليق ٨٧.

قال العلاّمة الطباطبائي في تفسير «الميزان» ج ١٠ في سورة هود، ص ١٧٩، بعد نقل الحديث المذكور عن «الدر المنثور»:

أقول: «العماء الغيم الّذي يمنع نفوذ البصر فيه، و «ما» في قوله: «ما تحته هواء و ما فوقه هواء» موصولة، و المراد بالهواء معناه المعروف، و المراد به أنّه كان عماء لا يحيط به الهواء على خلاف سائر العماءات.

و الرواية من أخبار التجسّم و لذا وجه بأن قوله: في عماء (إلخ) كناية عن غيب الذات الّذي تكل عنه الأبصار و تتحيّر فيه الألباب».

و قال ابن ابي جمهور الأحسائي في تعليقه على الرواية بعد نقله في غوالي اللئالي ج ١ ص ٥٥ الحديث ٧٩:

قال بعض أهل اللغة: «ان العماء: السحاب إن كان الحرف ممدودا، و إن كان مقصورا فإنّه أراد: في عما عن معرفة الناس».

و الّذي سنح للفقير: أنّ المراد من الحديث المعنى الثاني، من العمى بالقصر، ضدّ البصر، و يراد به عدم المعرفة قبل خلق الآثار الظاهر بها.

و أمّا قوله: «ما فوقه هواء و ما تحته هواء» إشارة إلى نفي كل شيء في تلك المرتبة، و إليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السّلام في بدء الإيجاد:

«ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، و شقّ الأرجاء و سكائك الهواء» (راجع تفسير المحيط الأعظم ج ۲ ص ۱۹۰، التعليق ۸۳ و ۸۲).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۹۰

و يريد به الهواء الّذي أجرى فيه الماء الّذي كان منه بدو الإيجاد، فنفي وجوده ثمّة ليدلّ على أنّه لم يكن معه في تلك المرتبة شيء، و يؤيد قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«كان اللّه و لا شيء معه و كذلك هو الآن»، راجع الجزء الأوّل ص ۳۵۲ التعليق ۸۷.

و لهذا قال أهل الإشارة: «أن مرتبة الأحديّة هي مرتبة العمائيّة الّتي لا يلزمها شيء من الصفات و الأسماء و الأفعال، فهي مرتبة العماء المشار إليه في الحديث، و تلك المرتبة لا يمكن العلم بها، و لا وصول العقول إليها، لعدم الطريق الموصل، فلمّا تزلّ من تلك المرتبة إلى مرتبة الوحدانيّة الّتي هي مرتبة الصفات و الأسماء و الأفعال، ظهرت المسمّيات و الأفعال و حصل بواسطتها التمييز و المعرفة».

أقول: روي الصدوق في «كتاب التوحيد» باب ۲۸ نفي المكان الحديث ۱۲ ص ۱۷۸ بإسناده عن موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام قال:

«إنّ اللّه تبارك و تعالى كان لم يزل بلا زمان و لا مكان و هو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان و لا يشتغل به المكان، و لا يحلّ في مكان، **مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَةٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَةٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مٰا كٰانُوا [المجادلة: ۷]. ليس بنيه و بين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، و استتر بغير ستر مستور، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال» و روي أيضا في باب العلم من الكتاب الحديث ۹ ص ۱۳۷، بإسناده عبد اللّه ابن مسكان، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام، عن اللّه تبارك و تعالى أ كان يعلم المكان قبل ان يخلق المكان، أم علمه عند ما خلقه و بعد ما خلقه؟ فقال:**

«تعالى اللّه، بل لم يزل عالما بالمكان قبل تكوينه، كعلمه به بعد ما كوّنه، و كذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان».

قال القاضي سعيد القمي في شرح الحديث:

يشبه أن يكون المراد بالمكان في هذا الخبر ما أجاب به النبيّ صلّى اللّه عليه و آله حين سئل: «اين كان

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۹۱

ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «كان في عماء ما فوقه هواء و ما تحت هواء».

و العماء بالمهملة: الغيم الرقيق، و كلمة «ما» في الموضعين للنفي، فالمراد به المرتبة الواحديّة الّتي هي منشأ الصفات الذاتيّة من العلم و الحياة و القدرة و غيرها، و تلك الحضرة هي الواسطة بين سماء الأحديّة و الإطلاق و بين أرض الكثرة و التقييد».

و أيضا روي الصدوق في كتاب التوحيد باب نفي المكان الحديث.

٤- عن الصادق عليه السّلام، أنّه سئل: أين كان ربنا قبل أن يخلق سماء و أرضا؟ فقال عليه السّلام:

« (أين) سؤال عن مكان، و كان اللّه و لا مكان».

قال القاضي سعيد القمي في شرح الحديث:

«لسائل ان يسأل فيقول: قد روي انّه قيل لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أين كان اللّه قبل أن يخلق السماء و الأرض! فقال صلّى اللّه عليه و آله:

«في عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء».

فمن أين التوفيق بين الخبرين؟ فنقول:

«لما كانت مرتبة الألوهيّة مقام الحيرة و كلّ من تكلّم فيه فقد جهل ما تكلّم به، و تخيّل أنّه قد أصاب و هو مخطئ غاية الخطأ، لأن الألوهيّة لا تنحصر في حدّة، و ما كان لذلك لا يحدّ كنهه، فحدّ الألوهيّة لا يمكن فهي مقام الحيرة، فقوله عليه السّلام: «في العما» إن كان بالقصر فمعناه: الحيرة و عدم تعلّق المعرفة، لأنّه حارت البصائر و الألباب في إدراكه، إلى أن قال: هذا ملخّص ما قاله بعض أهل المعرفة» و أقول: و لا يبعد أن يقال: انّ العماء بالمدّ، عبارة عن الألوهيّة الكبرى الّتي هي مرتبة الواحديّة باصطلاح القوم و ضمير «كان» يرجع الى الذات الأحديّة، و المراد أنّه تعالى قبل الخلق في المرتبة الّتي يمكن أن يخبر

عنه تعالى كان في مرتبة الألوهيّة، و إلاّ فالأحديّة الذاتيّة لا يخبر عنها و لا يعقل و لا يحكم عليها و لا يشار إليها إلاّ بالسلوب».

قال صدر الدين القونوي في تفسيره «اعجاز البيان»:

«فاعلم أنّي متى ذكرت الغيب المطلق في هذا الكتاب فهو إشارة إلى الحقّ سبحانه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۹۲

و تعالى و هويّته من حيث بطونه و إطلاقه و عدم الإحاطة بكنهه و تقدّمه على الأشياء و إحاطته بها.

و هو بعينه النور المحض و الوجود البحث و المنعوت بمقام العزة و الغنى.

و متى ذكرت البرزخ الأوّل و حضرت الأسماء و الحدّ الفاصل و مقام الإنسان الكامل من حيث هو انسان كامل و حضرت أحديّة الجمع و الوجود و أوّل مراتب التعيّن و صاحبة الأحديّة و آخر مرتبة الغيب و أوّل مرتبة الشهادة بالنسبة إلى الغيب المطلق و محلّ نفوذ الاقتدار، فهو إشارة الى العماء الّذي هو النفس الرحماني.

و هو بعينه الغيب الإضافي الأوّل بالنسبة إلى معقولية الهويّة الّتي لها العيب المطلق.

اعلم أنّ الحق علم كلّ شيء من عين علمه بذاته لم يتّصف بعلم مستفاد من غيره و لا بغيره، ثمّ أوجد العالم على نحو ما علمه في نفسه أزلا، فالعالم صورة علمه و مظهره، و لم يزل سبحانه محيطا بالأشياء علما و وجودا.

و كلّ ما ظهر فإنّما ظهر منه إذ لم يكن لغيره وجود مساوق لوجوده، كما أخبر الصادق

المصدق صلّى اللّه عليه و آله بقوله:

«كان اللّه و لم يكن معه شيء» و قد أخبر سبحانه عن نفسه ناعتا فقال:

هُوَ اللهُ الَّذِي لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ عٰالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ [الحشر: ٢٢].

و نبّه على صفات كماله فقال:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد: ٣].

فالاسم الظاهر و سائر ما ظهر به من الصور كانت غيبا في غيب الحق و كانت مستهلكة تحت قهر الوحدانية الّتي هي أقرب النعوت نسبة إلى الغيب الإلهي.

و الغيب غيبان اضافي و حقيقي فالإضافي ما يرد تفصيل حكمه، الحقيقي هو حضرة ذات الحقّ و هويّته».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ۴۹۳

فان هذا الغيب هو أصل كلّ ما ظهر و علم، و سواهما أعني ما أنفرد الحقّ بمعرفته هو مقام الغني عن العالمين.

و أقرب المراتب نسبة إلى هذا الغيب العماء الّذي هو «النفس الرحماني» و إليه تستند الأحديّة الّتي هي أوّل أحكام التعيّن الأوّل و أقربها نسبة إلى إطلاقه، و هو أعني العماء حضرة الأسماء كلّها و الصفات و صاحبة النعوت المذكورة من قبل، و هو أوّل مرتبة الشهادة بالنسبة إلى الغيب الإلهي المذكور، و إلاّ فهو غيب بالإضافة إلى ما تحته.

و نظيره من عالم الحروف في النفس الإنساني الهمزة و الألف الّذي به و فيه بدت و تعيّنت صور سائر الموجودات التّي هي الحروف و الكلمات الإلهيّة و الأسماء و أسماء الأسماء». اعجاز البيان ص ١٣٦ و ١١٥ و ١١٤ و ١١٢ و ٤٨.

و قال أيضا في «مفتاح الغيب»:

«ينبوع مظاهر الوجود باعتبار اقترانه، و حضرة تجليه و منزل تعيّنه، العماء الّذي ذكره النبيّ صلّى اللّه عليه و آله مقام التنزل الربانيّ و منبعث الجود الذاتي الرّحماني من غيب الهويّة و حجاب عزّة الإنيّة.

و في هذا العماء يتعيّن النكاح الأوّل الغيبي الأزلي الفاتح لحضرات الأسماء الإلهيّة الأزليّة». مصباح الأنس ص ٧٦ و راجع أيضا نفس المصدر ص ١٦٤.

قال السيّد الإمام الخميني رضي اللّه عنه «مصباح الهداية» ص ۵۷:

«يشبه أن يكون حقيقة العماء هي الخضرة الفيض الأقدس و الخليفة الكبرى، فإنّها هي الحقيقة الّتي لا يعرفها بمقامها الغيبي أحد، و لها الوساطة بين الحضرة الأحديّة الغيبية و الهويّة الغير الظاهرة، و حضرة الواحديّة الّتي تقع فيها الكثرة كم شئت.

و إنّما لم نحملها على الحقيقة الغيبيّة لأنّ السؤال عن الربّ، و هذه الحقيقة غير موصوفة بصفة، و لا على الحضرة الواحديّة لأنّها مقام اعتبار الكثرة العلمية».

قال صدر المتألهين الشيرازي في «الأسفار» المرحلة الخامسة الفصل ٢٨، ج ٢ ص ٣١٧:

«الوجود الصرف (هو) الّذي لا يتعلّق وجوده بغيره، و (هو) الوجود الّذي لا يتقيّد بقيد، و هو المسمّى عند العرفاء بالهويّة الغيبية و الغيب المطلق و الذات الأحديّة، و هو الّذي لا اسم له و لا نعت له، و لا يتعلّق به معرفة و إدراك.

(و هو) قبل جميع الأشياء، و هو على ما هو عليه في حدّ نفسه من غير تغيّر و لا انتقال، فهو الغيب المحض و المجهول المطلق إلاّ من قبل لوازمه و آثاره، فهو بحسب ذاته المقدسة ليس محدودا مقيدا بتعين، و لا مطلقا، و هذا الإطلاق أمر سلبي يستلزم سلب جميع الأوصاف و الأحكام و النعوت عن كنه ذاته».

(هذا هو الوجود الصرف و أما الوجود المطلق):

الوجود المنبسط المطلق هو الّذي ليس عمومه على سبيل الكلّية بل على نحو آخر، فإنّ الوجود محض التحصّل و الفعليّة، و الكلّي سواء كان طبيعيّا أو عقليّا يكون مبهما يحتاج في تحصّله و وجوده إلى انضمام شيء إليه يحصّله و يوجده و ليست وحدته عدديّة أي مبدءا للأعداد، فإنّه حقيقة منبسطة على هياكل الممكنات و ألواح الماهيات لا ينضبط في وصف خاصّ، و لا ينحصر في حدّ معين من القدم و الحدوث و التقدّم و التأخّر و الكمال و النقص و العلية و المعلولية و الجوهريّة و العرضيّة و التجرّد و التجسم بل هو بحسب ذاته بلا انضمام شيء آخر يكون متعينا بجميع التعينات الوجوديّة و التحصلات الخارجيّة، بل الحقائق الخارجيّة تنبعث من مراتب ذاته و أن حاصر تعيّناته و تطوراته. و هو أصل العالم و فلك الحياة و عرش الرحمان، و الحق المخلوق به في عرف الصوفيّة، و حقيقة الحقائق.

و هو يتعدّد في عين وحدته بتعدد الموجودات المتّحدة بالماهيّات، فيكون مع القديم قديما، و مع الحادث حادثا، و مع المعقول معقولا، و مع المحسوس محسوسا، و بهذا

الإعتبار يتوهم إنّه كلّي و ليس كذلك، و العبارات عن بيان انبساطه على الماهيّات و اشتماله على الموجودات قاصرة الإشارات إلاّ على سبيل التمثيل و التشبيه، و بهذا يمتاز عن الوجود الّذي لا يدخل تحت التمثيل و الإشارة إلاّ من قبل آثاره و لوازمه».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٩٥

أقول: الظاهر و اللّه العالم المراد من العماء في الحديث المذكور، المنقول عن النبيّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله هو الوجود المنبسط، المقيد بالإطلاق الّذي عبّر عنه القرآن الكريم بالأمر الواحد في قوله تعالى:

وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ [القمر: ٥٠].

و قال تعالى أيضا فيه:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ [الحديد: ٣].

و هذا هو الّذي يعبّر عنه بالفيض الأقدس و التعيّن الأوّل و النفس الرحماني و الفيض المنبسط، قال سبحانه و تعالى:

اللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ [النور: ٣٥].

و قال: **هُوَ الَّذِي فِي السَّمٰاءِ إِلٰهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ [الزخرف: ٨٤].**

و قال: **وَ لِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلىٰ [النحل: ٦٠].**

و قال: **وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ [الحديد: ٤].**

و قال: **فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ [البقرة: ١١٥].**

و قال: مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَةٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَةٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ [المجادلة: ۷].

و فيه قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة و السلام:

«مع كلّ شيء لا بمقارنة، و غير كلّ شيء لا بمزالة». نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

و قوله صلّى اللّه عليه و آله في الحديث المذكور:

«ما فوقه هواء و ما تحته هواء».

لعلّه إشارة إلى إطلاقه و عدم محدوديّته و أنّه مطلق لا نهاية له، و أنّه أزليّ و ابديّ، لا بدء له و لا نهاية له.

و السائل سئل عن الربّ، و الربّ هو اللّه سبحانه و تعالى لقوله:

الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ [الحمد: ۲]. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۴۹۶

هو عين الرّحمة، و كان ذلك أوّل ظرف قبله وجود الحقّ فكان الحقّ كالقلب للإنسان، كما أنّه تعالى لقلب (الإنسان) العارف المؤمن كالقلب (للإنسان فهو قلب القلب) كما أنّه ملك الملك فما حوّاه غيره فلم يكن إلاّ هو.

(محال أن يظهر العالم من حكم الباطن)

ثم إنّ جوهر ذلك العماء قبل صور الأرواح من الرّاحة و الاسترواح إليها و هي الأرواح المهيّمة، فلم تعرف غير الجوهر الّذي ظهرت فيه و به، و هو أصلها و هو باطن الحقّ و غيبه ظهر فظهر فيه و به العالم، فإنّه من المحال أن يظهر العالم من حكم الباطن فلا بدّ من ظهور حقّ يكون ظهور صور العالم

به فلم يكن غير العماء فهو الإسم الظاهر الرّحمان فهامت في نفسها، ثمّ أيّد (أيه) واحدا من هذه الصور الروحيّة بتجلّ خاصّ علمي

و أمّا الذات المقدّسة و الهويّة المطلقة، و هو أجلّ و أكبر من أن يدرك و يعرف بالبرهان أو الشهود، و لا يليق أيّ تعيّن و مرتبة لأن يقع في جواره عزّ اسمه حتّى في التعبير اللفظي عنه سبحانه و تعالى إلاّ عبده المطلق في العبوديّة للذات المطلقة كما قال سبحانه و تعالى:

سُبْحٰانَ الَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ [الأسراء: ١].

و قال: **فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ** [النجم: ١٠].

رزقنا اللّه سبحانه و إيّاكم و كل موٴمن ذكره و التوجّه إليه و الإخلاص له آمين يا ربّ العالمين.

و أشرنا إلى هذا أيضا في المقدّمة لتفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ١٤٥.

و راجع أيضا الجزء الثاني ٣٧٥ التعليق ١٧٨، في بيان معنى العماء.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٤٩٧

انتقش فيه علم ما يكون إلى يوم القيامة ممّا لا تعلمه الأرواح المهيّمة، فوجد في ذاته قوّة امتاز بها عن ساير الأرواح فشاهدهم و هم لا يشاهدونه، و لا يشهد. بعضهم بعضا، فرأى نفسه مركبا منه و من القوّة التي وجدها، علم بها صدوره كيف كان، و علم أنّ في العلم حقائق معقولات سمّاها معقولات

من حيث إنّه عقلها لما تميّزت عنده، فلم يكن لها أن يكون كلّ واحدة منها عين الأخرى فهي للحقّ معلومات، و للحقّ و لأنفسها معقولات، و لا وجود لها في الوجوب الوجودي و لا في الوجوب الإمكاني (في الوجود الوجودي و لا في الوجود الإمكاني) فيظهر حكمها في الحقّ فتنسب إليه و تسمّى أسماء الإلهيّة، فينسب إليها من نعوت الأزل ما ينسب إلى الحقّ، و ينسب أيضا إلى الخلق بما يظهر من حكمها فيه فينسب إليها من نعوت الحدوث ما ينسب إلى الخلق فهي الحادثة القديمة و الأبديّة الأزليّة.

(العماء هو نفس الرحمن و جوهره صورة الإنسان الكامل)

و علم عند ذلك هذا العقل: أنّ الحقّ ما أوجد العالم إلاّ في العماء و رأى أنّ العماء نفس الرحمن، فقال: لا بدّ من أمرين يسميان في العلم النظري مقدّمتين لإظهار أمر ثالث هو نتيجة ازدواج تينك المقدّمتين، و رأى عنده من الحقّ ما ليس عند الأرواح (المهيّمة فعلم أنّه أقرب مناسبة للحقّ من سائر الأرواح)، و رأى في جوهر العماء صورة الإنسان الكامل الّذي هو للحقّ بمنزلة ظلّ الشّخص من الشّخص، و رأى نفسه ناقصا عن تلك

الدّرجة، و قد علم ما يتكوّن عنه من العالم إلى آخره في الدنيا و في المولّدات، فعلم أنّه لا بدّ أن يحصل له درجة الكمال الّتي للإنسان الكامل و إن لم يكن فيها مثل الإنسان.

(الإنسان الكامل أكمل من العقل الأوّل)

فإنّ الكمال في الإنسان الكامل بالفعل، و في العقل الأوّل بالقوّة «و ما كان

بالقوّة»، و الفعل أكمل في الوجود ممّن هو بالقوّة (دون الفعل)، و لهذا وجد العالم في عينه فأخرجه من القوّة إلى الفعل ليتّصف بكمال الاقتدار، و لو كان في الإمكان إيجاد الممكنات كلّها لما ترك منها واحدا منعوتا بالعدم، لكن يستحيل ذلك لعدم التّناهي، و ما يدخل في الوجود فلا بدّ أن يكون متناهيا فتجلّى له الحقّ فرأى لذاته ظلا لأنّ ذلك التجلّي كان كالكلام لموسى من جانب الطور.

كذلك كان التجلّي الإلهي لهذا العقل من الجانب الأيمن، فإنّ اللّه له يدين مباركتين مبسوطتين يعني فيهما الرحمة فلم يقرن بهما شيئا من العذاب فيعطي رحمة يبسطها و يعطي رحمة يقبضها، فإنّ القبض ضم إليه و البسط انفساح فيه، فكان ذلك الظلّ الممتّد عن ذات العقل من نور ذلك التجلّي، و كثافة المحدث بالنظر إلى اللطيف الخبير نفسا، و هو اللوح المحفوظ.

و الطّبيعة الذاتيّة مع ذلك كلّه، و تسمّى هناك حياة و علما و إرادة و قولا، كما تسمّى في الأجسام حرارة و برودة و يبوسة و رطوبة، و كما تسمّى في الأركان نارا و هواء و ماء و ترابا، كما تسمّى في الحيوان سوداء، و صفراء،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ۴۹۹

و بلغما، و دما، و العين واحدة و الحكم مختلف:

فالعين واحدة و الحكم مختلف

و ذاك سرّ لأهل العلم ينكشف

ثمّ صرف العقل وجهه إلى العماء فرأى ما بقي منه لم يظهر فيه صورة و قد

أبصر ما ظهرت فيه الصّور منه قد أنار بالصّور و ما بقي دون صورة رآه ظلمة خالصة و رأى أنّه قابل للصّور و الاستنارة.

(في تكوّن العرش)

فاعلم أنّ ذلك لا يكون إلاّ بالتحامك بظلك فعمّه التجلّي الإلهي، كما تعمّ لذّة الجماع نفس الناكح حتّى تغيبه عن كلّ معقول و معلوم سوى ذاتها، فلما عمّه نور التجلّي رجع ظلّه إليه و اتّحد به فكان نكاحا معنويّا صدر عنه العرش الّذي ذكر الحقّ أنّه استوى عليه الإسم الرّحمن فقال:

الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ [طه: ۵].

فما أنكره (من أنكره) أعني الإسم الرّحمن إلاّ للقرب المفرط و لم يقرّوا باللّه إلاّ لما يتضمّنه هذا الإسم من الرحمة و القهر فعلم و جهل الرّحمن فقالوا: و ما الرحمن، و لو قالها بلسان غير العربيّ لقال ما يشبه هذا المعنى، و يقع الإنكار منهم أيضا، فلا أقرب من الرّحمة إلى الخلق لأنّه ما ثمّ أقرب إليهم من وجودهم و وجودهم رحمة بلا شكّ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۰۱

الفصل الثّاني في صورة العرش و الكرسي و القدمين

، و الماء الّذي عليه العرش، و الهواء الّذي عليه الماء، و الظلمة الّتي ظهر عنها

الهواء الّذي يمسك الماء و يمسك عليه (الجرية و) الحملة و الحافّين.

(العرش مرآة للعلم الإلهي)

اعلم أنّ هذه الظّلمة هي ظلمة الغيب و لهذا سميت ظلمة أي لا يظهر ما فيها، فكلّما برز من الغيب ظهر لنا، فنحن ننظر إلى ما ظهر من صور العالم في مرآة الغيب، و لا نعرف أنّ ذلك في مرآة غيب و هي للحقّ كالمرآة، فإذا تجلّى الحقّ لها انطبع فيها ما في العلم الإلهيّ من صور العالم و أعيانه، و ما زال الحقّ متجليا لها فما زالت صور العالم في الغيب، و كلّ ما ظهر لمن وجد من العالم فإنّما هو ما يقابله في نظره في هذه المرآة الّتي هي الغيب، فلو جاز أن يعلم جميع ما في علم الحقّ و ذلك لا يجوز فلا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۰۲

يجوز أن يرى من صور العالم في هذه المرآة إلاّ ما تراءى له منها، فكان ممّا رآه فيها صورة العرش الّذي استوى الرّحمن عليه و هو سرير ذو أركان أربعة و وجوه أربعة هي قوائمة الأصليّة الّتي لو استقبل (استقلّ) بها لثبت عينه (عليه)، إلاّ أنّه جعل في كلّ وجه من الوجوه الأربعة له قوائم كثيرة على السواء في كلّ وجه معلومة عندنا أعدادها زايدة على القوائم الأربعة و جعله مجوّفا محيطا بجميع ما يحوي عليه من كرسيّ و أفلاك و جنّات و سماوات و أركان و مولّدات.

فلمّا أوجده استوى عليه الرحمن و أخذ (واحد) الكلمة لا مقابل لها فهو رحمة كلّه، ليس فيه ما يقابل الرحمة و هو صورة في العماء.

(في أن العقل أب و النفس أمّ)

فالعقل أبوه و النّفس أمّه و لذلك استوى عليه الرحمن فإنّ الأبوين لا ينظران أبدا لولدهما إلاّ بالرّحمة و اللّه أرحم الراحمين.

فالنفس (و النفس) و العقل موجودان كريمان على اللّه محبوبان للّه فما استوى على العرش إلاّ بما تقربه أعين الأبوين و هو الرّحمن.

فعلمنا أنّه ما يصدر عنه إلاّ ما فيه رحمة، و إن وقع ببعض العالم غصص فذلك لرحمة فيه لو لا ما جرعه إيّاها اقتضى ذلك مزاج الطبع و مخالفة الغرض النفسي، فهو كالدّواء الكريه الطعم المستلذ، و فيه رحمة للذي يشربه و يستعمله و ان كرهه، باطنه (فباطنه) فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب، و ما يستوي عليه الرحمن تعالى إلاّ بعد ما خلق الأرض:

وَ قَدَّرَ فِيهٰا أَقْوٰاتَهٰا [فصلت: ١٠].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۵۰٣

و خلق السموات، وَ أَوْحىٰ فِي كُلِّ سَمٰاءٍ أَمْرَهٰا [فصّلت: ١٢].

و فرغ من خلق هذه الأمور كلها، و رتّب الأركان ترتيبا يقبل الاستحالات لظهور التكوين و التنقل من حال الى حال (و) بعد هذا استوى على العرش قال تعالى:

فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً [الفرقان: ۵۹].

يعني كلّ من حصل له ذلك ذوقا كأمثالنا، فإنّ أهل اللّه ما عملوا الّذي عملوا إلاّ ذوقا، ما هو عن فكر و لا عن تدبّر، فهو تعالى النازل الّذي لا يفارق المنزل و لا النزول، فهو مع كلّ شيء بحسب حال ذلك الشيء.

و في ليلة (تقييدي) ظهر لي هذا الوجه أراني الحقّ في واقعتي رجلا ربع

القامة فيه شقرة فقعد بين يدي و هو مبشرة ساكت، فقال لي الحقّ: هذا عبد من عبادنا أفده ليكون هذا في ميزانك، فقلت له: من هو، فقال لي:
هذا أبو العبّاس بن جودي من ساكني البشرات، و أنا إذ ذاك في دمشق، فقلت له: يا ربّ و كيف يستفيد منّي و أين أنا منه، فقال لي: قل فإنّه يستفيد منك فكما أريتك إيّاه أريته إيّاك، فهو الآن يراك كما تراه يخاطبه (فخاطبه) يسمع منك و يقول هو مثل ما تقول أنت، يقول: أ رأيت رجلا بالشّام يقال له محمّد بن العربي و سماني أفادني أمرا لم يكن عندي فهو أستادي، فقلت له: يا أبا العباس ما الأمر، قال: كنت أجهد في الطلب و أنصب و أبذل جهدي، فلمّا كشف لي علمت أنّي مطلوب فاسترحت في ذلك الكدّ، فقلت له: يا أخي من كان خيرا منك و أوصل بالحقّ و أتمّ في الشهود و أكشف للأمر، قيل له: و قل: «ربّ زدني علما» [طه: ١١٤]، فأين

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٠٤

الراحة في دار التكليف ما فهمت ما قيل تلك فذلك (لك قولك) علمت إنّي مطلوب، و لم تدر بما ذا، نعم أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد و الجدّ، ما هذه الدّار دار راحة، فإذا فرغت من أمر أنت فيه فانصب في أمر يأتيك في كلّ نفس فأين الفراغ، فشكرني على ما ذكرته به، فانظر عناية اللّه بنا و به.

ثمّ نرجع فنقول:

(في خلق الملائكة و حملة العرش)

ثمّ إنّه تعالى خلق ملائكة من أنوار العرش يحفون بالعرش، و جعل فيما

خلق من الملائكة اربع حملة تحمل العرش من الأربع القوائم الّذي هو العرش عليها و كلّ قائمة مشتركة بين كلّ وجهين إلى حدّ كلّ نصف وجه، و جعل أركانه متفاضلة في الرّتبة، فأنزلني في أفضلها من جملة حملته، فإنّ اللّه و إن خلق ملائكة يحملون العرش، فإنّ له من الصّنف الإنساني أيضا صورا تحمل العرش الّذي هو مستوى الرحمن، أنا منهم و القائمة الّتي هي أفضل قوائمه هي لنا، و هي خزانة الرّحمة فجعلني رحيما مطلقا مع علمي بالشّدائد، و لكن علمت أنّه ما ثمّ شدّة إلاّ فيها رخاوة و لا عذاب إلاّ و فيه رحمة، و لا قبض إلاّ و فيه بسط، و لا ضيق إلاّ و فيه سعة فعلمت الأمرين.

و القائمة الّتي على يميني قائمة رحمة أيضا، لكن ما فيها علم شدّة فينقص حاملها في الدّرجة عن حامل القائمة العظمى الّتي هي أعمّ القوائم، و القائمة الّتي على يساري قائمة الشّدّة و القهر فحاملها لا يعلم غير

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۵۰۵

ذلك، و القائمة الرّابعة الّتي تقابلني أفاضت عليها القائمة الّتي أنا فيها ممّا هي عليه فظهرت بصورتها فهي نور و ظلمة و فيها رحمة و شدّة، و في نصف كلّ وجهة قائمة فهي ثمانية قوائم لا حامل لتلك الأربعة اليوم إلى يوم القيامة، فإذا كان في القيامة و كلّ اللّه بها من يحملها فيكونون في الآخرة ثمانية و هم في الدّنيا أربعة، و ما بين كلّ قائمتين قوائم العرش عليها و بها زينته، و عددها معلوم عندنا، لا أبيّنه لئلاّ يسبق إلى الأفهام القاصرة عن إدراك الحقائق: أنّ تلك القوائم عين ما توهّموه، و ليست كذلك فلهذا لم نتعرّض لإيضاح كميّتها.

و بين مقرّ العرش و بين الكرسي فضاء واسع و هواء محترق، و صور أعمال بعض بني آدم من الأولياء في زوايا العرش تطير من مكان إلى مكان في ذلك الانفساح الرّحماني، و قوائم هذا العرش على الماء الجامد، و لذلك يضاف البرد إلى الرّحمة كما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«وجدت برد أنامله» [۲۳۱].

---

(۲۳۱) قوله: وجدت برد أنامله.

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ۵ ص ۲۴۳، بإسناده عن معاذ بن حبل، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إني قمت من الليل، فصلّيت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتّى استيقظت فإذا أنا بربّي عزّ و جلّ في أحسن صورة، فقال: يا محمّد! أ تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟، قلت: لا أدري يا ربّ، قال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟

قلت: لا أدري ربّ، فرأيته وضع كفه بين كتفي حتّى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلّى لي كلّ شيء و عرفت». الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۵۰۶

روي المجلسي في البحار ج ۱۸ باب إثبات المعراج ص ۳۷۲، الحديث ۷۹، نقلا عن

إبراهيم بن هاشم في تفسيره، بإسناده عن إسماعيل الجعفي، قال: كنت في المسجد الحرام قاعدا و أبو جعفر عليه السّلام في ناحية، فرفع رأسه فنظر إلى السماء مرّة، و إلى الكعبة مرّة، ثمّ قال:

سُبْحٰانَ الَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، و كرّر ذلك ثلاث مرّات، ثمّ التفت إلي فقال: أي شيءٍ يقول أهل العراق في هذه الآية يا عراقي؟ قلت: يقولون: أسري به من المسجد الحرام إلى البيت المقدّس، فقال: «ليس هو كما يقولون، و لكنّه أسرى به من هذه و أشار بيده إلى السماءِ، و قال:

ما بينهما حرم، قال: فلمّا انتهى به إلى سدرة المنتهى تخلّف عنه جبرئيل، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا جبرئيل أفي مثل هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدّم أمامك، فو اللّه لقد بلغت مبلغا لم يبلغه خلق من خلق اللّه قبلك، فرأيت ربّي (فرأيت نور ربّي) و حال بيني و بينه السبحة.

قال: قلت: و ما السبحة جعلت فداك؟ فأومأ بوجهه إلى الأرض و أومأ بيده إلى السماء و هو يقول: جلال ربّي، جلال ربّي، ثلاث مرّات قال: يا محمّدا! قلت:

لبّيك يا ربّ، قال: فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: سبحانك لا علم لي إلاّ ما علّمتني، قال: فوضع يده بين ثديّي فوجدت بردها بين كتفيّ، قال: فلم يسألني عمّا مضى و لا عمّا بقي إلاّ علمته». الحديث.

راجع أيضا «التوحيد» للصدوق باب العرش و صفاته الحديث ١ ص ٣٢١.

فنقول: لا شك في أنّ ما ذكر في الحديث تشبيه المعقول بالمحسوس، و هناك روايات كثيرة متواترة في المضمون، تدل على أن للإنسان الكامل (من الرسل و الخاتم صلّى اللّه

عليه و آله و الأئمة الأطهار من العترة عليهم السّلام قوّة هي منشأ عصمتهم عن الخطأ علما و عملا مطلقا، و أنّ تلك القوّة المعنويّة الإلهية أيضا منشأ لعلمهم الحضوري بحقائق العالم و أسراره بما هي مطلقا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۰۷

(حملة العرش و مقر الكرسي)

فالعرش إنّما يحمله الماء الجامد، و الحملة الّتي له إنّما هي خدمة تعظيما له و إجلالا (خدمة له تعظيما و إجلالا)، و ذلك الماء الجامد مقرّه على الهواء البارد، و هو الّذي جمد الماء و ذلك الهواء نفس الظّلمة الّتي هي الغيب، و لا يعلم أحد ما تلك الظّلمة إلاّ اللّه كما قال:

عٰالِمُ الْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً [الجنّ: ۲۶].

و فيها يكون النّاس على الجسر إذا بدّلت الأرض غير الأرض، و التبدّل في الصّفة لا في العين، فيكون أرض صلاح، لا أرض فساد و تمدّ مدّ الأديم، فلا يرى فيها عوجا و لا أمتا، و سيأتي ذكر ذلك في فصله من هذه الفصول إن شاء اللّه.

و معلوم أنّ هذا بحث قرآني و حديثي و برهاني و عرفاني، يطلب المقام الآخر، و لكن لمزيد الفائدة نذكر بعض العبارات الواردة في طرف من تلك الأحاديث:

«إن اللّه تبارك و تعالى جعل في النبيّ صلّى اللّه عليه و آله روح القدس فبه حمل النبوّة،

فإذا قبض النبيّ صلّى اللّه عليه و آله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، و روح القدس كان يرى به، و بروح القدس عرفوا الأشياء، به عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى.

و أن اللّه سبحانه و تعالى أيّدهم بروح منه مقدّسة مطهرة ليست بملك، تسدّدهم و توفّقهم، و هو عمود من نور بينهم و بين اللّه عزّ و جلّ، أي يعرفون من خلال هذا النور كل ما كان و كل ما يكون يعني كل شيء».

راجع الأصول من الكافي ج ۲ ص ۲۷۱ و ص ۲۷۳، و بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۴۸ الحديث ۷ و الآيات القرآنية الكريمة أيضا دالّة على هذه الحقيقة، راجع تفسير الميزان ج ۵ ص ۷۸.

و راجع الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ۲۵۸ التعليق ۳۹.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۰۸

(في خلق الكرسي و تكوّنه)

و خلق الكرسي في جوف هذا العرش مربع الشّكل، و دلى إليه القدمين، فانقسمت الكلمة الواحدة الّتي هي في العرش واحدة فهي في العرش رحمة واحدة إليها مآل كلّ شيء، و انقسمت في الكرسي إلى رحمة و غضب مشوب برحمة، اقتضى ذلك التّركيب لما يريد اللّه ان يظهر في العالم من القبض و البسط و الأضداد عليها (كلّها). فإنّه المعزّ المذلّ، و القابض الباسط، و المعطي المانع، قال تعالى:

أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ [الزّمر: ۱۹].

فهذا من انقسام الكلمة، غير أنّ الأمر إذا كان ذاتيّا لم يكن إلاّ هذا.

أنظر إلى الكون في تفصيله عجبا

و مرجع الكلّ في العقبى إلى اللّه

في الأصل متّفق في الصّور مختلف

دنيا و آخرة فالحكم للّه

في اللّه من كونه مجلى لعالمه و لا يرى الكون إلاّ اللّه باللّه

فاعلم وجودك إنّ الجود موجدة

و كن بذاك على علم من اللّه

و كما استوى الرّحمن على العرش استوت قدماه (القدمان) على الكرسيّ و هو على شكل العرش في التربيع لا في القوائم، و هو في العرش لحلقة

ملقاة، فالكرسي موضع راحة الاستواء، فإنّه ما تدلى إليه ما تدلى إلاّ مباسطة، فالقدم الثبوت فتانك قدم الصّدق، و قدم الجبّار، و قدم الجبر، و قدم الإختيار، و لهاتين القدمين مراتب كثيرة في العلم الإلهي لا يتّسع الوقت لإيرادها لما ذهبنا إليه في هذا الكتاب من الإيجاز و الاختصار.

و مقرّ هذا الكرسيّ أيضا على الماء الجامد، و في جوف هذا الكرسي

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۰۹

جميع المخلوقات من سماء و أركان هي فيه كهو في العرش سواء، و له ملائكة من المقسمات، و لهذا انقسمت الكلمة فيه، لأنّ هذا الصّنف لا يعرفون أحدية و إن كانت فيهم، فإنّ اللّه و كلّهم بالتقسيم مع الأنفاس فلو أشهدهم الأحدية منهم و من الأمور كلّها ربما شغلوا بها نفسا واحدا عن التقسيم الّذي خلقوا له و هم المطيعون كما أخبر اللّه عنهم فحيل بينهم و بين مشاهدة الواحدات فأيّة وحدة تجلّت لهم قسموها بالحكم، فلا يشهدون إلاّ القسمة في كلّ شيء و لا غفلة عندهم و لا نسيان لما علموه.

(المفاوضة و الاختصام في الملأ الأعلى)

و أمّا ملائكة التوحيد و الوحدات إذا جمعهم مع المقسمات مجلس إلهيّ و جرت بينهما مفاوضات في الأمر اختصما لأنّهما على النّقيض، و هذا من جملة ما يختصم فيه الملأ الأعلى، فيقول الصّنف الواحد بالوحدة، و يقول الآخر بالانقسام و الثّنويّة لم توجد أرواحهم إلا من هذه الأرواح و لم توجد هذه الأرواح إلاّ من القوّتين اللّتين في النّفس الكلّيّة، و هاهنا أبحاث كثيرة لا يخفى على أهلها، و باللّه التوفيق».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥١١

الفصل الثالث في الفلك الأطلس و البروج و الجنّات و شجرة طوبى و سطح الفلك المكوكب

«٢٣٢» اعلم أنّ اللّه خلق في جوف هذا الكرسي الّذي ذكرناه، جسما شفّافا مستديرا، قسّمه اثني عشر قسما، سمّي الأقسام بروجا و هي الّتي أقسم بها لنا في كتابه فقال تعالى:

وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الْبُرُوجِ [البروج: ١].

و أسكن كلّ برج منها ملكا هم لأهل الجنّة كالعناصر لأهل الدّنيا فهم ما بين مائيّ، و ترابيّ، و هوائي، و ناريّ، و عن هؤلاء يتكوّن في الجنّات

---

(٢٣٢) قوله: الفصل الثالث في الفلك الأطلس الفتوحات المكيّة ج ٣ ص ٤٣٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥١٢

ما يتكوّن، و يستحيل فيها ما يستحيل، و يفسد ما يفسد و أعني ينفسد بتغيّر نظامه إلى أمر آخر ما هو الفساد المذموم المستخبث، فهذا معنى يفسد فلا تتوهّم.

(في أنّ الأئمة الإثني عشر وسائط فيض اللّه سبحانه و في بيان عصمتهم)



و من هنا قالت الإماميّة باثني عشر إماما [٢٣٣]، فإنّ هؤلاء الملائكة

(٢٣٣) قوله: قالت الإماميّة باثنى عشر إماما.

أقول: يعتقد الإماميّة الإثنا عشريّة بأن الأئمة الهدى المعصومين بعد الرسول الخاتم صلّى اللّه عليه و آله اثني عشر، الذين هم أهل بيته و عترته الأطهار، و دليلهم على هذا الإعتقاد إضافة على البراهين الّتي ذكروهم في كتبهم الاعتقاديّة نصّ النبيّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله على عددهم و أسمائهم و نسبهم، و الأحاديث الواردة عنه صلّى اللّه عليه و آله في المقام كثيرة جدا و متواترة، و نذكر هنا بعضها كما يلي:

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ۵ ص ٩٠ و ص ٩۵ و ١٠٨ بإسناده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة»، فقال كلمة خفية لم أفهمها، قال: قلت لأبي ما قال، قال: قال: «كلّهم من قريش».

أيضا فيه عنه قال: سمعت نبيّ اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «يكون اثنا عشر أميرا، فقال كلمة لم أسمعها فقال القوم: كلهم من قريش».

و أيضا فيه ص ٨٧ عنه قال: لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناواه لا يضره مختلف و لا مفارق حتّى يمضي من أمّتي اثنا عشر أميرا كلهم، ثمّ خفي من قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

و كان أبي أقرب إلى راحلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منّي قلت: يا أبتاه ما الّذي خفي من قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، قال: يقول: كلّهم من قريش.

و أخرجه أيضا الحاكم في (المستدرك) ج ٣ ص ٦١٨ و ٦١٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۱۳

و أخرجه البخاري أيضا في صحيحه ج ۹ ص ۷۲۹ باب الاستخلاف الحديث ۲۰۳٤ عن جابر بن سمرة عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و أخرجه أيضا مسلم في صحيحه ج ۳ كتاب الإمارة باب ۳۳ بعبارات مختلفة، بإسناده عن جابر بن سمرة، عن النبي صلّى اللّه عليه و آله، ص ۳ و ۱٤۵۲، الحديث ۱۰ و ۹ و ۸ و ۷ و ٦.

راجع في هذا، كتاب «ملحقات احقاق الحق» للعلاّمة الحجّة السيّد المرعشي النجفي رحمهم اللّه ج ۱۳ ص ۱، قسم تنصيص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على أنّ الخلفاء بعده اثنا عشر، قال: و حيث إنّ المتون المرويّة من هذا المتواتر مختلفة نذكر كلّ متن منها على حده بطرقه المرويّة بها في كتب القوم.

و نقل فيه أحاديث، عن جابر بن سمرة، و عن ابن مسعود، و عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و عن عبد الملك بن عمير، و عن أبي الجلد، و عن عبد اللّه بن عمر، و عن حديث أبي جحيفة، كلّهم عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

إلى أن قال في ص ٤۹:

جملة من النصوص المأثورة عن النبي صلّى اللّه عليه و آله في التصريح بأسماء الأئمّة الاثني عشر عليهم السّلام:

فمنها حديث ابن عباس، رواه سعد الدين محمد بن أبي بكر الحمويني المصري المتوفّى ۷۲۲ في «فرائد السمطين» (مخطوط) بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس، قال:

قدم يهوديّ يقال له: مغثل، فقال يا محمّد أسألك عن أشياء (إلى أن قال): فأخبرني عن وصيّك من هو، فما من نبيّ إلاّ و له وصيّ و انّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون، فقال: إنّ وصيي عليّ بن أبي طالب و بعده سبطاي الحسن و الحسين، فابنه علي، فإذا مضى على فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى عليّ فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن، فإذا مضى فابن الحجّة محمّد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر.

و فيه أيضا ص ٦٨ روى عن محمّد بن إسحاق الحمويني الخراساني في كتابه «مناهج

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥١۴

الفاضلين» بإسناده عن أبي ذر و سلمان و مقداد و غيرهم، أنّه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعليّ:

«يا علي أنت خليفتي من بعدي و أمير المؤمنين، و أمام المتقين، و حجّة اللّه على خلقه، و يكون بعدك أحد عشر إماما من أولادك و ذريّتك واحدا بعد واحد إلى يوم القيامة، هم الذين قرن اللّه طاعتهم بطاعته و بطاعتي، كما قال: **أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**.

قال: يا رسول اللّه بيّن بي اسمهم، قال:

«ابني هذا ثمّ وضع يده على رأس الحسن، ثمّ ابني هذا، ثم وضع يده على رأس الحسين، ثمّ سميّك يا علي و هو سيّد الزهاد و زين العابدين، ثمّ ابنه محمّد سمّي باقر

علمي و خازن وحي اللّه تعالى، ثمّ يكمل أحد عشر إماما معهم ولدك، مع مهديّ أمّتي محمّد الّذي يملأ اللّه (به) الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا». و روي قريب منه سليم بن قيس عن النبي صلّى اللّه عليه و آله كتاب سليم بن قيس ص ٦٤ الحديث ١١.

و ذكر السيد المرعشي فيه الأحاديث الأخرى أيضا فراجع.

و النصوص الواردة عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله على أنّ الأئمّة كلّهم من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام كثيرة جدا و قد ذكرها عن طرق الخاصّة و العامّة الحرّ العاملي في كتاب اثبات الهداة و أيضا السيّد البحراني في غاية المرام و سليمان بن ابراهيم القندوري في ينابيع المودة، و المجلسي في البحار ج ٣٦ الباب ٤١ ص ٢٢٦، فراجع.

و راجع أيضا كتاب الغيبة للطوسي رضي اللّه عنه ص ١٢٦ و (ص ٨٧ طبع النجف) قال: و ممّا يدلّ على إمامة صاحب الزمان ابن الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليهم السّلام و صحّة غيبته ما رواه الطائفتان المختلفتان، و الفرقتان المتباينتان العامة و الخاصّة: أنّ الأئمّة عليهم السّلام بعد النبيّ صلّى اللّه عليه و آله إثنا عشر لا يزيدون و لا ينقصون، الى ان قال:

«فنحن نذكر جملا من ذلك ... فممّا روي في ذلك من جهة مخالفي الشيعة».

فنقل هناك الأحاديث الكثيرة فراجع، منها ما رواه في ص ١٤٧ الحديث ١٠٩ بإسناده

عن أبي سلمى راعى النبي صلّى اللّه عليه و آله قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول:

سمعت ليلة أسري بي إلى السماء، قال العزيز جلّ ثناؤه:

«آمن الرسول بما أنزل اليه من ربّه»- قلت- «و المؤمنون»، قال: صدقت يا محمّد، من خلّفت لأمتك؟ قلت: خيرها.

قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا ربّ.

قال: يا محمّد: إنّي اطلعت على الأرض اطّلاعة فاخترتك منها، فشققت لك اسما من أسمائي، فلا أذكر في موضع إلاّ و ذكرت معي، فأنا المحمود و أنت محمّد، ثمّ اطلعت الثانية فاخترت منها عليّا و شققت له اسما من أسمائي، فأنا الأعلى و هو عليّ.

يا محمّد إنّي خلقتك و خلقت عليّا و فاطمة و الحسن و الحسين من شبح نور من نوري، و عرضت ولايتكم على أهل السماوات و الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، و من جحدها كان عندي من الكافرين.

يا محمّد لو أنّ عبدا من عبادي عبدني حتى ينقطع و يصير مثل الشنّ البالي ثمّ أتاني جاحدا بولايتكم ما غفرت له حتى يقرّ بولايتكم.

يا محمّد أ تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ فقال: التفت عن يمين العرش، فالتفّت فإذا أنا بعليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و عليّ و محمّد و جعفر و موسى، و عليّ و الحسن و المهدي، في ضحضاح من نور، قيام يصلّون، و المهدي في وسطهم كأنّه كوكب درّي.

فقال: يا محمّد هؤلاء الحجج، و هذا الثائر من عترتك.

يا محمّد و عزّتي و جلالي إنّه الحجة الواجبة لأوليائي، و المنتقم من أعدائي.»

عنه البحار ج ٣٦ ص ٢٦١ الحديث ٨٢.

روي الصدوق في «كمال الدين» الباب ٢٤ الحديث ١٠ ص ٣٧٧ بإسناده عن سلمان الفارسي، قال: كنت جالسا بين يدي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في مرضه الّذي قبض فيها، فدخلت

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ۵۱۶

فاطمة عليها السّلام فلمّا رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتّى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ما يبكيك يا فاطمة، قالت:

يا رسول اللّه أخشي على نفسي و ولدي الضيعة بعدك، فاغرورقت عينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالبكاء ثمّ قال:

«يا فاطمة أما علمت أنّا أهل بيت اختار اللّه لنا الآخرة على الدنيا، و أنه حتم الفنا على جميع خلقه، و أنّ اللّه تبارك و تعالى أطلع إلى الأرض إطلاعة فاختارني من خلقه، و جعلني نبيا.

ثمّ أطلع إلى الأرض اطلاعة ثانية فاختار منها زوجك، و أوحى إليّ أن أزوّجك إيّاه، و اتّخذه وليّا و وزيرا، و أن أجعله خليفتي في أمّتي، فأبوك خير أنبياء اللّه و رسله، و بعلك خير الأولياء، و أنت أوّل من يلحق بي من أهلي.

ثمّ أطلع إلى الأرض ثالثة فاختارك و ولديك، فأنت سيّدة نساء أهل الجنّة، و أبناك حسن و حسين سيّدا شباب أهل الجنّة، و أبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلّهم هادون

مهديّون.

و أوّل الأوصياء بعدي أخي علي، ثمّ حسن، ثمّ حسين، ثمّ تسعة من ولد الحسين في درجتي، و ليس في الجنّة درجة أقرب إلى اللّه من درجتي و درجتي أخي». الحديث.

راجع في ما ورد من النصّ عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بأن الأئمة بعده صلّى اللّه عليه و آله إثنا عشر، «الطرائف» للسيّد ابن طاوس رضي اللّه عنه ص ١٦٨.

قال الشيخ نصير الدين الطوسي في إمامة باقي الأئمّة الاثني عشر عليهم السّلام بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام:

«و النقل المتواتر دلّ على الأحد عشر».

و قال العلاّمة الحلّي في «كشف المراد» في شرح ما قال الطوسي:

و قد نقل المخالفون ذلك من طرق متعددة، تارة على الإجمال و أخرى على التفصيل،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۱۷

أئمّة العالم الّذي تحت إحاطتهم، و من كون هؤلاء الإثني عشر لا يتغيّرون عن منازلهم، لذلك قالت الإماميّة بعصمة الأئمّة [۲۳٤]، لكنّهم لا يشعرون

كما روي عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله متواترا انّه قال للحسين عليه السّلام:

«هذا أبني إمام ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمّة تسعة، تاسعهم قائمهم» و قال المحقق الاردبيلي في «الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد على التجريد» في تعليقه على قول الطوسي المذكور ص ٤١٧:

«و بعض فضلاء الرواة و نقلة الأخبار صنّف كتابا مفردا في نقل الصحابة، النصّ من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على الأئمّة الاثني عشر بأعيانهم.

و أفرد لكلّ راو منهم بابا، فيه ما ورد عن الأئمّة عليهم السّلام مما يوافق نقل الصحابة، و أنا أقتصر من ذلك على حديث أو حديثين من كلّ باب، و أعقبه ممّا تيسر ما أعقبه، لئلا ينتهي إلى الإكثار و الإطناب».

فذكر بعد ذلك الأحاديث عن: عبد اللّه بن عباس، و عبد اللّه بن مسعود، أبي سعيد الخدري، و أبي ذر، و سلمان الفارسي، و جابر بن عبد اللّه الأنصاري، و أنس بن مالك، و أبي هريرة، و عثمان بن عفان، و زيد بن ثابت، و أبي أمامة، و وائلة بن الاسفح، و أبي أيّوب الأنصاري، و عمّار بن ياسر، و حذيفة اليمان، و أبي قتادة الحارث بن الربعي، و علي بن أبي طالب عليه السّلام، و الحسن بن عليّ عليهما السّلام، و الحسين بن عليّ عليهما السّلام، و أمّ سلمة، و عائشة، و أبي سلمة، و سهل بن سعيد الأنصاري.

فقال: هذا بعض ما اقتصرناه من طرق العامّة، و أمّا طرق الخاصّة فغير منحصره عموما و خصوصا عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و نصّ الأئمّة، و نصّ كل واحد من بعده، مذكور في الكافي و غيره»، فراجع.

و أنظر أيضا في المقام، كتاب «جامع الأسرار و منبع الأنوار» ص ۲۳۶ إلى ص ۲۵۵، و «المقدّمات من كتاب نصّ النصوص» للسيّد المؤلّف رضي اللّه عنه ص ۱۵۵ و ۲۸۵، و تفسير المحيط الأعظم ج ۱ ص ۵۳۷ الى ۵۷۸.

(۲۳۴) قوله: قالت الإمامية بعصمة الأئمّة.

أقول: ما هي العصمة و ما هي الإمامة و لما ذا يجب العصمة في النبيّ و الإمام؟ و ما هي الإمامة في القرآن و في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام؟

هل أنّها هي الحكومة و القيادة السياسيّة فقط؟ كما زعم كثير من المسلمين، أم أنّها حقيقة أخرى و مقام إلهيّ و أنساني آخر، و الحكومة شأن (دان، دنيويّ، ظاهريّ) من شؤون الإمام؟ كما هو اعتقاد الشيعة الإماميّة.

لكي يتّضح الجواب عن هذه التسائلات إجمالا نقول:

أوّلا، يدل على عصمة الأنبياء قسم من الآيات القرآنيّة، منها قوله تعالى:

وَ اجْتَبَيْنٰاهُمْ وَ هَدَيْنٰاهُمْ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰاهُمُ اقْتَدِهْ [الأنعام: ۸۷ و ۹۰] و قوله تعالى:

عٰالِمُ الْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً [الجن: ۲٦- ۲۷].

و قوله تعالى في النبيّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله:

مٰا ضَلَّ صٰاحِبُكُمْ وَ مٰا غوىٰ وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحىٰ مٰا كَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ [النجم: ۲- ۳- ٤- ۱۱].

و يدلّ على عصمة أئمة أهل البيت عليهم السّلام قوله تعالى:

إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب:

۳۳].

دلالتها على عصمة أهل البيت و هم النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و عترته الطاهرين، لا ريب فيه، تفصيل البحث يطلب مقاما آخر.

و قول النبيّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله في حديث الثقلين المتواتر سندا: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه عزّ و جل و عترتي أهل بيتي، ألا و هما الخليفتان من بعدي، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۱۹

أمّا دلالة الحديث فواضحة، و هي بما أن القرآن معصوم لا ريب فيه، و لو لم يكن أهل البيت عليهم السّلام معصومين، يوجد الافتراق بينهما، و معلوم أنّ الإفتراق بينهما منفيّ مؤبدا بقول النبيّ الخاتم المعصوم صلّى اللّه عليه و آله، فيكون أئمة أهل البيت عليهم السّلام (بدلالة الحديث) معصومين.

و أمّا سند الحديث ذكرناه في الجزء الأوّل ص ٤٣٤، التعليق ١١٢، فراجع.

و يدلّ على عصمة الإمام بقول مطلق قوله تعالى:

وَ إِذِ ابْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قٰالَ إِنِّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً قٰالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قٰالَ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ [البقرة: ١٢٤].

دلالة الآية على أنّ الظلم مانع لأن يصل الإنسان الى مقام الإمامة ظاهرة، فلا بدّ أن يكون الإمام معصوما عن الظلم، و بما أنّ الظلم صادق على المعصية و ارتكاب المحرّم مطلقا، فضلا عن الشرك و الكفر، ففاعل الذنب ظالم، و لو على نفسه لقوله تعالى:

وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [الطلاق: ١].

فإذن من كان مذنبا فهو ظالم، و الظالم كما ذكرنا لا يمكن أن ينال إلى مقام الإمامة فيجب أن يكون الإمام معصوما.

و راجع أيضا في تفسير هذه الآية الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٥٥٨ التعليق ١٧٤.

و نعني من المعصوم في المقام هو انّه بعصمته مصون عن الشرك، و الجهل، و الخطأ، و السهو، و النسيان، و الشك، و الذنب مطلقا قولا و فعلا و زمانا.

و نعني من الإمامة، الإمامة العهديّة فهي عهد بين اللّه سبحانه و تعالى و بين الإمام و بهذا العهد يكون الامام واسطة بين اللّه عزّ و جل و الإنسان في بيان الدّين و أحكامه و هداية الإنسان، و لهذا أي اشترطنا العصمة في الإمامة و الإمام، بسبب هذه الحيثيّة و بهذا البعد من مقامه، أعني كونه واسطة في بيان الدين و الشريعة بمعنى أنّ ما قاله هو الدّين نفسه، كما أنّ النبيّ كذلك و أنّها شرط في النبوّة، لأنّه لو لم يكن الامام أو النبيّ معصوما لن [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٢٠

يحصل الوثوق و الاعتماد بقوله بأنّه قول اللّه تبارك و تعالى فلا يحصل الغرض بل يلزم نقض الغرض الذي هو هداية العباد و بيان الشريعة و هذا بيّن و ضروريّ بالعقل و الوجدان، و هذا هو المراد من قول النبيّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله:

«إن الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا».

فالإمام هذا له حيثيّتان:

الأولى، الولاية التكوينيّة، يعني يتمكّن أن يتصرّف في العالم بإذن اللّه سبحانه و تعالى، و هذا حيث إنّه مظهر لقوله تعالى:

إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس: ۸۲].

و ذلك لأنّه واسطة فيض الوجود و الكمال بين الحقّ و الخلق، فهو في عالم الطبيعة مظهر للصادر الأوّل، و من هنا ورد في دعاء الندبة:

«أين السبب المتّصل بين الأرض و السماء» و عن الباقر عليه السّلام قال:

«لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله»، كمال الدين باب ۲۱ الحديث ۷، و أصول الكافي ج ۱ ص ۱۷۹ الحديث ۱۲.

و عن الصادق عليه السّلام قال:

«لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت»، غيبة الشيخ ص ۲۲۰ الحديث ۱۸۲.

و عن الباقر عليه السّلام قال:

«لو بقيت الأرض يوما بلا إمام منّا لساخت بأهلها». كمال الدين الباب ۲۱ الحديث ۱.

و عن الرضا عليه السّلام قال:

«لو خلت (الأرض) من حجّة طرفة عين لساخت بأهلها». كمال الدين الباب ۲۱ الحديث ۱۵.

و عنه عليه السّلام أيضا قال:

«بنا يمسك اللّه السماوات و الأرض أن تزولا». كمال الدين الباب ۲۱ الحديث ۵.

و عن الصادق عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«و لو خلت الأرض ساعة واحدة من حجّة اللّه لساخت بأهلها». غيبة النعماني باب ما روي في غيبة الأمام المنتظر الحديث ۲.

و من شؤون هذه الحيثيّة:

أوّلا، أنّ هذا الإمام هو صاحب مقام اليقين و رؤية الملكوت و هو من المخلصين، و لكل من هذه المقامات و الدرجات الوجوديّة آثار نورانيّة معنويّة إلهيّة الّتي ذكرت في القرآن و الحديث و ثبتت بالبرهان و العرفان.

و تدلّ عليه آيات من القرآن، منها:

وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة:

۲٤].

و منها:

وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [الأنعام: ۷۵].

و ثانيا، أنّ أسرار العالم و حقائقه من الملك و الملكوت مكشوفة للإمام مطلقا و حاضرة عنده، فكل انسان بلغ ما بلغ بالنسبة إليه أميّ فهو الإنسان الكامل الّذي قال سبحانه و تعالى فيه:

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا [البقرة:] و قال الصادق عليه أفضل صلاة المصلّين:

«إنّ العلم الّذي أنزل مع آدم لم يرفع، و ما مات عالم منّا إلاّ و قد ورث علمه، انّ الأرض لا تبقى بغير عالم». كمال الدين الباب ٢٣ الحديث ١٤.

و من هنا يقال ملهما من الحديث:

«لو لا العالم لانعدم العالم».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٢٢

و أمّا الحيثيّة الثانية فهي الولاية التشريعيّة بمعنى أنّ الإمام واسطة بين اللّه سبحانه و تعالى و بين الإنسان في إبلاغ الدين و بيان الشريعة و بهذا المقام و من حيث هذه الحيثيّة يسمّى (إي الإمام) حجّة، و قوله و فعله و تقريره نفس الدين و الشريعة، و يحتجّ اللّه عزّ و جلّ به علينا يوم القيامة.

فهو إذن عالم للدين و القرآن، و علمه لدني ليس بكسبي، و حضوريّ ليس بحصولي، مأخوذ عن اللّه سبحانه أو النبي و ليس بالدرس و الاجتهاد أو الحدس.

و لهذا يقول الشيعة: يشترط في الإمام: العصمة و النصّ، لما ذكرنا في العصمة و لأنّ الناس لا يقدرون ان يعرفوه إلاّ بنصّ من قبل اللّه سبحانه و تعيينه، أو الرّسول بإذنه تعالى.

عن الصادق عليه السّلام قال:

«إن اللّه تبارك و تعالى لم يدع الأرض إلاّ و فيها عالم يعلم الزيادة و النقصان، فإذا زاد المؤمنون شيئا ردّهم، و إذا نقصوا شيئا أكمله لهم، و لو لا ذلك لالتبست على المؤمنين أمورهم». علل الشرائع ص ۲۰۰ الحديث ۲۷.

و أيضا قال الصادق أو الباقر عليهما السّلام:

«إنّ اللّه لم يدع الأرض بغير عالم، و لو لا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل».

الكافي ج ۱ ص ۱۷۸ الحديث ۵.

و عن الصادق عليه السّلام قال:

«ما زالت الأرض إلاّ و للّه فيها الحجّة يعرف الحلال و الحرام، و يدعو الناس إلى سبيل اللّه». الكافي ج ۱ ص ۱۷۸ الحديث ۳.

و عنه عليه السّلام أيضا قال:

«الحجّة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق». كمال الدين الباب ۲۳ ص ۳۴۳ الحديث ۳۱.

و عن الرضا عليه السّلام قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۵۲۳

«نحن حجج اللّه في خلقه، و خلفاؤه في عباده، و أمناؤه على سرّه، و نحن كلمة التقوى و العروة الوثقى، و نحن شهداء اللّه و أعلامه في بريّته، بنا يمسك اللّه السماوات و الأرض أن تزولا، و بنا ينزل الغيث و ينشر الرحمة، و لا تخلو الأرض من قائم منّا ظاهر أو خاف،

و لو خلت يوما بغير حجّة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله». كمال الدين، الباب ۲۲، الحديث ٥، ص ٣٠٩.

«فإذن ليس المراد من الإمام المعصوم و المنصوص، الحاكم و القائد السياسي، كما أنّ السنّة تفسّر الإمامة بهذا فقط و يحدّد شأن الإمام و واجبه بالحكومة، كما قال القاضي في المواقف و الجرجاني في شرحه: قال قوم (من أصحابنا): «الإمامة رئاسة عامّة في أمور الدّين و الدّنيا»، و الأولى أن يقال: هي خلافة الرسول في إقامة الدين (و حفظ حوزة الملّة) بحيث يجب اتباعه على كافة الأمّة». شرح المواقف ج ٨ ص ٣٤٥ في طبع بولاق ص ٦٠٣.

و قالا أيضا في شروط الامامة:

«أن أهل الإمامة (مستحقّها من هو) مجتهد في الأصول و الفروع لتقوم بأمور الدين، متمكّنا من إقامة الحجج و حلّ الشبه في العقائد الدينيّة، مستقلا بالفتوى، لأنّ أهم مقاصد الإمامة حفظ العقائد و فصل الحكومات و رفع المخاصمات». الى آخر ما قالا فراجع شرح المواقف ج ٨ ص ٣٤٩.

و قال مثله روزبهان الأشعري، راجع «احقاق الحقّ» ج ٢ ص ٢٨٦ و ٣٠٤، و أيضا دلائل الصدق ج ٢ ص ٤.

و قال القوشجي في (شرح تجريد الكلام) ص ٣٩٩: «الإمامة هي رئاسة عامّة في أمور الدين و الدنيا خلافة عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله».

نعم حين ما كان الإمام المعصوم حاضرا بين الناس يجب عليهم ان يجعلونه وليّا و حاكما على مجتمعهم و أن يأخذونه قائدا و رئيسا على أنفسهم عقلا و نقلا، و إن لم يفعلوا و لم يقبلوا تقصيرا أو قصورا، و هو امام لا يزال بمعنى الّذي ذكرناه.



تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۲۴

و معنى قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إن الحسن و الحسين امامان قاما أو قعدا».

أنّهم أي الأئمة أهل البيت عليهم السّلام، أئمّة و لو كانوا في حصر أو حبس أو إسارة. و هذا هو المراد من الحديث الثقلين، و معلوم أنّ لسان حديث الثقلين يختلف عن لسان حديث الغدير، و حديث الغدير ناظر على اقامة الدين و الحكومة و الولاية و القيادة الظاهريّة و السياسيّة من قبل اللّه سبحانه و من قبل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بأمر من اللّه تبارك و تعالى لأمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة و السلام، و أمّا حديث الثقلين فهو ناظر على الإمامة في الدين و الهداية.

و من هنا نقول بالنصّ و العصمة في الإمامة كما نقول بها في النبوّة و الرسالة، لأنّه لا فرق بين النبوّة و الرسالة و بين الإمامة من هذه الجهة، و إنّما الفرق نزول الوحي و مرتبة الولاية.

و لا بأس في المقام بذكر بعض ما قاله العلاّمة الطباطبائي في تفسير الميزان حول الإمامة و العصمة، مزيدا للفائدة و هو هذا:

«و الذي نجده في كلامه تعالى: إنّه كلّما تعرّض لمعنى الإمامة تعرّض للهداية تعرّض التفسير، قال تعالى: **وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا، الأنبياء ۷۳، و قال تعالى:**

وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ [السجدة: ۲۴]. فوصفها بالهداية وصف تعريف، ثمّ قيدها بأمر، فبيّن انّ الإمامة ليست مطلق الهداية بل هي الهداية الّتي تقع بأمر اللّه، و هذا الأمر هو الّذي بيّن حقيقته في قوله: إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ [يس: ۸۳].

فالإمام هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالامامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم، و هدايتها إيصالها ايّاهم إلى المطلوب بأمر اللّه دون مجرّد إراءة الطريق الّذي هو شأن النبيّ و الرسول، و كلّ مؤمن يهدي بأمر اللّه سبحانه بالنصح و الموعظة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۲۵

أنّ الإمداد تأتي إليهم من هذا المكان، و إذا سعدوا سرت أرواحهم في هذه

الحسنة».

فالإمام يجب أن يكون إنسانا ذا يقين مكشوفا له عالم الملكوت، و الملكوت هو الأمر الّذي هو الوجه الباطن من وجهي هذا العالم».

ثمّ إنّ هذا المعنى أعني الإمامة، على شرافته و عظمته، لا يقوم إلّا بمن كان سعيد الذات بنفسه، إذا الذي ربّما تلبّس ذاته بالظلم و الشقاء، فإنّما سعادته بهداية من غيره، و قد قال اللّه تعالى:

أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاٰ يَهِدِّي إِلاّٰ أَنْ يُهْدىٰ [يونس: ۳۵].

و قد قوبل في الآية بين الهادي إلى الحقّ و بين غير المهتدي إلاّ بغيره، أعني المهتدي بغيره، و هذه المقابلة تقتضي أن يكون الهادي إلى الحقّ مهتديا بنفسه، انّ المهتدي بغيره لا يكون هاديا إلى الحقّ البتة.

و يستنتج من هنا أمران:

أحدهما، أن الإمام يجب أنّ يكون معصوما عن الضلال و المعصية، و إلاّ كان غير مهتد بنفسه.

الثاني: عكس الأمر الأوّل و هو أن من ليس بمعصوم فلا يكون إماما هاديا إلى الحقّ البتة». الميزان ج ۱ ص ۲۷۲.

و قال في العصمة: ظاهر الآية:

«و لو لا فضل اللّه عليك و رحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك و ما يضلّون إلاّ أنفسهم و ما يضرّونك من شيء و أنزل اللّه عليك الكتاب و الحكمة و علّمك ما لم تكن تعلم و كان فضل اللّه عليك عظيما». [النساء: ۱۱۳].

«أنّ الأمر الّذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبّس بالمعصية و الخطأ، و بعبارة أخرى علم مانع عن الضلال».

«و أنّ هذا العلم يخالف سائر العلوم في أنّ أثره العملي و هو صرف الإنسان عمّا لا ينبغي إلى ما ينبغي قطعي غير متخلّف دائما». الميزان ج ۵ ص ۷۸ و ج ۱۱ ص ۱۶۳، و راجع في بيان عصمة أهل البيت تفسير المحيط الأعظم الجزء الاول ص ۴۲۹ و ۴۴۷.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۲۶

المعارج بعد الفصل و القضاء النافر (النافذ) بهم إلى هذا الفلك تنتهي لا تتعدّاه فإنّها لم تعتقد سواه.

فهم و إن كانوا اثني عشر فهم على أربع مراتب، لأنّ العرش على أربع قوائم، و المنازل ثلاثة دنيا و برزخ و آخرة و ما ثمّ رابع، و لكلّ منزل من هذه المنازل أربعة لا بدّ منهم، لهم الحكم في أهل هذه المنازل، فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان الخارج من هذا الضّرب اثني عشر، فلذلك كانوا اثنى عشر برجا.

و لمّا كانت الدّار الدّنيا تعود نارا في الآخرة بقي حكم الأربعة عليها الّتي لها، و البرزخ في سوق الجنّة و لا بدّ فيه من حكم الأربعة و الجنّة لا بدّ فيها من حكم الأربعة، فلا بدّ من البرزخ (البروج) فالحمل و الأسد و القوس على مرتبة واحدة من الأربعة في مزاجهم، و الثّور و السنبلة و الجدي على مرتبة أخرى ولاة أيضا، و الجوزا و الميزان و الدالي على مرتبة أخرى ولاة أيضا، و السّرطان و العقرب و الحوت على مرتبة أخرى ولاة أيضا، لأنّ كلّ واحد من كلّ ثلاثة على طبيعة واحدة في مزاجهم لكن منازل أحكامهم ثلاثة و هم أربعة ولاة في كلّ منزل و كلّ واحد منهم له الحكم في كلّ منزل من الثلاثة كما أنّ اليوم و الليلة لواحد من السبع و الجواري الخنّس الكنّس هو واليها و صاحبها الحاكم فيها، و لكن للباقي من الجواري فيه حكم مع صاحب اليوم فلا يستقل دون الجماعة إلاّ بأوّل ساعة من يومه و ثامن ساعة و كذلك الليل.

و الآخرة مثل ذلك و إن كان لها الأسد كما كان للدنيا السّرطان و هو برج منقلب، و الأسد برج ثابت، فانّ كلّ واحد من الإثني عشر له حكم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۲۷

فيها، كذلك الدّنيا و إن كان لها السّرطان فلا بدّ لنا في البرزخ (الباقي.

البروج) من حكم فيها، كذلك البرزخ و إن كان له السّنبلة فلا بدّ لكلّ واحد من الباقين من حكم فيها، و ما ثمّ منزل ثالث إلاّ بتبدّل الدّنيا بالنّار، فإنّه قد كان صاحب الدّنيا بحكم الأصل السّرطان فلمّا عادت نارا عزل السّرطان و وليها برج الميزان و تبعه الباقون في الحكم، فانظر ما أعجب هذا، فإذا انقضى حكم عذاب أهل النّار و لها برج الجوزاء و لا بدّ لمن بقي من البروج حكم في ولاية هذا الواليّ.

و إذا كان الحكم لواحد من هؤلاء في وقت نظره فيهم كان مزاج القابل في الآخرة على حكم النقيض حتّى يتّبعهم (يتنعّم) به إذا حكم عليه هذا في المآل خاصّة لأنّ المآل رحمة مطلقة عامة، فبذلك فليفرحوا أعنى بفضل اللّه و رحمته فإنّه خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ [آل عمران: ۱۵۷].

و لمّا أراد اللّه الفلك الأطلس بما جعل فيه من الولاة و الحكّام و جعل منتهى دورته يوما كاملا لا ليل فيه و لا نهار أوجد ما فيه عند حركته، و بما ألقى و أوحى به إلى النوّاب من الحكم في ذلك و جعل لأحكامهم في كلّ عين مدّة معلومة محصورة تتنوّع تلك المدد بحسب المنزل الدّنياوي و الأخراوي و البرزخي، و الحكم البرزخي أسرعه مدّة و أكبره (أكثره) حكما، و سنينه على قدر أيّامه.

فالأيّام متفاضلة فيوم نصف دورة، و يوم دورة كاملة، و يوم من ثمان و عشرين دورة، و أكبر (أكثر) من ذلك اليوم المعارج، و أقلّ من ذلك إلى يوم الشؤون، و ما بين هذين اليومين درجات للأيّام متفاضلة و جعل لكلّ نائب من هؤلاء الأملاك الإثني عشر في كلّ برج ملكه إيّاه ثلاثين خزانة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۲۸

تحتوي كلّ خزانة منها على علوم شتّى، ينبئون (يهبون) منها لمن نزل بهم عن قراءة (قدر) ما تعطيه رتبة هذا النازل و هي الخزائن الّتي قال اللّه تعالى فيها:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [الحجر: ۲۱].

و هذا النازل بهم ما يصرّف ما حصل له من هذه الخزائن من العلوم في نفسه بأنّ (فان) حظّه منها حظّ حصولها و يصرّف ما حصل له في عالم الأركان و المولّدات و الإنسان، فمن النازلين من يقيم عندهم يوما في كلّ خزانة (و ينصرف و هو أقلّ النازلين إقامة)، و منهم من يقيم ساعة نهار و ساعة ليل و هو أقل النازلين إقامة، و أما أكثر النازلين اقامة فهو الّذي يقيم عند كلّ خزانة ليحصل منها على قدر رتبته عند اللّه و ما يعطيه استعداده مائة سنة، و باقي النازلين ما بين مائة سنة و اليوم، أعني باليوم قدر حركة هذا الفلك الأطلس، و أعني بالمائة سنة كلّ سنّة ثلاث مائة و ستين يوما من أيّام هذه الحركة.

فاعلم ذلك و هذه الخزائن تسمّى عند أهل التعاليم درجات الفلك و النازلون بها هم الجواري و المنازل و عيوقاتها من الثوابت، فالعلوم الحاصلة من هذه الخزائن الإلهيّة هي ما يظهر في عالم الأركان من التأثيرات بل ما يظهر

من مقعر فلك الكواكب الثابت (الثابتة) إلى الأرض و سمّيت ثابتة لبطئها عن سرعة الجواري السّبعة، و جعل لهؤلاء الإثني عشر نظرا في الجنّات و أهلها و ما فيها مخلصا من غير حجاب، فما يظهر في الجنان من حكم فهو عن تولّى هؤلاء الإثني عشر بنفوسهم تشريفا لأهل الجنّة، و أما أهل الدّنيا و أهل النّار فما يباشرون و ما لهم من الحكم إلاّ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۲۹

بالنّواب و هم النازلون عليهم الّذين ذكرناهم فكلّ ما يظهر في الجنات من تكوين و أكل و شرب و نكاح و حركة و سكون و علوم و استحالة و مأكول و شهوة فعلى أيدي هؤلاء النّواب الإثني عشر من تلك الخزائن بإذن اللّه عز و جلّ الّذي استخلفهم، و لهذا كان بين ما يحصل عنهم بمباشرتهم و بين ما يحصل عنهم بغير مباشرتهم بل بوساطة النازلين بهم الّذين هم لهم في الدّنيا و النّار كالحجاب و النواب بون عظيم و فرقان كبير.

محصّل (يحصل) علم ذلك الفرقان في الدّنيا لمن اتقى اللّه و هو قوله في هذا و أمثاله:

إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقٰاناً [الأنفال: ۲۹].

و هو علم هذا و أمثاله.

«و يكفّر عنكم سيّئاتكم»، أي يستر عنكم ما يسوءكم فلا ينالكم ألم من مشاهدته، فإنّ رؤية السّوء إذا رآه من يمكن أن يكون محلا له، و إن لم يحل به فإنه تسوءه رؤيته، و ذلك لحكم الوهم الّذي عنده و الإمكان العقلي.

«و يغفر لكم» أي و يستر من أجلكم عن من (ممّن) لكم به عناية في دعاء

عامّ أو خاصّ معيّن، فالدعاء الخاصّ ما تعيّن به شخصا بعينه أو نوعا بعينه، و العام ما ترسله مطلقا على عباد اللّه ممّن يمكن أن يحلّ بهم سوء، «و اللّه ذو الفضل العظيم» بما أوجبه على نفسه من الرّحمة و بما أمتن به منها على من استحقّ العذاب كالعصاة في الأصول و الفروع.

و هؤلاء النّواب الإثنا عشر هم الّذين تولّوا بناء الجنّات كلّها إلاّ جنّة عدن، فإنّ اللّه خلقها بيده و جعلها له كالقلعة للملك و جعل فيها الكثيب الأبيض من المسك و هو الظاهر من الصّورة الّتي فيها الرّب لعباده عند

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۳۰

الرّوية كالمسك (بفتح الميم) من الحيوان و هو الجلد و هو الغشاء الظاهر للأبصار من الحيوان و جعل بأيديهم غراس الجنّات إلاّ شجرة طوبى، فإن الحقّ تعالى غرسها بيده في جنّة عدن و أطالها حتّى علت فروعها سور جنّة عدن و تدلت مطلعة (مطلة) على سائر الجنات كلّها و ليس في إكمامها ثمر إلاّ الحلي، و الحلل لباس أهل الجنّة و زينتهم زائدا في الحسن و البهاء على تحمل إكمام شجر الجنّات من ذلك لأنّ لشجرة طوبى اختصاص فضل بكون اللّه خالقها (خلقها) بيده فإنّ لباس أهل الجنّة ما هو نسيج (نسج) ينسج و إنّما تشقق عن لباسهم ثمر الجنّة كما تشقق الإكمام هنا عن الورد و عن شقائق النعمان و ما شاكلهما من الأزهار كلّها كما ورد في الخبر الصحيح كشفا و الحسن نقلا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، إذ قام (إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يخطب بالنّاس فدخل رجل فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أو قام رجل من الحاضرين الشكّ منّي)

رجل من الحاضرين فقال: يا رسول اللّه ثياب أهل الجنّة أخلق تخلق؟ أم نسج تنسج؟، فضحك الحاضرون من كلامه، فكره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منهم و قال: «أ تضحكون أن سأل جاهل عالما؟!، يا هذا» و أشار إلى السائل «بل تشقّق عنها ثمرة (ثمر) الجنّة»، فحصل لهم علم لم يكونوا عرفوه.

و أدار بجنّة عدن سائر الجنّات، و بين كلّ جنّة و جنّة سور، يميّزها عن صاحبتها، و سمّي كلّ جنّة باسم معناه سار في كلّ جنّة، و إن اختصت هي بذلك الإسم فإن ذلك الإسم الّذي اختصت أمكن ما هي عليه من معناه و أفضله مثل قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«أقضاكم عليّ، أعلمكم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل، و أفرضكم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۳۱

زيد» [۲۳۵].

---

(۲۳۵) قوله: أقضاكم عليّ.

الحديث معروف عند الفريقين، و نقل مضمونه بعبارات أخرى أيضا، و قيل: «لقد أجمعوا على أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال: «أقضاكم عليّ». بحار الأنوار ج ٤ ص ١٥٠.

أخرج أبو نعيم الحافظ في «حلية الأولياء» ج ١ ص ٦٥ بإسناده عن معاذ بن جبل، قال: قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«يا عليّ أخصمك بالنبوّة و لا نبوّة بعدي، و تختصم الناس بسبع لا يحاجك فيهنّ أحد

من قريش: أنت أوّلهم إيمانا باللّه، و أوفاهم بعهد اللّه، و أقومهم بأمر اللّه، و أقسمهم بالسوية، و أعد لهم في الرعيّة، و أبصرهم في القضيّة، و أعظمهم عند اللّه يوم القيامة مزيّة».

أخرجه أيضا الخوارزمي في المناقب ص ١١٠.

و أخرج أيضا أبو نعيم في نفس المصدر بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«يا علي لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة، أنت أوّل المؤمنين باللّه إيمانا، أوفاهم بعهد اللّه، و أقومهم بأمر اللّه، و اقومهم بامر اللّه، و أرأفهم بالرعيّة، و أقسمهم بالسويّة، و أعلمهم بالقضيّة، و أعظمهم مزيّة يوم القيامة».

و روي مثله فرات بن ابراهيم في تفسيره ص ٥٨٥ الحديث ٧٥٤ بإسناده عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و فيه:

(أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام) «أقضاكم بحكم اللّه».

و روي المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٣٤ الحديث ٢، عن كتاب الروضة و فضائل ابن شاذان: عن جماعة ثقات عن حرّة بنت حليمة السعديّة، (في حديث طويل) قالت: دخل مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم فتح خيبر، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله للحاضرين:

«أفضلكم و أعلمكم و أقضاكم عليّ»

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٣٢

و ان كان كل واحد منهم يعلم القضاء و الحلال و الحرام و الفرائض، و لكن

هو بمن سمّي به اختصّ (اخصّ).

و هي جنّة عدن، و جنة فردوس، و جنة النعيم، و جنّة المأوى، و جنّة الخلد، و جنّة السلام، و جنة المقامة و الوسيلة، و هي أعلى جنّة في الجنات فإنّها في كلّ جنّة من جنة عدن الى آخر جنّة، فلها في كلّ جنّة صورة و هي مخصوصة برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وحده نالها بدعاء أمّته حكمة من اللّه حيث نال النّاس السّعادة ببركة بعثته و دعائه إيّاهم إلى اللّه و تبيينه ما نزل اللّه إلى الناس من أحكامه جزاء وفاقا و جعل أرض هذه الجنّات سطح الفلك المكوكب الّذي هو سقف النّار و سيأتي فصله في هذه الفصول إن شاء اللّه تعالى.

و جعل في كلّ جنّة مائة درجة بعدد الأسماء الحسنى، و الإسم الأعظم المسكوت عنه لو تريّة الأسماء و هو الإسم الّذي يتميّز به الحقّ عن العالم هو الناظر إلى درجة الوسيلة خاصّة و له في كلّ جنّة حكم كماله حكم كلّ اسم إلهيّ فافهم.

و روى نعمان بن محمّد المغربي في دعائم الإسلام ج ١ ص ٩٢ عنه البحار ج ١٠٤ ص ٢٦٩ الحديث ٣، و أيضا عن الإحتجاج، عن سعد بن أبي الخصيب، عن الصادق عليه السّلام في احتجاجه عليه السّلام على ابن أبي ليلى قاضي المسلمين، قال: ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لأصحابه:

«أقضاكم عليّ».

و راجع أيضا «أحقاق الحق» ج ٤ ص ٣٢١ و ج ١٥ ص ٣٧٠، الغدير ج ٣ ص ٩٦، و تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٤٨٠ التعليق ١٣٦.

و راجع في ما ورد في معاذ بن جبل: حلية الأولياء ج ص ٢٢٨.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٣٣

(منازل الجنة على عدد آيات القرآن)

و منازل الجنّة على عدد آي القرآن ما بلغ المنا (إلينا) منه نلنا تلك المنزلة بالقراءة و ما لم يبلغ المنا (إلينا) نلنا بالاختصاص في جنّات الإختصاص كما نلنا بالميراث جنات أهل النّار الّذين هم أهلها، و أبواب الجنّة ثمانية على عدد أعضاء التكليف، و لهذا ورد في الخبر أنّ النّبي صلّى اللّه عليه و آله قال فيمن توضّأ و صلّى ركعتين [٢٣٦] و لم يحدث نفسه بشيء:

---

(٢٣٦) قوله: من توضأ و صلّى ركعتين.

و أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ كتاب الطهارة باب ٦ الحديث ١٧، ص ٢٠٩، و أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ١٩، باسنادهما عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«ما من مسلم يتوضّأ، فيحسن وضوءه ثمّ يقوم فيصلّي ركعتين، مقبل عليهما بقلبه و وجهه، إلاّ وجبت له الجنّة (في مسند أحمد: غفر له خطاياه)».

فقال عمر بن الخطاب: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«من توضأ فأحسن الوضوء ثمّ يقول: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا عبد اللّه و رسوله، إلاّ فتحت له أبواب الجنّة الثمانية، يدخل من أيّها شاء».

و أخرج مسلم في المصدر نفسه باب ٣ الحديث ٣ و ٤ قريب منه.

و روى البرقي في المحاسن ج ١ باب ٥٩ ص ٥٢ الحديث ٧٧، بإسناده عن الحسين بن صالح بن حيّ، عن الصادق عليه السّلام قال:

«من توضّأ فأحسن الوضوء ثمّ صلّى ركعتين فأتمّ ركوعها و سجودها ثمّ جلس فأثنى على اللّه و صلّى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، ثمّ سال اللّه حاجته فقد طلب الخير في مظانّه، و من طلب الخير في مظانّه لم يخب». عنه البحار ج ٨٧ ص ٤٣ الحديث ٣٤.

روى الديلمي في «الإرشاد» عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال: يقول اللّه تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ۵۳۴

«فتحت له أبواب الجنّة الثمانية يدخل من أيّها شاء»، فقال له أبو بكر الصّديق: فما عليه أن لا يدخلها من أبوابها كلّها، فقرر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قول أبي بكر و أثبته.

و في خبر جعله صاحب هذا الحال.

(لكلّ عضو من أعضاء البدن باب في الجنّة)

فلكلّ عضو باب، و الأعضاء ثمانية: العين و الأذن و اللسان و اليد و البطن و الفرج و الرّجل و القلب، فقد يقوم الإنسان في زمن واحد بأعمال هذه الأعضاء كلّها فيدخل من أبواب الجنّة الثمانية في حال دخوله من كلّ باب

(منها).

فإنّ نشأة الآخرة تشبه البرزخ و باطن الإنسان من حيث ما هو ذو خيال.

(في بيان خوخات الجنّات)

و أمّا خوخات الجنّات فتسع و سبعون خوخة و هي شعب الإيمان بضع و سبعون شعبة، و البضع هنا تسعة، فإنّ البضع في اللسان: من واحد إلى تسعة، فأدنى شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطّريق، و أعلاه لا إله إلاّ اللّه، و ما بينهما ممّا يتعلّق من الأعمال و مكارم الأخلاق، فمن أتى من

«من أحدث و لم يتوضّأ فقد جفاني، و من أحدث و توضّأ و لم يصلّ ركعتين و لم يدعني فقد جفاني، و من أحدث و توضّأ و صلّى ركعتين و دعاني، فلم أجبه فيما يسأل عن أمر دينه و دنياه فقد جفوته، و لست بربّ جاف».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ۵۳۵

مكارم الأخلاق فهو على شعبة من الإيمان و إن لم يكن مؤمنا كمن يوحى إليه في المبشّرات و هي جزء من أجزاء النبوّة و إن لم يكن صاحب المبشّرة نبيّا.

(في شعب الإيمان و أقسام النبوّة)

فتفطّن لعموم رحمة اللّه فما تطلق النبوّة إلاّ لمن اتّصف بالمجموع فذلك النبيّ و تلك النبوّة التّي حجزت علينا و انقطعت، فإن من جملتها التشريع

بالوحي (و) الملكي في التشريع، و ذلك لا يكون إلاّ لنبيّ خاصّة، فلا بد أن يكون لهذه (الشعبة) السبعة حكم فيمن قامت به و اتصف بها و ظهر أثرها عليه، فإنّ اللّه لما أخبر بهذه السبعة (الشعبة) على لسان الرّسول أضافها إلى الإيمان إضافة إطلاق لم (يقيد) يفد إيمانا بكذا، بل قال: الإيمان، و الإيمان بكذا شعبة من شعب الإيمان المطلق، فكلّ شعبة إيمان كالّذين آمنوا بالباطل خاصّة، و هو الإصلاح بين النّاس بما لم يكن، و الخديعة في الحرب، فكان للكذب دخول في الإيمان فهو في موطن (شعبة) سبعة من شعب الإيمان، و قد يوجد هذا من المؤمن و غير المؤمن، على أنّه ما ثمّ غير مؤمن، فإنّ اللّه ما تركه لما (كما) أنّه ما ثمّ غير كافر، فإن الأمر محصور بين مؤمن باللّه و مؤمن بالباطل و كافر باللّه و كافر بالباطل، فكلّ عبد اللّه (عبد للّه) فهو مؤمن كافر معا بعين (يعين) إيمانه و كفره ما تقيد به، فكلّ شعبة من الإيمان طريق إلى الجنّة، فأهل الجنان في كلّ جنّة، و أهل النار من حيث ما قام بهم من شعب الإيمان و هم أهل النّار الّذين لا يخرجون منها فلهم بما كانوا فيه من شعب الإيمان جميع (معاني) الجنّات

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۵۳۶

في النّار إلاّ جنّة الفردوس و الوسيلة لا قدم لهم فيهما، فإنّ الفردوس لا عين له في النّار فلهم النعيم و الخلد و المأوى و السّلام و المقامة و عدن، و لأهل الجنّات الرؤية متى شاؤوا، و لأهل النّار في أحيان مخصوصة الرؤية، فإنّ اللّه ما أرسل الحجاب عليهم مطلقا و إنّما قال يومئذ في قوله:

كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [المطففين: ۱۵].

لما تعود عليهم و اغلظ في حال الغضب، و الرّبوبيّة لها الشفقة، فإنّ المربّى ضعيف يتعيّن اللطيف (اللطف) به فلذلك كان في حال الغضب عن ربّه محجوبا فافهم.

فأورثه ذلك الحجاب أن جعله يصلّي الجحيم لأنّه ما قال بعد قوله: «لمحجوبون»، «ثم انّهم لصالوا الجحيم»، إلاّ بعد وقوع الحجاب: «لأنّه قال بعد قوله: لمحجوبون: «ثمّ لصالوا الجحيم» فأتى بقوله: «ثمّ» فما صلّى الجحيم إلا بعد وقوع الحجاب» و لذلك قيّده بـ«يومئذ».

كذلك أيضا لم يخل إنسان و لا مكلّف أن يكون على خلق من أخلاق اللّه، و أنّ للّه ثلاث مائة خلق، فلا بدّ أن يكون الإنسان من مؤمن و كافر على خلق من أخلاق اللّه، و أخلاق اللّه كلّها حسنة حميدة، فكلّ ذات قام بها خلق منها، و صرفه في الموضع الّذي يستحقه ذلك الخلق، فلا بدّ أن تستعد (تسعد) به حيث كانت من نار أو جنان، فإنّه في كلّ ذي كبد رطبة أجر، و لا بدّ أن يحو (يحنو) كلّ إنسان على أمر ما من خلق اللّه، فله أجر من ذلك.

فدركات النار هي دركات ما لم ينقطع العذاب فإذا انتهى إلى أجله المسمّى عاد ذلك الدرك في حقّ المقيم فيه درجة للخلق الإلهي الّذي كان

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۳۷

عليه يوما.

فما للّه أكرم أن تنساك منته

و من يجود إذا الرحمن لم يجد

و لمّا جعل اللّه تعالى في المكلّف عقلا، و تجلّى له، كان له من جهة عقله و نظره عقد و عهد اللّه (للّه)، ألزمه ذلك النّظر العقلي و هو الافتقار إلى اللّه بالذّات و أمثاله.

ثمّ بعث إليه رسولا من عنده فأخذ عليه عهدا آخر على ما تقرّر في الميثاق الأوّل فصار الإنسان مع اللّه بين عهدين عهد عقلي شرعي فأمره اللّه بالوفاء بها بل طلبه الحال بذلك لقبوله، فلمّا وقفت على هذين العهدين و بلغ منّي علمي بهما المبلغ الّذي يبلغه من شاهده قلت:

في القلب عقد حجى و عقد هداية

أ تراه يخلص من له عقدان

ربّي بما أعطيتنيه علمته

مالي لما حمّلتنيه يدان (تران)

ما كلّ ما كلّفتنيه أطيقه

من لي بتحصيل النجاة و ذان

عقلا و شرعا بالوفاء يناديا

قلبي و مالي (فما لي) بالوفاء يدان

إن كـنـت نـعـتـي فـالـوفـاء مـحـصـّل
أو كنت أنت فما هما عنيان (عنياني)

أما قولي: إن كنت نعتي، فهو قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن ربّه انّه قال:

«كنت سمعه و بصره و يده و مؤيده» «٢٣٧».

و كذلك «إن كنت»، أعني نعتي (نفسي)، أنت أي أنت الفاعل و الموجد

---

(٢٣٧) قوله: كنت سمعه و بصره.

ذكرناه في التعليق ٦٦ فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٣٨

و الوفاء، لا أنا، إذ لا إيجاد لمخلوق في عقد قابل (نابل)، الأمر كلّه للّه فما هما يعني العقل و الشرع بحكمهما عليّ عينان (عيناني)، و انّما عينا (عنيا) من له خلق الأعمال و الأحوال و القدرة عليها.

و إنّما قلنا هذا ليحقّق عند السّامعين صدق اللّه في قوله:

وَ كٰانَ الْإِنْسٰانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً [الكهف: ٥٤].

و أقوى الجدال ما يجادل به اللّه.

(في بيان تكون شجرة طوبى و أنها كآدم عليه السّلام)

و اعلم، أن شجرة طوبى [٢٣٨] لجميع شجر الجنّات، كآدم لما ظهر

(٢٣٨) قوله: أنّ شجرة طوبى.

أخرج السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٤ ص ٦٤٩ في سورة الرعد، عن ابن مردويه عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«طوبى شجرة في الجنة غرسها اللّه بيده و نفخ فيها من روحه، و إن أغصانها لترى من وراء سور الجنّة، تنبت الحلي، و الثمار منهدلة على أفواهها».

و أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٧١ بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

(طوبى) «شجرة في الجنّة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة» تخرج من أكمامها».

و روي المجلسي في البحار ج ٩٦ ص ٣٤٥ الحديث ٩، عن كتاب النوادر للراوندي، بإسناده عن عبد اللّه بن مسعود عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«انّها (طوبى) شجرة غرسها اللّه بيده تحمل كلّ نعيم خلقها اللّه عزّ و جلّ لأهل الجنّة، و إنّ عليها ثمارا بعدد النجوم، كلّ ثمرة مثل ثدي النساء، تخرج في كلّ

منه من النبيين، فإنّ اللّه لمّا غرسها بيده و سوّاها نفخ فيها من روحه، كما

فعل في مريم نفخ فيها من روحه فكان عيسى يحيي الموتى و يبرئ الأكمه و الأبرص، فشرف آدم باليدين و نفخ الروح فيه فأورثه نفخ الروح، فيه علم الأسماء لكونه مخلوقا باليدين، فبالمجموع نال الأمر، و كانت له الخلافة، و المال و البنون زينة الحياة الدنيا.

و تولى الحقّ غرس شجرة طوبى بيده، و نفخ الرّوح فيها، زينها بثمر الحلي و الحلل الذين فيهما زينة للابسهما فنحر (فنحن) أرضها فإنّ اللّه جعل ما على الأرض زينة لها و أعطت في ثمر الجنّة كلّه من حقيقتها عين ما هي عليه كما أعطت النّواة النخلة و ما تحمله مع النوى الّذي في ثمرها، و كلّ من تولاه الحقّ بنفسه من وجهه الخاصّ بأمر مّا من الأمور فان له شقوقا (شفوفا) و ميزة على من ليس له هذا الإختصاص و لا هذا التوجّه، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

ثمرة منها أربعة أنهار، ماء و خمر و عسل و لبن، وسعة كلّ نهر ما بين المشرق و المغرب، و عرضه ما بين السماء إلى الأرض».

و روي «غاية المرام» ص ۳۹۲ عن الثعلبي بإسناده عن ابن عباس في «طوبى لهم» قال: شجرة أصلها في دار عليّ في الجنة، و في كل دار مؤمن منها غصن».

أيضا فيه عنه، بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن قوله:

«طوبى لهم و حسن مآب»، فقال: شجرة في الجنّة أصلها في داري و فرعها على أهل

الجنّة، فقيل له: يا رسول اللّه سألناك عنها فقلت شجرة في الجنة أصلها في دار عليّ و فرعها على أهل الجنة، فقال: إنّ داري و دار عليّ واحدة غدا في مكان واحد».

و فيه أحاديث أخرى فراجع و نقل بعضها عنه مصباح الهداية في إثبات الولاية ص ٢٦٩.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٥٤١

الفصل الرابع في فلك (المنازل) التنازل

و هو المكوكب و هيئة السماوات و الأرض و الأركان و المولّدات و العمد الّذي يمسك اللّه السّماء به أن تقع على الأرض لرحمته بمن فيها من النّاس مع كفرهم بنعمته (بنعمه) فلا تهوي السّماء ساقطة واهية حتّى يزول النّاس منها.

(في أنّ الفلك المكوكب في جوف الفلك الأطلس)

اعلم، أنّ اللّه خلق هذا الفلك المكوكب في جوف الفلك الأطلس، و ما بينهما خلق الجنّات بما فيها، فهذا الفلك أرضها و الأطلس سماؤها و بينهما فضاء لا يعلم منتهاه إلاّ من أعلمه اللّه فهو فيه كحلقة في فلاة (فيحاء) و عين في مقعر هذا الفلك ثماني و عشرين منزلا (منزلة) مع (ما) أضاف إلى هذه الكواكب الّتي سمّيت منازل لقطع السيّارة فيها.

و لا فرق بينها و بين سائر الكواكب الأخر الّتي ليست بمنازل في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٥٤٢

سيرها و فيما تختصّ به من الأحكام في نزولها الّذي ذكرناه في البروج، قال تعالى:

وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ [يس: ٣٩].

يعني هذه المنازل المعيّنة في هذا الفلك المكوكب و هي كالمنطقة بين الكواكب من الشّرطين إلى الرشاء و هي تقديرات و فروض في هذا الجسم، و لا تعرف أعيان هذه المقادر إلاّ بهذه الكواكب «كما أنّه ما عرفت أنّها منازل إلاّ بنزول السيّارة فيها، و لو لا ذلك ما تميّزت عن سائر الكواكب (إلاّ بأشخاصها) لا بأشخاصها.

و من مقعر هذا الفلك (إلى ما تحته) هي الدّار الدّنيا، فإنّه من هنا (هناك) إلى ما تحته يكون استحالة ما تراه إلى الأخرى، فللأخرى صورة فيها غير صورة الدّنيا فينتقل من ينتقل منها إلى الجنّة من إنسان و غير إنسان، و يبقى ما يبقى فيها من إنسان و غير إنسان.

و كلّ من يبقى فيها فهو من أهل النّار الّذين هم أهلها و جعل اللّه لكلّ من يبقى فيها فهو من أهل النّار الّذين هم أهلها و جعل اللّه لكلّ كوكب من هذه الكواكب قطعا في الفلك الأطلس ليحصل من تلك الخزائن الّتي في بروجه و بأيدي ملائكته الإثني عشر من علوم التأثير ما تعطيه حقيقة كلّ كوكب، و قد بينا ذلك.

و جعلها على طبائع مختلفة و النّور الّذي فيها و في سائر السيّارة من نور الشّمس و هو الكوكب الأعظم القلبي، و نور الشمس ما هو من حيث عينها بل هو من تجلّ دائم لها من اسمه النّور فما ثمّ نور الأنوار، اللّه الّذي هو نور السّموات و الأرض، فالنّاس يضيفون ذلك النور إلى جرم الشّمس

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٤٣

و لا فرق بين الشّمس و الكواكب في ذلك إلا أنّ التجلي للشّمس على الدوام فلهذا لا يذهب نورها (الى) زمان تكويرها فإنّ التجلّي المثالي النوري يستتر عنه في أعين النّاظرين بالحجاب الّذي بينها و بين أعينهم و ساحة (بساحة) هذه الكواكب تحدث أفلاكا في هذا الفلك أي ظرفا (طرقا).

(الهواء حياة العالم)

و الهواء يعمّ جميع المخلوقات فهو حياة العالم و هو حار رطب فما أفرطت فيه الحرارة و السخونة سمّي نارا، و ما أفرطت فيه الرطوبة و قلت حرارته سمّي ماء و ما بقي على حكم الاعتدال بقي عليه اسم الهواء.

و على الهواء أمسك الماء و به جري و أنساب و تحرّك و ليس في الأركان أقبل لسرعة الاستحالة من الهواء لأنّه الأصل و هو فرع لإزدواج الحرارة و الرطوبة على الاعتدال و الطريق المستقيم فهو الأسطقص الأعظم أصل الأسطقصّات كلّها، و الماء أقرب أسطقصّ إليه، و لهذا جعل اللّه منه كلّ شيء حيّ و يقبل بذاته التسخين و لا تقبل النّار برودة و لا رطوبة لا بالذات و لا بالعرض بخلاف الماء.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۴۴

«وصل»

(في أعظم البروج و الخزائن التي فيها و منها الإنسان)

فأعظم البروج البروج الهوائيّة و هي الجوزاء و الميزان و الدالي.

و لمّا خلق الله الأرض سبع طباق جعل كلّ أرض أصغر من الأخرى ليكون على كلّ أرض فيه (منه) (قبة) سماء.

فلما خلق الأرض و قدّر فيها أقواتها كسى الهواء صورة النحاس الّذي هو الدّخان فمن ذلك الدّخان خلق سبع سماوات طباقا أجساما شفافة و جعلها على الأرض كالقباب على كلّ أرض سماء أطرافها عليها نصف كرة (و) الأرض لها كالبساط فهي مدحة (مدحية) دحاها من أجل السّماء أن تكون عليها فمادت فهال (فقال) بالجبال عليها فثقلت فسكنت بها و جعل في كلّ سماء منها كوكبا و هي الجواري، منها القمر في السّماء الثانية الكاتب و هو عطارد، و في الثالثة الزّهرة، و في الرابعة الشّمس، و في الخامسة الأحمر و هو المريخ، و في السادسة المشتري و هو أو رمز

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۳، ص ۵۴۵

(بهرام)، و في السّابعة زحل و هو كيوان (المقاتل).

فلما سبحت الكواكب كلّها و نزلت بالخزائن الّتي في البروج، و وهبتها ملائكة البروج من تلك الخزائن ما وهبتها أثرت في الأركان ما تولد فيها من جماد الّذي هو المعدن و نبات و حيوان، و آخر موجود الإنسان الحيوان خليقة الإنسان الكامل و هو الصّورة الظاهرة الّتي بها جمع حقايق العالم.

(الإنسان الكامل و أنّ له الخلافة)

و الإنسان الكامل هو الّذي أضاف أضاف إلى جمعيّة حقايق العالم، حقايق الحق الّتي بها صحت له الخلافة، ظهر ذلك فيمن ظهر من هذه الصّورة (الصّور) فجعل في كلّ صنف من المولّدات نوعا كاملا من جنسها، فأكمل

صورة ظهرت في المعدن صورة الذّهب، و في النبات شجر الوقواق، و في الحيوان الإنسان.

و جعل بين كلّ نوعين متوسّطات، كالكمأة بين المعدن و النّبات، و النخلة بين النبات و الحيوان، و النسناس و القرد بين الحيوان و الإنسان، و نفخ في كلّ صورة أنشأها روحا منه فحييت، و تعرّف إليها بها فعرفته بأمر جبلت عليه تلك الصّورة، و ما تعرف إليها إلاّ من نفسها، فما تراه إلاّ على صورتها.

(في أنّ كل شيء حيّ و له نفس)

و كانت الصّور على أمزجة مختلفة و إن كانت خلقت من نفس واحدة كقلوب بني آدم خلقها اللّه من نفس واحدة و هي مختلفة، فمن الصّور من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۴۶

بطنت حياته فأخذه (فأخذ) اللّه بأبصار أكثر النّاس عنها و هي على ضربين: ضرب له نموّ و غذاء، و نوع له نموّ و لا غذاء له، فسمّينا الصّنف الواحد معدنا و حجرا، و الآخر نباتا، و من الصّور من ظهرت حياته فسمّيناه حيوانا و حيّا، و الكلّ حيّ في نفس الأمر ذو نفس ناطقة، و لا يمكن أن يكون في العالم صورة لا نفس لها و لا حياة و لا عبادة ذاتيّة و أمرية، سواء كانت تلك الصّورة ممّا يحدثها الإنسان من الأشكال أو يحدثها الحيوانات، و من أحدثها من الخلق عن قصد و عن غير قصد فما هو إلاّ أن نتصوّر الصّورة كيف تصوّرت و على يدي من ظهرت إلاّ و يلبسها اللّه تعالى روحا من أمره و يتعرّف إليها من حينه فتعرفه منها و تشهده فيها.

(في ظهور الزمان)

هكذا هو الأمر دائما دنيا و آخرة يكشفه أهل الكشف، فظهر الليل و النهار بطلوع الشّمس و غروبها كما حدث اليوم بدورة الفلك الأطلس و كما حدث الزّمان بمقارنة الحوادث عند السؤال بمتى و الزّمان و اليوم و الليل و النهار.

(في أن فصول السنة أمور عدميّة نسبيّة)

و فصول السنّة كلّها أمور عدميّة نسبيّة لا وجود لها في الأعيان.

«و أوحى في كلّ سماء أمرها»، و جعل إمضاء الأمور الّتي أودعها السّماوات في عالم الأركان عند سباحة هذه الجواري و جعلهم نوّابا متصرّفين بأمر الحقّ لتنفيذ هذه الأمور الّتي أخذوها من خزائن البروج

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۴۷

في السنّة بكمالها و قدّرها (قدر لها) المنازل المعلومة الّتي في الفلك الملكوب، و جعل لها اقترابات و اقترانات (افتراقات)، كلّ ذلك بتقدير العزيز العليم و جعل سيرها في استدارة و لهذا سماها أفلاكا و جعل في سطح السّماء السّابعة الضراح و هو البيت المعمور، و شكله كما رسمته في الهامش «۱».

و خلق في كلّ سماء عالما من الأرواح و الملائكة يعمرونها.

(في أنّ الملائكة هم السفراء)

فاما الملائكة فهم السفراء النازلون بمصالح العالم الّذي ظهر في الأركان، و المصالح أمور معلومة و ما يحدث عن حركات هذه الكواكب كلّها، و عن حركة الأطلس لا علم لها (لهؤلاء) السفراء بذلك حتّى تحدث فلكلّ واحد

منهم مقام معلوم لا يتعدّاه، و باقي شغلهم التسبيح و الصّلاة و الثّناء على الله تعالى.

و بين السّماء السّابعة، الفلك المكوكب كرسي (كراسي) عليها صور كصور المكلّفين من الثقلين، و ستور مرفوعة بأيدي ملائكة مطهرة ليس

(١) صورة الضراح: [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۴۸

لهم إلاّ مراقبة تلك الصّور و بأيديهم تلك الستور فإذا نظر الملك إلى الصّور قد سمجت و تغيّرت عمّا كانت عليه من الحسن، أرسل الستر بينها و بين سائر الصّور فلا يعرفون ناظرا (ما طرأ) و لا يزال الملك من اللّه مراقبا تلك الصّورة، فإذا رأى تلك الصّورة قد زال عنها ذلك القبح و حسنت رفع الستر، فظهرت في أحسن زينة.

(ذكر أرواح الملكيّة و إطلاع أهل الكشف عليه)

و تسبيح تلك الصّور و هؤلاء الأرواح الملكية الموكّلة بالستور:

«سبحان من أظهر الجميل و ستر القبيح»، و اطّلع أهل الكشف على هذا ليتخلّقوا بأخلاق اللّه و يتأدّبوا مع عباد اللّه فيظهرون محاسن العالم و يسترون مساويهم، و بذلك جاءت الشرائع من عند اللّه، فإذا رأيت من يدّعي الأهليّة للّه و يكون مع العالم على خلاف هذا الحكم فهو كاذب في

دعواه، و بهذا و أمثاله يسمّى سبحانه بالغافر و الغفور و الغفّار.

(في خلق آدم و الجان)

و لمّا كوّن اللّه ملكوته ممّا ذكرناه خلق آدم بيديه من الأركان و جعل أعظم جزء فيه التراب لبرده و يبسه، و أنزله خليفة في أرضه الّتي خلق منها، و قد كان خلق قبله الجانّ من الأركان، و جعل أغلب جزء فيه النار، و كان من أمر آدم و إبليس و الملائكة ما وصف اللّه لنا في القرآن فلا يحتاج إلى ذكر ذلك.

و أمسك اللّه صورة السّماء لأجل الإنسان الموحّد الّذي لا يمكن أن

ينفى، فذكره اللّه لأنّه ليس في خاطره إلاّ اللّه فما عنده أمر آخر يدّعى عنده ألوهيّة فينفيه بلا إله إلا اللّه الواحد الأحد، و لهذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«لا تقوم القيامة (السّاعة) حتّى لا يبقى على وجه الأرض من يقول اللّه اللّه و هو الذكر الأكبر الّذي قال اللّه فيه: وَ لَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ «٢٣٩».

فما قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله: من يقول لا إله اللّه، فهذا الإسم هو هجير هذا الإمام الّذي يقبض آخر، أو تقوم السّاعة فتنشق السّماء، فإنّ هذا و أمثاله كان العمد، لأنّ اللّه ماسكها (ما أمسكها) من أجله أن تقع على الأرض، و لذلك قال فيها: انّها «واهية» [الحاقة: ٦٩]، أي واقعة ساقطة، ثمّ ما زالت النوّاب تتحرّك في طرقها فالصّورة (و الصّور) تظهر بالاستحالات في عالم الأركان دنيا و برزخا و آخرة إلى أن يرث اللّه الأرض و من عليها، فلا يبقى إلاّ ما في الآخرة و هو يوم القيامة، و الداران الجنّة و النّار، و لكلّ

واحدة منهما ملوؤها من الجنّ و الإنس و ممّا شاء اللّه، و في الجنّة قدم الصدق، (و في النّار قدم الجبّار و هما القدمان اللّتان في الكرسي).

و قد مرّ من الكلام في هذا الفنّ من هذا الكتاب ما فيه غنية للعاقل و بلغة زاد للمسافر توصله إلى مقصوده.

---

(۲۳۹) قوله: لا تقوم الساعة حتى.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ۱ كتاب الإيمان ص ۱۳۱، باب ٦٦ الحديث ۲۳٤، بإسناده عن أنس، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«لا تقوم الساعة حتّى لا يقال في الأرض: اللّه، اللّه» «لا تقوم الساعة على أحد يقول: اللّه، اللّه».

و أخرجه أيضا السيوطي في الجامع الصغير ج ۲ ص ۷٤۳، الحديث ۹۸٤۹. و أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٥ و ٤۹٤، و فيه في حديث بدل «اللّه، اللّه»: «لا إله إلاّ اللّه».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۳، ص ۵۵۱

الفصل السّادس «۱» في جهنّم و أبوابها و منازلها و دركاتها

اعلم، إنّ جهنّم تحوي على السّماوات و الأرض على ما كانت عليه السّماء و الأرض، أي (إذا) كانتا رتقا فرجعت إلى صفتها من الرتق و الكواكب كلّها فيها طالعة و غاربة على أهل النّار بالحرور و الزّمهرير، بالحرور على

(المقرورين) المبرودين بعد استيفاء المؤاخذة بما أجرموا، و بالزمهرير على المحرورين ليجدوا في ذلك نعيما و لذّة ما لهم من النّعيم إلاّ ذلك و هو دائم عليهم أبدا و كذلك طعامهم و شرابهم بعد انقضاء مدّة المؤاخذة، يتناولون من شجرة الزّقوم، لكلّ إنسان بحسب ما يبرد عنه ما كان يجده أو يسخنه كالظمآن بحرارة العطش فيجد ماء باردا فيجد له من اللّذة لإذهاب لحرارة العطش و كذلك ضدّه.

(١) قد مرّ الفصل الخامس ص: ٣٩١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۵۵۲

و أبوابها سبعة بحسب أعضاء التكليف الظاهرة لأنّ باب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع اللّه عليه عند ما أقرّ له بالربوبيّة و على نفسه بالعبوديّة، فللنّار على الأفئدة اطلاع لا دخول لغلق ذلك الباب فهو كالجنّة حفت بالمكاره، فما ذكر اللّه من أبواب النّار إلاّ السّبعة الّتي يدخل منها النّاس و الجانّ.

و أمّا الباب المغلق الّذي لا يدخل عليه أحد في السّور، فباطنه فيه الرحمة بإقراره بوجود (اللّه) ربّا له و عبوديّته لربّه، و ظاهره من قبله العذاب و هي النّار الّتي تطّلع على الأفئدة.

و أمّا منازلها و دركاتها و خوخاتها فعلي ما ذكرنا في الجنّة على السّواء لا

تزيد و لا تنقص، و ليس في النّار نار ميراث، و لا نار اختصاص، و إنّما ثمّ نار أعمال، فمنهم من عمرها بنفسه و عمله الّذي هو قرينه، و من أهل الجنّة بقي عمله الّذي كان في الدّنيا على صورته في المكان من النّار الّذي لو كان من أهلها صاحب ذلك العمل لكان فيه، فإنّه من ذلك المكان كان وجود ذلك العمل، و هو خلاف ما كلّف من فعل و ترك، فعاد إلى وطنه كما عاد الجسم عند الموت إلى الأرض الّتي خلق منها، و كلّ شيء إلى أصله يعود و إن طالت المدّة.

فإنّها أنفاس معدودة و آجال مضروبة محدودة يبلغ الكتاب فيها أجله، و يرى كلّ مؤمل (ما) أمله فإنما نحن به و له فما خرجنا عنّا، و لا حللنا إلاّ بنا حيث كنّا، و حشرت الوحوش كلّها فيها أنعاما من اللّه عليها إلا الغزلان، و ما استعمل من الحيوان في سبيل اللّه فإنّهم في الجنان على صورة يقتضيها ذلك الموطن، و كلّ حيوان تغذّي به أهل الجنّة في الدنيا خاصّة، و إذا لم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٥٥٣

يبق في النّار أحد إلاّ أهلها و هم في حال العذاب، يجاء بالموت على صورة كبش أملح [٢٤٠] فيوضع بين الجنّة و النّار ينظر إليه أهل الجنّة

---

(٢٤٠) قوله: يجاء بالموت على صورة كبش.

أخرج مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنّة باب ١٣ الحديث ٤٠ ص ٢١٨٨، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«يجاء بالموت يوم القيامة كأنّه كبش أملح (فيوقف بين الجنّة و النار)، فيقال:

يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبّون و ينظرون و يقولون: نعم، هذا الموت».

قال: و يقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون و ينظرون و يقولون:

نعم، هذا الموت.

قال: فيؤمر به فيذبح.

قال: ثمّ يقال: يا أهل الجنّة! خلود فلا موت، و يا أهل النار! خلود فلا موت.

قال: ثمّ قرأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ

[**مريم:**

۳۹].

و أشار بيده إلى الدنيا» و أخرج قريب منه البخاري في صحيحه ج ٦، كتاب التفسير باب

٤٠٥ الحديث ١١٥٥، ص ٤٤٨.

و روي المجلسي في البحار ج ٨ ص ٣٤٥ باب ذبح الموت الحديث ٢، عن كتاب

الحسين بن سعيد الأهوازي، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال:

«إذ أدخل اللّه أهل الجنّة الجنّة، و أهل النار النار، جيء بالموت في صورة كبش حتّى

يوقف بين الجنّة و النار، قال: ثمّ ينادي مناد يسمع أهل الدارين جميعا:

يا أهل الجنّة، يا أهل النار، فإذا سمعوا الصوت أقبلوا، قال: فيقال لهم: أ تدرون ما هذا؟ هذا

هو الموت الّذي كنتم تخافون منه في الدنيا، قال: فيقول أهل الجنّة:

و أهل النّار فيقال لهم تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، فيضجعه الرّوح الأمين و يأتي يحيى عليه السّلام و بيده الشفرة فيذبحه، و يقول الملك لساكني الجنّة و النّار: خلود فلا موت، و يقع اليأس لأهل النّار من الخروج منها، و يرتفع الإمكان من قلوب أهل الجنّة من وقوع الخروج منها، و تغلق الأبواب و هي عين فتح أبواب الجنّة، فإنّها على شكل الباب الّذي إذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل عين فتحه منزلا آخر.

و أمّا أسماء أبوابها السّبعة: فباب جهنّم، و باب الجحيم، و باب السعير، و باب سقر، و باب اللظى، و باب الحطمة، و باب سجّين، و الباب المغلق و هو الثامن الّذي لا يفتح و هو الحجاب.

و امّا خوخات شعب الإيمان فمن كان على شعبة منها، فإنّ له منها تجلّيا بحسب تلك الشعبة كانت ما كانت، و منها ما هي خلق في العبد جبل عليه.

اللّهم لا تدخل الموت علينا، قال: و يقول أهل النار: اللّهم أدخل الموت علينا، قال: ثمّ يذبح كما تذبح الشاة، قال: ثمّ ينادي مناد: لا موت أبدا، أيقنوا بالخلود، قال: فيفرح أهل الجنّة فرحا لو كان أحد يومئذ يموت من فرح لماتوا، قال: ثمّ قرأ هذه الآية:

أَ فَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الْأُولى‏ وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هٰذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ [الصافات: ٥٨- ٦١].

قال: و يشهق أهل النار شهقة لو كان أحد يموت من شهيق لماتوا، و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ [مريم: ٣٩].

و أخرج قريب منه الترمذي في سننه ج ٥ كتاب تفسير القرآن باب ٢٠ في سورة مريم الحديث ٣١٥٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٥٥

و منها ما هي ملتبسة و كلّ خير فإنّها عن الخير المحض فمن عمل خيرا على أيّ وجه كان فإنّه يراه و يجازي به، و من عمل سرّا فلا بدّ أن يره (يراه)، و قد يجازي به و قد يعفى عنه و ببدل له بخير إن كان في الدنيا قد تاب، و إن مات عن غير توبة فلا بدّ أن يبدّل بما يقابله بما تقتضيه ندامته يوم يبعثون و يرى النّاس أعمالهم، و كلّ مكلّف فما كان يستوحش منه المكلّف عند رؤيته يعود له أنس له به، و تختلف الهيئات في الدارين مع الأنفاس باختلاف الخواطر هنا في الدّنيا، فإنّ باطن الإنسان في الدّنيا هو الظاهر في الدار الآخرة، و قد كان غيبا فيعود شهادة هناك و تبقى العين غيبا باطن هذه الهيئات و الصّور لا تتبدّل و لا تتحوّل فما ثمّ إلاّ صور و هيئات تخلع عنه و عليه دائما أبدا إلى غير نهاية و لا انقضاء.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٥٧

«الباب السّادس و التّسعون و مائتان» (الفتوحات ج ٢ ص ٦٧٩)

في معرفة منزل انتقال صفات أهل السّعادة إلى أهل الشقاء في الدار الآخرة (من الحضرة الموسويّة)

(مساواة درجات الجنة مع دركات النار)

اعلم وفقنا اللّه و إيّاك أنّ درجات الجنّة على عدد دركات النّار، فما من درج إلاّ و يقابله درك من النّار، و ذلك أنّ الأمر و النّهي لا يخلو الإنسان إمّا أن يعمل بالأمر أو لا يعمل، فإن عمل (همل) به كانت له درجة في الجنّة معيّنة لذلك العمل خاصّة، و في موازنة هذه الدّرجة المخصوصة لهذا العمل الخاصّ إذا تركه الإنسان درك في النّار لو سقطت حصاة من تلك الدّرجة في الجنّة لوقعت على خط استواء في ذلك الدرك (من النار)، فإذا سقط الإنسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۵۸

سقوطه إلى ذلك الدرك، قال تعالى:

فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوٰاءِ الْجَحِيمِ [الصافات: ۵۵].

فالاطلاع على الشيء من أعلى إلى أسفل، و السّواء حدّ الموازنة على الاعتدال، فما رآه إلاّ في ذلك الدّرك الّذي في موازنة درجته، فإنّ العمل الّذي نال به هذا الشخص تلك الدّرجة، تركه هذا الشّخص الآخر الّذي كان قرينة في الدنيا بعينه، فانظر إلى هذا العدل الإلهيّ ما أحسنه و هما الرّجلان اللّذان ذكرهما اللّه في سورة الكهف المضروب بهما المثل و هو قوله تعالى:

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ، إلى آخر الآيات [الكهف: ۳۲].

في قصّتهما في الدّنيا، و ذكر في الصّافّات حديثهما في الآخرة في قوله تعالى:

قٰالَ قٰائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كٰانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ [الصّافات: ٢-٥١].

و فيها ذكر المعاتبة، و في قوله:

تَاللّٰهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ [الصّافات: ٥٦].

لما اطلع عليه فرآه في سواء الجحيم، و هو قوله:

مٰا أَظُنُّ السّٰاعَةَ قٰائِمَةً [فصّلت: ٥٠].

و ورد في الأخبار الإلهيّة الصّحاح عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن ربّه عزّ و جلّ فيما يقول لعبده يوم القيامة:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۵۹

«أ فظّننت انّك ملاقيّ» «(٢٤١)».

فلنمثّل لك منها الأمّهات الّتي بني الإسلام عليها و هي خمسة: [٢٤٢]

---

(٢٤١) قوله: أ فظننت أنّك ملاقيّ.

اخرج مسلم في صحيحه ج ٤، كتاب الزهد، الحديث ١٦، ص ٢٢٧٩، بإسناده، عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول اللّه! هل نرى ربّنا يوم القيامة؟

قال: «هل تضارّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة»؟

قالوا: لا، قال: «فهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة»؟، قالوا:

لا، قال: «فو الّذي نفسي بيده لا تضارّون في رؤية ربّكم إلاّ كما تضارّون في رؤية أحدهما»، قال: «فيلقى العبد فيقول: أي فل! (يعني أي فلان) ألم أكرمك، و أسوّدك، و

أزوّجك، و أسخّر لك الخيل و الإبل، و أذرك ترأس و تربع؟ فيقول: بلى»، قال: فيقول: «أ فظننت أنّك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنّي أنساك كما نسيتني». الحديث.

و أخرج الترمذي في سننه، ج ٤، كتاب صفة لقيامة باب ٦، الحديث ٢٤٢٨ ص ٦١٩، بإسناده عن أبي هريرة و عن أبي سعيد، قالا: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«يوتى بالعبد يوم القيامة، فيقول اللّه له: ألم أجعل لك سمعا و بصرا و مالا و ولدا، و سخرت لك الأنعام و الحرث، و تركتك ترأس و تربع، فكنت تظنّ أنّك ملاقي يومك هذا»؟ قال: فيقول: لا، قال: «فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني».

(٢٤٢) قوله: الأمهات التّي بني الإسلام عليها و هي خمسة.

أخرج مسلم في صحيحه ج ١ كتاب الإيمان باب ٥، الحديث ٢٣ الى ١٩ ص ٤٥، بإسناده عن عبد اللّه بن عمر، عن النبي صلّى اللّه عليه و آله قال:

«بني الإسلام على خمس: على أن يوحّد اللّه، و إقامه الصلاة، و إيتاء الزكاة، و صيام رمضان، و الحجّ».

و في الأحاديث الأخرى ٢٠ و ٢١ و ٢٢ بدل الجملة الأولى هكذا على الترتيب:

«على أن يعبد اللّه و يكفر بما دونه». «شهادة أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا عبده و رسوله». «شهادة أن لا إله إلاّ اللّه».

و أخرج مثله أي الحديث ٢٢، ابن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٣٦٤ و ٣٦٣، بإسناده عن جرير بن عبد اللّه عن النبي صلّى اللّه عليه و آله، و روي مثله الكليني في الكافي ج ٢ ص ٣١ في حديث طويل، بإسناده عن محمد بن سالم، عن الباقر عليه السّلام قال: «فلمّا أذن اللّه لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله في الخروج من مكّة إلى المدينة بني الإسلام على خمس»، الحديث. كما نقله مسلم في الحديث ٢١، و عنه البحار ج ٦٩ ص ٨٩.

و روي المجلسي في البحار ج ١٠٧ ص ١٩٩ عن الشهيد محمّد بن محمد مكي في إجازته للشيخ شمس الدين محمّد بن نجدة، بإسناده عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام، عن آبائه، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

«بني الإسلام على عشرة أسهم: شهادة أن لا إله إلاّ اللّه، و هي الملّة، و الصلاة و هي الفريضة، (الفطرة)، و الصوم و هو الجنّة، و الزكاة و هي الطهرة، و الحجّ و هو الشريعة، و الجهاد و هو العزّ (في كنز: الغزوة)، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و هو الحجّة، و الجماعة و هي الألفة، و العصمة و هي الطاعة» و أخرج مثله كنز العمال، ج ١ ص ٣٣، و ٢٩ الحديث ٣١ و ٤٣، بإسناده عن ابن عباس و أنس، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله. و رواه المجلسي أيضا في البحار ج ٦٨ ص ٣٧٧ الحديث ٢٥ عن الصدوق في «الخصال» بإسناده عن زرارة، عن الباقر عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و روي المجلسي أيضا في البحار ج ٦٨ ص ٣٨٧ الحديث ٣٨ عن كتاب الفضائل بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «بني الإسلام على شهادة أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه، و إقامة الصلاة، و إيتاء الزكاة، و صوم رمضان، و الحجّ إلى البيت، و الجهاد، و ولاية عليّ بن أبي طالب». قال أبو سعيد: «أظنّ القوم إلاّ هلكوا بترك الولاية».

و روي الطوسي في أماليه ج ٢، الجزء الثامن عشر، ص ١٣١، الحديث ٣٩، بإسناده عن المجاشعي، عن محمّد بن جعفر بن محمّد، عن أبيه أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام و أيضا عن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏٣، ص ٥٦١

علي بن موسى الرضا عليهما السّلام عن أبيه، عن آبائه عن أمير المؤمنين، قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول:

«بني الإسلام على خمس خصال: على الشهادتين و القرينتين، قيل له: أمّا الشهادتان فقد عرفناهما، فما القرينتان؟ قال: الصلاة و الزكاة، فإنّه لا يقبل أحدهما إلاّ بالأخرى، و الصيام و حج البيت من استطاع إليه سبيلا، و ختم ذلك بالولاية، فانزل اللّه عزّ و جلّ:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلٰامَ دِيناً [المائدة: ٣].

و عنه البحار ج ٦٨ ص ٣٧٩.

و روي الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ١٨ باب دعائم الإسلام الحديث ١، بإسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام، قال: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة و الزكاة، و الصوم، و الحجّ، و الولاية و لم يناد بشيء كما نودي بالولاية».

و أيضا روي في الحديث ٥ عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السّلام قال:

«بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة و الزكاة و الحج و الصوم و الولاية، قال

زرارة: فقلت: و أيّ شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنّها مفتاحهنّ و الوالي هو الدليل عليهن».

و روي مثله أيضا البرقي في المحاسن ص ٢٨٦ باب الشرائع الحديث ٤٣٠، و عنه البحار ج ٨٢ ص ٢٣٤، الحديث ٥٩.

أقول: عدم ذكر الولاية في بعض الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلّى اللّه عليه و آله لا ينافي البعض الآخر الّذي ذكرت فيه الولاية، لأنّ الطائفة الأولى وردت و ذكرت قبل نزول الآية الولاية أي:

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللهُ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٦٢

يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ [المائدة: ٦٧].

كما أشار إليه الإمام الباقر عليه السّلام في حديث الكليني، قال:

«فلما أذن اللّه لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله في الخروج من مكّة إلى المدينة بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ اللّه، و أنّ محمدا صلّى اللّه عليه و آله عبده و رسوله، أقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و حج البيت و صيام شهر رمضان». الكافي ج ٢ ص ٣١.

و أمّا الطائفة الأخرى قالها الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله بعد نزول تلك الآية الكريمة كما في حديث الطوسي، عن أمير المؤمنين عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

قال في آخر الحديث:

«و ختم ذلك بالولاية، فأنزل اللّه عزّ و جلّ:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاٰمَ دِيناً [المائدة: ٣].

فكمال الدين و تمامه في أيّ بعد نتصورّ لا يكون إلاّ بوجود علي بن أبي طالب و بولايته التكوينيّة و التشريعية و السياسيّة و بعلمه و بعصمته بعد النبي صلّى اللّه عليه و آله.

و عصمته ثابتة بآية التطهير:

إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ٣٣].

كما أن ولايته التشريعيّة و أيضا عصمته ثابتة بحديث الثقلين المتواتر عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

قوله عليه السّلام في حديث الكافي و البرقي: لأنّها مفتاحهّن و الوالي هو الدليل عليهنّ، لأنّ الهدف من بعثة الأنبياء و الرسل و إنزال الكتب و الدين هو اقامة الدين و أحكامه، و اقامة العدل الاجتماعي و تطبيق الشريعة، لكي يصل الإنسان بكماله المطلوب و المناسب له في الدنيا و الآخرة، و هذا لا يمكن إلاّ بالولاية و الحكومة.

و الولاية هذه اضافة على سائر الولايات ثابتة من قبل اللّه سبحانه للرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله بنصّ القرآن و لأمير المؤمنين عليه السّلام أيضا بدلالة القرآن، و بنصّ النبي الأكرم صلّى اللّه عليه و آله.

قال سبحانه و تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۶۳

لا إله إلاّ اللّه، و إقام الصّلاة، و إيتاء الزكاة، و صيام رمضان، و حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا.

فمن النّاس من آمن بها كلّها فسعد، و منهم من كفر بها كلّها فشقي، و منهم من آمن ببعضها و كفر ببعضها فهو ملحق بالكافر الحاق حقّ.

و هكذا جميع الأوامر و النّواهي الّتي تقتضيها فروع الشريعة في جميع حركات الإنسان و سكونه في الإيمان بالحكم المشروع فيها، و الكفر و العمل المشروع فيهما بظاهر الإنسان المكلّف و باطنه و ترك العمل، و يحصر ذلك عقد و قول و عمل و في مقابلته حلّ و صمت، و ترك عمل هذه مقابلة من وجه في حق قوم، و مقابلة أخرى في حق قوم، أو هذا الشّخص بعينه و هو عقد مخالف لعقد و قول يخالف قولا، و عمل مخالف لعمل، إذ كان لا يلزم من صاحب الحلّ أن يكون قد عقد أمرا آخر، فإنّ الحل إنّما

النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ [الأحزاب: ٦].

و قال:

إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاةَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ [المائدة: ۵۵].

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في حديث الغدير المتواتر:

«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» و معلوم أنّ الولاية بمعنى الحبّ و المحبوبيّة لا خطر في إبرازها و إعلانها حتى يقول اللّه سبحانه و تعالى: **وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.** و الّتي كانت لا يزال منشأ للمعارضة و المخالفة بين الناس و كانت موضع الحسد و الجدال و القتال و غير ذلك هي الولاية بمعنى الحكومة و القيادة السياسية.

راجع في بيان معنى الحديث و مصادره التعليق ٩٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۶۴

متعلّقه ذلك العقد الإيماني بذلك المعقود عليه فأسقطه المعطل فلم يرتبط (بعقد) آخر، و شخص آخر عقد على وجود الشريك للّه، فحلّ من عنقه عقد حبل التوحيد و عقد حبل التشريك.

فلهذا فصّلنا الأمر على ما يكون عليه في الآخرة موازنا لحالة الدّنيا.

و هذا صورة الشكل في الأمّهات، و عليها نأخذ جميع المأمور بها و المنهيّ عنها من العمل بالمأمور و القول به و الإيمان به و ترك ذلك حلاّ و عقدا في الكلّ أو في البعض، و كذلك النّهي عنها من العمل به و القول به و العقد عليه و ترك ذلك حلاّ و عقدا للكلّ و البعض.

صورة درج الجنّة، و درك النار و الأعراف و هو السّور الّذي باطنه فيه الرّحمة و ظاهره من قبله العذاب و الرّقائق النازلة و الصاعدة، و وضعناها لك لتتصوّرها في ذهنك إن كنت بعيد الفهم، و اللّه المعين لا ربّ غيره:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۶۶

و هكذا درج العمل بالأمر و النّهي، و درك ترك العمل بهما، و درج القول

بالأمر و النّهي و درك تركهما عقدا و حلا، كلا أو بعضا.

و هكذا مناسبات الجزاء كلّها لا تختلّ، قال عزّ و جلّ:

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّهُ [آل عمران: ٥٤].

و قال: قالوا:

إِنَّمٰا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقرة: ١٥ و ١٤].

و قال:

إِنْ تَسْخَرُوا مِنّٰا فَإِنّٰا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمٰا تَسْخَرُونَ [هود: ٣٨].

و قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كٰانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ [المطففين: ٢٩].

و قال في الجزاء:

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفّٰارِ يَضْحَكُونَ [المطففين: ٣٤].

ثم بيّن فقال:

هَلْ ثُوِّبَ الْكُفّٰارُ مٰا كٰانُوا يَفْعَلُونَ [المطففين: ٣٦].

فعمّ بالألف و اللاّم و ردّ الفعل عليهم.

و قال تعالى:

نَسُوا اللّهَ فَنَسِيَهُمْ [التوبة: ٦٧].

و لهذا سمّي:

جَزٰاءً وِفٰاقاً [النبأ: ٢٦].

و لو لم يكن الأمر كذلك لما كان جزاء، و قد ورد في المتكبّرين:

«إنّهم يحشرون كأمثال الذرّ يطأهم النّاس بإقدامهم صغارا لهم و ذلّة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۶۷

و لتكبّرهم على أوامر اللّه» «۱».

فالجنة خير لا شرّ فيها و النّار شرّ لا خير فيها.

فجميع علم المشرك و عمله و قوله الّذي لو كان موحّدا جوزي عليه في الجنّة بحسبه، يعطي ذلك الجزاء للموحّد الجاهل بذلك الأمر و العلم المفرط في ذلك العمل التارك لذلك القول، و الجزاء عليه الّذي لو كان مشركا لحصل له في النّار يعطي لذلك المشرك الّذي لا حظّ له في الجنّة، فإذا رأى المشرك ما كان يستحقّه لو كان سعيدا يقول: يا ربّ هذا لي فأين جزاء عملي الّذي هذا جزاؤه؟ فإنّ الأعمال بمكارم الأخلاق و التحريض عليها الّذي هو القول تقتضي جزاء حسنا وقع ممّن وقع، فيقول اللّه له: لما عملت كذا، و يذكر له ما عمل من مكارم الأخلاق و القول بها و العمل بمواقعها، قد جاز على ذلك بما أنعمت به عليك من كذا و كذا، فيقرّر عليه جميع ما أنعمه عليه جزاء لأنعمه المنّة في خلقه المبتدأة الّتي ليست بجزاء، فيزنها المشترك هنالك بما قد كشف اللّه من علم الموازنة فيقول: صدقت، فيقول اللّه له: فما نقصتك من جزائك شيئا و الشّرك قطع بك عن دخول دار الكرامة، فتنزل فيها على موازنة هذه الأعمال و لكن أنزل على درجات تلك الأعمال، فإنّ صاحبها منعه التوحيد أن يكون من أهل هذه الدّار، فهذا هو من الميراث الّذي بين أهل الجنّة و أهل النّار.

(١) قوله يحشرون كأمثال الذّر.

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ١٧٩، و الترمذي كتاب صفة القيامة ٤٧، الحديث ٢٤٩٢، و كنز العمّال ج ٣٧ ص ٥٢٨، الحديث ٧٧٥٠، و إحياء علوم الدّين للغزالي و المحجّة البيضاء للفيض باب ذمّ الكبر، و رواه البحار ج ١٠ ص ٢٤٣ و ج ٥٣ ص ١٣١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥۶٨

و نذكر الكلام في هذا الفصل في باب الجنّة و النّار من هذا الكتاب.

فهذا هو الانتقال الّذي بين أهل السّعادة و أهل الشقاء «١»، فإنّ المؤمن

---

(١) قوله: فهذا هو الانتقال الّذي بين أهل السعادة و أهل الشقاء.

روى الصدوق في المقام خبرين (لعلّهما واحد و لكن رواه بسندين) عن الإمام الباقر صلوات اللّه عليه، يدلّان على انتقال الأعمال الحسنة و ثوابها، و انتقال أعمال السيئة و عقابها، عن فاعلها إلى غيره، و هما هكذا: الصدوق بإسناده عن إسحاق اللّيثي قال:

قلت لأبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام: يا ابن رسول اللّه أخبرني عن المؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة و كمل، هي يزني؟ قال: «اللّهم لا»، قلت: فيلوط؟ قال: «اللهم لا»، قلت: فيسرق؟ قال: «لا»، قلت: فيشرب الخمر؟ قال: «لا»، قلت: فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش؟ قال «لا»، قلت: فيذنب ذنبا؟

قال: «نعم و هو مؤمن مذنب مسلم، (ملم)» قلت: ما معنى مسلم (ملم)؟ قال:

«المسلم (الملم) بالذنب لا يلزمه و لا يصير (يصرّ) عليه»، قال: فقلت: سبحان اللّه ما

أعجب هذا! لا يزني و لا يلوط و لا يسرق و لا يشرب الخمر و لا يأتي كبيرة من الكبائر و لا فاحشة؟ فقال: «لا عجب من أمر اللّه، أنّ اللّه عزّ و جلّ يفعل ما يشاء **لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ٢٣]، فممّ عجبت يا ابراهيم؟ سل و لا تستنكف و لا تستحسر (و لا تستحي)، فإنّ هذا العلم لا يتعلّمه مستكبر و مستحسر (مستحي)»، قلت: يا ابن رسول اللّه إنّي أجد من شيعتكم من يشرب، و يقطع الطريق، و يخيف السبيل، و يزني و يلوط، و يأكل الربا، و يرتكب الفواحش، و يتهاون بالصلاة و الصيام و الزكاة، و يقطع الرحم، و يأتي الكبائر، فكيف هذا؟ و لم ذاك؟ فقال: «يا إبراهيم هل يختلج في صدرك شيءٍ غير هذا»؟ قلت: نعم يا ابن رسول اللّه أخرى أعظم من ذلك، فقال: «و ما هو يا أبا إسحاق»؟ قال: قلت: يا ابن رسول اللّه و أجد من أعدائكم و مناصبيكم من يكثر من الصلاة و من الصيام، و يخرج الزكاة، و يتابع بين الحجّ و العمرة، و يحضّ على الجهاد، و يأثر على البرّ و على صلة الأرحام، و يقضي حقوق إخوانه، و يواسيهم من ماله، و يتجنّب شرب الخمر و الزنا و اللواط و سائر الفواحش، فممّ**

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ۵۶۹

ذاك؟ فسّر لي يا ابن رسول اللّه و برهنه و بيّنه، فقد و اللّه كثر فكري و أسهر ليلي و ضاق

ذرعي، قال: فتبسّم صلوات اللّه عليه ثمّ قال: «يا إبراهيم خذ إليك بيانا شافيا فيما سألت، و علما مكنونا من خزائن علم اللّه و سرّه، أخبرني يا إبراهيم كيف تجد اعتقادهما»؟.

قلت: يا ابن رسول اللّه أجد محبّيكم و شيعتكم على ما هم فيه ممّا وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ممّا بين المشرق و المغرب ذهبا و فضّة أن يزول عن ولايتكم و محبّتكم إلى مولاة غيركم و إلى محبّتهم ما زال، و لو ضربت خياشيمه بالسيوف فيكم، و لو قتل فيكم ما ارتدع و لا رجع عن محبّتكم و ولايتكم.

و أرى الناصب على ما هو عليه ممّا وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ما بين المشرق و المغرب ذهبا و فضّة أن يزول عن محبّة الطواغيت و موالاتهم إلى موالاتكم ما فعل و لا زال و لو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم، و لو قتل فيهم ما ارتدع و لا رجع، و إذا سمع أحدهم منقبة لكم و فضلا اشمأزّ من ذلك و تغيّر لونه، و رئي كراهية ذلك وجهه، بغضا لكم و محبّة لهم.

قال: فتبسّم الباقر عليه السّلام، ثمّ قال: «يا إبراهيم هاهنا هلكت العاملة الناصبة **تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً، تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ [الغاشية: ۵]، و من أجل ذلك قال عزّ و جلّ:**

وَ قَدِمْنٰا إِلىٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً [الفرقان: ۲۳] ويحك يا إبراهيم أ تدري ما السبب و القصّة في ذلك؟ و ما الّذي قد خفي على الناس منه»؟ قلت: يا ابن رسول اللّه فبيّنه لي و اشرحه و برهنه.

قال: «يا إبراهيم إنّ اللّه تبارك و تعالى لم يزل عالما قديما خلق الأشياء لا من شيء، و من زعم أنّ اللّه عزّ و جلّ خلق الأشياء من شيء فقد كفر، لأنّه لو كان ذلك الشيء الّذي خلق

منه الأشياء قديما معه في أزليّته و هويّته كان ذلك أزليّا، بل خلق اللّه عزّ و جلّ الأشياء كلّها لا من شيء.

فكان ممّا خلق اللّه عزّ و جلّ أرضا طيّبة، ثمّ فجّر منها ماءا عذبا زلالا، فعرض

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۷۰

عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبّقها و عمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، و أخذ من صفوة ذلك الطين طينا فجعله طين الأئمّة عليهم السّلام، ثمّ أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا، و لو ترك طينتكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم و نحن شيئا واحدا».

قلت: يا ابن رسول اللّه فما فعل بطينتنا؟ قال:

«أخبرك يا إبراهيم، خلق اللّه عزّ و جلّ بعد ذلك أرضا سبخة خبيثة منتنة، ثمّ فجّر منها ماءا أجاجا، آسنا، مالحا، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت و لم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبقها و عمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، ثمّ أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة و أئمّتهم، ثمّ مزجه بثفل طينتكم، و لو ترك طينتهم على حاله و لم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين و لا صلّوا و لا صاموا و لا زكّوا و لا حجّوا و لا أدّوا أمانة و لا أشبهوكم في الصور، و ليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوّه مثل صورته».

قلت: يا ابن رسول اللّه فما صنع بالطينتين؟ قال: «مزج بينهما بالماء الأوّل و الماء الثاني،

ثمّ عركها عرك الأديم، ثمّ أخذ من ذلك قبضة، فقال: هذه إلى الجنّة و لا أبالي و أخذ قبضة أخرى و قال: هذه إلى النار و لا أبالي، ثمّ أخذ من ذلك قبضة فقال: هذه إلى الجنّة و لا أبالي و أخذ قبضة أخرى و قال: هذه إلى النار و لا أبالي، ثمّ خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن و طينته، و وقع من سنخ الكافر و طينته على سنخ المؤمن و طينته، فما رأيته من شيعتنا من زنا، او لواط، أو ترك صلاة، أو صيام، أو حجّ، أو جهاد، أو خيانة، أو كبيرة من هذه الكبائر، فهو من طينة الناصب و عنصره الّذى قد مزج فيه لأنّ من سنخ الناصب و عنصره و طينته اكتساب المأثم و الفواحش و الكبائر، و ما رأيت من الناصب و مواظبته على الصلاة و الصيام و الزكاة و الحجّ و الجهاد و أبواب البرّ، فهو من طينة المؤمن و سنخه الّذي قد مزج فيه، لأنّ من سنخ المؤمن و عنصره و طينته اكتساب [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۷۱

الحسنات و استعمال الخير و اجتناب المأثم.

فإذا عرضت هذه الأعمال كلّها على اللّه عزّ و جلّ قال: أنا عدل لا أجور، و منصف لا أظلم، و حكم لا أحيف و لا أميل و لا أشطط، ألحقوا الأعمال السيئة الّتي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب و طينته، و ألحقوا الأعمال الحسنة الّتي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن و طينته، ردّوها كلّها إلى أصلها.

فإنّي أنا اللّه لا إله إلاّ أنّا، عالم السرّ و أخفى، و أنا المطّلع على قلوب عبادي، لا أحيف و لا أظلم و لا ألزم أحدا إلاّ ما عرفته منه قبل أن أخلقه».

ثم قال الباقر عليه السّلام: «يا إبراهيم اقرأ هذه الآية»، قلت: يا ابن رسول اللّه أيّة آية؟ قال:

قوله تعالى:

قٰالَ مَعٰاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنٰا مَتٰاعَنٰا عِنْدَهُ إِنّٰا إِذاً لَظٰالِمُونَ [يوسف: ٧٩].

هو في الظاهر ما تفهمونه، و هو و اللّه في الباطن هذا بعينه، يا إبراهيم إنّ للقرآن ظاهرا و باطنا و محكما و متشابها، و ناسخا و منسوخا».

(إلى أن قال عليه السّلام):

«هذا و اللّه القضاء الفاصل و الحكم القاطع و العدل البيّن، **لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ، هذا يا ابراهيم، الحقّ من ربّك لا تكن من الممترين، هذا من حكم الملكوت».**

قلت: يا ابن رسول اللّه و ما حكم الملكوت؟ قال: «حكم اللّه و حكم أنبيائه، قصّة الخضر و موسى عليهما السّلام حين استصحبه فقال: **إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلىٰ مٰا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً [الكهف: ٦٧].**

(إلى أن قال): فقلت: يا ابن رسول اللّه ما أعجب هذا! تؤخذ حسنات أعدائكم فتردّ على شيعتكم، و تؤخذ سيئات محبّيكم فتردّ على مبغضيكم؟ قال: إي و اللّه الّذي لا إله إلاّ هو، فالق الحبّة، و بارئ النسمة، و فاطر الأرض و السماء، ما أخبرتك إلاّ بالحقّ، و ما أتيتك إلاّ بالصدق، و ما ظلمهم اللّه و ما اللّه بظلاّم للعبيد، و إنّ ما أخبرك

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٧٢



لموجود في القرآن كلّه».

قلت: هذا بعينه يوجد في القرآن؟ قال: «نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعا في القرآن، أ تحبّ أن أقرأ ذلك عليك»؟

قلت: بلى يا ابن رسول اللّه، فقال: «قال اللّه عزّ و جلّ: **وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنٰا وَ لْنَحْمِلْ خَطٰايٰاكُمْ وَ مٰا هُمْ بِحٰامِلِينَ مِنْ خَطٰايٰاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ [العنكبوت: ١٢].**

أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يا ابن رسول اللّه قال:

لِيَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ كٰامِلَةً يَوْمَ الْقِيٰامَةِ وَ مِنْ أَوْزٰارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاٰ سٰاءَ مٰا يَزِرُونَ [النحل: ٢٥].

أ تحبّ أن أزيدك؟ قلت: بلى يا ابن رسول اللّه، قال:

فَأُوْلٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ وَ كٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً [الفرقان: ٢٥].

يبدّل اللّه سيئات شيعتنا حسنات، و يبدّل اللّه حسنات أعدائنا سيئات، و جلال اللّه و وجه اللّه إنّ هذا لمن عدله و إنصافه، لا رادّ لقضائه، **لاٰ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ.**

«ألم أبيّن لك أمر المزاج و الطينتين من القرآن؟ قلت: بلى يا ابن رسول اللّه، قال: اقرأ يا إبراهيم»:

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ الْمَغْفِرَةِ

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ [النجم: ٣٢].

يعني من الأرض الطيّبة و الأرض المنتنة فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى.

يقول: لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته و صيامه و زكاته و نسكه لأنّ اللّه عزّ و جلّ أعلم بمن اتّقى منكم، فإنّ ذلك من قبل اللّمم و هو المزاج.

أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يا ابن رسول اللّه، قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٧٣

هنا في عبادة و العبادة تعطيه الخشوع و الذلّة، و الكافر في عزّة و فرحة، فإذا كان في هذا اليوم يخلع عزّ الكافر و سروره و فرحه على المؤمن، و يخلع ذلّ المؤمن و خشوعه الّذي كان لباسه في عبادته في الدّنيا على الكافر يوم القيامة قال تعالى:

خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ [الشورى: ٤٥].

فإنّ هذا النّظر هو حال الذّليل لا يقدر يرفع رأسه من القهر، و ذلك الخشوع من الكافر يوم القيامة، و الذلّة و النّظر المنكسر الّذي لا يرفع بسببه رأسه إنّما هو للّه تعالى خوفا منه، و هذا كان حال المؤمن في الدّنيا لخوفه من اللّه فذلك يوم التغابن حيث يرى الإنسان صفة (عزّة) غيره و سروره و فرحه على غيره و يرى ذلّ غيره و غمّه و حزنه على نفسه، فالحكم للّه العليّ الكبير.

و يتضمّن هذا المنزل من العلوم: علم سؤال الحقّ عباده السّعداء عن مراتب الأشياء بأيّ اسم يسأل، و علم المناسبات، و علم ما تعطيه الأفكار،

كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدىٰ وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيٰاطِينَ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ اللهِ [الأعراف: ۲۹- ۳۰].

يعني أئمّة الجور دون أئمّة الحقّ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ [الزخرف: ۳۷].

خذها إليك يا أبا إسحاق، فو اللّه إنّه لمن غرر أحاديثنا و باطن سرائرنا و مكنون خزائننا، و انصرف و لا تطلع على سرّنا أحدا إلاّ مؤمنا مستبصرا فإنّك إن أذعت سرّنا بليت في نفسك و مالك و أهلك ولدك».

(علل الشرائع الباب ٣٨٥ نوادر العلل، الحديث ٨١، ص ٦٠٦.

و روى قريب منه، الباب ٢٤٠ العلّة التّي من أجلها يرتكب المؤمن المحارم، الحديث ١ ص ٤٨٩. و عنه البحار ج ٥ ص ٣٢٨ الحديث ٦، و ص ٢٤٦، الحديث ٣٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۷۴

و علم الكفيّات، و هو على ضربين: ضرب منه لا يعرف إلاّ بالذّوق، و ضرب منه يدرك بالفكر و هو من باب التوسّع في الخطاب لا من باب التحقيق، فإنّ التحقيق بعلم الكفيّات إنّما هو ذوق.

(التخلّق بأسماء اللّه سبحانه و تعالى)

و لقد نبّهني الولد العزيز العارف شمس الدّين إسماعيل بن سودكين التوري على أمر كان عندي محققا من غير الوجه الّذي نبّهنا عليه هذا الولد، ذكرناه في باب الحروف من هذا الكتاب (الفتوحات المكيّة الباب الثاني)، و هو

التجلي في الفعل هل يصحّ او لا يصحّ؟ فوقتا كنت أنفيه بوجه، و وقتا كنت أثبته بوجه يقتضيه و يطلبه التكليف، إذ كان التكليف بالعمل لا يمكن أن يكون من حكيم عليم، يقول: اعمل و افعل لمن يعلم أنّه لا يعمل و لا يفعل إذ لا قدرة له عليه، و قد ثبت الأمر الإلهيّ بالعمل للعبد مثل:
أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ [البقرة: ٤٣].
اصْبِرُوا وَ صٰابِرُوا وَ رٰابِطُوا [آل عمران: ٢٠٠].
وَ جٰاهَدُوا [الحجر: ٧٨] فلا بدّ أن يكون له في المنفعل عنه تعلّق من حيث الفعل فيه يسمّى به فاعلا و عاملا، و إذا كان هذا فبهذا القدر من النّسبة يقع التجلّي فيه، فبهذا الطّريق كنت أثبته و هو طريق مرضي في غاية الوضوح يدل أن القدرة (الحادثة) لها نسبة تعلّق بما كلفت عمله لا بدّ من ذلك، و رأيت حجّة المخالف واهية في غاية من الضّعف و الاختلال، فلما كان يوما فاوضني في هذه المسألة هذا الولد إسماعيل بن (أبو)

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج٣، ص ٥٧٥

سودكين المذكور، فقال لي: و أيّ دليل أقوى على نسبة الفعل إلى العبد و إضافته إليه و التجلّي فيه إذ كان من صفته: من كون الحقّ خلق الإنسان على صورته، فلو جرّد عنه الفعل لما صحّ أن يكون على صورته، و لما قبل التخلّق بالأسماء، و قد صحّ عندكم و عند أهل الطريق بلا خلاف أن الإنسان مخلوق على الصّورة و قد صحّ التخلّق بالأسماء، فلا (فلم) يقدر أحد أن يعرف ما دخل عليّ من السّرور بهذا التّنبيه.

(استفادة الأشياء من تلميذه)

فقد يستفيد الأستاذ من التلميذ أشياء من مواهب الحقّ تعالى لم يقض اللـه للأستاذ أن ينالها إلاّ من هذا التلميذ، كما نعلم قطعا أنّه قد يفتح للإنسان الكبير في أمر يسأله عنه بعض العامّة ممّا لا قدر له في العلم و لا قدم، و يكون صادق التوجه في هذا العلم المسؤول عنه، فيرزق العالم في ذلك الوقت لصدق السائل علم تلك المسألة، و لم تكن عنده قبل ذلك عناية من اللّه بالسّائل و تضمنت عناية اللّه بالسّائل أن حصل للمسئول علما لم يكن عنده، و من راقب قلبه يجد ما ذكرناه.

فالحمد للّه الّذي استفدنا من أولادنا مثل ما استفاد شيوخنا منّا أمورا كانت أشكلت عليهم.

و يتضمّن علم هذا المنزل علم التبليغ عن اللّه إلى خلقه من رسول و نبيّ و وارث، و يتضمّن علم السّياسة في التعليم بباب اللطف من حيث لا يشعر المطلوب بذلك، و يتضمّن علم الجزاء المطلق و المقيّد، فالمطلق مجازاة العبد ربّه مثل الشكر على (المنعم) النعم، و مجازاة اللّه العبد مثل

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌٣، ص ٥٧٦

المزيد فيما وقع عليه الشّكر من العبد، و المجازات المقيّدة هي جزاء (اللّه) العبد في الدّار الآخرة فإنّها ليست بدار تكليف، و (هو الدنيا) قال تعالى:

وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي [البقرة: ٤٠].

في موطن التكليف و هو الدّنيا.

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ [البقرة: ٤٠].

في الدارين معا دنيا و آخرة.

و هذا القدر كاف في هذا الباب و اللّه أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

(الأشكال و الجداول)

و حيث فرغنا من بحث المعاد على سبيل التقرير و العيان، فلنشرع فيه من حيث التشكيل الحاصل بالكشف و الوجدان المنتخب من كلامه قدس اللّه سرّه و هو هذا:

و له مقدّمات و كيفيّات و جداول و أشكال، هذا بعضها اختصارا على الترتيب المتقدّم من الأبواب و الفصول، و هو قوله: «۲۴۳» و هذا صورة العماء الّذي هو الجسم الحقيقي العام الطبيعي الّذي هو صورة من قوّة الطبيعة، تجلى لما يظهر فيه من الصّور، و ما فوقه رتبة إلاّ رتبة الربوبيّة الّتي طلبت صورة العماء من الإسم الرحمن فتنّفس فكان

---

(۲۴۳) قوله: على الترتيب المتقدّم.

راجع الفتوحات المكيّة ج ۳ ص ۴۲۰.

العماء.

فشبّهه لنا الشرع بما ذكر عنه من هذا الإسم فلما فهمنا صورته بالتقريب قال: «ما فوقه هواء- يعلو عليه فما فوقه إلاّ حقّ- و ما تحته هواء يعتمد عليه»

«٢٤٤».

أي ما تحته شيء، ثمّ ظهرت فيه الأشياء.

فالعماء أصل الأشياء و الصّور كلّها، و هو أوّل فرع ظهر من أصل، فهو نجم لا شجر، ثم تفرعت منه أشجار إلى منتهى الأمر و الخلق و هو الأرض، و ذلك بتقدير العزيز العليم.

فهذا المثل المضروب المشكّل الممثل الّذي نضربه و نشكّله هو العماء، و هو الدائرة المحيطة، و هو فلك الإشارات.

و النقط الّتي في الدائرة مثال أعيان الأرواح المهيّمة.

و النقطة العظمى في هذه النقط العقل.

و الدائرة الّتي إلى جانب النقطة العظمى الّتي فيما حلها (في داخلها) نقطتان هي النّفس الكلّ و اللوح المحفوظ.

و تانك النقطتان فيهما القوّتان العلميّة و العمليّة، و الأربع النّقط المجاورات لدائرة النّفس رتبة الطّبيعة التي هي بنت الطّبيعة العظمى.

و الدائرة الّتي في جوف هذه الدائرة العظمى هي جوهر الهيولى و هو

---

(٢٤٤) قوله: ما فوقه هواء.

راجع التعليق ٢٣٠.

الهباء.

و الشكل المربّع فيه هو العرش.

و الدائرة في جوف هذا الشكل المربّع هو الكرسيّ موضع القدمين.

و الدائرة الّتي في جوفه هي الفلك الأطلس.

و الدوائر الثمانية هي الجنّات.

و الدائرة التي تحت الثمانية هو الفلك المكوكب فلك المنازل، و ما تحت مقعره هو جهنّم.

و فيما تحت مقعره انفتحت أشكال السماوات و الأرض و ما بينهما من الأركان و الكواكب الثّابتة كلّ ذلك جهنّم، فإذا بدلت السّماء و الأرض فإنّما يقع التبديل في الصّور لا في الأعيان و إن كانت الأعيان صورا، و لكن إذا علم المراد فلا مشاحة في الألفاظ و العبارات.

و الخطّان اللّذان تحت الشكل المربّع المسمّى عرشا الخط الواحد الماء، و الآخر الهواء.

و أنصاف الدوائر الّتي في جوف فلك الكواكب هي السماوات.

و الخطوط الّتي تستقرّ عليها أطراف أنصاف الدوائر الأرض، و ما بين القبة الّتي في أوّل خطّ من خطوط الأرض ثلاثة خطوط بالحمرة هي الثلاثة الأركان الماء و الهواء و النار.

و المقادير المعيّنة في الفلك الأطلس هي البروج، و المقادير المعيّنة في الفلك المكوكب هي المنازل.

و كلّ قبّة من القباب السّبعة فيها نقطة حمراء هي صورة كوكب كلّ قبة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۷۹

ثمّ جميع ما في الفلك المكوكب يستحيل في الآخرة إلى صور غير هذه الصّور.

و في جوف الفلك المكوكب يكون الحشر و النشر و الحساب، و العرش الّذي يتجلّى فيه الحقّ للفصل و القضاء.

و الملائكة في تلك الأرض سبعة صفوف بين يدي العرش، و النّاس و الجانّ بين العرش و صفوف الملائكة.

و الصّراط منصوب كالخطّ الّذي يقسم الدائرة نصفين و ينتهي إلى المرج الّذي خارج سور الجنّة موضع المأدبة الّتي يأكلها أهل الجنّة قبل دخول الجنّة و بعد الجواز على الصّراط.

و سأشكل هذا كلّه و أمثاله و أكتب على كلّ شكل اسم المراد به.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۰

فمن ذلك:

صورة العماء و ما يحوي عليه إلى عرش الاستواء فان موضع صور الأشكال ضيق هنا لا يتسع لصور ما نريد تشكيلة واحدة فإنه لو اتسع كان أبين للناظر فيه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۱

و من ذلك صورة عرش الاستواء و الكرسي و القدمان و الماء الذي عليه العرش و الهواء الذي يمسك الماء و الظلمة:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۲

و من ذلك صورة الفلك الأطلس و الجنات و سطح فلك الكواكب و شجرة طوبى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۳

و من ذلك صورة الفلك المكوكب و قباب السموات و ما تستقر عليه و هو الأرض و الأركان الثلاثة و العمد الذي يمسك اللّه به القبة و المعدن و النبات و الحيوان و الإنسان:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۴

و من ذلك صورة أرض المحشر و ما يحوي عليه الأعيان و المراتب و عرش الفصل و القضاء و حملته و صفوف الملائكة:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۵

و من ذلك صورة جهنم و أبوابها و منازلها و دركاتها:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۶

و من ذلك صورة حضرة الأسماء الإلهيّة و الدنيا و الآخرة و البرزخ:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۷

و من ذلك صورة كثيب الرؤية و مراتب الخلق فيه:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۸

و من ذلك صورة العالم كله و ترتيب طبقاته روحا و جسما و علوا و سفلا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۸۹

هذا آخر الأصول الخمسة في المراتب الثّالث من الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و آخر بحث المعاد كذلك الّذي هو الخامس من الأصول و بيانه

في المراتب المذكورة من كلامنا و كلام الشيخ الأعظم قدّس اللّه سرّه.

(رجوع العوالم بعضها إلى بعض)

و مع ذلك كلّه إن أخذت رجوع عالم الأفعال الّتي هي عالم الرّبوبيّة إلى عالم الصّفات، و رجوع عالم الصّفات الّتي هي عالم الكثرة و حضرت الواحديّة، إلى عالم الأسماء و التعيّنات، و رجوع عالم الأسماء و التعيّنات إلى عالم الذات الّتي هي عالم الألوهيّة و حضرت الأحديّة، عرفت تحقيق هذا و ظهر لك سرّ قولنا في تعداد القيامة الصوريّة و المعنويّة إلى اثني عشر قيامة.

و كذلك إن أخذت رجوع عالم المحسوس الّذي هو عالم الشهادة و الملك إلى النّفوس الّذي هو الملكوت و الغيب، و رجوع عالم النفوس و الملكوت إلى الجبروت الّذي هو عالم العقول و غيب الغيب، فإنّ الكلّ واحد و المقصود حاصل.

عباراتنا شتّى و حسنك واحد و كلّ إلى ذاك الجمال يشير

و حيث فرغنا من بحث الأصول الخمسة، و تدويرها في كلّ واحدة من المراتب الثلاث، فلنشرع في الفروع الخمسة كذلك، كما شرطناه أوّلا و نبيّنه على آخر الوجوه و هو هذا و باللّه التوفيق و العصمة و هو يقول الحقّ

و هو يهدي السبيل.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۳، ص ۵۹۰

قد تمّ بحمد اللّه و المنّة المجلّد الثّالث من تفسير المحيط الأعظم للسيّد الفقيه العارف السيّد حيدر الآملي رضي اللّه عنه حسب تجزئتنا، و يليه إن شاء اللّه المجلّد الرّابع المشتمل على بقيّة المقدّمة السادسة.